

مَعِينٌ حَرَوِيٌّ

السِّيَرُ الْمَدِينِيُّ

وَرَوَاهُ

الْمَسْكُودُ الْإِسْلَامِيَّةُ

الْمَدِينِيَّةُ

الطبعة الأولى
1977م

الاستبصار في السيرة

واقفها

العقائد الإسلامية

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للساشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

لصاحبها

عبد الفادر محمود البكار

120 شارع الأزهر - ص.ب 161 الغورية

ت : 2741750 - فاكس : 2741678 - 2704280 - 832820

الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1996 م

سَعِيدُ حَوِّي

الأسبغ في السنة

وَفِيهَا

المجلد الثاني

القسم الثاني

العقائد الإسلامية

دار السَّلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ

رَبِّنَا اقْبَلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

راجع لهذا القسم در دفتر

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأصب

حفظها لله

الباب الثاني
في:
الإيمان بالفَيْبِ
وفيه:
مقدمة وفصول

المقدمة

جس الله الإيمان بالغيب أول صفات المتقين ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (١) ، وأول ما يدخل في الإيمان بالغيب أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر » (٢) .

ولكن الإيمان بالغيب أوسع من ذلك ، فالغيب يطلق ويراد به ما يقابل الشهادة ، أي ما يقابل المحسوس فيدخل في ذلك : الملائكة والجن والجنة والنار ، وغير ذلك مما هو مغيب عنا وجاءت النصوص تحدثنا عنه ، والغيب يطلق أحياناً ويراد به ما غاب عنا من أخبار الماضي وأخبرنا الوحي عنه ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (٣) ، فقد جاءت هذه الآية في سياق قصة نوح عليه السلام ، وتطلق كلمة الغيب ويراد بها المستقبل ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ (٤) ، فهنا يدخل في كلمة الغيب ما غاب عن العباد من الحاضر والمستقبل وأخبر عنه الله عز وجل رسله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (٥) ، وعلى هذا فالإيمان بالغيب يدخل فيه ما أخبرنا عنه الوحي من أمور ماضية ومستقبلية ، ويدخل فيه ما أخبرنا عنه الوحي من أمور موجودة الآن وهي مغيبة عنا ، والإيمان بالغيب هو الفارق الأول والرئيسي بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، وهذا هو المقتضى الأول للشهادتين ، بل إن الشهادتين هما رمز الاعتراف بالغيب ، ولذلك كانت الشهادتان والإيمان بالغيب إجمالاً أول ما يطالب به المسلم ، على أنه إذا نظر في هذا المطلوب الأول فإن أول ما يدخل في الطلب هو معرفة الله ، وما تتطلبه ، لأن كل ما يأتي

(١) البقرة : ٢ ، ٣ .

(٢) البخاري (١ / ١١٤) ٢ - كتاب الإيمان ٣٧ - باب سؤال النبي ﷺ ... إلخ عن أبي هريرة بلفظ مغاير .
ومسلم في أول صحيحه ، من حديث عمر بلفظه .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) الجن : ٣١ ، ٣٧ .

(٥) سبأ : ١٤ .

بعد ذلك من إيمان بغييب إلى غيره مبني على معرفة الله .

* * *

إن الإيمان بالغييب هو ركن التقوى ، وأركان هذا الركن أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل الصحيح ، وقد نصت على خمسة منها أكثر من آية ، من ذلك ﴿ ليس البر ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین ﴾ ^(١) ، ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ^(٢) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللاً بعيداً ﴾ ^(٣) ، وإنما لم يُذكر الإيمان بالقدر معها لأنه فرع الإيمان بالله عز وجل كما سنرى ، لكنه ذكر في القرآن في أكثر من مكان وفي نصوص السنة متواتراً .

والفصول التي سنذكرها هنا تشمل أركان الإيمان الستة وتشمل بعض ما غاب عن العباد ، وتشمل بعض ما أخبرنا الله عز وجل عنه من أمور سابقة أو لاحقة أو بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من أمور سابقة أو لاحقة ، كما سنذكر فصلاً عن القصص التي قصها علينا رسول الله ﷺ لأنها من الغيب ، والإيمان بها جزء من الإيمان بالغييب .

ولقد فصل القرآن في أمر الغيب تفصيلاً كثيراً ، ولذلك فإن قارئ القرآن يجد أمر الغيب واضحاً ، فالحديث عن الله والرسول واليوم الآخر والقدر والجن والموت والخلق كل ذلك نجده مفصلاً في القرآن الكريم ، ومن ثم فإن عرضنا لأبحاث الغيب هنا سيكون مختصراً ؛ لأن غايتنا في هذا الكتاب عرض السنة مع ملاحظة أن روايات السنة المتعلقة بهذه الأمور تأتي في سياقات أبحاث أخرى كالذكر والدعاء ؛ ولذلك فنسذكر في كل فصل من فصول هذا الباب الروايات التي هي الصق بموضوعه تاركين كثيراً من الروايات لملها في سياقاتها .

ويشمل هذا الباب الفصول التالية :

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

فصول الباب الثاني

- الفصل الأول : في بدء الخلق .
- الفصل الثاني : في معرفة الله والإيمان به .
- الفصل الثالث : في الإيمان بالقدر .
- الفصل الرابع : في الإيمان بالملائكة .
- الفصل الخامس : في الجن والشياطين .
- الفصل السادس : في الإيمان بالكتب .
- الفصل السابع : في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .
- الفصل الثامن : في القصص النبوي .
- الفصل التاسع : في الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الأول
في:
بَدْوِ الخَاسِرِ
وفيه:
مقدمة ونصوص وتلخيص

المقدمة

في بدء الخلق جانب غيبي سواء في ذلك أصل نشأة الكون ، أو نشأة الحياة على الأرض ، أو نشأة الإنسان عليها ، أو نشأة بعض المخلوقات الأخرى ؛ لأن ذلك لم يشهده الإنسان ، ولأن الله عز وجل أخبرنا عن بعض ذلك أو حدثنا عنه رسول الله ﷺ ، وهو شيء لم نشهده فدخل في حيز الكلام عن الغيب ، هذا مع ملاحظة أن الفكر المجرد يستطيع الوصول إلى أن هذا الكون مخلوق وأن الحياة مخلوقة .

* * *

ولعل أهم جانب من جوانب الصراع الفكري بين الملحددين والمؤمنين هو إثبات الخلق ، فأزلية الكون وإمكانية نشأة الحياة مصادفة هما المرتكزان الرئيسيان للفكر الإلحادي ، مع أنه حتى في حالة أن المسألة كذلك - وذلك مستحيل عقلي - فإن الأدلة على وجود الله لا تنحصر في هذا وهذا .

* * *

وقد لفت القرآن نظر العقل البشري كثيرًا إلى بدء الخلق وأصل النشأة للوصول إلى الإيمان لاستقرار العلاقة بينهما في الفطرة :

﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ﴾ (١) .

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ (٢) .

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٣) .

﴿ خلق الإنسان ﴾ (٤) .

﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ وخلق الجن من نار من نار ﴿ (٥) .

(١) المنكبت : ٢٠ .

(٤) الرحمن : ٣ .

(١) المنكبت : ١٩ .

(٢) الاعراف : ١٨٥ .

(٥) الرحمن : ١٤ ، ١٥ .

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً فففتحناها وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (١) .

﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ (٢) .

ولوجود ناس يمارون بالبدهيات ويناقشون بالمحسوسات فضلاً عن المغيبات ، وللزعة الإلحادية في إنكار خلق الله المخلوقات ، وهو شيء أخذ أكثر أبعاده في النظرية الماركسية ، ولغير ذلك من الحكم ، قال الله عز وجل وهو أعلم بما كان ويكون :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ (٣) .

﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ (٤) .

* * *

إن من أهم قوانين العقل السببية ، ومن أهم قوانين المادة عدم انفصالها عن الحركة والطاقة والتغير ، والمحددون ينقضون هذا وهذا وهم يزعمون أنهم عقلانيون ، وقد فصلنا في هذه الأبحاث في كتابنا « الله جل جلاله » .

والنصوص قطعية في أن كل ما سوى الله عز وجل مخلوق ، فليس أزلينا إلا الله عز وجل ، فهو الأول . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (٥) : « كان الله ولم يكن قبله شيء » ، وفي حديث آخر (٦) : « أنت الأول فليس قبلك شيء » ، ويكفي قوله تعالى : ﴿ هو الأول ﴾ (٧) ومحض العقل يوصل إلى ذلك بشكل قطعي ، وبما قاله تعالى في شأن الخلق : ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ (٨)

(١) الأنبياء : ٣٠ .
 (٢) الكهف : ٥١ .
 (٣) الطور : ٣٥ ، ٣٦ .
 (٤) البخاري (١٢ / ٤٠٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٢ - باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .
 (٥) مسلم (٤ / ٢٠٨٤) ٤٨ - كتاب الذكر ١٧ - باب ما يقول عند النوم وعند المضج .
 (٦) الحديد : ٣ .
 (٧) هود : ٧ .
 (٨) هود : ٧ .

وليس عندنا نصوص تُفصّل كيف كان عرشه على الماء ، لكن من المعروف أن ذرة الهيدروجين التي تشكل أحد عنصري الماء (الأوكسجين والهيدروجين) هي أصل الذرات جميعًا فبروتونها واحد وإلكترونها واحد والعناصر ما هي إلا توضعات الإلكترونات والبروتونات في كل عنصر بشكل يختلف عنه في العنصر الآخر .

والظاهر من النصوص أنه قد تم خلق العرش - وهو مخلوق غيبي - وتم خلق أصل المادة وهو الماء ثم انفصلت المادة عن بعضها : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ (١) فهذه المجرات والأجرام كلها وجدت في هذه المرحلة ، ثم بعد ذلك في مرحلة لاحقة وجدت الأرض المحسوسة والسموات السبع المغيبية : ﴿ قل أأنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ (٢) فالأرض خلقت قبل السموات السبع المغيبية عنا وهي والسموات السبع وجدت بعد أن انفصلت المادة عن بعضها وعلى هذا نفهم قوله تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاهما * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ (٣) . فالأرض خلقت بعد السماء ، والسموات السبع خلقت بعد الأرض ، ويوم القيامة يعاد الكون كتلة واحدة كما كان : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدنا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (٤) . وهذا الفهم للنصوص فهم غير متكلف وما سواه فهم متكلف ، وهو الذي ينسجم مع استقرارات علماء الكون فالظاهر أن تكوّن الأرض على ما هي عليه مسبق بأشياء أخرى وقد بسطنا هذا الموضوع في التفسير .

وأما نشأة الحياة على الأرض فيبدو أنها متقدمة كثيرًا على نزول آيينا آدم عليه السلام فلقد قالت الملائكة لله عز وجل بعد أن أعلمهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة : ﴿ أتجعل

(٢) فصلت : ١١ ، ١٠ ، ٩ .

(٤) الأنبياء : ١٠٤ .

(١) الأنبياء : ٣٠ .

(٣) النازعات : ٢٧ - ٣٣ .

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴿ (١) بما يوحي أنهم شاهدوا إفسادًا في الأرض وسفك دماء من قبل ، وقد يكون هذا هو التفسير لرؤية نماذج قديمة لأنواع من الإنسان غير إنساننا الحالي ، وذكر الغراب في قصة ابني آدم هاييل وقاييل تحتل أن يكون وجود الغراب سابقًا على وجود آدم عليه السلام وفي حديث عند مسلم وأحمد (٢) « ... وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة ... » ، وهذا يدل على أن خلق الدواب سبق خلق آدم عليه السلام وإنما اضطررنا للتعرض لهذه المعاني ملاحظين معارف عصرنا لتكون هذه المعارف نقاط علم للباحث وحججًا بيد المدارس المختصة ، وردًا على أنواع من المختصين قد يثيرون تساؤلات . ولننتقل إلى عرض بعض نصوص السنة التي لها علاقة بالخلق:

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٤٩) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٠ - باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام .
ومسند أحمد (٢ / ٣٢٧) .

النصوص

٥٦٧ - * روى البخاري عن طارق بن شهاب قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول :
 قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ،
 وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه .

قال الحافظ في الفتح : قوله : حتى دخل أهل الجنة ... هي غاية قوله : أخبرنا ، أي :
 أخبرنا عن مبتدأ الخلق شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة
 والنار ، ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال مخلوقات منذ ابتدئت إلى
 أن تفتى ، إلى أن تبعث ، فشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد ، وفي تيسير إيراد
 ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم .

٥٦٨ - * روى البخاري عن عمران بن حصين أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يا رسول
 الله : جئنا لتنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر : ما كان ؟ قال : « كان الله ولم
 يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء . ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في
 الذكر كل شيء » .

أقول : من مباحث العلماء : هل العرش خلق قبل الماء ؟ أو الماء خلق قبل العرش ؟
 وماتفسير بعض النصوص التي تذكر أن شيئاً ما خلق أولاً سوى العرش والماء ؟ وقد ذكر
 ذلك ابن حجر في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث فقال :

قوله : (كان الله ولم يكن شيء غيره) في الرواية الآتية في التوحيد « ولم يكن شيء
 قبله » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه » والقصة متحدة فاقترض ذلك أن
 الرواية وقعت بالمعنى ، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل « أنت
 الأول فليس قبلك شيء » لكن رواية الباب أصرح في العدم ، وفيه دلالة على أنه لم يكن

٥٦٧ - البخاري (٦ / ٢٨٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم
 يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

٥٦٨ - البخاري (١٣ / ٤٠٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٢ - باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .

شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرها ، لأن كل ذلك غير الله تعالى ، ويكون قوله « وكان عرشه على الماء » معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء ، وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري بلفظ « كان عرشه على الماء ثم خلق القلم » فقال : اكتب ما هو كائن ، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن « فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش . قوله (وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض) هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو ، ووقع في الرواية التي في التوحيد « ثم خلق السموات والأرض » ، ولم يقع بلفظ « ثم » إلا في ذكر خلق السموات والأرض . وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وهذا الحديث يؤيد رواية من روى « ثم خلق السموات والأرض » باللفظ الدال على الترتيب . (تنبيهه) : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » ، وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية ، وهو مسلّم في قوله « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « ولا شيء معه » فراوية الباب بلفظ « ولا شيء غيره » بمعناها . ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور « كان الله لا شيء غيره » بغير واو . قوله (وكان عرشه على الماء) قال الطيبي : هو فصل مستقل لأن التقديم من لم يسبقه شيء ، ولم يعارضه في الأولوية ، لكن أشار بقوله « وكان عرشه على الماء » إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونها خلقا قبل خلق السموات والأرض ، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء . ومحصل الحديث أن مطلق قوله « وكان عرشه على الماء » مقيد بقوله « ولم يكن شيء غيره » والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم . وقد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً « إن الماء خلق قبل العرش » وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة « إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء » وأما مارواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أول ما خلق الله القلم » ، ثم قال اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة ، أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق ، وأما حديث « أول

ما خلق الله العقل « فليس له طريق ثبت ، وعلى تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله والله أعلم . وحكى أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيها خلق أولاً : العرش أو القلم ؟ قال : والأكثر على سبق خلق العرش ، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني ، وروى ابن أبي حازم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يَخْلُقَ الخَلْقَ وهو على العرش : اكتب ، فقال وما أكتب ؟ قال علمي في خلقي إلى يوم القيامة . ذكره في تفسير سورة سبحان ، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش ، بل فيه سبق العرش ... قوله (وكتب) أي قدر (في الذكر) أي في عمل الذكر أي في اللوح المحفوظ (كل شيء) أي من الكائنات ، وفي الحديث جواز السؤال عن مبدأ الأشياء والبحث عن ذلك وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك ، وعليه الكف إن خشي على السائل ما يدخل على معتقده . وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث ، وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن ، لا عن عجز عن ذلك بل مع القدرة . واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة أن الكلام في أصول الدين وحدوث العالم مستتران في ذريتهم حتى ظهر ذلك منهم في أبي الحسن الأشعري ، أشار إلى ذلك ابن عساكر « ا . هـ قول ابن حجر .

أقول : دل هذا الحديث على أن الكلام عن أصل النشأة من الفقه في الدين ، فلقد كان الحديث إجابة على كلامهم : جئنا لتنتفه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ وقد رأينا من خلال تحقيق ابن حجر أن العلماء مختلفون على قولين : في أيها كان أولاً ، الماء أو العرش ؟ ولا يترتب على هذا الاختلاف عمل .

٥٦٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي ، فقال : « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ

٥٦٩ - مسلم (٤ / ٢١٤٩) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . ١ - باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام .

وأحمد (٢ / ٢٢٧) . والنسائي في التفسير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وَأَخْرِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، فَمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ .»

قال محقق الجامع :

« قال الحافظ ابن كثير بعد إيراده : ٦٩ / ٦ وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ، وقد تكلم فيه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب الأبحار ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً ، وقد حرر ذلك البيهقي ، وقال ابن كثير أيضاً : ٤٨٨ / ٢ وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال : ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأبحار ليس مرفوعاً . وقال أيضاً ٣٢٦ / ٧ : وهو من غرائب الصحيح ، وقد علله البخاري في « التاريخ » فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن كعب الأبحار ، وهو الأصح . وقال المناوي في « فيض القدير » : وقال بعضهم : هذا الحديث في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن ، لأن الأربعة خلقت في أربعة أيام ، ثم خلقت السموات في يومين ، وقد سكت عن الحديث النووي في شرح مسلم ، ومن صحح الحديث ، الشوكاني في « فتح القدير » وقد تكلم عليه العلماء من جهة متنه ، ورأوا أنه معارض للقرآن ، ومن صححه كالشوكاني وغيره ، رأوا أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن ، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها في يومين ، والحديث إنما بين أن الله تعالى خلق ما في الأرض في سبعة أيام ، ويحتمل عند بعض من صححه أن تكون هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في خلق السموات والأرض ، وحينئذ لا تكون معارضة ، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها ، والله تعالى أعلم » ا . هـ .

أقول : من المتعارف عليه عند علماء الطبيعة في عصرنا أن الأرض في ابتداء أمرها كانت كتلة نارية ثم أخذت تبرد فظهرت قشرتها شيئاً فشيئاً ، وعلى هذا فأول شيء وُجِدَ التربة وبدأت التفاعلات الداخلية والجوية تفعل فعلها فكانت التضاريس والبحار ، فتسلسل الأحوال على الأرض بعد خلقها يصدق ما في الرواية سواء كانت هدياً نبوياً أو من روايات

كعب الأحبار . ولكن هل المراد في الرواية أيام كأيامنا متتابعة متعاقبة ، أو كأيامنا وبأسائها غير متتابعة ولكن متعاقبة ؟ معارف العصر تؤكد الثاني .

وعلى هذا التأويل للحديث ، وعلى فرض صحته فإن قوله تعالى في سورة فصلت [١٠] : ﴿ وَجَعَلْ فِيهَا رِوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ يكون محمولاً على أن الله تعالى قد جعل فيها ذلك حكماً وقد أظهر ذلك فيما بعد .

٥٧٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعاً ، ثُمَّ قَالَ : « أَذْهَبُ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيَّكَ — نَفَرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ — فَاسْتَمِعْ مَا يَحْيُونَكَ ، فَإِنَّهَا تَحْيِيَّتُكَ وَتَحْيَاؤُهُ دُرِّيَّتِكَ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَزَادُوهُ : وَرَحْمَةُ اللَّهِ . فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ » . قَالَ : « فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ » .

وفي رواية ^(١) « خلق آدم على صورته » .

قال محقق الجامع

الضمير في « صورته » : يعود إلى آدم ، كما بينته الرواية الأخرى قبل هذه .

أقول : هل كان طول آدم عندما أهبط إلى الأرض ستين ذراعاً ، أو أن ذلك كان طوله وهو في السماء فلما أهبط إلى الأرض نقص طوله ثم تناقص الخلق بعد ذلك ، أو أنه هبط إلى الأرض بهذا الطول ثم تناقص طول ذريته شيئاً فشيئاً ؟ الظاهر : الثاني . والخفريات تثبت أن الإنسان كان أكبر حجماً منه الآن وكان يعيش في العادة فترة أطول . والقياس العقلي يقتضي ذلك :

٥٧٠ - البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ١ - باب خلق آدم وذريته .
مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١١ - باب يدخل الجنة أقوام ، أفندتهم مثل أفندة الطير .

(١) مسلم : الموضع السابق .

فالأمرض الحالية والمؤثرات على الأحياء والأعصاب بعد تعقيد الحياة البشرية أصبحت أكثر مما كانت عليه ، وليس مع النصوص كلام لأحد عند أهل الإيمان واليقين ، فأهل اليقين يكفيهم هذا الحديث ويكفيهم قوله تعالى عن نوح : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ (١) .

ولقد جاءت الحفريات لتزيل الغشاوة عن أبصار الشاكين . فقد ذكر الدكتور حسن زينو وهو اختصاصي جيولوجي في كتابه « التطور والإنسان » مايلي :

إنسان هايدلبرغ

- تقع قرية ماور Mauer على بعد ١٠ كلم جنوب غرب هايدلبرغ ، وتتألف المنطقة من الترياسي المغطى أحياناً بدثار من البليستوسين وبالرمال النهرية القديمة لنهر نكار . وقد عثر في مقلع في هذه الرمال عام ١٩٠٧ م على الفك السفلي على عمق ٣٤ م تحت سطح الأرض . وتحوي هذه الرمال على كثير من قواقع الرخويات البرية والنهرية وتشير إلى مناخ أكثر قارية من الآن . وتشمل الثدييات الفيل القديم *Elephas antiquus* والكركدن *Rhinoceros cetruscus* وحصاناً انتقالياً بين الحصان البليوسيني *Eqws Stenosis* والحصان الحالي *Eqws cuballus* وخنزيراً برياً وأيلاً وبمحموراً ونوعاً من الوعل وبيزوناً ودينين مشاهين للدب البليوسيني وكلباً وأسداً وهرة وحشية وقندساً . وتعود هذه الحيوانات إلى البليستوسين السفلي ويعتقد أنه يرتبط بالزمن الدافئ الأول بين تجلد فونتس وميندل . فكه كبير وتاجه عريض وليس له بروز ذقني وفيه إنساني وأسنانه أكبر من الإنسان الحالي ، ويوجد اليوم في جامعة هايدلبرغ وقد أطلق عليه شوتنسك O . Schoetensack . اسم إنسان هايدلبرغ *Homo Heidelbergensis* .

- عثر كونيفسفالذ Von Koenigswald من صيدليات الصين في هونغ كونغ بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ م على ثلاث أسنان طاحنة بشرية كبيرة مع أسنان أورانج وستفودون *stefodon* وتابير Tapir أحد هذه الأسنان البشرية كبير بحيث ينبغي أن يكون فكه

إن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله ، فاتته تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك . وقال ابن التين : قوله « فلم يزل الخلق ينقص » أي كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين ، فكذلك هذا الحكم في النقص ... ا . هـ .

أقول :

إن كثيرين من الناس يأخذون عن أسفار اليهود تاريخ وجود الإنسان على هذه الأرض ، وهي كتب محرفة فيها أغاليط كثيرة ، والحفريات الحديثة أثبتت أن النوع الإنساني أقدم بكثير مما ذكرته هذه الأسفار ، ونصوص الإسلام ساكنة في هذا الشأن .

فالتحقيق العلمي في هذه الحالة معتبر ، ومع اعتراضنا على أسفار اليهود في ذكر عمر الإنسان فإننا نعتز على التطوريين الذين يجعلون إنساننا الحالي وليد تطور عن أنواع من الإنسان أخرى ، ونحن إذ ننكر هذا لا نعتز على وجود مخلوقات شبه إنسانية سبقت أبانا آدم ، فليس في نصوص الإسلام ما يمنع ، بل في كلام بعض الإسلاميين ما يؤيده ، فلقد نقل صاحب السيرة الحلبية شيئاً من ذلك عن بعض المتصوفة : إن آدمنا سبق بأباء كثر لأنواع من الإنسان . والمنقول عن بعض أئمة الشيعة أنهم يقولون بمثل ذلك ، ولكن المسلمين مجمعون — إلا من لا يعتد بقوله — على أن أبانا آدم خلق خلقاً مباشراً من الله عز وجل .

٥٧١ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لما صورَ اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ في الجنة تَرَكَهَ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَكَهَ ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يَطِيفُ بِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ لَا يَتَالِكُ » .

٥٧٢ - * روى أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله

٥٧١ - مسلم (٢٠١٦ / ٤) - ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٣١ - باب خلق الإنسان خلقاً لا يتالك .

وأحمد : (٢ / ٢٢٩) .

(يطيفُ به) أطافَ بالشيء : إذا دارَ به وأحاطَ بجوانبه .

(أجوفٌ لا يتالكُ) شيءٌ أجوفٌ : خالٍ ، وإذا وصفت الإنسان بالخفة والطيش قيل : لا يتالك ولا يتاسك .

٥٧٢ - أحمد (٤٠٦ / ٤) .

والترمذي (٢٠٤ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٣ - باب « ومن سورة البقرة » .

ﷻ يقول : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ ، وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ » .

أقول مؤكداً ما مرَّ سابقاً :

إن نصوص الكتاب والسنة واضحة وقطعية في أن آدم عليه الصلاة والسلام خلق ابتداءً بقدرة الله ، فما يقال عن نشأة الإنسان التطورية وأنه نتاج قفزات تطورية حدثت في الأحياء غير صحيح . فآدم خلق على صورته التي فطره الله عليها ابتداءً دون واسطة ودون تسلسل ، أما التعليل لوجود سلم ارتقاء للمخلوقات واحتمالات أن تكون بعض المخلوقات تولدت عن بعض ، ووجود مخلوقات شبيهة بإنساننا الحالي وتعتبر أسبق منه بالوجود فذلك كله له تعليقاته والبحث فيه مفتوح . قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (١) .

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ... ﴾ (٢) .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

إن وجود سلم ارتقاء ليس غريباً على قدرة الله عز وجل وذلك من مظاهر حكيمته جل جلاله ، سواء كان ذلك من خلال الخلق المباشر أو من خلال توالد وقفزات قديمة ، إلا أن أبانا آدم خلق ابتداءً على صورته ، وكان ذلك بالخلق المباشر من الله عز وجل ، ولكن أن تكون هناك مخلوقات تشبه إنساننا الحالي فذلك يتفق مع اتجاهات مذكورة في كتب الإسلاميين قديماً تقول : إن آدمنا عليه السلام ليس هو أول آدم وجد على الأرض ، ولكن هذا لا يعني أن آدمنا هو ولادة من إنسان آخر . فالنصوص قطعية في ذلك ، ومن عرف أن

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

وأبو داود (٤ / ٢٢٢) كتاب السنة - باب في القدر .

(٢) العنكبوت : ١١ .

(١) العنكبوت : ٢٠ .

(٣) الواقعة : ٦٢ .

هذا الكون كله مخلوق بقدرة الله لا يستنكر على قدرة الله أن تخلق آدم ابتداءً ، والذين يشكون في ذلك عليهم أن يراجعوا أصل إيمانهم .

٥٧٣ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « خَلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخَلَقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخَلِقَ آدَمَ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » .

٥٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا بنو إسرائيل لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ » وفي رواية « لَمْ يَخْبُثِ اللَّحْمُ » - « ولولا حَوَاءُ : لَمْ تَخْنُ أَنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ » .

أقول :

الظاهر من الحديث أنه قبل أن يخزن بنو إسرائيل اللحم عندما كانوا في التيه لم يكن اللحم يخزن ، بمعنى أن الجراثيم والبكتيريا المؤثرة في ذلك لم تكن موجودة أو لم تكن مسلطة على اللحم ، فلما فعل بنو إسرائيل ذلك عوقبوا كما تعاقب الأقسام المبتعدة عن الفطرة بزيد من الأمراض كلما زاد البعد عن الفطرة . ولعل عدم تأثر جثث الفراغة القدماء التي وصلتنا محنطة أنها وضعت في توابيتها وحنطت قبل هذا التسلط على اللحم .

٥٧٥ - * روى البزار عن أبي موسى رفعه ، قال : « لما أخرج الله آدم من الجنة زَوَّدَهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَعَلِمَهُ صِنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ فَتَارَكُمُ هَذِهِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ غَيْرَ أَنْ هَذِهِ

٥٧٣ - مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، ١٠ - باب في أحاديث متفرقة . أحد (٦ / ١٥٢) .
وأحد (٦ / ١٥٣) .

(مارج) المارج : لَهَبُ النَّارِ الْمُخْتَلِطُ بِسَوَادِهَا .

٥٧٤ - البخاري (٦ / ٣٦٣) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ١ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٢ / ١٠٩٢) ١٧ - كتاب الرضاع ، ١٩ - باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر .
(خَنْزَى) اللحم يَخْنَزُ : إِذَا أَنْتَنَ وَتَغَيَّرَتْ رِيحُهُ .

(لم تخن أنثى) خيانة حواء آدم : هي ترك النصيحة له في أمر الشجرة ، لا في غيرها .

٥٧٥ - كشف الأستار (٣ / ١٠٢)

الميثبي في جمع الزوائد (٨ / ١١٧) . وقال : رواه البزار والطبراني ورجالهم ثقات .

تَغَيَّرَ وتلك لا تَغَيَّرُ» .

٥٧٦ - * زوى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : القِرْدَةُ والخنازيرُ ؛ هي مما مَسِيخٌ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ لم يَهْلِكْ قوماً [أو يعذبُ قوماً] فيجعلَ لهم نسلًا ، وإن القِرْدَةَ والخنازيرَ كانت قبل ذلك » .

* * *

= والحاكم في المستدرک (٢ / ٥٤٣) . وقال : صحيح . وواقفه الذهبي .
٥٧٦ - مسلم (٤ / ٢٠٥١) ٤٦ - كتاب القدر . ٧ - باب بيان أن الآجال والأمزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر .

التلخيص

- كان الله ولا شيء قبله ولا شيء معه ، ثم خلق الماء - والله أعلم على أي هيئة كان بخارية أو سائلة - ثم خلق العرش ، ثم خلق القلم وكتب مقادير كل شيء وأقذارها ، ثم خلق من الماء هذه السماء بما فيها من مجرات ونجوم وسُدُم ، ثم خلق الأرض والمجموعة الشمسية من سديم من هذه السُدُم فيما يبدو ، ثم خلق السموات السبع بعد خلقه الأرض وجعل في كل سماء أمرها ، ثم هبأ الأرض لسكنى الإنسان وخلق فيها ما خلق ، وقبل أن يخلق الإنسان كان قد خلق الملائكة والجن وأنواع الحياة على الأرض ، وخلق الجنة والنار ثم خلق أبانا آدم عليه السلام ، ثم أمنا حواء وكانا في الجنة ثم أهبطها وإبليس إلى الأرض ، وبدأت بذلك الحياة البشرية على الأرض .

- لا شيء يمنع أن تكون هناك مخلوقات كإنساننا الحالي قبل أيينا آدم ثم انقرضت ، ولكن لم تكن أصلاً لجنسنا البشري الحالي .

- البحث في نشأة الحياة على الأرض وأنواعها وسلم تدرجها كل ذلك مفتوح للبحث ، بل مطلوب بنص القرآن فلا حرج فيه ولكن حينما كان هناك تعليق رباني أو إخبار عن طريق الوحي فهو الفيصل .

- واكتشافات عصرنا ونظرياته التي قامت عليها أدلة جاءت مؤكدة لنصوص الكتاب والسنة ، والكتب في هذا كثيرة ، والعلماء غير المغرضين في كل مكان يقدمون بأبحاثهم الأدلة على ذلك .

* * *

الفصل الثاني
في
معرفة الله والإيمان به
وفيه:
مقدمة ونصوص وتلخيص وأربعة وصول

المقدمة

الملحدون بالله تعالى في هذا العالم قلة حتى في البلدان التي تسيطر عليها سلطة ملحدة كالاتحاد السوفياتي ، لأن الإلحاد يتنافى مع قوانين العقل وأعماق الفطرة ، ولذلك كان أكثر الناس مؤمنين بالله عز وجل نوع إيمان . وإنما الاختلاف بين أهل الحق وغيرهم في الصفات أو فيما ينسب لله عز وجل أو فيما يليق به أو لا يليق أو في حقوق الألوهية ، ولقد جاء الإسلام ليصحح تصورات البشر وعقائدهم وسلوكهم وكان أكثر ما ركزت عليه الرسالة الإسلامية التعريف على الله عز وجل فأعطتنا هذه الرسالة أسمى وصف وأسمى اعتقاد ، اجتمع فيه الحق الخالص الذي يؤيده العقل الراشد والفطرة المستقيمة والعلم الصحيح .

* * *

لقد وصف بعض الناس الله عز وجل بما لا يليق بذاته ، فزعموا أن له صاحبه وولداً ، أو أن له شركاء أو أنه لا تدخّل له في شؤون الخلق ، أو أن الخلق وجدّ بدون إرادة منه جل جلاله أو أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات أو أن هذا الكون جزؤه ، أو أنه لا حق له في التشريع ، وأشياء كثيرة نسبها الخلق لله عز وجل وهو منزّه عنها ، وجاء الكتاب والسنة فوضعا الأمور في نصابها فلا أرقى ولا أروع :

﴿ سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين ﴾ (١) .

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) .

﴿ والله المثل الأعلى ﴾ (٣) .

* * *

(١) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) النحل : ٦٠ .

وخلصه ما جاء به الكتاب والسنة :

أن الله عز وجل موجود يدل على ذلك كل شيء ؛ فظواهر الكون آياته التي تدل عليه ،
والقرآن آياته تدل عليه ، ومعجزات الرسل صلى الله عليهم وسلم وكرامات الأولياء آياته التي تدل
عليه . وأن الله عز وجل متصف بالحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام :

﴿ هو الحي ﴾ (١) .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (٢) .

﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (٣) .

﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ (٤) .

﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ (٥) .

﴿ أنزله يعلمه ﴾ (٦) .

﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ (٧) .

﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجزه حتى يسمع كلام الله ﴾ (٨) .

وأن الله عز وجل متصف بالصفات العليا ومسمى بالأسماء الحسنى :

﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ (٩) .

وأن هذا الكون خلقه وما يجري فيه أثر مشيئته وقدرته :

﴿ الله خالق كل شيء ﴾ (١٠) . ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ (١١) .

(٢) يس : ٨٢ .

(٤) البقرة : ٢٠ .

(٦) النساء : ١٦٦ .

(٨) التوبة : ٦ .

(١٠) الزمر : ٦٢ .

(١) غافر : ٦٥ .

(٣) الأنعام : ٦١ .

(٥) الأحزاب : ٤٠ .

(٧) النساء : ١٣٤ .

(٩) الأعراف : ١٨٠ .

(١١) الرحمن : ٢١ .

وأن هذا الكون بما فيه خلقه ابتداء وهو - أي الكون - محتاج إليه لاستمراره :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ^(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ ^(٢) .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) .

وأن الله عز وجل له صفات الجلال والكمال والجمال :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٤) .

﴿ وَيُبْقِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^(٥) .

وأن الله عز وجل متصف بالوحدانية وبالقدم وبالبقاء وبالقيام بالنفس وبالمخالفة للحوادث وذلك مقتضى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ^(٦) فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله .

وهو الصمد الذي يحتاجه الخلق وهو غير محتاج إليهم :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(٧) فهو قائم بنفسه ، وغيره قائم به ، وهو الأول الذي ليس قبله شيء ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ^(٨) وهو الباقي ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ^(٩) ﴿ الْآخِرُ ﴾ ^(١٠) .

وهو الذي لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ^(١١) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(١٢) وهو جل جلاله كما وصف ذاته فهو وحده الذي يعلم ذاته وصفاته حق العلم :

(١) الفرقان : ٢ .

(٢) فاطر : ٤١ .

(٤) النحل : ٦٠ .

(٦) الإخلاص : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٨)،(٩) الإخلاص : ٣ .

(١١) الإخلاص : ٤ .

(٢) الفاتحة : ٥ .

(٥) الرحمن : ٢٧ .

(٧) البقرة : ٢٥٥ .

(١٠) الحديد : ٣ .

(١٢) الشورى : ١١ .

﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾^(١) ، ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾^(٢) .

وهو جل جلاله له الألوهية والمالكية والربوبية : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس ﴾^(٣) ومقتضى ربوبيته ومالكيته وألوهيته أن يقدم له الخلق العبادة والعبودية ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(٤) ، ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾^(٥) ، ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾^(٦) .

والعبادة تقتضي القيام بالشعائر ، والعبودية تقتضي مع العبادة القيام بالشرائع ، ومن هنا كان لله عز وجل المالكية المطلقة ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾^(٧) ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾^(٨) .

فواجب الخلق الاستسلام لله عز وجل فيما أخبر ونهى وأمر ، وذلك هو الإسلام الذي بعث به رسلاً عليهم الصلاة والسلام وقد حاول المصنفون في العقائد خلال العصور أن يصطلحوا لبعض ما ذكرناه :

فسموا صفة الوجود للذات الإلهية صفة نفسية .

وسموا الصفات القائمة بالذات الإلهية الصفات الوجودية أو صفات المعاني وهي الصفات السبع : العلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام .

وسموا الصفات التي وردت في سورة الإخلاص وهي التي تميز العقيدة الإسلامية تمييزاً جوهرياً بالصفات السلبية وهي : الوجدانية والقِدَمُ والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث .

وسموا الأسماء التي هي أثر قدرة الله عز وجل بصفات الفعل كالمعز والمنزل والمهي والمميت .

(٢) الأنعام : ١٠٢ .

(٤) الذاريات : ٥٦ .

(٦) الإسراء : ١ .

(٨) الأنعام : ٥٧ .

(١) طه : ١١٠ .

(٣) الناس : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٥) النساء : ١٧٢ .

(٧) الأعراف : ٥٤ .

وسموا الأسماء التي تعبر عن الكمال بصفات الجلال والكمال والجمال :

﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ ^(١) وقوله ﷺ « إن الله جميل » أخرجه مسلم والترمذي .
وأثبتوا لله عز وجل الأسماء الحسنى التي سمى بها ذاته ، وعرفنا عليها الكتاب والسنة .
وسموا الصفات التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة مما سوى ذلك بالصفات السمية .
ولا حرج بالاصطلاح إلا إذا أدخل عليه ما يفسده كأن أدى إلى مفسدة أو اقتضى
مفسدة .

* * *

وليس هناك شيء أهم بالنسبة للإنسان من معرفة الله عز وجل حق المعرفة والإيمان به
والتسليم له ، لما يترتب على ذلك من آثار دنيوية وأخروية على القلب والعقل والسلوك ،
لذلك كانت أعظم المعارك الفكرية والعملية وحتى السياسية والعسكرية مرتبطة بموضوع
الإيمان بالله ، ونقطة البداية في الهداية المعرفة والإيمان ، قال جل جلاله : ﴿ ومن يؤمن
بالله يهد قلبه ﴾ ^(٢) .

لذلك ينصبُ جهد المضلِّين والشياطين والكفرة والفساقين والمنافقين على خلخلة هذا
الأصل بشكل مباشر أو غير مباشر .

﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر
بالله ونجعل له أندادا ﴾ ^(٣) .

ومن ثم كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو المعتصم :

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها ﴾ ^(٤) .

* * *

(٢) التباين : ١١ .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٣) سبأ : ٣٣ .

وهناك معارك كبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الأديان والفلسفات حول موضوعات تتعلق بالذات الإلهية ، وهناك معارك كبرى بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين الفرق المنشقة من جهة أخرى ، وهناك معارك بين من يتنازعون على اسم أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع .

* * *

ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الأديان والفلسفات : معركته مع النصرانية ومن واطأها في نسبة صاحبة والولد للذات الإلهية ونفي الأحدية عنه جل جلاله ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الأديان : معركته مع المشركين الذين يشركون مع الله في الألوهية والعبادة حجراً أو شجراً أو بشرًا أو مظهرًا ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الفلسفة : معركته مع القائلين إن الله عز وجل لا يتدخل في شؤون خلقه أو لم يخلق الخلق باختياره أو إنه لا يعلم إلا الكلبيات ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الفلسفات : معركته مع القائلين بجرية الإنسان في اتباع أهوائه كالوجوديين أو القائلين إن الله ليست له المالكية على البشر في التكليف والتشريع وهم الذين يُسمّون بالعلمانيين .

ومن أهم المعارك بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المنشقة في باب الألوهية : معركة أهل السنة والجماعة مع المعتزلة من جهة والمشبهة من جهة أخرى ، ومع القائلين بوحدة الوجود كنفلة الصوفية ، ومع القائلين بتجسد الإله في البشر كالدروز والإسماعيليين والنصيرية

* * *

ونحن هنا سنقتصر على ذكر بعض الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع الفصل مع ملاحظة أنه يندر أن يمر باب في السنة إلا وبعض أحاديثه تتعلق بالذات الإلهية ، ثم إن القرآن كله حديث عن الذات الإلهية في المال لذلك وصفه الله عز وجل بأنه ذكر : ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ (١) .

النصوص

٥٧٧ * - روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَاللَّهُ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثَرَ » وفي رواية : « مَنْ أَحْصَاهَا » .

وفي أخرى (١) : « لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثَرَ » . قال البخاري : « أَحْصَاهَا : حَفِظَهَا » ، وفي رواية لمسلم نحوه ، وليس فيه ذِكْرُ الْوَثَرِ .

وفي رواية الترمذي (٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ،

٥٧٧ - مسلم (٤ / ٢٠٦٢) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢ - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(١) البخاري (١١ / ٢١٤) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ٦٨ - باب لله مائة اسم غير واحدة .

مسلم (٤ / ٢٠٦٢) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢ - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(٢) الترمذي (٥ / ٥٢٠) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٨٣ - باب حدثنا يوسف بن حماد البصري .

هذه رواية الترمذي بتفصيل الأسماء ولم يُفصّلها غيره ، وقال : حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ ، وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ ، وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ . قال : وقد رَوَيْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، لَا نَعْلَمُ فِي كَثِيرٍ مِنْ الرِّوَايَاتِ ذِكْرَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ . قال محقق الجامع :

وقال الترمذي : وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح ، أقول : رواه الترمذي رقم (٢٥٠٢) من حديث صفوان بن صالح قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، وقال : حديث غريب . ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٣٨٢) موارد الظمان من طريق صفوان به ، وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٨٦١) في الدعاء ، باب أسماء الله عز وجل ، من طريق أخرى عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بنحو ما تقدم بزيادة وتقصان ، قال البوصيري في الزوائد : لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره ، غير ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير ، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب ، وفي إسناد طريق ابن ماجه ضعف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني ، وقال الحافظ في تحريج الأذكار : وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج ، وفيها اختلاف شديد في سرد الأسماء ، وزيادة وتقص ، ووقع سرد الأسماء في رواية ثالثة أخرجه الحاكم في المستدرک وجعفر الفريابي في الذكر من طريق عبد العزيز بن الحصين (يعني ابن الترمذي) عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، قال الحاكم بعمد تحريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم الطريق التي أخرجه الترمذي بلفظه سواء : أخرجاه في الصحيح بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه ، ولعله عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقه وبطوله وذكر الأسماء فيه ، ولم يذكره غيره لمسلم ، نعم أكثرها =

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ هُوَ : الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ ، الْمَلِكُ ،
 الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُهَيَّمِنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ،
 الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ ، الْغَفَّارُ ، الْقَهَّارُ ، الْوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الْفَتَّاحُ ، الْعَلِيمُ ،
 الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الْخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، الْمُعِزُّ ، الْمُنْزِلُ ، السَّمِيعُ ، الْبَصِيرُ ، الْحَكَمُ ،
 الْعَدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الْحَلِيمُ ، الْعَظِيمُ ، الْغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، الْعَلِيُّ ، الْكَبِيرُ ،
 الْحَفِيفُ ، الْمُقِيتُ ، الْحَسِيبُ ، الْجَلِيلُ ، الْكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، الْمَجِيبُ ، الْوَاسِعُ ،
 الْحَكِيمُ ، الْوَدُودُ ، الْمَجِيدُ ، الْبَاسِعُ ، الشَّهِيدُ ، الْحَقُّ ، الْوَكِيلُ ، الْقَوِيُّ ، الْمُتِينُ ،
 الْوَلِيُّ ، الْحَمِيدُ ، الْمُحْصِي ، الْمُبْدِي ، الْمُعِيدُ ، الْمُخْئِي ، الْمُمِيتُ ، الْحَيُّ ، الْقَيُّومُ ،
 الْوَاجِدُ ، الْمَاجِدُ ، الْوَاحِدُ ، الْأَحَدُ ، الصَّمَدُ ، الْقَادِرُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الْمُقَدِّمُ ، الْمُؤَخَّرُ ،
 الْأَوَّلُ ، الْآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، الْبَاطِنُ ، الْوَالِي ، الْمُتَعَالِ ، الْبَرُّ ، التَّوَّابُ ، الْمُتَّقِمُ ،
 الْعَفْوُ ، الرَّؤُوفُ ، مَالِكُ الْمُلْكِ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، الْمُقْسِطُ ، الْجَامِعُ ، الْغَنِيُّ ،
 الْمَغْنِيُّ ، الْمَانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، النُّورُ ، الْهَادِي ، الْبَدِيعُ ، الْبَاقِي ، الْوَارِثُ ،
 الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ .

قال ابن الأثير :

(مَنْ أَحْصَاهَا) الإحصاءُ : العَدَّةُ وَالْحِفْظُ ، والمراد : مَنْ حَفِظَهَا عَلَى قَلْبِهِ ، وَقِيلَ :
 المراد : مَنْ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَحَادِيثِ رَسُولِهِ ﷺ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَعِدْهَا
 لَهُمْ ، وَلِهَذَا لَمْ تَرِدْ مَسْرُودَةً مَعْدُودَةً مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ السِّتَةِ إِلَّا فِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ ، وَقِيلَ :
 المراد : مَنْ أخطَرَ بِبَالِهِ عِنْدَ ذِكْرِ مَعْنَاهَا ، وَتَفَكَّرَ فِي مَدْلُوحِهَا : مُعْتَبِرًا ، مُتَدَبِّرًا ، ذَاكِرًا ،
 رَاجِعًا ، رَاهِبًا ، مُعْظَمًا لِمَسْمَاهَا ، مُقَدِّسًا لِمَذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِالْجَمَلَةِ : فَنِي كُلِّ اسْمٍ يَخْطُرُ

في القرآن ، ومنها ما ورد فيه الفعل أو المصدر دون الاسم ، ومنها ما ليس في القرآن لا بنفسه ولا بورود فعله
 كالقديم والجيل ونحوهما . ١ هـ . وقال ابن كثير في التفسير : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في
 هذا الحديث مدرج فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه
 عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوا من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة
 وأبو زيد اللغوي ، والله أعلم .

يقول الحق : ومع ذلك كله فقد ذكر الحديث ابن حبان في صحيحه ، وحسنه النووي في أذكاره . ١ هـ .

بِبَالِهِ الْوَصْفُ الدَّالُّ عَلَيْهِ .

(الْقَدُوسُ) : الطاهر من العيوب المنزّه عنها .

(السَّلَامُ) : ذو السَّلَام ، أي : الذي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَبَرِيءٌ مِنْ كُلِّ آفَةٍ .

(الْمُؤْمِنُ) الذي يصدق عبادته [وعده] ، فهو من الإيمان : الصديق ، أو يُؤْمِنُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِهِ ، فهو من الأمان ، ضِدُّ الْخَوْفِ .

(الْمُهَيِّمُنُ) الشَّهِيدُ ، وقيل : الأمين ، فأصله مُؤْتَمَنٌ ، فَقَلِبْتَ الهمزة هاءً ، وقيل : الرَّقِيبُ وَالْحَافِظُ :

(الْعَزِيزُ) : الْغَالِبُ الْقَاهِرُ ، وَالْعِزَّةُ : الْعَلْبَةُ .

(الْجَبَّارُ) : هو الذي أَجْبَرَ الْخَلْقَ وَقَهَرَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ .

(الْمُتَكَبِّرُ) : الْمُتَعَالِي عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وقيل : الذي يَتَكَبَّرُ عَلَى عِتَاةِ خَلْقِهِ إِذَا نَارَعَوْهُ الْعِظَمَةَ فَيَقْبِضُهُمْ ، وقيل : إنَّ الْمُتَكَبِّرَ مِنَ الْكِبَرِيَاءِ الَّذِي هُوَ عِظَمَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا مِنَ الْكِبَرِ الَّذِي هُوَ مَذْمُومٌ .

(الْبَارِئُ) : هو الذي خَلَقَ الْخَلْقَ لَا عَنْ مِثَالٍ ، إِلَّا أَنْ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ بِالْحَيَوَانِ مَا لَيْسَ لَهَا بغيره مِنَ الْخُلُوقَاتِ ، وَقَلِمَا تَسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْحَيَوَانِ ، فيقال : بَرَأَ اللَّهُ النَّسْمَةَ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ .

(الْمَصَوِّرُ) هو الذي أَنشَأَ خَلْقَهُ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَعْنَى التَّصْوِيرِ : التَّخْطِيطُ وَالتَّشْكِيلُ .

(الْغَفَّارُ) : هو الذي يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَأَصْلُ الْغَفْرِ : السَّرُّ وَالتَّغْطِيَةُ ، فَاللَّهُ غَافِرٌ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ سَاتِرٌ لَهَا بِتَرْكِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا .

(الْفَتَّاحُ) : هو الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، يُقَالُ : فَتَحَ الْحَاكِمُ بَيْنَ الْحَصَمَيْنِ : إِذَا فَصَلَ بَيْنَهُمَا ، وَيُقَالُ لِلْحَاكِمِ : الْفَاتِحِ ، وقيل : هو الذي يَفْتَحُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةَ لِعِبَادِهِ ، وَالْمُنْتَغَلِقَ

عليهم من أرزاقه .

(البَاسِطُ) : الذي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لعباده وَيُوسِّعُهُ عليهم بجوده ورحمته .

(التَّقَابِضُ) : الذي يُمْسِكُهُ عنهم بِأَطْفِهِ ، فهو الجامعُ بين العطاء والمنع .

(الحَافِضُ) : الذي يَحْفِضُ الجَبَّارِينَ والفِرَاعِنَةَ ، أي : يَضَعُهُمْ وَيُهِينُهُمْ .

(الرَّافِعُ) : هو الذي يَرْفَعُ أوليَاءَهُ وَيَعَزِّمُهُمْ ، فهو الجامعُ بين الإِعْزَازِ والإِذْلالِ .

(الحَكَمُ) : الحَاكِمُ ، وحققيقته : الذي سَلَّمَ لَهُ الحَكْمَ وَرَدَّهُ إِلَيْهِ .

(العَدْلُ) : هو الذي لَا يَمِيلُ بِهِ الهوى فيجور في الحَكْمِ ، وهو من المصادر التي يُسَمَّى بِهَا .

(اللَّطِيفُ) : الذي يُوَصِّلُ إِلَيْكَ أَرْبَكَ فِي رِفْقٍ ، وقيل : هو الذي لَطَّفَ عَنْ أَنْ يَذْرَكَ

بِالكَفِيفَةِ .

(الحَبِيرُ) : العَالِمُ العَارِفُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ .

(العَفُورُ) : من أُنْبِيَةِ المَبَالِغَةِ فِي العَفْرَانِ .

(الشُّكُورُ) : الذي يَجَازِي عِبَادَهُ وَيُثَبِّهُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ ، فَشَكَرَ اللهُ لِعِبَادِهِ إِنَّمَا

هُوَ مَغْفِرَتُهُ لَهُمْ وَقَبُولُهُ لِعِبَادَتِهِمْ .

(الكَبِيرُ) : هُوَ الموصوفُ بِالجَلَالِ وَكِبَرِ الشَّانِ .

(المَقِيتُ) : هُوَ المَقْتَدِرُ ، وقيل : هُوَ الذي يَعْطِي أَقْوَاتَ الخَلَائِقِ .

(الحَسِيبُ) : الكَافِي ، هُوَ قَمِيعِلٌ بِمَعْنَى : مُفْعِلٌ ، كَأَلِيمٍ بِمَعْنَى : مَوْمٌ ، وقيل : هُوَ

الحَاسِبُ .

(الرَّقِيبُ) : هُوَ الحَافِظُ الذي لَا يَتَغَيَّبُ عَنْهُ شَيْءٌ .

(المَجِيبُ) : الذي يَقْبَلُ دَعَاءَ عِبَادِهِ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ .

(الوَاسِعُ) : هُوَ الذي وَسِعَ غِنَاهُ كُلَّ فَقْرٍ ، وَ [وَسِعَتْهُ] رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ .

(الودود) : فعول بمعنى : مفعول من الودّ ، فالله تعالى مودود ، أي : محبوب في قلوب أوليائه ، أو هو فعول بمعنى : فاعل ، أي : أن الله تعالى يودّ عباده الصالحين ، بمعنى : يرضى عنهم .

(المجيد) : هو الواسع الكرم ، وقيل : هو الشريف .

(الباعث) : هو الذي يبعثُ الخلق بعد الموت يوم القيامة .

(الشهيد) : هو الذي لا يغيّبُ عنه شيء ، يقال : شاهدَ وشهيدَ ، كعالمٍ وعليمٍ ، أي أنه حاضرٌ يشاهد الأشياء ويراها .

(الحق) : هو المتحقق كونه وجوده .

(الوكيل) : هو الكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته : أنه الذي يستقلُّ بأمر الموكول إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

(القوي) : القادر ، وقيل : التأم القدرة والقوة ، الذي لا يُعجزه شيء .

(المتين) : هو الشديد القوي الذي لا تلحقه في أفعاله مشقة .

(الولي) : الناصر ، وقيل : المتولي للأمر القائم بها كولي اليتيم .

(الحميد) : الحمود الذي استحق الحمد بفعله ، وهو فعيل بمعنى مفعول .

(الخصي) : هو الذي أحصى كل شيء بعلمه ، فلا يفوته شيء من الأشياء ، تق أو جل .

(البديئ) : الذي أنشأ الأشياء واختراعها ابتداءً .

(المعيد) : هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى المات ، وبعد المات إلى الحياة .

(الواجد) : هو الغني الذي لا يفتقر ، وهو من الجدة : الغنى .

(الواحد) : هو الفرد الذي لم يزل وحده ، ولم يكن معه آخر ، وقيل : هو منقطع القرين والشريك .

(الأَحَدُ) : الفَرْدُ ، والفرق بينه وبين الواحد : أن « أَحَدًا » بُنِيَ لِنَفْيِ ما يُذَكَّرُ معه من العدد ، فهو يقع على المذكر والمؤنث . يقال : ما جاءني أحد ، أي : ذكر ولا أنثى ، وأما « الواحد » فإنه وُضِعَ لِمُفْتَتِحِ العدد ، تقول : جاءني واحدٌ من الناس ، ولا تقول فيه : جاءني أحدٌ من الناس ، والواحد : بني على انقطاع النظير والمثل ، والأحد : بني على الانفراد والوحدة عن الأصحاب ، فالواحدُ مُنْفَرِدٌ بالذات ، والأحد منفرد بالمعنى .

(الصَّمَدُ) : هو السيد الذي يَصْمِدُ إليه الخلقُ في حوائجهم ، أي : يَتَصَدَّونَه .

(الْمُقْتَدِرُ) : مُفْتَعِلٌ من القدرة ، وهو أبلغ من قادر .

(الْمُقَدَّمُ) : الذي يَقْدِمُ الأشياءَ فيضعها في مواضعها .

(الْمُؤَخَّرُ) الذي يُؤَخِّرُها إلى أماكنها ، فمن اسْتَحَقَّ التقديمَ قَدِّمَهُ ، ومن استحق التأخيرَ أَخَّرَهُ .

(الأوَّلُ) : هو السَّابِقُ للأشياء كلها . (والآخر) : الباقي .

(الظَّاهِرُ) : هو الذي ظهر فوق كل شيء وَعَلَاهُ .

(البَاطِنُ) : هو المُخْتَبِجُ عن أبصار الخلائق .

(الوالي) : مالكُ الأشياء ، المتصرفُ فيها .

(المَتَعَالِي) : هو المتنزه عن صفات المخلوقين ، تعالى أن يوصف بها وجَلُّ .

(البرُّ) : هو العَطَوفُ على عباده ببرِّه ولُطْفِهِ .

(المُنْتَقِمُ) : هو المبالغُ في العقوبة لمن يشاء .

(العَفْوُ) : فعول من العفو ، بناء مبالغة ، وهو الصَّفْوَحُ عن الذنوب .

(الرُّؤُوفُ) : هو الرحيمُ العاطيفُ برأفته على عباده .

(ذُو الجَلالِ) : الجَلالُ : مصدر الجليل ، تقول : جليلٌ بَيْنَ الجلالة والجلال .

(الْمُقْسِطُ) : العَادِلُ في حِكمه ، أقسط الرجلُ : إذا عَدَلَ ، فهو مُقْسِطٌ ، وقَسَطَ : إذا جارَ ، فهو قَاسِطٌ .

(الجَامِعُ) : هو الذي يَجْمَعُ الخَلَائِقَ ليومِ الحِسابِ .

(المَانِعُ) : هو النَّاصِرُ الذي يَمْنَعُ أوليَاءَه أن يُؤذِيَهُمُ أَحَدًا .

(النُّورُ) : هو الذي يُبَصِّرُ بنوره ذُو العِمَايَةِ ، وَيَرشُدُ بِهِدَاهِ ذُو الغَوَايَةِ .

(الوَارِثُ) : هو الباقِي بعد فناء الخَلَائِقِ .

(الرُّشِيدُ) : هو الذي أرشد الخَلْقَ إلى مِصَالِحِهِمُ ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ .

(الصُّبُورُ) : هو الذي لَا يَمُاجِلُ العِصَاةَ بِالانتِقَامِ مِنْهُمُ ، بَلْ يُؤَخِّرُ ذَلِكَ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَمَعْنَى الصُّبُورِ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الحَلِيمِ ، إِلَّا أنَ الفَرْقَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ : أَنَّهُم لَا يَأْمَنُونَ العَقُوبَةَ فِي صِفَةِ الصُّبُورِ ، كَمَا يَأْمَنُونَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الحَلِيمِ .

٥٧٨ - * روى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ : سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْأَخَذَ الصَّمَدَ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » . .
وفي رواية أبي داود (١) : « بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ » .

٥٧٩ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٥٧٨ - الترمذي (٥١٥ / ٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٦٤ - باب حدثنا جعفر بن محمد بن عمران . وقال : حسن غريب .
أبو داود (٧٩ / ٢) كتاب الصلاة - باب الدعاء . وإسناده صحيح .
والحديث رواه أيضاً : أحمد (٣٤٩ / ٥) ، وابن حبان (موارد الظمان : ٥٩٢) .
٥٧٩ - أبو داود (٧٩ / ٢) كتاب الصلاة - باب الدعاء .
والترمذي (٥٥٠ / ٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٠ - باب خلق الله مائة رحمة .
والنسائي (٥٢ / ٣) ١٢ - كتاب السهو ، ٥٨ - باب الدعاء بعد الذكر .

جَالِسًا ، وَرَجُلٌ يَصَلِّي ، ثُمَّ دَعَا الرَّجُلَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْمَنَّانُ ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا » ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » .

٥٨٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ينادي منادٍ في النار يا حنَّانُ يا مَنَّانُ » .

٥٨١ - * روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) وَقَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴿ اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ﴾ (٢) .

٥٨٢ - * روى أبو داود عن مِخْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قال : دَخَلَ رَسُولُ

وَابْنِ حِبَانَ (موارد الظَّهَانِ : ٥٩٢) .

(الْمَنَّانُ) فَعَّالٌ مِنَ الْمِنَّةِ ، وَهُوَ الْمُبَالِغُ فِيهَا .

(بَدِيعٌ) (الْبَدِيعُ) : الْمُبْدِعُ ، وَهُوَ الْخَالِقُ الْمُخْتَرِعُ لَا غِنَى مِثَالٍ سَابِقٍ .

(قَيُّوْمٌ) (الْقَيُّوْمُ) : الْقَامُّ بِذَاتِهِ وَلَا يَقُومُ غَيْرُهُ إِلَّا بِهِ . فَهُوَ مُسْتَعِينٌ عَنِ خَلْقِهِ ، وَخَلَقَهُ عَمْتَا جُونَ إِلَيْهِ فِي وَجُودِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ .

٥٨٠ - المِثْبُتِي فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٠ / ١٥٩) وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

٥٨١ - أَبُو دَاوُدَ (٢ / ٨٠) كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الدُّعَاءِ .

وَالْتَرْمِذِيُّ (٥ / ٥١٧) ٤٩ - كِتَابُ الدُّعَوَاتِ . ٦٥ - بَابُ حَدِيثِنَا قَتِيْبَةَ .

وَابْنُ مَاجَةَ (٢ / ١٢٦٧) ٣٤ - كِتَابُ الدُّعَاءِ . ٩ - بَابُ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ .

وَالدَّارِمِيُّ (٢ / ٤٥٠) كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ - بَابُ فَضْلِ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَأَيَّةِ الْكُرْسِيِّ .

قَالَ مُحَقِّقُ الْجَمَاعِعِ :

وَفِي سَنَدِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ الْقَدَاحِيُّ الْمَكِّيُّ أَبُو الْحَصِينِ ، وَهُوَ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّقْرِيبِ . وَفِيهِ أَيْضًا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، وَهُوَ صَدُوقٌ كَثِيرُ الْإِرْسَالِ وَالْأَوْهَامِ ، وَلَكِنْ لِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ بِمَعْنَاهُ يَرْتَقِي بِهَا إِلَى دَرَجَةِ الْحَسَنِ ، وَلِذَلِكَ حَسَنَهُ التَّرْمِذِيُّ ١٠١ هـ .

(١) البقرة : ١٦٢ .

(٢) آل عمران : ١ ، ٢ .

٥٨٢ - أَبُو دَاوُدَ (١ / ٢٥٩) كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّشَهُدِ .

٥٨٧ - * روى مالك عن عمرو بن دينار رحمه الله ، قال : سمعت ابن الزبير يقول في خطبته : إن الله هو الهادي والقاتن .

٥٨٨ - * روى البزار عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « خلق الله كلَّ صانع وصنعتة » .

٥٨٩ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَيَبِيدُهَا الأُخْرَى الْمِيزَانَ ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُ » . قال : « أَرَأَيْتَ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا فِي يَدَيْهِ شَيْئًا » .

٥٩٠ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ

٥٨٧ - الموطأ (٢ / ٩٠٠) ٤٦ - كتاب القبر ، ١ - باب النهي عن القول بالقدر .

وإسناده صحيح .

٥٨٨ - كشف الأستار (٣ / ٢٨) .

وقال المهيبي (٧ / ١٩٧) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين ابن الكردي وهو

ثقة . اهـ .

والمستدرک (١ / ٣١) ، وقال : على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

٥٨٩ - ابن ماجه (١ / ٧١) المقدمة ١٣ - باب فيما أنكرت الجهمية .

وأخرج البخاري نحوه (٨ / ٣٥٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - باب : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .

وكذا مسلم (٢ / ٦٩١) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١١ - باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف .

٥٩٠ - مسلم (١ / ١٦١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٩ - باب في قوله عليه السلام : إن الله لا ينام . وفي قوله : حجاب

النور ... إلخ .

قال محقق الجامع :

أي : يخفي الله الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ، ويوزن من أوزانهم النازلة . معنى سبحات وجهه : نوره وجلاله وهماؤه .

الليل ، حِجَابَةُ النُّورِ - وفي رواية : النَّارُ - « لَوْ كَشَفْنَا لِأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » .

٥٩١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَا أَحَدٌ أُغْيِرَ مِنْ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمُدْحَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ » .
وفي رواية (١) نحوه ، ولم يذكر « ما ظهر وما بطن » وزاد : « وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُدْرُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرَّسُلَ » .

٥٩٢ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَمَا تَغَارُ ؟ قَالَ : « وَاللَّهِ إِنِّي لِأَغَارُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ، وَمَنْ غَيَّرْتَهُ نَهَى عَنِ الْفَوَاحِشِ » .

٥٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنْ اللَّهُ يَغَارُ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ ، وَإِنَّ غَيْرَةَ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

وفي رواية مسلم (٢) قال : « الْمُؤْمِنُ يَغَارُ ، وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا » .

٥٩٤ - * روى مسلم عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

٥٩١ - البخاري (٨ / ٣٠١) ٦٥ - كتاب التفسير ١٠ - باب : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ .
مسلم (٤ / ٢١١٢) ٤٩ - كتاب التوبة ٦٠ - باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش .
(١) مسلم (٢ / ١١٣٦) ١١ - كتاب اللعان ، الحديث السابع عشر .
أحمد (٢ / ٣٣٦) .
ومجمع الزوائد (٦ / ٢٥٤) . وقال : رواه أحمد ورجالاه ثقات .
٥٩٣ - البخاري (٩ / ٣١١) ٦٧ - كتاب التوبة ، ١٠٧ - باب الغيرة .
مسلم (٤ / ٢١١٤) ٤٩ - كتاب التوبة ٦٠ - باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش .
(٢) مسلم : (٤ / ٢١١٥) الموضع السابق .
٥٩٤ - مسلم : (١ / ١٦١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٨ - باب في قوله عليه السلام : نور أُنَّى أراه . وفي قوله : رأيت نورا .

هل رأيت ربك؟ قال: «نور، أنى أراه؟» .

وفي رواية الترمذي^(١) عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ [لسألته. فقال: عمّ كنت تسأله؟ قلت: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ فقال أبو ذر: قد سألته، فقال: «نور، أنى أراه؟» .

٥٩٥ - * روى مسلم عن عبد الله بن شقيق، قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: «رأيت نوراً» .

٥٩٦ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذّبي ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أنني لا أقدر أن أعيدته كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً» .

٥٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن مشروق بن الأجدع رحمه الله قال: قلت لمائشة:

(١) الترمذي (٢٩٦ / ٥) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٥٤ - باب « ومن سورة والنجم » .

قال النووي :

(نور أنى أراه) هكنا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات . ومعناه : حجاب النور فكيف أراه ؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله : الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى . ومعناه : أن النور منعي من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ، ومعناها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه .
٥٩٥ - مسلم (١ / ١٦١) - ١ - كتاب الإيمان ، ٧٨ - باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه ، وفي قوله : رأيت نوراً .
قال النووي : (رأيت نوراً) معناه : رأيت النور فحسب ، ولم أر غيره .

٥٩٦ - البخاري (٨ / ١٦٨) - ٦٥ - كتاب التفسير ، ٨ - باب و قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه .

قال الكرماني : التكذيب نسبة المتكلم إلى أن خبره خلاف الواقع ، والشم : توصيف الشخص بما هو إزاءه ونقص فيه ، وإثبات الولد له كذلك ، لأنه قول بما يستلزم الإمكان والحدوث ، سبحانه ما أحلمه وما أرحمه : و وربك الفطور ذو الرحمة . وهذا من الأحاديث القدسية .

٥٩٧ - البخاري (٨ / ٦٠٦) - ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب حدثنا يحيى .

يا أمّته ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قفّ شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؛ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبصار وهو يُدْرِكُ الأبصار وهو اللطيفُ الخبير ﴾ (١) ، ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً ﴾ (٢) . ومن حدثك أنه يعلم ما في غد ، فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسبُ غداً ﴾ (٣) . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾ (٤) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين .

وفي رواية (٥) قال : قلت لعائشة : فأين قوله : ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٦) ؟ قالت : ذاك جبريل عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجل ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته ، التي هي صورته ، فسدّ الأفق .

وفي أخرى (٧) : ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول : لا يعلم الغيب إلا الله .

وفي أخرى (٨) : أن مسروقاً قال : كنت متكئاً عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على الله الفرية ... وذكرت نحو الرواية الأولى . وزاد في رواية (٩) : ولو كان محمد ﷺ كاتباً شيئاً مما أنزل عليه لكتب هذه الآية : ﴿ وإذ

= مسلم (١ / ١٦٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٧ - باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد راه نزلة أخرى ﴾ ، وهل رأى

الني ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟

(١) الأنعام : ١٠٣ .

(٢) الشورى : ٥١ .

(٣) لقمان : ٣٤ .

(٤) المائدة : ٦٧ .

(٥) مسلم : الموضع السابق .

(٦) النجم : ٨ - ٩ .

(٧) البخاري (١٢ / ٣٦١) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ .

(٨) مسلم (١ / ١٥٩) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٧ - باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد راه نزلة أخرى ﴾ .

(٩) قفّ شعري (قفّ الشعر : إذا قام في منابته ، وأكثر ما يعرض عند سماع ما يخافه الإنسان أو يهابه ويعاينه .

(الفرية) : اختلاق الكذب .

(٩) مسلم (١ / ١٦٠) الكتاب والباب السابقان .

تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه أمسكُ عليك زَوْجَكَ وإتقِ الله وتُخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه ﴿ (١) .

وللبخاري (٢) طَرَفٌ منه عن القاسم عن عائشة قالت : من زعم أن محمداً رأى ربَّه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريلَ في صورته وخلقِه ساداً ما بين الأفق .

٥٩٨ - * روى مسلم عن ابن عباس ؛ قَالَ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (٣) ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (٤) قَالَ : رَأَهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ .

أقول : مذهب ابن عباس أن رسول الله ﷺ قد رأى ربَّه يوم المعراج ورجَّح ذلك النووي ، لأن عائشة تنفي وابن عباس يثبت . وكلام الثَّيْبِتيّ مقدم لأن فيه زيادة علم ، وذلك من الخصوصية لرسول الله ﷺ ، فمن ادَّعى أنه رأى الله يقظة في الدنيا يبصره فقد كفر .

وها نحن ننقل لك جزءاً من تحقيق النووي في إثبات الرؤيا لرسول الله ﷺ .

قال النووي : وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية قال والحجج في هذه المسئلة وإن كانت كثيرة ولكننا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنها أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ . وعن عكرمة : سئل ابن عباس رضي الله عنها ؛ هل رأى محمد ﷺ ربَّه ؟ قال : نعم . وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : رأى محمد ﷺ ربه . وكان الحسن يحلف : لقد رأى محمد ﷺ ربه . والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجع إليه في المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسئلة وراسله : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فأخبره أنه رآه . ولا يقدر في هذا حديث عائشة رضي الله عنها ؛

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) البخاري (٦ / ٣١٣) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم آمين ... إلخ .

٥٩٨ - مسلم (١ / ١٥٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٧ - باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ .

(٣) النجم : ١٣ .

(٤) النجم : ١١ .

لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول لم أر ربي ، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ . ولقول الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة ، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها ، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ، ولا يستجيز أحد أن يظن بأبن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس . ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي . هذا كلام صاحب التحرير . فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسمع من رسول الله ﷺ . هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ، ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات « ١ . هـ كلام النووي .

وأجاب النووي عن استنباطات عائشة رضي الله عنها .

٥٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رفعه) : « يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ ، يَقْتُلُ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ ، يَقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسَلِّمَ ، فَيَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهِدُ » .

أقول : الضحك في حقه تعالى (ليس كمثل شيء) ككل صفاته جل جلاله .

٦٠٠ - * روى البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تعلمون قدر رحمة الله لا تكلمتم » أحسبه قال : « عليها » .

٥٩٩ - البخاري : (٦ / ٢٩) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٢٨ - باب الكافر يقتل للمسلم ثم يسلم فيُسندُ بعد ويقتل .

مسلم (٢ / ١٥٠٤) ٢٣ - كتاب الإمارة ، ٢٥ - باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة .

وابن ماجه (١ / ٦٨) المقدمة ، ١٢ - باب فيها أنكرت الجهمية .

٦٠٠ - كشف الأستار (٤ / ٨٥) .

٦٠١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ قَسَمَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى أَوْلَادِهَا وَأَخْرَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٦٠٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَبِهَا تَعْطِفُ عَلَى بَعْضِ وَالطَّيْرِ وَأَخْرَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ » .

٦٠٣ - * روى الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ ، رَحْمَةً مِنْهَا قَسَمَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

٦٠٤ - * روى أحمد عن أنس قال : مرَّ النبي ﷺ ونفر من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أم الصبيِّ القومَ خَشِيَتْ عَلَى وَلَدِهَا أَنْ يُوْطَأَ فَأَقْبَلَتْ تَسْمَعِي وَتَقُولُ : ابني ابني . وَسَعَتْ فَأَخَذَتْهُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتَلْقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ . قَالَ : فَخَفَّضَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ : « وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يُلْقِي حَبِيبِي فِي النَّارِ » .

قال الميمني (١٠ / ٢١٢) : رواه البرزبار وإسناده حسن .

٦٠١ - البخاري (١٠ / ٤٣١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٩ - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء .

مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٥) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٢٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

٦٠٢ - مسلم (٤ / ٢١٠٩) الكتاب والباب السابقان .

وابن ماجه : الموضوع السابق .

٦٠٣ - الطبراني (١١ / ٣٧٤) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢١٤) كتاب التوبة - باب منه في رحمة الله تعالى .

وقال : رواه الطبراني والبرزبار وإسناده حسن .

٦٠٤ - أحمد (٣ / ١٠٤) .

وكشف الأستار (٤ / ١٧٤) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢٨٢) . وقال : رواه أحمد والبرزبار بنحوه وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح .

(لَفَقَضَهُمْ) : أَي سَكَنَهُمْ وَهَوَّنَ عَلَيْهِمْ .

٦٠٥ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « كان رجلٌ يُصلي فأتاه رجل فوطئ على رقبته فقال الذي تحته : والله لا يغفر الله لك أبداً . فقال الله عز وجل : تآلى عليّ عبدي أن لا أغفر لعبدي فإني قد غفرت له . »

أقول : هذا الحديث أصل من الأصول التي اعتمدها الأصوليون لاعتقاد فكرة ما هو الواجب العقلي لله ، والمستحيل العقلي لله ، والجائز العقلي في حقه تعالى ، وما هي الواجبات والمستحيلات والجائزات الشرعية . وهو موضوع دقيق جرت على ذكره كتب العقائد خلال العصور ، وجدير بكل مسلم أن يفهمه بأن يقرأه في كتب عقائد أهل السنة والجماعة على عالم رباني متقن .

٦٠٦ - * روى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها رفعتة « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، وقولوا ما شاء الله وحده . »

٦٠٧ - * روى أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « لا تقولوا : ما شاء الله ، وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان . »

٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة لارضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه . »

وللبخاري (١) : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة

٦٠٥ - الطبراني (١٠ / ١٢٤) .

مجمع الزوائد (٤ / ٨٦) وقال : رجاله رجال الصحيح .

٦٠٦ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٨) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات .

٦٠٧ - أبو داود (٤ / ٢٩٥) كتاب الأدب - باب لا يقال خبثت نفسي .

أحمد (٥ / ٢٨٤) .

٦٠٨ - البخاري (١٠ / ٤٢٦) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٩ - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء .

مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(١) البخاري (١١ / ٣٠١) ٨١ كتاب الرقاق . ١٩ - باب الرجاء مع الخوف .

رحمة ، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار .

ولسلم^(١) قال : « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحون ، وبها تغطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة » .

٦٠٩ - * روى الطبراني في الأوسط عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ » الآية .

٦١٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق » وعند مسلم : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » .
وعند البخاري : « غلبت غضبي » .

وللبخاري أيضاً^(٢) : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » .

وله في أخرى^(٣) ، قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده على العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » .

(١) مسلم (٤ / ٣١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

٦٠٩ - الميثقي في جمع الزوائد (٧ / ١٠٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وأحمد بنحوه وقال « إلا من أشرك » ثلاث مرات ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن .

٦١٠ - البخاري (١٣ / ٥٣٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٥ - باب قوله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ .

مسلم (٤ / ٣١٠٧) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٢) البخاري (١٣ / ٤٠٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٢ - باب وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم .

(٣) البخاري (١٣ / ٣٨٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٥ - باب قول الله تعالى : ﴿ ويحذرکم الله نفسه ﴾ .

وفي أخرى (١) : « إن الله كتب كتابًا ، قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي . فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش » .

ولسلم أيضًا (٢) : أن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل : سبقت رحمتي غضبي » .

وله في أخرى (٣) : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده : إن رحمتي تغلب غضبي » .

وأخرجه ابن ماجه قال (٤) : « إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضبي » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله : (لما قضى الله الخلق) أي خلق الخلق كقوله تعالى : ﴿ ففضاهن سبع سموات ﴾ أو المراد أوجد جنسه ، وقضى يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى . قوله (كتب في كتابه) أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ، وقد تقدم في حديث عبادة بن الصامت قريبًا : « فقال للقلم اكتب ، فجرى بما هو كائن » ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذي قضاه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ ... قوله (غلبت) في رواية شعيب عن أبي الزناد في التوحيد « سبقت » بدل غلبت ، والمراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب ، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق ، أي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب . لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث ، بهذا التقرير يندفع استشكل من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن ، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها . وقيل معنى الغلبة الكثرة والشهول ، وتقول: غلب على فلان الكرم ، أي أكثر

(١) البخاري (١٣ / ٥٢٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٥ - باب قول الله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤٠ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٣) مسلم : للموضع السابق .

(٤) ابن ماجه (٢ / ١٤٣٥) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

أفعاله ، وهذا كله بناء على أن الرحمة والغضب من صفات الذات ، وقال بعض العلماء : الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات . ولا مانع من تقديم بعض الأفعال على بعض فتكون الإشارة بالرحمة إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلاً ، ومقابلها ما وقع من إخراجها منها . وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسيع عليهم من الرزق وغيره ، ثم يقع بهم العذاب على كفرهم . وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضاً ، ولولا وجودها لخلدوا أبداً . وقال الطيبي : في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق ، فالرحمة تشمل الشخص جنيناً ورضيعاً وفطياً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك « ١ . هـ كلام ابن حجر .

٦١١ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قلت : يا جبريل أيصلي ربك جل ذكره ؟ قال : نعم . قلت : ما صلاته ؟ قال : سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي . »

٦١٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته . »

وللترمذي في رواية أخرى (١) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد . »

٦١١ - الروض الداني (١ / ٤٩) .

الميثبي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٢) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله وثقوا .

٦١٢ - مسلم (٤ / ٢١٠٩) ٤٩ - كتابة التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه . وأحمد (٢ / ٣٩٧) .

(١) الترمذي (٥ / ٥٤٩) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٠ - باب خلق الله مائة رحمة . وقال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة .

٦١٣

٦١٣ - * روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْمَى ، قَدْ تَخَلَّبَ ثَدْيُهَا ، إِذَا وَجَدتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ ، فَأَلْزَقَتْهُ بِيَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَوْلَدِهَا » .

* * *

٦١٣ - البخاري (١٠ / ٤٢٧) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٨ - باب رحمة الولد وتقبيله ومعاقته .
مسلم : (٤ / ٢١٠٩) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

التلخيص

- يدخل في الإيمان بالله الإيمان بوجوده وصفاته العليا وأسمائه الحسنى وأفعاله ، وأنه لا فاعل إلا هو ولا خالق إلا هو ، وأنه له المالكية والربوبية والألوهية والحاكية ، ولذلك فإن المكلفين من الإنس والجن مطالبون بالعبادة والعبودية على مقتضى الوحي الذي جاءنا به رسل الله عن الله ، وكان خاتمة ذلك رسالة نبينا محمد ﷺ التي نُسخت بها الشرائع السابقة إلا ما أقرته منها ، وقد جاءتنا مبينة واضحة في الكتاب والسنة ، فعرفتنا رسالة نبينا ﷺ على الله وصفاته وأسمائه وحقوقه ، وعلى واجباتنا تجاهه ففصلت لنا العبادة والعبودية .

- هناك معارك كبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الفلسفات والأديان المعاصرة حول المعرفة الحق لله عز وجل ، وتأمل بسيط يدرك من عرف العقيدة الإسلامية في باب الألوهية أنها قدمت الحق مصفى وأن ما سواها مما خالفها لا يقوم عليه دليل من عقل أو نقل .

- هناك معارك كبرى بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المنشققة عن جسم الأمة الإسلامية حول الذات الإلهية وصفاتها وما ينسب إليها وحول حقوقها وما لا يصح إلا لها وما يليق وما لا يليق ، وقد فصل في ذلك كله الحكم من كتاب الله ، وقامت الحجة على هذه الفرق بفهم الراسخين في العلم من جماهير من ينتسب إلى الإسلام ، وكان من فضل الله على هذه الأمة أنه لم يزل أكثريتها وأكثريتها علمائها على الفهم الحق ، ولم تتشكل فرقة ضالة في يوم من الأيام إن في عامتها أو في علمائها كثرة كاثرة ، وكانت أعظم معاركنا الفكرية مع المعتزلة .

- هناك اختلافات بين بعض أهل الرواية وبين أهل الدراية ممن ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة ، وتتلخص هذه الاختلافات في الموقف من الصفات السمعية مع اتفاق الجميع على نفي التشبيه ، وفي بعض ما يחדش التوحيد ، وفي الموقف من تقليد الأئمة في الفروع ، وفي ما يدخل في دائرة البدعة المكفرة أو المضللة أو المحرمة . وفهوم الراسخين في العلم ممن تواطأت أكثرية علماء الأمة على التسليم لهم كالبيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني والعز

ابن عبد السلام والسيوطي يشهد لأهل الدراية .

- كل ما مضى يجعلنا نذكر المسلم بضرورة قراءة كتب أهل السنة والجماعة من أهل الدراية في العقائد ، فلكلام المختصين من الراسخين في العلم وزن ليس لكلام غيرهم .

فائدة : إن المعرفة الإلهية لا تتعمق بشيء كقراءة القرآن والإكثار من الأذكار المأثورة والدعوات التي وردت في الصلوات وغيرها ، وسنخصص جزءاً في القسم الثالث للتلاوة كما سنخصص جزءاً للدعوات والأذكار في القسم نفسه ، وستر معنا من الدعوات والأذكار في مناسبات متعددة ، فمثل هذا يعمق الاعتقاد الحق وهو في الوقت نفسه من أرق أنواع العبادة في الإسلام ، والصلوة وأذكارها ودعواتها هي الأرق في هذا المرتقى .

وكثيرون من الناس بدلاً من أن يفتنوا إلى الجانب العملي في بعض النصوص ، يدخلون في أنواع الجدل ، فبدلاً من أن يفتنوا إلى الخشوع الذي يجب أن يفتن له من حديث « نصب الله وجهه لعبده في الصلاة » ، وبدلاً من أن يفتنوا لرقابة الله إياهم في قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ (١) وبدلاً من أن يفتنوا لضرورة الدعوات في الثلث الآخر من الليل أخذاً من حديث النزول ، يدخلون في جدل عقيم لا يتابعون فيه الراسخين في العلم ولا يلحظون ما يترتب على كلامهم من تشبيه وإيجاد تعارض بين النصوص ، ولو أنهم سلموا للنصوص مع التنزيه أو تابعوا الراسخين في العلم على تأويلهم لكان أسلم لهم : ﴿ سبحان الله عما يصفون » إلا عباد الله المخلصين ﴾ (٢) . ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (٣) .

- وإن من أقبل على الله بالعمل والإخلاص فتح الله على قلبه من ميادين المعرفة الإلهية ما لا يذوقه أهل الجدل الذي جعل الله عز وجل أهله مظنة ضلال ، « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (٤) .

(٢) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(١) الحديد : ٤ .

(٣) آل عمران : ٧ .

(٤) الترمذي (٥ / ٢٧٨) ٤٨ - كتاب التفسير : ٥ . من سورة الزخرف . وقال : حسن صحيح .

وأحمد (٥ / ٢٥٢) . والحديث إسناده حسن .

الوصل الأول
في:
الوثنية في التاريخ
وفيه:
مقدمة وتعريف عن الوثنية

المقدمة

قال تعالى عن الأصنام على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ (١) .

جاء هذا النص في سياق كلام إبراهيم عليه السلام في القرآن عن الأصنام : ﴿ واجنبي وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ (٢) .

فن المعروف أن نوحاً وإبراهيم عليهما السلام بعثا في بلاد ما بين الرافدين دجلة والفرات ، وأنها بعثا وعبادة الأصنام منتشرة ، وقول إبراهيم عليه السلام الذي صدرنا به هذا الوصل يشير إلى كثرة من ضل بسبب الأصنام ، وذلك أن الإنسان إذا جانب ماتوصل إليه العقول والنقول انحصر في خيالاته ، وكلما ابتعد عن قضايا العقول والنقول أوصلته خيالاته إلى التمثيل فالتجسيد الرمزي فالوثنية والشرك ، لذلك نجد أن الوثنية تسربت إلى كثير من أهل الأديان السماوية فضلاً عن غيرهم ، ولذلك نلاحظ أن الإسلام حضّ المسلم في كثير من النصوص على التسبيح في الصلاة وغيرها لاحتياج القلب البشري إلى التغذية بالتنزيه بشكل دائم ، ولذلك كان للإسلام موقف من التصوير نعرف تفصيلاته في غير هذا المكان .

ولقد حدثتنا نصوص العهد القديم عند اليهود في أكثر من مكان عن تسرب عبادة البعل إلى اليهود ، ودكّر ذلك القرآن على لسان إلياس عليه السلام : ﴿ أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ﴾ (٣) ، وكان البعل هو الصم الذي تنسب إليه مدينة بعلبك في بلاد الشام ، ومن بلاد الشام أخذ عمرو بن لحي عبادة الأصنام وأدخلها إلى مكة ، ومنها انتشرت في جزيرة العرب .

والديانة البرهية انقلبت إلى ديانة وثنية ، والديانة البوذية انقلبت إلى ديانة وثنية ، وغلبت الوثنية في أكثر أدوار التاريخ على بلاد ما بين الرافدين ، وغلبت الوثنية وتأليه الإنسان على الديانات المصرية القديمة ، وكانت ديانة الرومان الذين سيطروا على أكثر العالم

(٢) إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ .

(١) إبراهيم : ٣٦ .

(٣) الصافات : ١٢٥ .

القديم وثنيةً ، وكذلك اليونان الذين سيطروا بقيادة الإسكندر المقدوني على كثير من مناطق العالم القديم كانوا وثنيين ، والوثنية هي الأصل في إفريقيا لولا دخول الأديان السماوية إليها ، ولقد دخلت الوثنية زائدة على تأليه المسيح - عليه السلام - على الديانة النصرانية في صور كثيرة : في صور الأيقونات ، وتقديم شيء من العبادات لتماثيل من أنواع شتى ، وفي صورة عبادة الصليب ، ولذلك فإن على المسلم أن يحذر طُرُوقَ شيء من الوثنية إليه بأن يحذر ابتداءً من تخيلاته في شأن الذات الإلهية ، فكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك : ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾^(١) ، وليحذر انتهاءً من التماثيل وأن يدخلها بيته .

إن في العالم ديانات تواجه الإسلام ، وبعض هذه الديانات أصولها سماوية قطعاً كاليهودية والنصرانية ، وبعضها ليست سماوية جزماً كالسيخية ، وبعضها لا نستطيع الجزم بشيء عن أصولها لكننا نؤمن أن الله عز وجل لم يترك أمة بلا رسالة ، قال تعالى :

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾^(٢) .

﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾^(٣) .

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾^(٤) .

قال عليه الصلاة والسلام : «ألا إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(٥) .

فنحن نجزم أنه قد أرسل إلى كل أمة رسولٌ ثم ختمت الرسالات بمحمد ﷺ ، وكانت رسالة عامة للعالمين : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾^(٦) ، ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾^(٧) .

ولكننا لا نستطيع الجزم بشيء عن أصول بعض الديانات إلا إذا جاءنا شيء في كتاب ربنا أو سنة رسولنا عليه الصلاة والسلام في شأنه ، وهناك تعريفاً مختصراً عن الوثنية في بعض الأديان :

(٢) النحل : ٣٦ .

(٤) إبراهيم : ٤ .

(٦) الأحزاب : ٤٠ .

(١) الشورى : ١١ .

(٣) فاطر : ٢٤ .

(٥) مسند أحمد (٤ / ٤٤٧) .

(٧) الأنبياء : ١٠٧ .

تعريف عن الوثنية في بعض الأديان

١ - الوثنية في الديانات المصرية القديمة

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) :

« فكل مدينة كانت لها آلهتها . فكان موطن أوزيريس في أيديوس ، وفتح في ممفيس ، وأمون في طيبة ، وهوروس في إدفو ، وهاتور في دندرة ، إلخ ... » ا هـ .
ثم تحدث أبو زهرة عن أسطورة أوزيريس وإيزيس وتوت وهنوروس وسيت ، ثم تحدث عن ميناء الأول الذي وُحِدَ مصر تحت سلطانه وأعلن تأليه نفسه بحلول هوروس وسيت فيه .

٢ - وثنية الرومان

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) عن وثنية الرومان :

« عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التي تتجلى فيها أوامر آلهتهم ونواهيها ، فهناك رب ينبت البندر ، وآخر يحمي الحقل ، وثالث يحرس الثار وهكذا ، ولكل رب اسمه وجنسه وعمله ، فعندهم للسماء إله وللحرب إله وللشجاعة إله كما عند اليونان وسموا إله السماء جوبتر وإله الحرب مارس وإله الشجاعة هوكوليس ، وهو ما يسمى عند اليونان هركليس ؛ وقد قبسوا أيضاً بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء ، فعندهم إيزيس إله القمر وأوزيريس إله الزراعة ومراميس إله الشفاء ، وكلها أسماء مصرية لآلهة مصرية ، وإن الأرباب قد تعددت عند الرومان جداً ، فلكل مظهر من مظاهر الحياة رب ، ولكل قوة في الإنسان رب ، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق ، وربة تعلمه الشرب ، وأخرى تقوي عظامه ، وريان يرافقانه إلى المدرسة ، وآخران يرجعان به . ويعتقدون أن هناك أرباباً للمدينة ، وللكتابة وللجبل ، ولكل نهر ، ولكل نبع ، ولكل شجرة رب خاص ، ولقد قال الكاتب اللاتيني بترون في إحدى قصصه على لسان امرأة صالحة : « إن بلادنا غاصة بالأرباب ، بحيث يسهل عليك أن تلقى فيها رباً من أن تصادف رجلاً » .

ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبدون فيه تلك الآلهة المتعددة من غير أن يتخذوا لها تماثيل ، بل كانوا يعبدونها من غير تماثيل خاصة لكل إله ، فلم يكن في رومية في ذلك العهد صنم ، ثم اتخذوا بعد ذلك الأصنام من الخشب أولاً ، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان « ا . هـ .

٣ - وثنية اليونان

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) عن اليونان :

« ألّهُوا السماء والأرض والبحر ، والشمس ، والزمن ، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل لحظوا بعد ذلك الصفات الأدبية في الأحياء ، وفنونهم ، وما يؤثر فيهم فجعلوا لكل واحد منها إلهاً أو آلهة ، ومن هذه الآلهة هيرا ربة القوة المنتجة في الطبيعة وأريس أو المريخ إله الحرب ، وأبولون إله الموسيقى والنور ، وهراميس رسول الآلهة وربّ الفصاحة والبيان ، وأثينا ربة الحكمة وأفروديت ربة الحب الجميل ، وديونيسوس رب الخمر والتثليل و « لتيراجيني » أو المخزن .

وكان لكل مدينة أربابها الخاصة بها ، ومعبودات لها كثيرة ؛ وإن اتحدت في الاسم مع أرباب المدينة الأخرى فالسمى يختلف ، فأبولون في مدينة ليس هو أبولون في مدينة أخرى ، وإن اتحد الاسمين ، ولكن مع هذا الاختلاف كانت هناك أرباب كثيرة أجمع اليونان في الجملة على عبادتها وتقديسها كالسما والأرض والبحر ، ولها في كل مكان معبد خاص بها ، أو مزار يتقرب فيه إليها ؛ وإن الأرباب التي يشترك اليونان في تقديسها كثيرة جداً ، وكلها يمثل أعظم القوى الطبيعية تأثيراً في الكون ، ومن هذه زيوس المشتري ، وهيرا وأثينا وأرتميس وهرميس (عطارد) وأريس (المريخ) وأفروديت (الزهرة) وكرنوس (زحل) وهكذا .

ولقد صوروا لكل رب من هذه الأرباب تمثالاً يعبد ، ولقد كان للتماثيل الكبيرة مَحَالٌ خاصة بها يزعمون أن الآلهة توحى إليهم فيها على لسان الكهنة ، ويتقربون في تلك المحال للآلهة بالقرابين والندور ، وأشهرها معبد (دلفي) لأبولون بمدينة (فوكيس) « ا . هـ .

٤ - وثنية الهندوس

يقول محمد فريد وجدي في (دائرة معارفه) عن البرهية :

« للبراهمة صنم اسمه برهما له أربعة أوجه وأربعة أيد ، في يده الأولى كتابهم المقدس (الفيدا) وفي يده الثانية ملعقة ، وفي يده الثالثة سبحة ، وفي يده الرابعة إناء فيه ماء .

ولديهم صنم ثان للإله فيشنو ابن برهما ، وله أربعة أيد ، في الأولى بوق من الصدف ، وفي الثانية حلقة عند إدارتها تخرج منها نار لا يستطيع أحد مقاومتها فيما يقولون ، وفي الثالثة هراوة . وفي الرابعة غصن من الزهر .

ولديهم صنم ثالث للإله سيفا ، وله أربع أيد ، في الأولى صولجان ، وفي الثانية حبل يشد به المذنبين ، أما يده الأخرى فلا شيء فيها ، وله عين ثالثة في جبهته وقلادة في عنقه من رءوس البشر .

والبراهمة يقدسون البقر ويحرمون ذبحها معتقدين أن الأرواح الطاهرة تحل أجسادها ، وكثيراً ما نشأ من هذه العقيدة معارك بينهم وبين مسلمي الهند في عيد الأضحى .

وهم يقدسون الثعابين والتاسيح وغيرها ، ويعتبرون نهر الغانج مقدساً وأن الانغاس فيه يظهر الذنوب ، ولذا يحج إليه في كل عام ملايين منهم « ا . ه .

ويقول أبو الحسن الندوي في كتابه : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) عن وثنية الديانة البرهية :

« قد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس ، فقد كان عدد الآلهة في « ويد » ثلاثة وثلاثين ، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون . وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلهاً يُعبد . وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلهات الحصر ، وأربت على العد ، فمنها أشخاص تاريخية ، وأبطال تمثل فيهم الله - كما زعموا - في عهود وحوادث معروفة ، ومنها جبال تجلي عليها بعض آلهتهم ، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلي فيها إله ، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس « مهاديو » الإله ،

ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل ، وحيوانات أعظمها البقرة ، والأجرام الفلكية ، وغير ذلك « . ا . هـ .

٥ - وثنية الصين

تسود الصين ثلاث ديانات : الديانة الطاوية ، ومؤسسها لوتس فقد انقلبت إلى ديانة وثنية في عهد قريب من عهد مؤسسها ، والديانة الكونفوشوسية وقد مرت عهود على أتباعها كانوا لا يعتقدون بإله معين بل كانوا يعبدون ما شاءوا من الأشجار والأنهار ، والبوذية انقلبت إلى وثنية كما سنرى (راجع : ماذا خسر العالم) .

٦ - الوثنية في الديانة البوذية

لقد ذابت البوذية في البرهمية ما عدا خروجها عليها في نظام الطبقات وأشياء أخرى واعتقد البوذيون ألوهية بودا فنصبوا له التماثيل في كل مكان حلت فيه دياناتهم وتقدموا له بالعبادة .

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه (أديان الهند الكبرى) :

« ولكن البوذية بدأت تنكش بعد بودا ، وقد سبق أن ذكرنا أن من أهم أسباب إنكماشها أنها لم تعن بالكلام عن الإله ، وبعبارة أخرى تركت فراغًا كبيرًا في نفوس أتباعها ، وبمرور الزمن ملاً أتباعها هذا الفراغ بألهة الهندوس أو بعبادة بودا نفسه واتخاذها إلهًا ، ويتصل بهذا أيضًا أن بودا لم يبين معابد ، ولم يأمر أتباعه بممارسة أي لون من ألوان العبادة ، وبسبب هذا لجأ أتباع بودا إلى معابد الهندوس فوضعوا فيها تماثيل بودا ، وأصبح كل ما زاد هو إله جديد أضيف إلى آلهة الهندوس المتعددة ، والعقل الهندي يرحب بمزيد من الآلهة . وهكذا أخذت البوذية تتلاشى في الهندوسية ، وأخذت الهندوسية تمتصها أو تمتص أتباعها يومًا بعد يوم « . ا . هـ .

٧ - وثنية العرب

أما وثنية العرب فقد وصفها الأستاذ الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) وكان من كلامه :

« وهكذا انغمست الأمة في الوثنية وعبادة الأصنام بأشكالها ، فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص ، بل كان لكل بيت صنم خصوصي . قال الكلبي : كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به . وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً . واستهترت العرب في عبادة الأصنام ، فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم ، وأمام غيره ، مما استحسنت ، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب . وكان في جوف الكعبة - البيت الذي بني لعبادة الله وحده - وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنماً ، وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة جنس الحجارة .

روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً ، جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به .

وقال الكلبي : كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً ، وجعل ثلاث أثافي لِقَدْرِهِ ، وإذا ارتحل تركه .

وكان للعرب - شأن كل أمة مشرقة في كل زمان ومكان .. آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب ، فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله ، فيتخذونهم شفعاء لهم عند الله ويعبدونهم ، ويتوسلون بهم عند الله ، واتخذوا كذلك من الجن شركاء لله وآمنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبودهم .

قال الكلبي : كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن ، وقال صاعد : كانت جَمِيرَتِمْ تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وتميم الدَّبْران ، ولخم وجذام المشتري ، وطيبئ سهيلاً ، وقيس

الشعري العُبور ، وأسد عطارداً « ا . ه .

هذه بعض مظاهر الوثنية في تاريخ العالم وكثير منها لازال مستمراً ، والإلحاد في عصرنا لا يخرج عن كونه نوعاً من أنواع الوثنية ، إذ يخلع الملحدون على الكون كله صفات الألوهية من خلق وإبداع وإحياء وإماتة فتأمل حال الإنسان في وثنيته لتدرك منة الله على الإنسان في إرساله محمداً ﷺ بالتوحيد الذي يجعل الإنسان سيد الأكوان وبقية عبداً لله وحده ، بينما الوثنية تجعل الإنسان عبداً لشجر أو حجر أو قبر أو شمس أو كوكب أو إنسان أو الكون كله .

قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً ﴾ (١) ، إنه شتان بين أن يتوجه الإنسان إلى خالقه الأوحد وإلى المنعم عليه بالعبادة مشاركاً هذا الوجود كله في التوجه إلى الله : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ (٢) ، وبين ذلك الإنسان الذي يتوجه إلى أنواع من المخلوقات بالعبادة محتاراً في أيها يقدم ولأيها يتقرب ، فيالأنثكاسة العقل واليسفاهة الأحلام ، إنه من خلال هذا وحده يدرك سر قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٣) . وإنما نلفت نظر بعض المتهوسين الذين لا هم لهم إلا أن يرموا أهل الإسلام بالشرك دون مستند قطعي من كتاب أو سنة ، فزاهم يفهمون النصوص على غير فهم الراسخين في العلم فيقذفون هذا بنوع من الشرك ، ويقذفون هذا بنوع آخر .

(١) الزمر : ٢٩ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) الأنبياء : ١٠٧ .

الوصّل الثاني

في:

التّليّة ونسب الولد إلى اللّهِ

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

قال تعالى : ﴿ يَضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ ﴾ (١) .

ورد هذا النص في سياق قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ ﴾ (١) .

فالأية تشير إلى أن نسبة الولد إلى الله كانت موجودة في ديانات سابقة ، ومن تأمل هذه النحلة وما يلزم عليها من لوازم النقص على الله من تشبيهه بالحوادث وما يحيط بها من نقص الاحتياج إلى الزوجة والولد ، ومن اتصافه بصفات الحوادث من تجزئة وتبعيض وشوق وشهوة أدرك مقدار الزلل في العقل البشري ، إذ يصف الله عز وجل بهذا الوصف ، فيعرف المكلف نعمة الله على البشرية ببعثة محمد ﷺ ليرجع الناس إلى التنزيه والتوحيد :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (٢) .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) .

ومن أشهر الأديان القديمة التي قالت بالبنوة لله - تعالى عن ذلك - البرهية والبوذية والديانات المصرية القديمة ، فَأَنَّ يَذُكَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَ الْيَهُودِ فِي عَزِيرٍ وَقَوْلِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ مَضَاهَاةً لقول الذين كفروا من قَبْلُ ، فتلك من معجزات القرآن الكبرى .

إن البراهمة يقولون بالتثليث مع قولهم بالتعدد الكثير ، فأكبر ألهتهم في زعمهم « براهما » ثم « سيفا » أو « سيو » ثم « ويشنو » ويعتقدون أن « ويشنو » هو الابن « لبراهما » ، ويعتقدون أن « ويشنو » الابن حل في أحد رجالاتهم المسمى « كرشنة » ، ويعتقدون فيه ما يعتقدوه المسيحيون في المسيح .

يقول فريد وجدي في دائرة معارفه : « حدثت في الهند عقيدة التثليث فتغلبت على توحيدهم السابق فأرناهم يعبدون إلهًا واحدًا ذا ثلاثة أصولٍ (برهما وفيشنو وسيفا) ، وقد

(٢) مريم : ٨٨ - ٩٢ .

(١) التوبة : ٣٠ .

(٣) الزخرف : ١٥ .

خلف فيشنو أباه برهما في نظر الهندود فصاروا لا يوجهون عبادتهم إلا إليه ، أما برهما فتركوه في راحة زاعمين أنه أدى وظيفته وانتهى دوره « ا . ه .

وينقل أبو زهرة في مقارناته بين الأديان عن كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ما يلي :
(كرشنة : « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس » .

قد مجد الملائكة ديفايي والدة كرشنة ابن الله . وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة (ا . ه .

وينقل أبو زهرة في مقارناته بين الأديان عن كتاب دوان وكتاب الملك المسيح عن بوذا : (كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا) .

(لما نزل بوذا من بمعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة) .

(وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرًا وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا) ا . ه .

ولقد قال المصريون القدامى بالتثليث : « أوزيريس » - « إيزيس » زوجته ومنها جاء « هوروس » ، ومن اعتقاداتهم - كما في كتاب (مقارنات بين الأديان) - :

(إن روح الإله هوروس ذات ثلاث شعب أولاهها : الروح الدنيا ، وهي التي تحل في فرعون الزمان ، ثم تنتقل إلى من يليه ، وتفيض عليه بقدسيتهها ، والثانية : الروح العليا الحاكمة في السموات والأرضين ، والثالثة : روح تبقى في جسد فرعون الميت ، وتقوم بالنصح لفرعون الحي . ولا تبقى هذه الروح إلا إذا بقي الجسم متأسكًا ، ولذا أعملوا الحيلة لذلك ، وبنوا الأهرام وشيدوها لتكون حفاظًا للجسم) ا . ه .

أقول : وهكذا نجد إحدى الأباطيل الكبرى تنتقل من أمة إلى أمة في باب الإلهية حتى بعث الله محمدًا ﷺ بالدين الحق فوضع الأمر في نصابه ، قال تعالى : ﴿ لم يكن الذين كفروا

من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴿١﴾ .

لقد تأقلم أهل الكتاب على الكفر ، وتأقلم المشركون على الشرك واستمروا عليه ودأبوا فيه ولم يكونوا لينفكوا عنه ، فأرسل الله محمدًا ﷺ ليكسر هذا الاستمرار على الباطل ويرجع الناس إلى الدين الحق بكتاب آياته ظاهرات بينات واضحات . فالحمد لله رب العالمين .

* * *

الوَصَلُ الثَّالِثُ

فِي:

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ »

إن من عرف الله عز وجل وعرف أنه متصف بالعلم والإرادة والقدرة وغير ذلك من الصفات الوجودية ، وعرف أنه متصف بالقيومية والوحدانية وغير ذلك من الصفات السلبية ، وعرف أنه الرب والمالك والإله ، وأن من مقتضيات ذلك أن تكون له المالكية والحاكمية ، ومن عرف أنه متصف بالرحمة والعدل والهداية ، إن من عرف هذا كله لم يستغرب أن يبعث الله رسلاً يبينون لمن يدركون الخطاب من المخلوقات وهم الإنس والجن الدينَ الحقَّ والعبادة الحق والشرعية الحق .

وقد جرت سنته جل جلاله أن يرسل الرسل إلى الأمم ، وختم رسالاته برسالة محمد ﷺ وجعلها عامة للإنس والجن وباقية خالدة ، فالإنس والجن مكلفون بها إلى يوم القيامة .

وقد بعث الله رسله جميعاً مطالبين الخلق بالإسلام لله رب العالمين ، فذلك هو دينه الذي لا يقبل سواه . وبعد أن طرأ على الرسالات السماوية القديمة ما طرأ ، بعث الله محمداً ﷺ بالقرآن المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكان القرآن بياناً لدينه الإسلام الحق مصدقاً لما بين يديه من الحق وناسخاً للباطل ، كما أنه ناسخ لكل ما خالفه وحاكم على كل ما عداه ، ويبيّن جل جلاله فيه أنه قد أكد هذا الدين وأنه لن يقبل من أحدٍ ديناً سواه :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) .

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾^(٢) ، ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾^(٣) ، ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾^(٤) .

وكتاب هذا الدين هو القرآن ، والشارح المعصوم له هو السنة ، فنصوص الكتاب والسنة هي نصوص هذا الدين ، وقد جعل الله كتابه : ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾^(٥) ، وفصل

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٤) الفرقان : ١ .

(١) المائدة : ٣ .

(٣) الأعراف : ١٥٨ .

(٥) النحل : ٨٩ .

رسول الله ﷺ بقوله وعمله وحاله وتقريره كل ما يحتاج إلى مزيد من التفصيل والبيان ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

* * *

وقد جاء الإسلام وهناك أديان قائمة ، منها ما أصوله سماوية ثم حُرِّفَتْ ، ومنها ما هو غير ذلك ، وأهل كل دين متمسكون بما هم عليه ، وأهل الأديان هؤلاء أنفسهم متفرقون وكل فرقة متمسكة بما هي عليه من الهوى ، وبعث الله محمداً ﷺ بالقرآن المعجزة الكبرى التي تضمنت معجزات كثيرة ليقم الحجج على الخلق جميعاً وليكسر هذا الاستمرار على الباطل .

ومن قبل بعثته ﷺ كانت توجد بجانب الأديان فلسفات وشرائع ومذاهب وضعية ، فهناك فلسفة اليونان وشرائع الرومان ومذاهب الدهريين والملاحدين ، وقد جاء الإسلام بالحق في كل شيء وكان الحاكم على كل شيء ، فأبطل ما كان باطلاً وأقر ما كان حقاً .

* * *

وبعد مسيرة طويلة للإسلام صارح فيها الإسلام كل الأباطيل ، وتوسع فيها على حساب كل الديانات والمذاهب والفلسفات والشرائع ولازال ينتشر ويتوسع ، ومع وضوح حججه وأنه دين الفطرة فإنه مازال كثير من الناس مستمرين على ديانات باطلة ورثوها وتعتبر استمراراً لأديان كانت موجودة قبل الإسلام : كالكونفوشوسية والبوذية والبرهية والجنينية والمجوسية واليهودية والنصرانية وبقايا الوثنية ، وهناك شرائع غير دينية أثرت في التشريعات العالمية كالتشريعات الرومانية ، ونشأت بعد الإسلام ديانات باطلة كالسيخية ، وبعض هذه الديانات الباطلة أنشأها أناس أصولهم مسلمون لكن ارتدوا كالكاديانية والبهائية كما رأينا ، وقد نشأت قديماً وحديثاً مذاهب وفلسفات أصبحت عند أهلها تشكل بديلاً عن الأديان ، أو تجمعها كالشيوعية والعلمانية ، وكل ذلك يدخل في صراع مباشر مع الإسلام .

ولقد تأثر بعض المسلمين بفكر أديان أخرى ، ووجدت عند بعضهم اجتهادات خاطئة أو فهم باطلة ، فنشأت بسبب ذلك فرقاً : بعضها قريب من الإسلام الصافي ، وبعضها ابتعد

حتى ضل ضلالاً بعيداً ، وبعضها كفر ولم يبق له في الإسلام نصيب . وقد مر معنا شيء من ذلك .

وكل ذلك أثار عن الجهل بالله الذي يستتبع الجهل بأن الدين عند الله هو الإسلام ، فمن عرف الله أسلم له دينه الذي ارتضاه وكلف به الإنس والجن وأقام الحجّة على الخلق به ، وهو الإسلام كما جاءت به نصوص القرآن وبينته السُّنة المظهرة . فعلى الفرق التي انشقت عن جسم الأمة الإسلامية أن تعيد النظر في مواقفها على ضوء الكتاب والسنة ، وعلى أهل الأديان أن يدخلوا في الإسلام الحق ، وعلى أهل المذاهب الفكرية والفلسفية والسياسية أن يدخلوا في الإسلام وينبذوا ما عداه ، وعلى الذين تأثروا بالفكر الغريب عن الإسلام من أبناء المسلمين حكماً ومحكومين أن يتوبوا إلى الله وأن يشوبوا إلى الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة وصرافاً مستقيماً . وبدون ذلك فإن أحداً لا يعرف الله حق المعرفة ولا يعطي هذه المعرفة مقتضياتها وحقوقها .

وأهم الأديان التي يواجهها الإسلام في عصرنا : اليهودية والنصرانية وبقايا الأديان الفارسية والديانات ذات المنشأ الهندي كالبرهية والجينية والبوذية والسيخية ، وهناك بقايا الوثنية المحضة وهناك الديانة الكونفوشوسية . وأهم المذاهب الفلسفية السياسية التي يواجهها الإسلام : الفلسفة الشيوعية والفلسفة العلمانية التي فصلت الدين عن الدولة في كثير من بلدان العالم ، ونجحت في أن تعطل شريعة الإسلام في كثير من أفكار المسلمين ، وتتبناها أحزاب قومية وأحزاب وطنية ، وبعض هذه الجهات تحاول أن تظهر وكأنها مسالمة للإسلام ولكنها في واقع الأمر تعطله . ومن المذاهب المعاصرة التي يواجهها الإسلام المذاهب الفلسفية والحياتية المتعددة الصور في الفقه والتاريخ والاجتماع .

وبما يواجهه الإسلام الفكر الوجودي ومذاهبه العملية التي تقوم على فكرة الانطلاق كما تشاء الأهواء :

﴿ ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ (١) .

ومما يواجهه الإسلام في عصرنا جهات متعددة كل منها أخذ على عاتقه أن يهدم جزءاً من الثقافة الإسلامية أو يوجه الدراسات توجيهاً مغرباً ، ودائرتا اللغة العربية والتاريخ والمحاولات الكثيرة للتهديم وللتوجيه فيها نموذجان . وإن البشر ليسيئون إلى أنفسهم في الدنيا والآخرة إذ يرفضون الدخول في الإسلام أو ينحرفون عنه ، قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (١) .

* * *

الوصّل الرابع
في:
”وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ“
وفيه:
مقدمة ونقول

المقدمة

إنه مع قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾^(١) ، فقد وُجِدَ من يزعم أنه من أسلم لله من خلال الفلسفة أو من خلال دين من الأديان القديمة ، فإنه يكون قد أدى حق الله عليه ، وقد قطع الله عز وجل الطريق على أمثال هذه الأوهام فقال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾^(٣) . وإنه من يعرف الأديان التي عليها الناس اليوم ويقارنها بالإسلام يعرف نعمة الله عز وجل إذ طالبنا بالإسلام وحده ولم يقبل منا غيره ، فقد آل أمر الأديان إلى ما لا يطاق عقلاً أو عملاً .

ولعل دراسة بسيطة لبعض الأديان التي كانت زمن إرسال رسول الله ﷺ ترينا عملياً أنها لا تستحق أن يستمر عليها الإنسان وترينا نعمة الله على البشرية إذ أرسل لها محمداً ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾^(٤) ، لقد بُعث محمد ﷺ ليقطع استمرارية الناس على ما هم فيه من كفر وشرك ، وها نحن نجول بك جولة تأخذ بها تصوراً سريعاً عن بعض هذه الشؤون :

إن الرحمة العظمى ببعثة محمد ﷺ تظهر في صور كثيرة ؛ من ذلك هدى الله عز وجل إلى معرفته الحق وإلى عبادته الحق وإلى صراطه الحق وجعل كتابه معجزة تحوي معجزات وذلك من مظاهر الرحمة ، قال تعالى : ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾^(٥) . ومن تأمل ضلال الخلق إلى جهلهم بالله وعدم قيامهم بحقوق عبادته وعبوديته وما يترتب على ذلك من انحراف وظلم ومظالم وأمراض وحروب عرف بعض مظاهر الرحمة الإلهية ببعثة محمد ﷺ .

ومن تأمل حال أهل الأديان المعروفة الآن في العالم وقارنها بالإسلام عرف رحمة الله ببعثته محمداً ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٤) الأنبياء : ١٠٧ .

(١) آل عمران : ١٩ .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

(٥) المائدة : ١٦ .

يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴿١﴾ ، إن هذه الآية فصلت في مظاهر رحمة الله ببعثة محمد ﷺ :

إذ دلهم به على تقوى الله وعلى التكافل بين البشر بالزكاة وعلى الإيمان بآيات الله ، ودلهم على القدوة الحق وهو رسول الله ﷺ ، ودلهم على ما هو خير وعلى ما هو منكر ووضع عنهم الأثقال والأغلال التي تحملها أصحاب الديانات ، ودلهم على الجهة التي يجب أن ينصروها ويناصروها ، ودلهم على ما يجب عليهم أن يفعلوه وما يصلحهم في أمر دنياهم وأخرام ، فهذا كله من مظاهر رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ للعالمين .

ومن تأمل الأديان التي عليها الناس اليوم عرف عظمة هذه الرحمة وقيمتها :

فالديانة الكونفوشيوسية في الصين آلت إلى الوثنية والشرك فأتباع كونفوشيوس يعبدون السماء والملائكة وأرواح الآباء ويعتقدون أن السماء عالم حي متحرك ، والبقية الباقية عندهم شيء من حكم سياسية أو اجتماعية فليس فيها هداية لله ولا لتعالیه ولا لعبادته الحق .

والديانة الطاوية في الصين آلت إلى وثنية وسلبية ، والسلبية فيها كافية للقضاء على متبعيها ؛ فالزهد المطلق والتسامح المطلق وعدم رد العدوان كأنثًا ما كان كل ذلك كافٍ لخراب العالم .

والديانة البرهمية في الهند تقوم على الوثنية وتأليه كل شيء ، كما تقوم على مبدأ الطبقات ونظامه القاسي ؛ فهناك منبوذون وهناك حرفيون وهناك المحاربون وهناك البراهمة المقدسون ، وتقوم على فكرة التناسخ الخرافية التي تدعي أن الروح تنتقل من الإنسان إلى مخلوق أحط منه إن أساء إلا إذا دخل في رياضات تعذيبية لجسده ، لو أن كل إنسان طبقها لكانت كافية لخراب هذا العالم . ومن عاداتهم القديمة التي أبطلها الإنجليز أن المرأة تحرق نفسها إذا مات زوجها ، ومن عبادات البرهمي أن يمسح جبينه ببول البقر صباحًا ومساءً ، والفأر عندهم لا يجوز قتله والبقرة مقدسة .

والديانة البوذية آلت إلى الوثنية وتعذيب الجسد . ولو أن البوذيين طبقوا ما آلت إليه البوذية تطبيقًا حرفيًا لانتهوا وفنوا ، فدين هذا شأنه مآل العالم على يديه إلى الهلاك .

والديانة الجينية في الهند تقوم على تعذيب الجسد واحتقار الرأي العام .

والديانة السيخية وهي ديانة حديثة النشوء لا تؤمن بالأنبياء أصلاً فمن أين يعرف الإنسان هداية الله أصلاً .

والديانة اليهودية استقرت على الحقد والكبرياء وعلى أحكام لا تقبل التطبيق ، ولذلك فإنه مع قيام دولة لليهود فإنها تقوم في أكثر قوانينها على العلمانية رغم شدة حرصهم على إبراز الهوية الدينية .

والديانة النصرانية استقرت على التثليث وعبادة الرسوم والأشكال والتماثيل ، وعلى صور من التعذيب للجسد وعلى عارية الفطرة مما يكفي - لو أن طبق ما يعتبر الأفضل عندهم - إلى خراب العالم ، لذلك آلت دول العالم النصراني إلى العلمانية .

والديانة المجوسية آلت إلى عبادة إلهين : أحدهما الشيطان ، وإلى عبادة النيران ونكاح الأخت وتقديس الأكاسرة .

من هذا الاستعراض السريع ندرك حكمة الله عز وجل ورحمته بالخلق إذ بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وندرك حكمة من الحكم : لماذا لا يقبل الله ديناً غير دين الإسلام .

تعرف على الإسلام وانظر ماذا يكون لو استجاب له كل إنسان ، وتعرف على الأديان وانظر كيف يؤول إليه أمر العالم لو استجاب العالم لأي دين منها ، فإنك تجد رحمة الله ببعثته محمداً ﷺ : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة * فيها كتب قيمة ﴿ (١) .

وهاك تقولاً تصف لك صوراً عما في بعض الأديان المعاصرة لتعرف رحمة الله على العالمين ببعثته محمداً ﷺ وتعرف حكمة من حكم قوله تعالى :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ (٢) .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(١) البينة : ١ - ٣ .

النقول

١ - نُقولُ عن البرهمية

بعد أن ذكر أبو الحسن الندوي كثرة آلهة البراهمة قال :

زد إلى ذلك عبادتهم لآلَةِ التناسل لإلههم الأكبر « مهاديو » ، وتصويرها في صورة بشعة ، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات ، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة ، وكان كهنة المُعابد من كبار الخونة والفساق الذين كانوا يرزءون الراهبات والزائرات في أعز ما عندهن .

وقال أبو الحسن عن نظام الطبقات : يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي : البراهمة ، طبقة الكهنة ورجال الدين ، شتري رجال الحرب ، ويش رجال الزراعة والتجارة ، شودر رجال الخدمة .

(وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة فقد قال : إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق ، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض ، ولهم أن يأخذوا من مال عبدهم شودر- من غير جريرة - ما شاءوا ؛ لأن العبد لا يملك شيئاً وكل ماله لسيده .

وإن البرهمي الذي يحفظ رك ويد « الكتاب المقدس » هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله ، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطراب والفاقة أن يجبي من البراهمة جباية أو يأخذ منهم إتاوة ، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعاً ، وإن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يخلق رأسه ، أما غيره فيقتل .

أما الشتري فإنهم وإن كانوا فوق الطبقتين ، « ويش وشودر » ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول « منو » : إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشتري الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده .

المنبودون الأشقياء : أما شودر « المنبودون » فكانوا في المجتمع الهندي - بنص هذا القانون المدني الديني - أحطّ من البهائم وأذلّ من الكلاب ، فيصرح القانون بأن « من سعادة شودر

أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك ، وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا فإن ذلك يؤدي البراهمة ، وإذا مد أحد من النبوذيين إلى برهمي بدا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، وإذا رفسه في غضب فدعت رجله ، وإذا هم أحد من النبوذيين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوي استة وينفيه من البلاد . وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، وإذا ادعى أنه يعلمه سقي زيتا فائرا ، وكفارة قتل الكلب والقطعة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء . اهـ (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) .

٢ - نقول عن الجينية وهي إحدى الديانات الهندية

قال الدكتور شلي في كتابه : « أديان الهند » :

(وللوصول للنجاة يتحتم على الناسك ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان ، وعليه أن يدرك أن احترام الحياة أقدس ما عني به مهاويرا ، وعلى هذا يحرم عليه قتل الحيوان وبالتالي أكل اللحم) .

(ولا بد للنجاة كذلك من قهر جميع المشاعر والمواطف والحاجات ، ومؤدى هذا ألا يحس الراهب بحب أو كره ، ولا بسرور أو حزن ، ولا بجزأ أو برد ، ولا بخوف أو حياء ، ولا بجوع أو عطش ، ولا بخير أو شر . والجيني بذلك يصل إلى حالة من الجود والخمود والذهول فلا يشعر بما حوله ، ودليل ذلك أن يتعري فلا يحس بجيئه ويثنتف شعره فلا يتألم ، لأنه لو أحس بما في الحياة من خير وشر أو نظم متفق عليها ، فعنى هذا أنه لا يزال متعلقا بها خاضعا لمقاييسها ، وهذا يبعده عن النجاة . ولما كان أبرز ما في هذا التنظيم هو العري ، والجوع حتى الموت ، سميت الجينية دين العري ودين الانتحار .

العري والانتحار في الجينية :

وعن فكرة العري يقول أحد علماء الجينية في محاضرة له عنها :

يعيش الرهبان الجينيون عراة ، لأن الجينية تقول : مادام المرء يرى في العري ما نراه نحن ، فإنه لا ينال النجاة ، فليس لأحد أن ينال نجاة مادام يتذكر العار ، فعلى المرء أن ينسى ذلك بتاتا ليتمكن من اجتياز بحر الحياة الزاخر ، فطالما تذكر الإنسان أنه يوجد خير

أوشر، حُسْنٌ أوقح فعناه أنه لا يزال متعلقًا بالدنيا وبما فيها فلا يفوز بـ « موشكا » أي النجاة .

(ويرى الجينيون أن الشعور بالحياة يتضمن تصور الإثم ، وعلى العكس من ذلك فعدم الشعور بالحياة معناه عدم تصور الإثم وذلك زيادة في النقاء ، فعلى كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عارياً ، ويتخذ من الهواء والسماء لباساً له .

أما الانتحار فقد كان نتيجةً للتخلي عن كل عمل ، وترك كل ما يغذي الجسم لعدم الإحساس بالجوع ، ولقطع الروابط بالحياة ، وللتدليل على أن الراهب أو الراهبة لم يبق له اهتمام بهذا الجسد الفاني ، فهو يجيعه ، وينتف شعره ، ويعرضه لظواهر الطبيعة القاسية حتى الموت . وقد انتشر الانتحار بالجوع بين رهبان الجينيين قديماً (١ . هـ شليي .

ومن المعروف عند علماء الأديان :

أن مهاقيرا مؤسس الجينية عاش قبل أن يبدأ دعوته في وسط الرخاء وطيب العيش حيث انحدر من طبقة الكاشترايا طبقة الملوك والقواد والحكام في الهندوسية .

وكان وهو صغير يجب الجلوس إلى الرهبان والنسك ، فتأثر بفلسفتهم وعزف عن المتع ومال إلى الرهبة والزهد ونذر أن لا يتكلم اثني عشر عامًا ، قضاها بالتأمل والتفكير وخرج بعدها ليعلم مذهبه للناس .

وعندهم ما يعرف بالأصول السبعة لتطهير الروح : مثل أخذ العمود والمواثيق بوجوب التمسك بالخلق الحميد والتقليل من الحركات البدنية ، والتحلي بالفضائل ، والتفكير بالحقائق الأساسية ، والسيطرة على متاعب الحياة التي تنشأ من الأعراض الجسدية التي تنشأ من الجوع والبرد ، والقناعة الكاملة ، والطهانية .

ولم يعترفوا بالله وذلك حتى لا ينشأ طبقة جديدة من البراهمة ، ولكن خوفًا من الهندوسية اعترفوا بألهة الهندوس .

ويقول مهاقيرا بالتناسخ لأن تخليص الروح من جسمها المادي لا يتم إلا بالتشف وإحرامان من اللذات فإذا انتهت روحه من ماديتها يرجع روحًا خالداً .

٣ - نُقولُ عن البوذية

قال أبو زهرة في كتابه «مقارنات الأديان» بعد أن ذكر الوصايا العشر عند البوذيين :
 (هذه هي الوصايا العشر التي يأخذ بها البوذي ليروض إرادته على ترك الملاذ ،
 والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات ، وتخفيف ويلات الحياة ، ومنها ترى أنهم يحثون
 على عدم أخذ الذهب والفضة ، كأنها الأمر الذي تضل عنده الأفهام ، وتستيقظ حوله
 المطامع وكأنها مدخر اللذة ، لاستعانة الناس بها في اجتراح اللذات ، واجترار الشهوات ،
 ولهذا النهي عن اقتناء الذهب والفضة قال العلماء : إن البوذية تحث على عدم الملك ،
 وتطالب البوذي أن لا يملك شيئاً ولا يقتني شيئاً . فهو يطلب طعامه يوماً بعد يوم ،
 ولا يدخر من يومه إلى غده .

ولقد كان هذا سبباً في أن ينقسم البوذيون إلى قسمين :

أحدهما : البوذيون الدينيون الذين أخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يجيدون عنها قيد
 أنملة ، وقيندوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعدونها ، ويحرمون كل شيء غيرها ، ولا
 يلبسون إلا خشن الثياب ولا يرضون إلا جَشَبَ^(١) العيش ، لما راضوا أنفسهم عليه ، من
 ترك كل لذات الحياة وراءهم ظهرياً ، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن آلامها .

أما الفرقة الثانية : فهي الفرقة التي تركت هذه التعاليم ولكن رأت أن عليها واجب
 كفالة الفرقة التي ذكرناها .

وللمهم أن نعرف أن التعاليم التي آلت إليها البوذية لو أنها طبقت حرفياً لفنت
 البشرية) . اهـ (مقارنات الأديان) .

ويعرف بعض علماء مقارنة الأديان البوذية بأنها :

ديانة التأمل في الباطن والرحمة وإنكار الذات ، ويبدو مما ألف عن بوذا أنه كان وديع
 المعاملة رقيق الكلام رحيماً شفوفاً مما حببه إلى الناس وسبب لدعوته النجاح .

وخلاصة الوصايا التي أوصى بها بوذا :

(١) جَشَبَ : جَشَبًا ؛ غَلَطَ وَخَشَنَ فَهُوَ جَشَبٌ وَمِجْشَابٌ . كذا في الوسيط .

١- لا تزق روحًا ، ٢- لا تأخذ ما لا تستحق ، ٣- لا تنزن ، ٤- لا تكذب ولا تغش ، ٥- لا تسكر ، ٦- كلُّ باعتهال ، ٧- لا تشهد رقصًا ولا تسمع غناءً أو تمثيلًا ، ٨- لا تلبس حليًا ولا تتعطر ولا تتخذ زينة ، ٩- لا تم في فراش باذخ ، ١٠- لا تقبل ذهبًا ولا فضة .

وهذه الوصايا قريبة إلى وصايا الأنبياء ، ومن هنا قيل إنه كان نبيًا أوحى إليه ، وقد حرفت دياناته بعده كما حدث لبقية الأديان ، ولا نستطيع الجزم بذلك ؛ لأن الجزم بذلك يحتاج إلى نص من كتاب أو سنة ، وليس هناك من نص إلا أن الله عز وجل أخبرنا أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها رسول ، قال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (١) .
وأهم كتب بوذا هي التي تحفظ أحاديثه وأقواله وأمثاله وينسبونها إلى بوذا ولا يدعون نزولها من السماء .

والمشهور أنه لم تكن على زمن بوذا طقوس معينة ولكن بعد وفاته أضيفت بعض الطقوس فيصلون أمام تمثال بوذا ويصومون بأوقات معينة بالامتناع عن الطعام والشراب عدا الحليل من نصف النهار حتى فجر اليوم التالي .

ويججون بالذهاب إلى الهند ونيبال لزيارة الأماكن الأربعة المقدسة عندهم وهي : مكان ولادة بوذا ، والمكان الذي أشرقت فيه الحقيقة تحت الشجرة ، والمكان الذي بدأ دعوته منه ، ومكان وفاته ، ولا موسم للحج عندهم .

٤ - نُقولُ عن ديانات الفرس

قال أبو الحسن الندوي في كتابه : « ماذا خسر العالم » :

(ولم تزل المحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف وتقاش ، حتى إن يزجرده الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها ، وإن بهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس كان متزوجًا بأخته .
يقول البروفسور « آرثر كرستن سين » أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة كوبنهاجن

بالدخار المتخصص في تاريخ إيران في كتابه (إيران في عهد الساسانيين) :

« إن المؤرخين المعاصرين للعهد الساساني مثل (جاتهياس) وغيره يصدقون بوجود عادة زواج الإيرانيين بالمحرمات ، ويوجد في تاريخ العهد الساساني أمثلة لهذا الزواج ، فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتاسب قبل أن يتنصر بالمحرمات ولم يكن يعد هذا الزواج معصية عند الإيرانيين ، بل كان عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله ، ولعل الرحالة الصيني (هوئن سوئنج) أشار إلى هذا الزواج بقوله : إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء . »

ظهر « ماني » في القرن الثالث المسيحي ، وكان ظهوره رد فعل عنيف غير طبيعي ضد النزعة الشهوية السائدة في البلاد ، ونتيجة منافسة النور والظلمة الوهمية ، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشر من العالم ، وأعلن أن امتزاج النور بالظلمة شر يجب الخلاص منه ، فحرم النكاح استعجالاً للفناء وانتصاراً للنور على الظلمة بقطع النسل ، وقتله بهرام سنة ٢٧٦ م قائلاً : إن هذا خرج داعياً إلى تخريب العالم ، فالواجب أن يبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيأ له شيء من مراده . ولكن تعاليمه لم تمت بموته بل عاشت إلى ما بعد الفتح الإسلامي .

ثم ثارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المحجفة ، وتقمصت دعوة مزدك الذي ولد ٤٨٧ م ، فأعلن أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم ، فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم ، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك ، قال الشهرستاني : « أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ » . وحظيت هذه الدعوة بموافقة الشبان والأغنياء والمترفين وصادفت من قلوبهم هوى ، وسعدت كذلك بحماية البلاط ، فأخذ قباز يناصرها ونشط في نشرها وتأييدها ، حتى انغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات ، قال الطبري : « افترس السفلة ذلك واغتنبوا وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتلي الناس بهم ، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم ، وحلوا قباز على تزيين ذلك وتوعده بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه ، ولا يملك شيئاً مما يتسع به » إلى أن قال : « ولم يزل قباز من خيار ملوكهم ، حتى حمله مزدك على ما حمله عليه ، فانتشرت الأطراف وفسدت الثغور) . ١ هـ .

٥ - نقول عن اليهودية

قال الدكتور شلي في كتابه عن اليهودية :

(تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من-الله ، كما أن الابن جزء من أبيه [زعموا] . ويقول التلمود بالتناسخ ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند وأخذ حاخامات بابل من المجتمع البابلي) .

(ويُلزِمُ التلمود بني إسرائيل أن يغشوا سواهم فقد جاء فيه : يلزم أن تكون طاهرًا مع الطاهرين وندسًا مع الدنسين

ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود) .

(ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود ، فقد جاء في التلمود : محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من الأميين من هلاك أو يخرجهم من حفرة يقع فيها ، بل إذا رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر ، وقال « ميانود » : الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي ، فإذا رأته واقفًا في نهر أو مهددًا بمخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه ؛ لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعًا لم يُقتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض ، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين .

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه بذلك يقرب قربانًا إلى الله) .

المرأة في التلمود :

قال موسى : لا تشته امرأة قريبك ، فَنُ يَزِنِ بامرأة قريبه يستحق الموت . ولا يعتبر التلمود القريب إلا اليهودي فقط ، فإتيان زوجات الأجانب جائز ، واستنتج من ذلك الحاخام (رشي) أن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبية ، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد ، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد

مع البهائم وما شاكلها ، وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرّماً إذ أتى امرأة مسيحية ، وقال (ميانود) إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات (ا.هـ .

ومن هذه النقول ندرك الفارق بين الإسلام وغيره ، ونعرف نعمة الله عز وجل بإرساله محمداً ﷺ بشيراً للعالمين ونذيراً ومعاناً ومريئاً ومزكياً . ونعرف سراً من أسرار قوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ (١) .

* * *

الفصل الثالث
في:
الإيمان بالقدرة
وقيه:
مقدمة ومسائل ونصوص وتلخيص

المقدمة

ذكرنا الإيمان بالقدر ، وهو الركن السادس من أركان الإيمان بعد الإيمان بالله لأنه في الحقيقة فرع الإيمان بالله وفرع معرفته ، فمن عرف الله حق المعرفة وعرف صفاته من إرادة وقدرة وعلم آمن بالقدر ضرورة ، ولذلك قدمناه ههنا .

والنصوص كثيرة وواضحة في إثبات القدر ، لكن القرآن ذكر أركان الإيمان الخمسة مجتمعة مع بعضها ، وذكر القدر منفرداً لأنه كما قلنا فرع الإيمان بالله ، أما السنة ذكرت الأركان الستة مع بعضها كما ورد في حديث جبريل عليه السلام : « قال [أي جبريل] : فأخبرني عن الإيمان . قال [أي رسول الله ﷺ] : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى . قال [أي جبريل] : صدقت . قال [الراوي] : فمعجبنا له يسأله ويصدقه » .

لقد ذُكرتُ أركان خمسة من أركان الإيمان في القرآن بجانب بعضها ، قال تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ ^(١) .

وجاء ذكر القدر في أكثر من مكان : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ^(٢) ، ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ^(٣) ، ﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ ^(٤) ، ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ ^(٥) .

* * *

إن عقيدة القضاء والقدر هي التحقيق لمعان متعددة تشمل :

معرفة الله والعبودية له والاستسلام والتسليم والتوكل ، وهي تأكيد لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن كل شيء بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وهي لا تنفي الاختيار ولا تعني الجبر .

إن هناك مشيئة نافذة وقدرًا تمضي عليه أمور هذا العالم ، وهذا لا بد منه ؛ لأن هذا

(٢) القمر : ٤٩ .

(٤) الرعد : ٢٩ .

(١) النساء : ١٣٦ .

(٣) الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) الزخرف : ٤ .

العالم مظهر لأسماء الله ومظهر للتعرف على الله .

فاقتضت حكمة الله أن يكون الجزء الاختياري الذي تقوم به الحجة على الخلق موجوداً ومحسوساً ، ولكن بدلاً من أن يكون ذلك على طريقة القوة المودعة كما تقول المعتزلة كان ذلك بالإمداد المباشر ، ومن سوء الفهم لهذه الحقيقة وقع الخلط والخبط ، فالمعتزلة لم يتصوروا الاختيار إلا من خلال القوة المودعة ، والجبرية رأوا واقع الحال أن كل شيء يعلم الله وإرادته وقدرته ، فقالوا بالجبر المحض ، وأهل السنة والجماعة رأوا أن الاختيار أصل ، فقدره الله تعمل على وفق مشيئته ، ومشيئته تعمل على وفق علمه ، والعلم كاشف لا مجبر ، ولكن أبي الله أن يكون معه فاعل مستقل بخلق شيء ، ومن ههنا كان الإيمان بالقدر هو فرع الإيمان بالله ، فمن عرف علم الله وإرادته وقدرته آمن بالقدر ، فالله يعلم الأشياء كلها أولاً وخصص أولاً ما أراد وجوده منها بالوجود ، وأبرزت قدرته ما أراد ، وسجل ذلك كله في اللوح المحفوظ وذلك هو القدر . فالقضاء والقدر يتضمنان الإيمان بعلم الله وإرادته وقدرته ، كما يتضمنان الإيمان باللوح المحفوظ لأن الله أخبرنا عن ذلك :

فالقدر : هو علم الله تعالى بالأزل بما تكون عليه المخلوقات كلها في المستقبل .

والقضاء : هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه الأزلي وإرادته .

وبعضهم عكس التعريف .

هذا وقد تطلق كلمة القدر على النظام المحكم الذي أقام الله عليه أمر الوجود وذلك داخل في القدر بمعناه الأشمل : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾^(١) ، على أحد وجهين في التفسير : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾^(٢) ، ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾^(٣) .

إن الناس بالنسبة للخلق والخالق أقسام :

١ - للماديون الذين يؤمنون بالمادة ويلحدون بالله عز وجل .

٢ - القائلون بقدوم المادة مع الإيمان بالله عز وجل .

(٢) الحجر : ٢١ .

(١) القمر : ٤٩ .

(٣) الرعد : ٨ .

٣ - القائلون بالخلق مع الإيمان بعدم التدخل وإنما هي أسباب وقوانين ولا دخل للإرادة الإلهية أو القدرة الإلهية .

وهذه الفرق الثلاثة كافرة بإجماع أهل السنة والجماعة .

٤ - القائلون بالخلق مع الإيمان بالقوة المودعة والتدخل الجزئي .

وقد اختلف أهل السنة والجماعة في هؤلاء فَمِنْ مُكَفَّرٍ وَمِنْ مُضَلَّلٍ .

٥ - القائلون بالخلق واحتياج هذا الخلق إلى إمداد مستمر ، وأن كل شيء ابتداء إنما كان بعلم الله وإرادته وقدرته ، وأن الإمداد الإلهي مستمر ، فكل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته بدءاً واستمراراً .

هؤلاء القائلون بمسألة خلق العبد وأفعاله وكل شيء ابتداءً وانتهاءً واستمراراً هم أهل السنة والجماعة . ولهذا العقيدة تشهد النصوص . وبعض العلماء الذين لم يتلقوا عقائد أهل السنة والجماعة يغلطون في هذا الأمر ويغلطون ، وهم على مذهب المعتزلة ولا يشعرون ، وما ذلك إلا لغلبة الحس عليهم ؛ لأن المسألة تدور بين صور :

١ - علم الله أولاً فأراد فأبرز بقدرته .

٢ - أو علم الله ولم يرد وحدث شيء غصباً عنه .

٣ - أو علم ولم يرد وأعطى الخلق قدرة .

٤ - أو علم ولم يرد وأبرز بقدرته .

٥ - أو علم ولم يرد ولم يبرز بقدرته .

الصورة الأولى هي التي تتفق وجلال الربوبية ، والإيمان بها هو الذي يتحقق معه التكليف بالمبودية ، وتنسجم مع فكرتي التوكل والسعاء ، وهي مظهر كمال الله الأرقى والأعلى ، وذلك يتفق مع قوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ^(١) ، والصورة الأولى هي التي تحقق الإيمان بالقدر .

(١) الأنبياء : ٢٢ .

المسائل

أولاً : يجب على العبد أن يصدق بالقدر ، وأن يستسلم لله عز وجل فيما قدره له .
 ثانيًا : أن التسليم فيما يقع يجب أن يرافقه شكر على الطاعة وتوبة عن المعصية .
 ثالثًا : أن يعتقد المسلم أنه مختار فيما يستقبل من الزمن في الأمور التكليفية ، ويتصرف على أنه مختار .

رابعًا : أن يسلم لله حكمه في شأن القدر وألا تدخل عليه الوسوسة في كيفية الجمع بين الاختيار والكسب وبين أن كل شيء بإرادة الله وقدرته ، فالله علم ما كان وما يكون فأراده فأبرزه بقدرته وههنا حد لا يسأل عنه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (١) .

خامسًا : هناك فارق بين المشيئة الإلهية من جهة وبين الأمر والرضا من جهة أخرى ، فكل شيء كان ويكون بإرادته ولكن ليس كل شيء كان ويكون بأمره التشريعي أو رضاه ، فكفر الكافر ومعصية العاصي ليست بأمره التشريعي ولا برضاه لكنها بإرادته : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ (٢) ، ﴿ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ (٣) .

سادسًا : لا يصح احتجاج الكافر والضال والفاسق بالمشيئة على الكفر والمعصية والضلal .

سابعًا : الخوض بالقدر من علامة اضطراب القلب وعدم طمأنينته ، ولذلك فقد كره البحث في القدر ؛ لأن الكلام غير الدقيق فيه قد يؤدي إلى التشويش .

ثامنًا : نفت بعض الفرق الإسلامية القدر خشية أن تنسب إلى الله الظلم في فهمها فوَقعت في ظلم أشد لأنها نفت عن الله عز وجل شمول الإرادة وشمول القدرة وشمول العلم .

والخلاصة :

إن الإيمان بالقدر هو المظهر الأعلى لمعرفة الله ولمعرفة صفاته وأفعاله . وهو الذي

(٢) الأعراف : ٢٨ .

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٣) فاطر : ٨ .

يناسب مقام الإنسان في العبودية . وهو الذي يتفق وافتقار الإنسان . وهو الذي يسبغ على الإنسان رضا وسعادة . وهو الذي يعطي الإنسان شجاعة وإقداما . والإيمان بالقدر هو مفتاح التوكل على الله . وهذه وغيرها إيجابيات عقيدة القدر . فنحن مكلفون بأن واحد بأشياء : نحن مكلفون بالإيمان بالقدر ، ومكلفون في الوقت نفسه بالتوكل ، ومكلفون بالعمل والأخذ بالأسباب . فالمعرفة والإيمان والتسليم والعمل هي آداب المسلم في هذا المقام : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (١) .

* * *

لقد اختلف أهل السنة والجماعة مع المعتزلة في مسائل :

منها خلق أفعال العباد ، ومنها شمول تعلق صِفَتِي الإرادة والقدرة بكل ما يجري في هذا العالم .

قال المعتزلة بأن العبد يخلق أفعال نفسه ، وقالوا بالقوة المودعة ؛ فالله عز وجل جعل الأسباب تعمل على وفق ما أودعها فيه دون أن تكون لإرادته وقدرته تدخل مباشر فيها يجري ، وهذا وهذا من عقائد المعتزلة يتناقض مع النصوص ، فالله عز وجل قال : ﴿الله خالق كُلِّ شيء﴾ (٢) ، ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ (٣) ، ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٤) ، ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (٥) ، ﴿أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تذرعونهم أم نحن الزارعون﴾ (٦) ، ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ (٧) . ومن أذكار الإسلام : « لا حول ولا قوة إلا بالله » . ومن أسماء الله : القيوم ، وذلك يقتضي أن كل شيء لا يقوم إلا به ، ومن أسماء الله : الصمد ، وهذا يقتضي أن الخلق دائمو الاحتياج إلى الله ، ومن أسماء المعز والمذل والقابض والباسط والمقدم والمؤخر والحفي والمميت ، وذلك يدل على أن كُلَّ ما يجري فعلة قد خَلَقَهُ اللهُ جل جلاله ، قال تعالى : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ (٨) ، وهذا

(٢) الزمر : ٦٢ .

(٤) الأنفال : ١٧ .

(٦) الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .

(٨) الرحمن : ٢٩ .

(١) الكهف : ٢٩ .

(٣) التوبة : ١٤ .

(٥) الشعراء : ٨٠ .

(٧) الأعراف : ١٥٥ .

يتنافى مع القول بخلق الإنسان أفعالاً تفسيه ومع القول بالقوة المودعة ، لأن القول بهاتين الفكرتين يؤدي إلى القول بأن الله عز وجل خلق الأسباب والمسببات وتركها تجري بما أودعه فيها دون أن يكون له تدخل مباشر فيما يجري ، وأين هذا من فكرة الدعاء وفكرة التوكل ؟ وأين هذا من النصوص وما أكثرها ؟ لو أنك تأملت فاتحة الكتاب وحدها لرأيت فيها أكثر من دليل على مذهب أهل السنة والجماعة ، فقوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ^(١) يفيد أن كل أنواع الحمد لله لأنه هو الفاعل على الحقيقة فهو المستحق للحمد ، وأي حمد إنما ينبغي أن يكون له ، فإذا حمدت إنساناً على شيء فإن هذا الشيء بالله ومن الله ، فالله هو المستحق للحمد وحده ، وهذا يشهد لعقيدة أهل السنة والجماعة ، وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ^(٢) فيه دليل لأهل السنة والجماعة ، فكيف نستعين به على العبادة إذا لم يكن له تدخل فيما يجري ، وقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ^(٣) دليل لأهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه ، فلو لم تكن الهداية بيده فكيف تطلبها منه في اليوم كذا مرة ، إن نصوص الكتاب والسنة تشهدان لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة : أن كل شيء مفتقر إلى الله وأن كل ما يجري بإمداد الله وبفعله . ولكون القول بأن الإنسان يخلق أفعالاً نفسه ، ولكون القول بالقوة المودعة يחדش الإيمان بالقدر فقد سُمي أهل السنة والجماعة المعتزلة « بالتدرية » أي نفاة القدر واعتبروهم امتداداً لنفاة القدر بالكامل .

فالإيمان بالقدر يدخل فيه الإيمان بأن الله عز وجل علم أزلاً فأراد أزلاً فأبرز بقدرته وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وما يجري الآن وما سيجري كل ذلك أثر علمه وإرادته وقدرته . وعلى مقتضى ما سجله في اللوح المحفوظ .

وإذ كان موضوع القدر تتفرع عنه مسائل كثيرة ، وينبثق عن أصول كبيرة ، والدخول في تفصيلاته يدخلنا في هذه المسائل والأصول ، وليس كل إنسان مؤهلاً للخوض في ذلك والوصول إلى شاطئ السلامة في هذا الشأن ؛ فقد كره الخوض في القدر إلا بالقدر الذي

(٢) الفاتحة : ٥ .

(١) الفاتحة : ٢ .

(٣) الفاتحة : ٦ .

يقرره وينفي الشبهة عنه ، لقد سئل الإمام أحمد عن القدر فقال : « القدر قدرة الرحمن » . وقال الطحاوي : « وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره » .

تأمل قول هذين العالمين ، وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل :

٦٦٤ - * روى الترمذي عن أبي خزيمة عن أبيه قال : قلتُ : يا رسول الله أرأيتَ رِقَاةً نسترقِي بها ، ودَوَاءً نَتَدَاوِي به ، وَتَقَاةً نَتَّقِيها ، هل تُرَدُّ من قَدَرِ اللَّهِ شَيْئاً؟ قال : « هو من قَدَرِ اللَّهِ » .

وتأمل قوله عليه السلام لمن سأله : أيترك ناقته بلا عقل ويتوكل ؟ فقال : « اغقلها وتوكل » .

لتعلم أن القدر ترتبط فيه مسائل كثيرة ، فهو مجمع أسرار العقيدة الإسلامية في باب الألوهية ، ولذلك كان الإيمان بالقدر والقيام بالتكليف مع الأخذ بالأسباب هي من علامات التوفيق الرباني .

وهذه نصوص في القدر :

٦٦٤ - الترمذي (٤ / ٢٩٩) ٢٩ - كتاب الطب ٢١ - باب ما جاء في الرق والأدوية .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(تَقَاةٌ) : التَّقَاةُ : ما يَتَّقَى وَيُحَذَّرُ .

النصوص

٦١٥ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « خلق الله عز وجل آدم حين خلقه فَضَرَبَ كَتِفَهُ الِئِنِّي فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بِيضًا كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الِيسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدًا كَأَنَّهُمُ الحَمَمُ ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ : إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي . وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الِيسْرَى : إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي » .

٦١٦ - * روى أحمد عن عبد الرحمن بن قتادة السُّلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ فَقَالَ هُوَلاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَلاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي » فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ ذَا نَعْمَلُ ؟ قَالَ : « عَلَى مَوَاقِعِ القَدْرِ » .

٦١٧ - * روى البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي القَبْضَتَيْنِ : « هُوَلاءِ لِهَذِهِ وَهُوَلاءِ لِهَذِهِ » . قَالَ : فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي القَدْرِ .

٦١٨ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمِنْ أَصَابِهِ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمِنْ أخطأه ضَلَّ ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ » .

٦١٥ - أحمد (٦ / ٤٤١) .

وكشف الأستار (٣ / ٢١) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٨٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال الصريح .

(الحَمَمُ) : الفحَمُ .

٦١٦ - أحمد (٤ / ١٨٦) .

والحاكم (١ / ٢١) . وقال : هذا حديث صحيح . وهو صحيح .

٦١٧ - كشف الأستار (٣ / ٢٠) .

والروض الداني (١ / ٢٢٥) .

قال الهيثمي (٧ / ١٨٦) : رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصريح .

٦١٨ - الترمذي (٥ / ٢٦) ٤١ - كتاب الإيمان ١٨ - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة . وقال : هذا حديث حسن .

وأحمد (٢ / ١٧٦) .

٦١٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « حاجَّ آدمُ موسى ، فقال [موسى] : أنت الذي أخرجتَ الناسَ من الجنةِ بذنبك وأشقيتَهم » ؟ قال : « فقال آدمُ لموسى : أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتَلومُني على أمرٍ كتبه الله عليَّ قبلَ أن يخلُقني ؟ أو قدَرَهُ عليَّ قبلَ أن يخلُقني ؟ » قال رسولُ الله ﷺ : « فحجَّ آدمُ موسى » .

وفي رواية (١) قال : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : يا آدمُ ، أنتَ أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال له آدمُ : أنتَ موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخطَّ لك بيده ، أتَلومُني على أمرٍ قدَرَهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلُقني بأربعين عامًا ؟ » قال النبي ﷺ : « فحجَّ آدمُ موسى ، [فحجَّ آدمُ موسى] » .

وفي أخرى (٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال له موسى : أنتَ آدمُ الذي أخرجتَكَ خطيئتكَ من الجنة ؟ » .

وفي رواية (٣) : « أخرجتنا وذريتكَ من الجنة ، قال : أنتَ موسى ؟ أليس الله اصطفاك برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمرٍ قدَرَهُ عليَّ قبلَ أن أُخلَقَ ؟ » .

وفي أخرى (٤) قال النبي ﷺ : « التقى آدمُ وموسى ، قال موسى : أنتَ الذي أشقيتَ الناسَ ، وأخرجتَهم من الجنة ؟ قال آدمُ : أنتَ الذي اصطفاك الله برسالاته واصطنعكَ لنفسه ، وأنزلَ عليك التوراةَ ؟ قال : نعم ، قال : فوجدتها ، كتبَ عليَّ قبلَ أن يخلُقني ؟ قال : نعم ، فحجَّ آدمُ موسى » .

= والإحسان بترتيب ابن حبان (١٦ / ٨) كتاب التاريخ - باب بدء الخلق . والحديث إسناده حسن .

٦١٩ - البخاري (٤٣٤ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - باب : « فإلا يخرجنا من الجنة فتشقى ؟ » .

مسلم (٤ / ٢٠٤٢ - ٢٠٤٤) ٤٦ - كتاب القدر ، ٢ - باب حجاج آدم وموسى عليها السلام .

(١) مسلم : الموضوع السابق .

(٢) البخاري (٤٤١ / ٦) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ٣١ - باب وفاة موسى .

(٣) البخاري (٤٧٧ / ١٢) ١٧ - كتاب التوحيد ، ٣٧ - باب ما جاء في قوله عز وجل : « وكلم الله موسى تكليمًا » .

(٤) البخاري (٤٣٤ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب : « واصطنعتك لنفسي ؟ » .

ولمسلم (١) : أن النبي ﷺ قال : « تحاج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذي أغويت الناس ، وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه برسالاته ؟ قال : نعم . قال : فتلومني على أمر قَدَّرَ عَلَيَّ قبل أن أُخْلَقَ ؟ » .

وفي أخرى (٢) له قال : « احتج آدم وموسى عند زبها ، فحج آدم موسى ؛ قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد ملائكته وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ، وقربك نجياً ؟ فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخْلَقَ ؟ قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : فهل وجدت فيها : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ (٣) ؟ قال : نعم . قال : أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن عمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ » قال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى عليها السلام » .

وفي رواية الترمذي (٤) قال : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى : يا آدم ، أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه أتلومني على عمل عملته

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) طه : ١٢١ .

(٤) الترمذي (٤ / ٤٤٤) ٣٣ - كتاب القدر ، ٢ - باب ما جاء في حجاج آدم وموسى عليها السلام .

(المهاجرة) : المجادلة والمخاصمة ، حاججت فلاناً فحججته ، أي : جادلته ففلبته .

(نجياً) : النجى : وهو المشاور والمحدث ، وقوله : « اصطنعك لنفسه » تمثيل لما أعطاه الله من منزلة التقريب والتكريم ، مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك - بجوامع خصال فيه وخصائص - أهلاً لثلا يكون أحد أقرب منزلة منه إليه ، ولا أطف محلاً ، فيوليه من الكرامة ويستخلصه لنفسه ، والاصطناع : افتعال من الصنعة ، وهي العطية والكرامة والإحسان .

(الإغواء) : الإضلال ، غوى الرجل يفوي وأغوى غيره .

(تبيان) : التبيان : الإيضاح ، وكشف الشيء ليظهر ويتبين .

كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ » قال : « فحجّ آدم موسى » .

٦٢٠ - * روى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إن موسى عليه السلام قال : يا رب ، أرنا آدم الذي أخرجتنا ونفسه من الجنة .
 فأراه الله آدم ، فقال له : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم ، قال : أنت الذي
 نفخ الله فيك من روحه ، وعلمك الأسماء ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال :
 فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم : ومن أنت ؟ قال :
 أنا موسى . قال : أنت الذي » - وذكر نحو حديث أبي هريرة وأتم منه . قال فيه :
 « أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب ، ولم يجعل بينك وبينه
 رسولا من خلقه ؟ قال : نعم . قال : فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل
 أن أخلق ؟ قال : نعم . قال : فلم تلومني في شيء سبق من الله فيه القضاء
 قبلي ؟ » قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « فحجّ آدم موسى » .

أقول : الملاحظ أن آدم عليه السلام عندما وقع في الذنب تاب واستغفر ولم يحتج على
 الله بالقدر ، وذلك منه قيام بحق التكليف فقال : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
 وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ ^(١) ، ولكن عندما انتقل من دائرة التكليف بوفاته
 وانتقاله احتج بقدره على موسى عليه السلام ، ومن ههنا نعرف أدب المسلم أنه في هذه الدار
 يؤمن بالقدر ويقوم بالتكليف ، وإذا وقع المعصية تاب إلى الله وأتاب ، وفي كل الأحوال في
 الدنيا والآخرة لا يفعل مما يفعله المشركون بأن يحتجوا على صحة ما هم فيه من الكفر
 والشرك والمعاصي بمشيئة الله فذلك فعل الكافرين : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما
 عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرماتنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين
 من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ ^(٢) .

٦٢١ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن

٦٢٠ - أبو داود (٤ / ٢٢٦) كتاب السنة - باب في القدر . وإسناده حسن .

(٢) النحل : ٣٥ .

(١) الأعراف : ٢٣ .

٦٢١ - الترمذي (٤ / ٤٤٣) ٣٣ - كتاب القدر ١ - باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .

تَنَازَعُ فِي الْقَدْرِ ، فَغَضِبَ ، حَتَّى كَانَا فُقَيْيَ فِي وَجْهِ حَبِ الرُّمَانِ حُمْرَةً مِنَ الْغَضَبِ ،
فَقَالَ : « أَهَذَا أَمْرُكُمْ ؟ أَمْ هَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ ؟ إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةً
التَّنَازَعِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » .

وَفِي رِوَايَةٍ (١) : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي الْأَمْرِ ، عَزَمْتُ
عَلَيْكُمْ ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ : أَنْ لَا تَنَازَعُوا فِيهِ » .

٦٢٢ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا
أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ ، وَأَنْ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ » .

٦٢٣ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِيِّ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوْقَ عَلَيْهِمْ
فَقَالَ : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ أَنْبِيََاءَهُمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَيْهِمْ وَلَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ
حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » .

(القدر والقضاء) قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَدْ يَحْسَبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مَعْنَى الْقَدْرِ مِنَ
اللَّهِ وَالْقَضَاءِ : مَعْنَى الْإِجْبَارِ وَالْقَهْرِ لِلْعَبْدِ عَلَى مَا قَضَاهُ وَمَا قَدَّرَهُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ .

وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ : الْإِخْبَارُ عَنْ تَقَدُّمِ عِلْمِ اللَّهِ بِمَا يَكُونُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَاسْتِسَاءِهِمْ ، وَصُدُورِهَا
عَنْ تَقْدِيرِ مَنْه ، وَخُلُقِهَا لَهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا . وَالْقَدْرُ : اسْمٌ لِمَا صَدَرَ مَقَدَّرًا عَنْ فِعْلِ الْقَادِرِ ،
كَالْهَدْمِ ، وَالنَّشْرِ ، وَالْقَبْضِ ؛ أَسَاءَ لِمَا صَدَرَ مِنْ فِعْلِ الْمَادِمِ ، وَالنَّاشِرِ ، وَالْقَابِضِ ، يُقَالُ :
قَدَّرْتُ الشَّيْءَ ، وَقَدَّرْتَهُ - خَفِيفَةً وَثَقِيلَةً - بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَالْقَضَاءُ فِي هَذَا مَعْنَاهُ الْخُلُقُ ،
كَتَوَلَّاهُ تَعَالَى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمٍ ﴾ (٢) ، أَيْ : خَلَقَهُنَّ . وَإِذَا كَانَ

= وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ . وَهُوَ حَسَنٌ بِشَوَاهِدِهِ .

(فُقَيْيٌ) : فُقَيْصٌ وَبَيْحِصٌ ، وَمِنْهُ : فُقَاتٌ غَيْبَةٌ ، أَيْ : بَخْصَتُهَا .

(عَزَمْتُ) : عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ ، بِمَعْنَى : أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ .

(١) التِّرْمِذِيُّ : لِلْوَضْعِ السَّابِقِ .

٦٢٢ - التِّرْمِذِيُّ (٤ / ٤٥١) - ٢٢ - كِتَابُ الْقَدْرِ ، ١٠ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِيمَانِ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ . وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ

٦٢٣ - الْمِثْبَئِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٧ / ١٩٩) . وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى وَرِجَالُهُ ثَقَاتٌ .

(٢) فَصَلَتْ : ١٢ .

الأمر كذلك ، فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم : أفعالهم واكتسابهم ، ومباشرتهم تلك الأمور ، وملابستهم إياها عن قصد وتعمد ، وتقدم إرادة واختيار . فالحجة إنما تلزمهم بها ، واللائمة تلحقهم عليها . وجماع القول في هذا : أنها أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر : بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما ، فقد رام هدم البناء وتقضه .

٦٢٤ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

٦٢٥ - * روى أبو داود عن ابن الدَيْلَمِيِّ رحمه الله ، قال : أتيتُ أبا بن كعب ، فقلتُ له : قد وقع في نفسي شيء من القدر ، فحدثني ، لعل الله أن يذهبه من قلبي . فقال : لو أن الله عذب أهل سَمَواتِهِ وأهل أرضِهِ عَذْبَهُمْ وهو غير ظالم لهم ، ولو رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، ولو أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار . قال : ثم أتيتُ عبدَ الله بن مسعود ، فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيتُ حذيفة بن اليمان ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيتُ زيد بن ثابت ، فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك .

٦٢٦ - * روى الترمذي عن نافع - مولى ابن عمر - أن رجلاً جاء ابنَ عمرَ ، فقال : إن فلانا يقرأ عليك السلام . فقال ابنُ عمرَ : إنه بلغني أنه قد أحدث التكذيبَ بالقدر ، فإن

٦٢٤ - أحمد (٦ / ٤٤١) .

المهشي في جمع الزوائد (٧ / ١١٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهم ثقات .

٦٢٥ - أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة - باب في القدر .

وابن ماجه (١ / ٢٩) المقدمة ١٠ - باب في القدر . وإسناده حسن .

٦٢٦ - الترمذي (٤ / ٤٥٦) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٦ - باب حدثنا محمد بن بشار .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

ورواه أحمد (٢ / ١٣٦) .

والحاكم (١ / ٨٤) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

كان قد أحدثَ فلا تُقرئهُ مني السلام ، فيأني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يكون في هذه الأمة ، أو في أمّتي » . الشك منه - « خَسَفَ وَمَسَّخَ ، وذلك في المكذبين بالقدَر » .

وفي رواية أبي داود ^(١) قال : كان لابن عمر صديقٌ من أهل الشام يَكاتبُهُ ، فكتب إليه عبدُ الله بنُ عمر : إنه بلغني أنك تكلمتَ في شيء من القدر ، فيأنيك أن تكتبَ إليّ ، فيأني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « سيكون في أمّتي أقبامٌ يكذبون بالقدر » .

وفي رواية الترمذي ^(٢) نحو الأولى ، وفيها قال : بلغني أنه قد أحدثَ فإن كان قد أحدث ... وذكر الحديث ، وقال في آخره : « خَسَفَ وَمَسَّخَ ، أو قَذَفَ في أهل القدر » .

٦٢٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون النبي ﷺ في القدر فنزلت هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ . إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٣﴾ .

٦٢٨ - * روى الطبراني عن سعيد بن جبّير قال : كنت في حَلَقَةٍ فيها ابن عباس فذكرنا القَدَرَ فغضب ابن عباس غضباً شديداً وقال : لو أعلم أن في القوم أحداً منهم لأخذته ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما بعثَ الله نبياً قط ثم قبضه إلا جعل

(١) أبو داود (٢٠٤ / ٤) كتاب السنة - باب لزوم السنة .

(٢) الترمذي : للموضع السابق .

٦٢٧ - مسلم (٢٠٤٦ / ٤) - كتاب القدر ، ٤ - باب كل شيء بقدر .
وأحمد (٤٤٤ / ٢) .

والترمذي (٤٥٩ / ٤) ٣٣ - كتاب القدر . ١٩ - باب أبو كريب محمد بن العلاء .
وقال : هذا حديث صحيح .

وإبن ماجه (٣٢ / ١) المقدمة ١٠ - باب في القدر .

(٣) القمر : ٤٨ ، ٤٩ .

٦٢٨ - للمجم الكبير (١٢ / ٧٣) .

وكشف الأستار (٣ / ٢٧) . وزاد : « وهم القدرية » .

مجم الزوائد (٧ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة ، ورواه البرار وزاد : « هم القدرية » .

بعده فترةً وملاً من تلك الفترة جهنم» .

٦٢٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال أمر هذه الأمة موتياً أو مقارباً » - أو كلمة تشبهها - « ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » .

٦٣٠ - * روى البزار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أُخِّرَ الكلامُ في القدر لشرار هذه الأمة » .

٦٣١ - * روى أحمد عن ابن عون قال : أنا رأيتُ عَيْلانَ يعني القَدْرِيَّ مَصْلُوبًا على باب دمشق . (أي الذي قال بنفي القدر) .

٦٣٢ - * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « عَجِبْتُ من قضاء الله سبحانه للمؤمن ؛ إنْ أصابه خَيْرٌ خَمِدَ رَبَّهُ وشكَّرَ ، وإنْ أصابته مُصِيبَةٌ حمدَ ربه وصَبَرَ . المؤمن يُؤجِر في كل شيء » .

٦٣٣ - * روى أحمد عن أبي العلاء بن الشَّخِيرِ قال : حدثني أَحَدُ بَنِي سَليم - ولا أَحْسِبُهُ إلا قد رأى النبي ﷺ - أن الله عز وجل يبتلي عبده بما أعطاه ، فمن رضي بما قسم الله له بارك الله فيه ووسَّعَهُ ، ومن لم يرضَ لم يبارك له .

٦٢٩ - المعجم الكبير (١٢ / ١٦٢) .

وكشف الأستار (٣ / ٢٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) . وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح .

٦٣٠ - كشف الأستار (٣ / ٢٥) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) . وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط وزاد : « لشرار أمتي في آخر الزمان » . ورجال البزار في أحد الإسنادين رجال الصحيح غير عمر بن أبي خليفة وهو ثقة .

٦٣١ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٦٣٢ - مسند أحمد (١ / ١٧٢) .

وروى مسلم نحوه عن صهيب (٤ / ٢٢٩٥) ٥٢ - كتاب الزهد والرفائق ١٣ - باب المؤمن أمره كله خير .

٦٣٣ - مسند أحمد (٥ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٦٣٤ - * روى أحمد عن علي قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْقَدَرِ » .

٦٣٥ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاء سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَيَّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خَلِقْنَا الْآنَ ، فِيمَ الْعَمَلُ الْيَوْمَ ، فَمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ » . قَالَ : ففِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : « اَعْمَلُوا ، فَكُلُّ مَيْسَّرٍ لَمَّا خَلِقَ لَهُ ، وَكُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ » .

٦٣٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال عمر : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه ، أمرٌ مَبْتَدَعٌ - أو مبتدأ - أو فيما قد فَرِغَ منه ؟ فقال : « فيما قد فَرِغَ منه يا ابنِ الخطَّابِ ، ، وكلُّ مَيْسَّرٍ ، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادة ، فإنه يَعْمَلُ للسعادة ، وأمَّا مَنْ كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء » .

وفي رواية (١) ، قال : لما نزلت : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٥] سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : يا نبيَّ اللَّهِ ، فعلامَ نعمل ، على شيء قد فَرِغَ منه ، أو على شيء لم يُفَرِّغْ منه ؟ قال : « بل على شيء قد فَرِغَ منه وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ يا عمر ، ولكن كلَّ مَيْسَّرٍ لَمَّا خَلِقَ لَهُ » .

٦٣٧ - * روى أبو يعلى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « أراد الله أن

٦٣٤ - مسند أحمد (١ / ٩٧) .

والترمذي (٤ / ٤٥٢) ٢٣ - كتاب القدر ١٠ - باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره .

وابن ماجه (١ / ٢٢) المقدمة ١٠ - باب في القدر .

والمستدرک (١ / ٣٢) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

٦٣٥ - مسلم (٤ / ٢٠٤٠) ٤٦ - كتاب القدر ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

٦٣٦ - الترمذي (٤ / ٤٤٥) ٣٣ - كتاب القدر ٣ - باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حسن صحيح .

(١) الترمذي (٥ / ٢٨٩) ٤٨ - كتاب التفسير ١٢ - باب ومن سورة هود . وقال : حسن غريب . وهو حديث

صحيح .

٦٣٧ - كشف الأستار (٣ / ٢٢) .

يَخْلُقَ نَسَمَةً قَالَ مَلَكُ الْأَرْحَامِ مُعْرِضًا : أَي رَبِّ أَدَّكَرَّ أَمْ أَنْثَى ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ ، فيقول : أَي رَبِّ أَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ فَيَقْضِي اللَّهُ أَمْرَهُ . ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقى حتى النَّكْبَةَ يُنَكِّبُهَا .

٦٣٨ - * روى البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سَعِدَ في بطنها » .

٦٣٩ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جل ذكره يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً وخلق فرعون في بطن أمه كافراً » .

٦٤٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، فيقول . أَي رَبِّ نَطْفَةٌ ؟ أَي رَبِّ عَلَقَةٌ ؟ أَي رَبِّ مُضْغَةٌ ؟ فإذا أراد أن يقضي خلقها ، قال : ياربِّ ، أَدَّكَرَّ أَمْ أَنْثَى ؟ أَشَقِيٍّ ، أَمْ سَعِيدٍ ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب ذلك في بطن أمه » .

٦٤١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق : « إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثم يكون علقَةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغَةً مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكًا

= مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

٦٣٨ - كشف الأستار (٢ / ٢٣) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح .

٦٣٩ - المعجم الكبير (١٠ / ٢٧٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

٦٤٠ - البخاري (١١ / ٤٧٧) ٨٣ - كتاب القدر ، ١ - باب حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك .

مسلم (٤ / ٢٠٣٨) ٤٦ - كتاب القدر ١٠ - باب كيفية الخلق الآدمي .

٦٤١ - البخاري (١١ / ٤٧٧) الكتاب والباب السابقان .

مسلم (٤ / ٢٠٣٦) الكتاب والباب السابقان .

وأبو داود (٤ / ٣٢٨) كتاب السنة باب في القدر .

والترمذي (٤ / ٤٤٦) ٢٣ - كتاب القدر ، ٤ - باب ما جاء أن الأعمال بالحوادث . وقال : حسن صحيح .

بأربع كلمات : بَكْتَبْ رزقه وأجله وعمله ، وشَقِيَّ أو سعيد ، ثم يَنْفُخُ فيه الروح ، فالذي لا إله غيره ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِرَاعٌ ، فيسبِقُ عليه الكتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وإن أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِرَاعٌ ، فيسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا .

٦٤٢ - * روى مسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، فَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

أقول : قوله ﷺ : « فيما يبدو للناس » ، في هذه الرواية يقيد الروايات السابقة ، فع إيماننا بأن مشيئة الله مطلقة فإننا نؤمن بأن رحمة الله عز وجل سبقت غضبه ، وأن من سنة الله أن من تقرب إليه شبرًا تقرب إليه ذراعًا ، وحسن الظن بالله يقتضي أن نؤمن أن من أقبل على الله بصدق بعمل أهل الجنة واعتقادهم فإن الله عز وجل يزيد من بركاته ويختم له بالخير ، وإننا نتصور المسألة بأن يوجد إنسان يعمل في الظاهر بعمل أهل الجنة ، وعنده عقائد فاسدة أو رياء أو أمراض قلبية ، أو يفعل ذنوبًا خفية ، فهو في الظاهر يعمل بعمل أهل الجنة وبالباطن يعمل بعمل أهل النار ، فمثل هذا عاقبته سيئة إلا إذا تجاوز الله عنه فيما سوى الشرك الأكبر .

٦٤٣ - * روى مسلم عن عامر بن واثلة رحمه الله أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعِظَ بغيره . فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له : حذيفة بن أسيد الغفاري ، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود ، فقال له : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتَعْجَبُ من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكًا

٦٤٢ - مسلم (٤ / ٢٠٤٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ

٦٤٣ - مسلم (٤ / ٢٠٢٧) الكتاب والباب السابقان .

فصوّرها ، وخلق سمعها ، وبصرها ، وجلدها ، ولحمها ، وعظامها ، ثم قال : يا رب ، أذكر ، أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يارب ، أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على [ما] أمر ولا ينقص .

وفي رواية (١) قال : دخلت على أبي سريحة ، حذيفة بن أسيد الغفاري فقال : سمعت رسول الله ﷺ بأذنيّ هاتين يقول : « إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتصوّر عليها الملك » . قال زهير أبو خيثمة : حسيتة قال : « الذي يخلقها - فيقول : يارب ، أذكر ، أم أنثى ؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى ، ثم يقول : يارب ، أسوي ، أو غير سوي ؟ ثم يقول : [يارب] ما رزقه ، ما أجله ، ما خلقه ؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً » .

وفي أخرى (٢) رفع الحديث إلى النبي ﷺ : « أن ملكاً موكلاً بالرحم ، إذا أراد الله عز وجل أن يخلق شيئاً ، يأذن الله ليضع وأربعين ليلة ... » ثم ذكر نحوه .

قال النووي حول هذه الأحاديث : (ثم يرسل الملك) ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يوماً ، وفي الرواية التي بعد هذه : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أم سعيد ؟ وفي الرواية الثالثة : إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها . وفي رواية حذيفة بن أسيد : إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك . وفي رواية : أن ملكاً موكلاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله ليضع وأربعين ليلة ، وذكر الحديث . وفي رواية أنس : أن الله قد وكل بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة . قال العلماء : طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة ، وأنه يقول : (يارب هذه علقة هذه مضغة) في

(١) مسلم (٤ / ٢٠٣٨) الكتاب والباب السابق .

(٢) مسلم : في الموضع السابق .

أوقاتها ، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى وهو أعلم سبحانه ، ولكلام الملك وتصرفه أوقات ؛ أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة ثم ينقلها علقة وهو أول الملك بأنّه ولد ...

... وأما قوله في إحدى الروايات : فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ثم يقول : يارب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، وذكر رزقه ...

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ، ووقع في رواية للبخاري : إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات : فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه . فقوله : ثم يبعث « بحرف ثم » يقتضي تأخير كُتِبَ الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة ، والأحاديث الباقية تقتضي الكتب بعد الأربعين الأولى . وجوابه أن قوله : (ثم يبعث إليه الملك فيؤذن فيكتب) معطوف على قوله : (يجمع في بطن أمه) ومتعلق به لا بما قبله وهو قوله : (ثم يكون مضغة مثله) ، ويكون قوله : (ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله) معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه ، وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب . قال القاضي وغيره : والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها وبالتصرف فيها بهذه الأفعال ، وإلا فقد صرح في الحديث بأنه موكل بالرحم ، وأنه يقول : يارب نطفة يارب علقة . قال القاضي : وقوله في حديث أنس : (وإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال يارب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ؟) لا يخالف ما قدمناه ، ولا يلزم منه أن يقول ذلك بعد المضغة ، بل ابتداء للكلام وإخبار عن حالة أخرى ، فأخبر أولاً بحال الملك مع النطفة ، ثم أخبر أن الله تعالى إذا أراد إظهار خلق النطفة علقة كان كذا وكذا . ا . هـ النووي .

وهناك اتجاهات أخرى لم يذكرها النووي .

أقول : مما مر معنا من كلام النووي ندرك أن هناك خلافاً في فهم النصوص حول الزمن

الذي يكون فيه التصوير الكامل لخلق الإنسان في رحم أمه ، وهي قضية أصبح بإمكان علم الأجنة الحالي أن يبت فيها ، فما بت فيه علم الأجنة في هذا الشأن - وهو لا يخرج عما ذكرته النصوص وفهمه العلماء من قبل - فإنه هو الذي يُرمج على غيره .

٦٤٤ - * روى البزار عن عائشة عن النبي ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يَخْلُقَ الخَلْقَ يبعثُ مَلَكًا ، فيدخُلُ الرَّحِمَ فيقول : ياربُّ ماذا ؟ فيقول : غلامٌ أو جارية أو ما أرادَ أن يَخْلُقَ في الرَّحِمِ . فيقول : يارب شقي أم سعيد ؟ فيقول يارب ما أجله ؟ ما خلائفه ؟ فيقول : كذا وكذا . فيقول : يارب ما رزقه ؟ فيقول : كذا وكذا . فيقول : يارب ما خلَّقه ؟ ما خلائفه ؟ فما من شيء إلا وهو يُخْلَقُ معه في الرَّحِمِ » .

٦٤٥ - * روى البزار عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « إن أول شيء خَلَقَهُ اللهُ القَلَمُ وأمرَهُ أن يُكْتَبَ كُلُّ شيءٍ » .

أقول : الأولية هنا أولية نسبية ، وإلا فقد مر معنا أن العرش والماء خلقا قبل ذلك ..

٦٤٦ - * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ : قال : « لما خلق الله القلم قال له : اكْتُبْ . فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة » .

٦٤٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ثم يَخْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النارِ ، وإنَّ الرجلَ ليعمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النارِ ثم يَخْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ » .

٦٤٤ - كشف الأستار (٣ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٦٤٥ - مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٦٤٦ - المعجم الكبير (١٢ / ٦٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠) . وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٦٤٧ - مسلم (٤ / ٢٠٤٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الأدمي ... إلخ .

٦٤٨ - * روى أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال لابنه عند الموت : يا بُنَيَّ إنك لن تجدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ ما أَصَابَكَ لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ ما خلقَ اللهُ القَلَمَ ، قال له : اكتب . قال : يارب ، وماذا أكتب ؟ قال : أكتبُ مقاديرَ كل شيء حتى تقوم الساعة » . يا بُنَيَّ ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

وفي رواية للترمذي ^(١) : قال عبد الواحد بن سَلَمٍ : قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عطاءَ بنَ أبي رباح ، فقلتُ له : يا أبا محمَّدٍ ، إنَّ بالبصرة قوماً يقولون : لا قدر . فقال : يا بُنَيَّ ، أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقال : فاقْرَأْ (الزخرف) فقرأتُ : ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وإنَّه في أم الكتاب ليدينا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿ ثم قال : أتدري ما أمُّ الكتاب ؟ قلت : لا . قال : فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يَخْلُقَ السموات والأرض ، فيه : إن فرعون من أهل النار ، فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ . قال عطاء : ولقد لقيتُ الوليدَ بنَ عَبَّادَةَ بنِ الصَّامِتِ ، صاحبَ رسولِ الله ﷺ فسألته : ما كانت وصيةُ أبيك لك عندَ الموت ؟ فقال لي : دعاني فقال لي : يا بُنَيَّ ، اتقِ الله ، واعلم أنك لن تتقيَ الله حتى تؤمنَ بالله ، وتؤمنَ بالقدر كلَّه خيرَه وشَرَّه ، وإن متَّ على غير هذا دخلتَ النار ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أولَ ما خلقَ اللهُ القَلَمَ ، فقال له : اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القَدَرَ . فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد » .

٦٤٩ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يديه كتابان ، فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا :

٦٤٨ - أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة ، باب في القدر .

(١) الترمذي (٤ / ٤٥٧) ٢٣ - كتاب القدر ١٧ - باب حدثنا قتيبة ... إلخ . وقال : غريب من هذا الوجه .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٣١٧) . وهو حديث صحيح .

٦٤٩ - الترمذي (٤ / ٤٤٩) ٣٣ - كتاب القدر ، ٨ - باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار . وقال :

حسن غريب صحيح .

مسند أحمد (٢ / ١٦٧) . والحديث إسناده حسن .

لا يارسول الله ، إلا أن تَخْبِرَنَا . فقال للذي في يده الينى : « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة ، وأسماؤ آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يَزَادُ فيهم ولا يَنْقُصُ منهم أبدًا » . ثم قال للذي في شماله : « هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ، وأسماؤ آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يَزَادُ فيهم ولا يَنْقُصُ منهم أبدًا » قال أصحابه : ففيم العملُ يا رسول الله إن كان أمرُ قد فُرِغَ منه ؟ فقال : « سَدَّدُوا وقاربوا ، فإن صاحبَ الجنةِ يُخْتَمُ له بعمل أهل الجنة وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ ، وإن صاحب النارِ يُخْتَمُ له بعمل أهل النار وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ » . ثم قال رسول الله ﷺ بيديه ، فنبذها ، ثم قال : « فَرَعَ رَبُّكُمْ من العباد ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير » .

٦٥٠ - * روى مسلم عن عثمان بن حصين رضي الله عنه قال : قال رجل : يارسول الله ، أَعْلِمَ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » . قال : ففيم يعمل العاملون ؟ قال : « كلُّ مَيْسَّرٍ لما خُلِقَ له » .

وفي رواية للبخاري (١) ، أَيْعَرَفَ أهل الجنة من النار ؟ قال : « نعم » . قال : فَلِمَ يعمل العاملون ؟ قال : « كلُّ يعمل لما خُلِقَ له » أو « لما يُسَّرَ له » .

ولمسلم (٢) من رواية أبي الأسود الدبلي ، قال : قال لي عثمان بن حصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قُضِيَ عليهم ومضى عليهم من قدرٍ قد سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت : بل شيء قُضِيَ عليهم ومضى عليهم . قال : أفلا يكون ظلمًا ؟ قال : فَفَزَعَتْ من ذلك فزعًا شديدًا ، وقلت : كلُّ شيء خُلِقَ الله ومملك يده ، فلا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون . فقال لي : يَرْحَمُكَ الله ، إني

= (سدودوا وقاربوا) السداد : الصواب في القول والعمل ، والمقاربة : التقصد فيها .

(أجمل على آخرهم) أجلت الحساب : إذا جمعتهم وكلت أفرادهم ، أي : جمعوا ، يعني أهل الجنة وأهل النار عن

آخرهم ، وعقدت جلتهم ، فلا يتطرق إليها زيادة ولا نقصان .

٦٥٠ - مسلم (٤ / ٢٠٤١) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ، باب في القدر .

(١) البخاري (١١ / ٤٩١) ٨٢ - كتاب القدر ، ٢ - باب جف القلم على علم الله .

لم أريدُ بما سألتُكَ إلا لأخزَرَ عَقْلَكَ ، وإن رجلين من مَرِيئَةَ أُنِيَا رسولِ الله ﷺ فقالا : يا رسولَ الله ، أَرَأَيْتَ ما يَعْمَلُ الناسُ اليومَ ، وَيَكْذَحونَ فيه ، أشيءَ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرٍ [قد] سَبَقَ ، أو فيا يستقبلون به مما أتاهم [به] نبئهم ، وثبتت الحِجَّةَ عليهم ؟ فقال : « لا ، بل شيءَ قُضِيَ عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ » [الشمس : ٧ ، ٨] .

٦٥١ - * روى الترمذي عن ابن عباس : كنتُ خَلَفَ النبي ﷺ فقال لي : « يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظِ الله يحفظُكَ ، احفظِ الله تجدُهُ تَجَاهَكَ ، إذا سألتَ فاسألِ الله ، وإذا استعنت فاستعنْ بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الأَقلامُ وجفت الصحفُ » .

٦٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جَنَازَةٍ في تَقْيِيعِ العَرَقِيدِ ، فأثانا رسولُ الله ﷺ ، فَقَعَدَ ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ ، فَكَسَسَ ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ، ثم قال : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعدُهُ من النار ، ومقعدُهُ من الجنة » . فقالوا : يا رسولَ الله أفلا تَتَكَلَّمُ على كتابنا ؟ فقال : « اعْمَلُوا ، فَكُلُّ مَيْسَرٍ لما خُلِقَ له ، أمّا مَنْ كان من أهلِ السعادة ، فسيصيرُ لعملِ أهلِ السعادة ، وأمّا مَنْ كان من أهلِ الشقاء ، فسيصيرُ لعملِ [أهلِ] الشقاء » ثم

= (لأخزَرَ عَقْلَكَ) : قال النووي : لأمتحن عَقْلَكَ وفهمك ومعرفتك .

٦٥١ - الترمذي (٤ / ٦٦٧) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٥٩ - باب حدثنا بشر إلخ وقال : حسن صحيح . وهو كما قال .

(خلف النبي) : خلف النبي على دابته .

(احفظِ الله) : بملازمة تقواه واجتناب نواهيهِ .

(تجده تجاهلك) : تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة .

(رفعت الأَقلامُ) : تَرَكْتَ الكِتَابَةَ بِهَا .

(جفت الصحفُ) : كناية عن تقدم كتابة المقادير والفرغ منها من أمد بعيد .

٦٥٢ - البخاري (١١ / ٤٩٤) ٨٢ - كتاب القدر ، ٤ - باب وكان أمر الله قدرًا مقدرًا

مسلم (٤ / ٢٠٢٩) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الأدمي إلخ .

قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَّتَهُ لِلْيُسْرَى ﴾ . [الليل : ٥ - ٧] .

وفي رواية الترمذي ^(١) قال : كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَيْعِ الْغُرَقِدِ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَعَدَ ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْضَرَةٌ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا ثُمَّ قَالَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ » - أو - [ما] مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِلَّا قَدْ كَتَبْتُ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً » . فقال رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمَكْتُ عَلَى كِتَابِنَا وَتَدَعِ الْعَمَلَ ؟ فَن كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، لِيَكُونَنَّ إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، لِيَكُونَنَّ إِلَى أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَلِ اعْمَلُوا ، فَكُلُّ مَيْسَرٍ ، فَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَّتَهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَّتَهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل : ٥ - ١٠] .

وفي أخرى للترمذي ^(٢) قال : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَنْكُتُ [فِي] الْأَرْضِ ، إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ عَلِمَ » - وفي رواية : « إِلَّا قَدْ كَتَبَ - مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ » . قالوا : أَفَلَا تَتَكَلَّمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : « لَا ، اْعْمَلُوا ، فَكُلُّ مَيْسَرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ » .

٦٥٣ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » . قال : « وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » .

(١) الترمذي : (٥ / ٤٤١ / ٤٨) - كتاب تفسير القرآن ، ٨١ - باب ومن سورة : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ . وقال : حسن صحيح .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٤٥ / ٣٣) - كتاب القدر ، ٢ - باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حسن صحيح .

(مِخْضَرَةٌ) كالسوط ونحوه مما يمسكه الإنسان بيده من عصي ونحوها .

(لِنَكْتَسَ) أي خفض رأسه وطأطأه إلى الأرض على هيئة للمموم .

٦٥٣ - مسلم (٤ / ٢٠٤٤ / ٤٦) - كتاب القدر ، ٢ - باب حجج آدم وموسى عليهما السلام .

وفي رواية الترمذي ^(١) : « قَدَّرَ اللهُ المَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » .

قال النووي : (كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء : المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره ، لا أصل التقدير ، فإن ذلك أزلّي لا أول له .

(وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض .

أقول : وقبل أن يخلق من الماء مجرات هذا الكون .

٦٥٤ - * روى الطبراني عن أسامة بن زيد : قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا جُعِلَتْ مِنْيَّةٌ عَبْدٍ بِأَرْضٍ إِلَّا جُعِلَ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ » .

٦٥٥ - * روى مسلم عن طاوس اليماني قال : أدركتُ ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ . قال : وسمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ شيءٍ بقدر حتى العجز والكيس » .

٦٥٦ - * روى أحمد عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فَرَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ : مِنْ أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَثَرِهِ وَمَضْجَعِهِ » وفي رواية : « وعمله » .

٦٥٧ - * روى الترمذي عن سعد رفعه : « من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له » .

(١) الترمذي (٤ / ٤٥٨) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٨ - باب حدثنا إبراهيم ... وقال : حسن صحيح غريب .
٦٥٤ - المعجم الكبير (١ / ١٧٨) .

جمع الزوائد (٧ / ١٩٦) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٦٥٥ - مسلم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ - كتاب القدر ، ٤ - باب كل شيء بقدر .

والموطأ (٢ / ٨٩٩) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب النهي عن القول بالقدر .
(الكيس) : العقل .

٦٥٦ - مسند أحمد (٥ / ١٩٧) .

وكشف الأستار (٣ / ٢٤) .

جمع الزوائد (٧ / ١٩٥) . وقال : رواه أحمد والبخاري في الكبير والأوسط ، وأحد إسناده أحد رجاله ثقات .

٦٥٧ - الترمذي (٤ / ٤٥٥) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٥ - باب ما جاء في الرضا بالقضاء .

٦٥٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلِّ خيرٍ ، احْرَصُ
على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني
فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعَل ، فإنَّ [لو] تفتحُ
عَمَلَ الشيطانِ . »

* * *

= قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد وليس بالقوي . وقال في الميزان : ضعفه . قال ابن حجر : وأورده أحمد باللفظ المذكور عن سعد وسنده حسن .
٦٥٨ - مسلم (٤ / ٢٠٥٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ٨ - باب في الأمر بالقوة وترك العجز ...

التلخيص

- القدر هو سرُّ الأسرار في العقيدة الإسلامية ، ولذلك فإن من المستحسن عرضه من خلال النصوص فذلك أقرب إلى الإيمان والفهم والتسليم ، وإنما كان سرُّ الأسرار لارتباطه بصفات الذات الإلهية وارتباطه بمقام العبودية وارتباطه بتقرير فكري الكسب والاختيار مع التسليم أن كل شيء فعلُ الله وارتباطه بعان كبيرة أخرى .

- القدرية المذمومة عند أهل السنة والجماعة قدريتان : أولى ؛ انقضت قبل انتهاء القرن الثاني الهجري وهي التي تنفي القدر وتقول : (إن الله لم يقدر الأمور أزلاً وإن الله يستأنف الأمر علماً حال وقوعه) وهؤلاء كفار قطعاً ، والقدرية الثانية ؛ هم المعتزلة الذين ينسبون أفعال العباد إلى قدراتهم وهؤلاء مبتدعة إذا لم يجتمع لهم مع البدعة مكفرٌ ، قال صاحب الخريدة :

ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعيٌ فلا تلتفتِ

هناك إيمان بالقضاء والقدر وتسليم لله فيها وأن كل ما قضاه وقدره ففيه الحكمة جل جلاله ، وهناك المقتضي والمقدر على الإنسان ، ومن هذا المعصية ، والواجب فيها : التوبة على أصحابها والإنكار من غيرهم . ومنه الطاعة ، والواجب فيها من أهلها : الشكر عليها . ومنه الابتلاءات فالواجب فيها : الصبر والرضا عن الله والتسليم له . ومنه الإنعام بصنوف النعم ، فواجب العبد فيها : الشكر .

الإيمان بالقضاء والقدر لا ينفي الاختيار ؛ ولذلك لا يجوز للعبد أن يحتج بالقدر قبل الوقوع توصلًا إليه ، كأن يقول : (قدر الله عليّ الزنا) وغرضه الوقوع فيه أو الاحتجاج به بعد الوقوع تخلصًا من الحد .

والإيمان بالقضاء والقدر جزء من التكليف ، والعبد مطالب بالإيمان بالقضاء والقدر ، ومطالب بالعمل ، وحال رسول الله ﷺ وأصحابه حجة في ذلك ، ومن ربط بين الإيمان والقدر والحول وترك العمل فقد ضلَّ وأضلَّ .

آثار الإيمان بالقضاء والقدر محمودة كلها ، فمن آثاره الشجاعة والجرأة والإقدام والصبر والتسليم والرضا من الله والتوكل وإنما يُؤتى الجاهل من قبل جهله .

الفصل الرابع
في:
الإيمان بالله الملكة
وفيه:
مقدمة ونصوص

المقدمة

الإيمان بالملائكة يأتي في ترتيب الأركان الستة كما وردت في الحديث الصحيح الركن الثاني ، وهذا يشعر بأهميته بالنسبة لأركان الإيمان عند الذين يرون أن الواو لا تقتضي مطلق الجمع ، وعند الذين يعتبرون التقديم مُشعرًا بالأهمية أو بالفضل .

* * *

وأركان الإيمان كلها فصلها القرآن تفصيلاً كاملاً حتى لا يبقى لبس في شأنها ، ومن هنا كان للتفصيل القرآني حول الملائكة ما يكفي ويشفي ، ومع ذلك فقد جاء في السنة كثير من التفصيلات عن الملائكة وبعض وظائفهم .

* * *

وإذا عرفنا أن كل ما خلقه الله عز وجل إنما خلقه ليتعرف المكلفون به على الله عز وجل ، فإنه من المناسب أن نعرف بعض الحكَم في خَلْقِهِ جل جلاله الملائكة .

وأول هذه الحكَم : أن يعرف الخلق مظاهر قدرته جلّ جلاله ، فالله قادر على أن يخلق : ما هو خير ولا يفعل إلا خيراً كالملائكة . وقادر على أن يخلق : ما هو شرٌ ولا يفعل إلا شراً كالشياطين . وقادر على أن يخلق : ما هو قابل لفعل الخير والشر كالإنسان ، وفي ذلك كله أنت تتعرف على الله عز وجل .

وثاني هذه الحكَم : أن يعرف المكلفون عظمة مُلْكِهِ ومُملَكْتِهِ ، وكثرة جنوده ، الذين من أعظمهم وأكثرهم الملائكة : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ (١) ، ﴿ والله جنود السموات والأرض ﴾ (٢) .

وثالث هذه الحكَم : أن يعرف المكلفون الله تعالى الترتيب والطاعة والنظام فيتطلعون للارتقاء والافتداء .

ورابع هذه الحكَم : أن يعرف المكلفون استغناء الخالق عن طاعتهم فإنه مهما عصى من

(٢) الفتح : ٤ .

(١) المدثر : ٢١ .

عصى فإن هناك من يطيع .

وخامس هذه الحكم : أن يعرف المكلفون رعاية الله عز وجل لأهل الإيمان ولأهل الأرض من خلال معرفتهم لوظائف بعض الملائكة .

وسادس هذه الحكم : أن يعرف المكلفون جلال الربوبية وعظمة الإلهية .

هذا بالإضافة إلى حِكَم كثيرة في السموات والأرض والدينا والآخرة والتكليف والمكلفين تعرفها من خلال النصوص .

ونصوص القرآن التي تحدثت عن الملائكة أو عن بعضهم كثيرة ، ونصوص السنة كذلك كثيرة تجدها في أبواب متعددة ؛ ففي سياق الطهارة والذكر والصلاة والدعاء وقراءة القرآن والجهاد والإنفاق والسفر والصور والبيوت والليل والنهار والفلك والملكوت والموت والجنائز ، وغير ذلك تجد كلاماً عن الملائكة ، ولذلك خص بعض المؤلفين هذا الركن من أركان الإيمان بالتأليف ، ولو أراد الإنسان أن يجمع نصوص الكتاب والسنة مع تعليقات وتحقيقات العلماء في شأن الملائكة لجمع الكثير الذي يحتاج إلى أكثر من مجلد ، وقد اعتمدنا في هذا الكتاب أن نضع في كل فصل من فصوله ما هو ألتصق بضمون الفصل دون استقصاء ، تاركين كثيراً من الأمور لسياقها في مواطن أخرى ومن قرأ هذه السلسلة كلها لا يفوته التكامل في الموضوعات وإن فاته الجمع تحت العنوان الواحد .

وفي هذا الفصل سننقل بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة ثم تتبع ذلك بذكر بعض النصوص من السنة .

* * *

(١)

بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة

١ - ذكر القرآن أنه مما ينبغي أن يؤمن به المؤمن الملائكة فقال تعالى :

﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾^(١).

ب - وقد نصّ القرآن على أنواع من الضلال وقعت به بعض الأمم أو بعض الناس في شأن الملائكة كوصف بعضهم الملائكة بأنهم إناث ، ووصف بعضهم الملائكة بأنهم بنات الله ، وتوجه بعضهم إلى الملائكة بالعبادة ، وكلها مكفرات وضلالات :

﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لِيُسَمُّوا الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم بذلك من علم ﴾^(٢).

﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهداتهم ويُسألون ﴾^(٣).

﴿ وجعلوا بينه وبين الجنةِ نسبة ﴾^(٤).

بأن زعم بعض المشركين بأن بعض الجن تزوج ببعض الملائكة وزعموا أن الملائكة بنات الله. ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم ﴾^(٥).

فهذه كلها كفريات وقع فيها أفراد أو أمم في شأن الملائكة وهناك من يقول أقوالاً أو يتصرف تصرفات تشي بهذه العقيدة . قال الشيخ وهي سليمان في كتابه « أركان الإيمان » :

(لذا قرر علماء التوحيد أن مَنْ نَسَبَ الملائكة إلى الأوثنة كَفَرَ ؛ لأنه كَذَبَ صريح القرآن ، ومن نسبهم إلى الذكورة فَسَقَ ؛ لأنه نسب إليهم ما لم يأت به عن الله تعالى

(٢) النجم : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) الصافات : ١٥٨ .

(١) النساء : ١٣٦ .

(٣) الزخرف : ١٩ .

(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١ .

ورسوا على شيء .

وعلى هذا يقال : مَنْ اعتقدَ في صور البنات والنساء الجميلات على أطرافها أجنحة - والتي تباع في الأسواق ويتبادل بها بعض المسلمين التهاني في الأفراح والعديد - أنها تشبه صورَ الملائكة كَفَرَ لظاهر نسبة الملائكة إلى الأنوثة .

ومن اعتقد في صوت المرأة أنه ملائكي ، أو في صورة الممرضة أنها صورة ملك الرحمة كفر كذلك ؛ لما ذكرنا (١) هـ .

جـ - وقد نص القرآن على معرفة الملائكة بالله عز وجل وطاعتهم وعبادتهم وخوفهم منه جل جلاله وأديهم الرفيع معه فقال الله تعالى :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ .^(١)

﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ .^(٢)

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .^(٣)

﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ .^(٤)

﴿ فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ .^(٥)

﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ .^(٦)

﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ .^(٧)

﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ .^(٨)

ومن هذه النصوص ندرك أن القصة التي سرت إلى بعضهم في شأن هاروت وماروت وأنها ملكان عصيا الله تعالى بعد أن ركَّب فيهما الشهوة قصة لا أصل لها ، وقد عرضنا لذلك

(٢) الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) الأنبياء : ٢٨ .

(٦) التحريم : ٦ .

(٨) النساء : ١٧٢ .

(١) آل عمران : ١٨ .

(٣) النحل : ٥٠ .

(٥) فصلت : ٢٨ .

(٧) الأنبياء : ١٦ ، ٢٠ .

في التفسير ، فإن كان لابد من فهم الآية على أنها في ملكين أنزلا من السماء إلى الأرض ، فإنها ملكان مكلفان مطيعان يعلمان الناس السحر ليفرقوا بينه وبين المعجزة ، كما تعلم خطأ من يظن أن السؤال الذي ذكره الله على لسانهم سؤال اعتراض في قوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (١) ؛ فسؤالهم كان سؤالاً عن الحكمة وليس اعتراضاً ، وحاشاهم .

د - وكأ أن البشر متفاضلون عند الله ، وأكرمهم عنده الرسل وهم عنده متفاضلون ، فكذلك الملائكة ؛ قال تعالى :

﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ (٢) .

﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (٣) .

ومظاهر هذه الرسالة كثيرة ؛ أولها الرسالة بالوحي : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٤) ، والرسالة بالبشرى أو بالإنذار : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (٥) ، ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (٦) ، ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ (٧) . ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئاً بهم وضاق بهم ذرعاً ﴾ (٨) . وهناك الرسالة بالمهات ومن ذلك قبض الأرواح : ﴿ توفته رسلنا ﴾ (٩) ، فأى ملك كلف مهمة في حق غيره فإنه رسول من الله إلى ذلك الغير .

هـ - وأهل الإيمان يجبون الملائكة جميعاً : ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على

(٢) الحج : ٧٥ .

(٤) الشعراء : ١٩٣ .

(٦) آل عمران : ٤٢ .

(٨) هود : ٧٧ .

(١) البقرة : ٣٠ .

(٣) فاطر : ١ .

(٥) آل عمران : ٣٩ .

(٧) آل عمران : ٤٥ .

(٩) الانعام : ٦١ .

قلبك ياذن الله مصدقًا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴿ (١) . ﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين ﴾ (٢) . الملائكة مخلوقات نورانية خلقت من نور لكن عندهم قابلية للتشكل بالصور الشريفة وقد ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها ﴾ [أي إلى مريم] ﴿ روحنا ﴾ [أي جبريل] ﴿ فتمثل لها بشرًا سويًّا ﴾ (٤) . ونصوص السنة كثيرة في موضوع تشكّل الملائكة بصورة البشر .

ز - وقد حدثنا القرآن عن بعض الملائكة وعن بعض وظائفهم :

١ - من ذلك حملة العرش ومن حوله :

فقال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٥) .

٢ - ومن ذلك جبريل وميكايل :

﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين ﴾ (٦) .
﴿ نزل به الروح الأمين ﴿ على قلبك ﴾ (٧) . ﴿ وأيدناه ﴾ [أي عيسى] ﴿ بروح القدس ﴾ (٨) [أي جبريل] .

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ (٩) . والمراد بالروح جبريل عليه السلام .

﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك

(٢) البقرة : ٩٨ .

(٤) مريم : ١٧ .

(٦) البقرة : ٩٨ .

(٨) البقرة : ٢٥٣ .

(١) البقرة : ٩٧ .

(٣) هود : ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) غافر : ٧ .

(٧) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٩) القدر : ٤ .

ظهير ﴿ (١) .

﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين ﴾ (٢) .

﴿ علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٣) .

٣ - ومن ذلك إسرافيل الذي ينفخ في الصور :

﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٤) فالنافخ إسرافيل عليه السلام .

٤ - ومن ذلك ملك الموت وأعوانه :

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ﴾ (٥) ، ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ (٦) ، ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٧) ، ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء ﴾ (٨) ، ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (٩) .

٥ - ومن ذلك زبانية جهنم وعلى رأسهم مالك :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ (١٠) .

(٢) التكوير : ١٩ - ٢١ .

(٤) الزمر : ٦٨ .

(٦) الأنعام : ٦١ .

(٨) النحل : ٢٨ .

(١٠) التحريم : ٦ .

(١) التحريم : ٤ .

(٣) النجم : ٥ - ٩ .

(٥) السجدة : ١١ .

(٧) الأنفال : ٥٠ .

(٩) الأنعام : ٩٣ .

- ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴿ (١) .
- ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ (٢) .
- ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل ﴿ (٣) .
- ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴿ (٤) .
- ٦ - ومن ذلك خزنة الجنة والقائمون على تدبير شؤونها والمطمئنون لأهل الإيمان في الآخرة :
- ﴿ لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ (٥) .
- ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿ (٦) ، ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴿ (٧) .
- ٧ - حملة العرش والحافون له يوم القيامة :
- ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴿ (٨) ، ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴿ (٩) .
- ٨ - ومن ذلك حفظة الإنسان :
- ﴿ له مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿ (١٠) .
- ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴿ (١١) ، ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴿ (١٢) .

(٢) الزخرف : ٧٧ .

(٤) غافر : ٤٩ .

(٦) الزمر : ٧٣ .

(٨) الحاقة : ١٧ .

(١٠) الرعد : ١١ .

(١٢) الطارق : ٤ .

(١) للدثر : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) الزمر : ٧١ .

(٥) الأنبياء : ١٠٣ .

(٧) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .

(٩) الزمر : ٧٥ .

(١١) الأنعام : ٦١ .

٩ - ومن ذلك رقيب وعتيد ، وهما وصفان للملكين اللذين يكتبان أعمال الناس :

﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (١) .

﴿ وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾ (٢) ، ﴿ أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ (٣) .

١٠ - ومن ذلك اللبشرون للمؤمنين عند الاحتضار :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (٤) .

١١ - ومن ذلك تثبيت المؤمنين :

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فقبّلوا الذين آمنوا نسألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ (٥) .

﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين ﴾ (٦) .

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ (٧) .

١٢ - ومن ذلك الذين يشفعون لبعض المؤمنين يوم القيامة :

﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ (٨) .

١٣ - ومن ذلك الدعاء والاستغفار للرسول وأهل الإيمان :

(٢) الانفطار : ١٠ - ١٢ .

(٤) فصلت : ٢٠ ، ٢١ .

(٦) آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٨) الأنبياء : ٢٨ .

(١) ق : ١٧ ، ١٨ .

(٣) الزخرف : ٨٠ .

(٥) الأنفال : ١٢ .

(٧) الأنفال : ٩ .

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ (١) .

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ (٢) .

﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (٣) .

﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ (٤) .

ولننتقل إلى ذكر بعض النصوص النبوية في شأن الملائكة وأعمالها وصفاتها وما إلى ذلك :

(٢) الأحزاب : ٤٣ .

(٤) الشورى : ٥ .

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) غافر : ٧ .

(٢)

بعض النصوص النبوية

٦٥٩ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيَ فِتْرَةً ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي قَدْ جَاءَنِي بِجِرَاءِ قَاعِدَةٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ : زَمَلُونِي زَمَلُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (١) إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ ﴾ (٢) . قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : وَالرُّجْزُ الْأَوْثَانُ .

٦٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ : كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ قَالَ : « كُلُّ ذَلِكَ ؛ يَأْتِينِي الْمَلَكُ أحيانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ، فَيَقْفِصُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ ، وَيَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ أحيانًا رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي ، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ . »

٦٦١ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنها قال : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقُظَانِ - وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأَتَيْتُ بِطِيسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَلَّانَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَشَقُّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مِرَاقِ الْبَطْنِ ، ثُمَّ غَسِلَ الْبَطْنَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ مَلَأَهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا . وَأَتَيْتُ بِدَابَّةٍ

٦٥٩ - البخاري (٨ / ٦٧٦) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب حدثني يحيى ... إلخ

(١) المدثر : ١ .

(٢) المدثر : ٥ .

(جِئْتُ مِنْهُ) : قَفِضْتُ وَخَفِضْتُ .

وقال الحريري : أراد : جيئت ، فجعل مكان الهمزة ثاء .

٦٦٠ - البخاري (١٨ / ١) ، ٤١ - كتاب بدء الوحي ، ٢ - باب حدثنا عبد الله بن يوسف .

مسلم (٤ / ١٨١٦) ، ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٢٣ - باب عرق النبي ﷺ في البرد ، وحين يأتيه الوحي .

٦٦١ - البخاري (٦ / ٣٠٢) ، ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٦ - باب ذكر الملائكة .

مسلم (١ / ١٤٩) ، ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإسراء برسول ﷺ إلى السموات ، وفرض الصلوات .

وأحمد (٤ / ٢٠٧) .

أبيضَ دُونَ البِغْلِ وَفَوْقَ الحِمارِ البَراقِ ، فانطَلقتُ مَعَ جبريلَ ، حتى أتينا السماءَ الدُّنيا ، قيلَ : من هذا ؟ قالَ : جبريلُ . قيلَ : من معك ؟ قالَ : محمدٌ . قيلَ : وقد أُرسلَ إليه ؟ قالَ : نعم . قيلَ : مَرحبًا بِهِ ؛ وَلِنِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتيتُ على أَدَمَ فسَلمتُ عليه فقالَ : مَرحبًا بِكَ مِن ابْنِ وَنبيِّ . فَأَتينا السماءَ الثانيةَ ، قيلَ : من هذا ؟ قالَ : جبريلُ . قيلَ : من معك ؟ قالَ : محمدٌ ﷺ . قيلَ : أُرسلَ إليه ؟ قالَ : نعم . قيلَ : مَرحبًا بِهِ وَلِنِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتيتُ على عيسىَ ويحيىَ ، فقالا : مَرحبًا بِكَ مِن أخِ وَنبيِّ . فَأَتينا السماءَ الثالثةَ . قيلَ : من هذا ؟ قيلَ : جبريلُ . قيلَ : من معك ؟ قالَ : محمدٌ . قيلَ : وقد أُرسلَ إليه ؟ قالَ : نعم . قيلَ : مَرحبًا بِهِ ، وَلِنِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتيتُ على يوسفَ فسَلمتُ ، فقالَ : مَرحبًا بِكَ مِن أخِ وَنبيِّ . فَأَتينا السماءَ الرابعةَ ، قيلَ : من هذا ؟ قالَ : جبريلُ . قيلَ : من معك ؟ قيلَ : محمدٌ ﷺ . قيلَ : وقد أُرسلَ إليه ؟ قالَ : نعم . قيلَ : مَرحبًا بِهِ ، وَلِنِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتيتُ على إدريسَ فسَلمتُ عليه فقالَ : مَرحبًا بِكَ مِن أخِ وَنبيِّ . فَأَتينا السماءَ الخامسةَ ، قيلَ : من هذا ؟ قيلَ : جبريلُ . قيلَ : ومن معك ؟ قيلَ : محمدٌ . قيلَ : وقد أُرسلَ إليه ؟ قالَ : نعم . قيلَ : مَرحبًا بِهِ وَلِنِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتينا على هارونَ ، فسَلمتُ عليه ، فقالَ : مَرحبًا بِكَ مِن أخِ وَنبيِّ . فَأَتينا على السماءَ السادسةَ ، قيلَ : من هذا ؟ قيلَ : جبريلُ . قيلَ : من معك ؟ قيلَ : محمدٌ ﷺ . قيلَ : وقد أُرسلَ إليه ؟ مَرحبًا بِهِ ، نِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتيتُ على موسىَ فسَلمتُ عليه فقالَ : مَرحبًا بِكَ مِن أخِ وَنبيِّ . فلما جاوَزتُ بكيَ ، فقيلَ : ما أبْكَاك ؟ قالَ : ياربُ ، هذا الغلامُ الَّذي بَعثتُ بعدي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِهِ أَفضلُ مما يَدْخُلُ مِن أُمَّتِي . فَأَتينا السماءَ السابعةَ ، قيلَ : من هذا ؟ قالَ : جبريلُ . قيلَ : من معك ؟ قيلَ : محمدٌ . قيلَ : وقد أُرسلَ إليه ؟ مَرحبًا بِهِ وَلِنِعْمَ المَجيءُ جاءَ . فَأَتيتُ على إبراهيمَ فسَلمتُ عليه فقالَ : مَرحبًا بِكَ مِن ابْنِ وَنبيِّ . فَرَفَعَ لي البَيْتَ المَعْمورَ ، فسَألتُ جبريلَ فقالَ : هذا البَيْتُ المَعْمورُ ، يُصلي فيه كلُّ يومٍ سَبْعونَ ألفَ مَلَكٍ ، إذا خَرَجوا لم يَعودوا إليه آخرَ ما عليهم . وَرَفَعَتُ لي سِدْرَةَ المُنْتَهى ، فإذا نَبَّهَها كأنه قِلالٌ هَجَرَ ، وَوَرَقُها

كانه آذانُ الفيول ، في أصلها أربعة أنهارٍ : نَهْرَانِ باطِنَانِ ونَهْرَانِ ظَاهِرَانِ . فسألتُ جبريلَ فقال : أما الباطنانِ ففي الجنة ، وأما الظاهرانِ النيلُ والفرات . ثمَّ فَرَضْتُ عليَّ خمسونَ صلاةً ، فأقبلتُ حتى جئتُ موسىَ فقال : ما صنَّعتَ ؟ قلتُ : فَرَضْتُ عليَّ خمسونَ صلاةً . قال : أنا أعلمُ بالناسِ منك ، عالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة ، وإنَّ أُمَّتَكَ لَأُتْطِيقُ ، فأرجِعْ إلى ربِّكَ فسئَلْهُ . فرجعتُ فسألتُهُ ، فجعلها أربعين ، ثمَّ مثلهُ ثمَّ ثلاثين ، ثمَّ مثلهُ فجعلَ عشرين ، ثمَّ مثلهُ فجعلَ عَشْرًا . فأتيتُ موسىَ فقال مثلهُ فجعلها خمسًا . فأتيتُ موسىَ فقال : ما صنَّعتَ ؟ قلتُ : جعلها خمسًا . فقال مثلهُ . قلتُ فسئَلْت . فنودي : إني قد أمضيتُ فريضتي . وخففتُ عن عبادي ، وأجزيتُ الحسنَةَ عَشْرًا .

أقول : حاول بعض العلماء أن يؤولوا هذا الحديث فأولوه تأويلات شتى ، والظاهر أن من أنهار الجنة الفرات والنيل ، فأهل الجنة يختار لهم من مُسَمَّياتِ ما عرفوا في الدنيا ما يزدادون به أنسًا . وهناك اتجاة إلى أن سيحان وجيحان والفرات والنيل التي ورد ذكرها مجتمعة في بعض النصوص قد شرفت بأن نسبت إلى الجنة في الدنيا إشارة إلى أنها ستكون من أنهار المسلمين في الدنيا فلها فضلها ، ويمكن أن يكون في المسألة جانب غيبي يقتضي منا التسليم ، فقد ذهب القاضي عياض إلى أن أصول سدرة المنتهى في الأرض بدليل أننا نشهد أن النيل والفرات ينبعان من الأرض ، وقد ذكرنا أن السموات السبع والجنة والنار مغيبية عنا . هذا ولم نذكر قول عياض مؤيدين له إنما ذكرناه كنموذج لاحتمال أن يكون في المسألة جانب غيبي يجب التسليم فيه دون البحث عنه . وقال القرطبي : (...) وقيل إنما أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهاً لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة . وعلى هذا فالنيل والفرات المذكوران في الحديث نهران موجودان في الجنة وهما غير الفرات والنيل الموجودين على الأرض ، وفي ذلك إيناس لأهل الجنة وتشريف للنيل والفرات الأرضيين) .

٦٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال :

=

« رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طويلاً جَعْدًا كأنه من رجال شنوءة - ورأيت عيسى رجلاً مَرَبوعًا ، مَرَبوعَ الخَلْقِ إلى الحَمرةِ والبياضِ ، سَبَطَ الرأسِ . ورأيتُ مالكاَ خازنَ النارِ ، والدَّجَالَ في آياتِ أَرَاهَنَ اللهُ إِيَّاهُ ، فلا تَكُنْ في مِرْيَةٍ من لقائه . » قال أنسٌ وأبو بكرة عن النبي ﷺ : « تحمَّسُ الملائكةُ المدينةَ من الدَّجَالِ . »

أقول : ويبدو أنهم كانوا متميزين بشيء ما في الجسد أو اللبس حتى أصبح يشبه بهم بعض الناس .

٦٦٣ - * روى مسلمٌ عن أبي هريرةَ ، قالَ : قال أبو جهلٍ : هل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قالَ : فقيلَ : نَعَمْ . فقالَ : واللَّاتِ والعزى ! لئن رأيتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَّانُ عَلَى رَقَبَتِي ، أو لأَعْفُرُنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرابِ . قالَ : فأنتي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي . زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِي . قالَ : فَمَا فَجَّهَهُ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ . قالَ : فقيلَ لَهُ : مالِكُ ؟ فقالَ : إنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نارٍ وَهُوَ لَأَجْنَحَةٌ .

فقال رسول الله ﷺ : « لَوْ دَنَا مِنِّي لاختَطَفْتُهُ الملائكةُ عَضُوا عَضُوا » .

٦٦٤ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمدًا يُصَلِّي عندَ الكعبةِ لأَطَّانُ عَلَى عُنُقِهِ . فبلغَ النبي ﷺ فقالَ : « لو فَعَلَهُ لَأَخَذْتُهُ الملائكةُ » . تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله عن عبد الكريم .

٦٦٥ - * روى البخاري عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثتُ أنها

= مسلم (١ / ١٥١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإبراء برسول الله ﷺ ... إلخ .

(شنوءة) : قبيلة معروفة ويقال : أزد شنوءة ؛ وهم حي من اليمن . وسُميت بذلك من قولك : رجل فيه شنوءة ؛ شنوءة أي : تقزز ، وقال الجوهري التقزز : التباعد من الأذناس .

٦٦٣ - مسلم (٤ / ٢١٥٤) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٦٠ - باب قوله : ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ .

٦٦٤ - البخاري (٨ / ٧٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٤ - باب : ﴿ كلا لنسفنن بالنامية ... ﴾ .

= ٦٦٥ - البخاري (٦ / ٢١٢) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة ... إلخ .

قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال : « لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم ، على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » . فقال النبي ﷺ : « بل ، أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » .

٦٦٦ - * روى البخاري عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال : « من أفضل المسلمين » . أو كلمة نحوها . قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

٦٦٧ - * روى مسلم عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان جالسًا كاشفًا عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخص عليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يا رسول الله ، استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك . فقال : « يا عائشة ، ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه » .

قال النووي : هذا الحديث مما يحتج به المالكية وغيرهم ممن يقول : (ليست الفخذ عورة) . ولا حجة فيه ؛ لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أم الفخذان ، فلا يلزم منه الجرم بجواز كشف الفخذ ، وفي هذا الحديث جواز تدلل العالم والفاضل بحضرة من يدل

= (الأخشبين) : جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر وجبلا ميف . ومنه الأخبث : الجبل العظيم الخشن .
 ٦٦٦ - البخاري (٧ / ١١٣) ٦٤ - كتاب المغازي ، ١١ - باب شهود الملائكة بدرًا .
 ٦٦٧ - مسلم (٤ / ١٨٦٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣ - باب من فضائل عثمان رضي الله عنه .
 وأحمد (٦ / ٦٢) .

عليه من فضلاء أصحابه ، واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب أو صاحب يستحى منه . ا.هـ .

٦٦٨ - * روى أحمد عن حَدِيفَةَ قَالَ : سألتني أُمِّي : منذ متى عهدك بالنبى ﷺ ؟ قال : فقلت لها : منذ كذا وكذا . قال : فنالت مني وسبّتني . قال : فقلت لها : دعيني فأبني آتِي النبي ﷺ فأصلي معه المغربِ ثم لا أدْعَة حتى يستغفر لي ولك . قال : فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب ، فصلى النبي ﷺ العشاء ثم انفتل ، فتبعته فعرض له عارض فواجه ثم ذهب فاتبعته فسمع صوتي فقال : « من هذا » ؟ فقلت : حديفة . قال : « مالك » ؟ فحدثته بالأمر ، فقال : « غفر الله لك ولأمك » . ثم قال : « أما رأيت العارضَ الذي عرض لي قبيلُ » . قال : قلت : بلى . قال : « ملك من الملائكة لم يهبط الأرضَ قبْلَ هذه الليلة فاستأذن ربه أن يسلم عليَّ ويبشرنى أن الحسنَ والحسينَ سيذا شبابِ أهلِ الجنةِ وأن فاطمةَ سيدةَ نساءِ أهلِ الجنةِ » رضي الله عنهم .

٦٦٩ - * روى أحمد عن وكيع أنه قال : حدثني عبدُ اللهِ بن سعيد عن أبيه ، عن عائشةَ أو أم سلمةَ ، قال وكيعٌ : شكّ هو - يعني عبدَ اللهِ بن سعيد - أن النبي ﷺ قال لإحداهما : « لقد دخل عليّ البيتُ ملكٌ لم يدخل عليّ قبلها فقال لي : إن ابنك هذا جسين مقتول ، وإن شئتَ أريتُكَ من تربةِ الأرضِ التي يُقتلُ بها » قال : « فأخرج تربة حمراء » .

٦٧٠ - * روى أحمدُ عن عائشةَ ، قالت : خرجتُ يومَ الخُندقِ أقفُو آثارِ الناسِ . قالت : فسمعتُ وئيدَ الأرضِ ورائي . [يعني مَسُّ الأرضِ] . قالت : فالتفتُ فإذا أنا بسعدِ بنِ معاذٍ ومعه ابنُ أخيه الحارثُ بن أوسٍ يحملُ مِجَنَّةً . قالت : فجلستُ إلى الأرضِ فرز سعدٌ وعليه دِرْعٌ من حديدٍ ، قد خرَجَتْ منها أطرافُه ، فأنا أتخوِّفُ على أطرافِ سعدٍ . قالت : وكان سعدٌ من أعظمِ الناسِ وأطولهم . قالت : فر وهو يرتجز ويقول :

٦٦٨ - أحمد (٢٩١ / ٥) وإسناده حسن .

٦٦٩ - أحمد (٢٩٤ / ٦) .

جمع الزوائد (١٨٧ / ٩) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٧٠ - أحمد (١٤١ / ٦) .

جمع الزوائد (١٣٦ / ٦) . وقال : في الصحيح بعض هذا الحديث عن عائشة متصل الإسناد .

لَبِثْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْمَيْحَا جَمَلُ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت : فقمتم فماقتحمت حديقةً فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه سبغة له [يعني مِغْفَرًا] فقال عمر : ما جاء بك ؟ لعمرى والله إنك لجرينة وما يؤمنك أن يكون بلاءً أو يكون تحوُّز . قالت : فما زال يلومني حتى تمتيتُ أن الأرض انشقتُ لي ساعتئذٍ فدخلت فيها . قالت : فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله ، فقال : يا عمر ! ويحك إنك قد أكثرت منذُ اليوم ، وأبين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل . قالت : ويرمي سعدنا رجل من المشركين يقال له ابنُ العرقة بسهم له ، فقال له ، (خذها وأنا ابن العرقة) فأصاب أكلحلةً فقطعه ، فدعا الله عز وجل سعدًا فقال : اللهم لا تمّتي حتى تقتر عيني من قريظة . قالت : وكانوا حلفاء ومواليته في الجاهلية . قالت : فرقوتُ كلمه وبعث الله عز وجل الرياح على المشركين ، فكفى الله عز وجل المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ، فلحق أبو سفيان ومن معه بهتامة ، ولحق عيينة بن بدرٍ ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصبيهم ، ورجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، فوضع السلاح وأمر بقبة من آدم فضربت على سعدٍ في المسجد . قالت : فجاء جبريلُ عليه السلام وإن على ثنابيه لتقع الغبار ، فقال : أقد وضعت السلاح ، والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، أخرجُ إلى بني قريظة فقاتلهم .

٦٧١ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة . ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم أت ما وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » . فما زال يهتف بربه ، ما ذا يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ،

= (سبغة) : السابغة الدرغ الواسعة .

(فرقاة) : رقا الدم من باب قطع ، أي : انقطع سيلان الدم من الجرح .

٦٧١ - مسلم (٢ / ١٢٨٢) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير ، ١٨ - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهُ [كَفَاكَ] مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُبِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ ﴾ ^(١) . فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ .

٦٧٢ * - روى البخاري عن جابر بن عبد الله يقول : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً . قال : فاضربوا له مثلاً . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدةً وبعث داعياً ؛ فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة . فقالوا : أولوها له يفقهها . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : فالدار الجنة والداعي عمداً ﷺ ، فن أطاع عمداً ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى عمداً ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس .

٦٧٣ * - روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : ذكر رسول الله ﷺ الشفاعة فقال : « إن الناس يُعْرَضُونَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكِلَالِيْبٌ يُخَطَفُ النَّاسُ ، وَيَجْنَبْتِيهِ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » .

٦٧٤ * - روى مسلم عن عبد الله ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا » .

(١) الأنفال : ١ .

٦٧٢ - البخاري (١٢ / ٢٤٩) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .
(محمد فرق بين الناس) : يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِتَصْدِيقِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْذِيبِ الْكَافِرِينَ لَهُ ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

٦٧٣ - أحمد (٢ / ٢٦) .

وهو في البخاري مطولاً عن أبي هريرة (١١ / ٤٤٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٢ - باب الصراط جسر جهنم .
وفي مسلم مطولاً عن أبي سعيد (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - معرفة طريق الرؤية .
٦٧٤ - مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها ، ١٢ - باب في شدة حر جهنم .
والترمذي (٤ / ٧٠١) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١ - باب ما جاء في صفة النار .

٦٧٥ - * روى أحمد عن عَقْبَةَ بْنِ صَهْبَانَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقَادِعُ بِهِمْ جَنَبَةُ الصَّرَاطِ تَقَادِعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ » قَالَ : « فَيَنْجِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ » . قَالَ : « ثُمَّ يُؤَدَّنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ يَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ » . وَزَادَ عِفَّانُ مَرَّةً فَقَالَ أَيْضًا : « وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ » .

٦٧٦ - * وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانَ » - وَهُوَ السَّحَابُ - « فَتَذَكُرُ الْأَمْرَ قَاضِيًا فِي السَّمَاءِ ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينَ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوجِّهِهِ إِلَى الْكُهَّانِ ، فَيَكْذِبُونَ مِنْهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » .

٦٧٧ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانَ » ، قَالَ عَلِيُّ وَقَالَ غَيْرُهُ : « صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ . فَيَأْذَا فَرْعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ... » .

٦٧٨ - * رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السُّسْلِيَّةِ عَلَى الصَّفَا ، فَيُصْعَقُونَ ،

٦٧٥ - أحمد (٤٣ / ٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار أيضًا ، ورجاله رجال الصحيح .
(تقادع ٣٣) : تميل .

٦٧٦ - البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٦٧٧ - البخاري (٨ / ٣٨٠) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب : ﴿ إِلا مَنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَأَتَمَّهُ شَهَابٌ مَبِينٌ ﴾ .
(فَرْعٌ عَنْ قُلُوبِهِمْ) : كُشِفَ عَنْهَا الْفَرْعُ .

٦٧٨ - أبو داود (٤ / ٢٣٥) كتاب السنة باب في القرآن .

والبخاري (١٣ / ٤٥٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٢ - باب قول الله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ .
وهو عنده موقوف على ابن عباس .
(متعلّقة) الصلصلة : صوت الأجرام الصلبة . بعضها على بعض .

فلا يَزَالُونَ كَذَلِكَ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جَبْرِيْلٌ ، فَإِذَا جَاءَ فَنَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : يَا جَبْرِيْلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : الْحَقُّ . فَيَقُولُونَ : الْحَقُّ الْحَقُّ .

٦٧٩ - * روى الترمذي عن ابن عباس ، أنه قال : لما نزلت آية الدُّنَيْنِ قال رسول الله ﷺ : « إن أولَ مَنْ حَجَدَ آدَمَ عليه السلام » أو « أولَ مَنْ حَجَدَ آدَمَ ، إن الله عز وجل لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو من ذراريِّ إلى يوم القيامة فجعل [أي : الله] يَعْرِضُ ذُرَيْتَهُ عليه فرأى فيهم رجلاً يَزُهرُ فقال : أي ربِّ ! من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : أي ربِّ كم عُمُرُهُ ؟ قال : ستون عامًا . قال : ربِّ زد في عمره . قال : لا ، إلا أن أزيدَه من عمرك . وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عامًا . فكتب الله عزوجل عليه بذلك كتابًا وأشهدَه عليه الملائكة فلما احتضِرَ آدَمُ وأتته الملائكة ، لَتَقْبِضَهُ قال : إنه قد بقي من عمري أربعون عامًا . فقيل : إنك قد وهبتها لابنك داودَ . قال : ما فعلتُ . وأبرز الله عز وجل عليه الكتابَ وشهدت عليه الملائكة » .

٦٨٠ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلِكٍ من ملائكةِ اللهِ من حَمَلَةَ العرشِ : أن ما بين شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ ، مَسِيرَةٌ سَبْعِينَ عَامًا » .

٦٨١ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلِكٍ من حملة العرشِ ، رجلاه في الأرضِ السفلى ، وعلى

٦٧٩ - الترمذي (٥ / ٢٦٧) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٨ - باب ومن سورة الأعراف .
وأحد (١ / ٢٥١) .

وللمستدرک (٢ / ٥٨٦) . وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .
(يزهر) الأزهر : النهر ، ورجلٌ أَزْهَرُ : أبيضٌ مشرقٌ .

٦٨٠ - أبو داود (٤ / ٢٣٢) كتاب السنة ، باب في الجهمية . وإسناده صحيح .

ومجمع الزوائد (١ / ٨٠) . وقال : رواه أبو داود خلا قوله « سبعين عامًا » ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح . ورواه الضياء في المختارة .

٦٨١ - مجمع الزوائد (١ / ٨٠) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وقال : (تفرد به عبد الله بن المنكدر) . قلت : هو وأبوه ضعيفان .

قرنه العرش ، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير شبعائة عام ، يقول ذلك الملك : سبحانك حيث كنت .

٦٨٢ - * روى أحمد عن صفوان بن عسال رضي الله عنه (رفعه) : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب » .

٦٨٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس قال : قال رسول الله : « صلى الله عليه وسلم لا تقرب الملائكة عيبراً فيها جرس ولا بيتاً فيه جرس » .

٦٨٤ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : وأعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في ساعة أن يأتيه ، فجاءت تلك الساعة ، ولم يأتيه . قالت : وكان بيديه عصا ، فطرحها من يده ، وهو يقول : « ما يخلف الله وعده ، ولا رسله » . ثم التفت ، فإذا جزؤ كلب تحت سرير ، فقال : « متى دخل هذا الكلب ؟ » فقلت : والله ما دريت به . فأمر به فأخرج ، فجاءه جبريل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعدتني فجلست لك ، ولم تأتني » ؟ فقال : متعتني الكلب الذي كان في بيتك ، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة .

٦٨٥ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل أن يأتيه ، فزات عليه ، حتى اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج ، فلقية جبريل ، فشكا إليه ، فقال : إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة .

٦٨٢ - أحمد (٤ / ٢٣٩) .

وأبو داود (٢ / ٢١٧) كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم .

٦٨٣ - جمع الزوائد (٥ / ١٧٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

وأحمد (٤ / ٢٣٩) .

وأبو داود (٢ / ٢١٧) كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم .

٦٨٤ - مسلم (٣ / ١١٦٤) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب محرم تصوير صورة الحيوان .

٦٨٥ - البخاري (١٠ / ٣٩١) ٧٧ - كتاب اللباس ، ٩٤ - باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة .

(فزات) زات عليه : إذا أبطأ .

٦٨٦ - * روى مسلم عن ميمونة - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصْبَحَ عِنْدَهَا يَوْمًا وَاجِمًا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مِنْذُ الْيَوْمِ . فَقَالَ : « إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي ، فَلَمْ يَلْقَنِي ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي » . فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، ثُمَّ أَخَذَ [بِيَدِهِ] مَاءً ، فَنَضَحَ مَكَانَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [لَهُ] : « كُنْتَ وَعَدْتَنِي الْبَارِحَةَ ؟ » قَالَ : أَجَلُ ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ . فَأَصْبَحَ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكَلَابِ يَوْمَئِذٍ ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ .

وللنسائي^(١) أيضًا في أُخْرَى قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ : إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكَلَابِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكَلْبِ الصَّغِيرِ .

٦٨٧ - * روى البخاري ومسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ أبا طلحة يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ تماثيلٌ » .

٦٨٨ - * روى أبو داود عن عمار رضي الله عنه قال : قدمت على أهلي ليلاً وقد تشققتُ يدي ، فضمخوني بالزعفران ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ ، فسلمتُ عليه فلم يرد علي ولم يرحب بي فقال : « اغسل هذا » . قال : فذهبتُ فغسلته ، ثم جئتُ وقد بقي علي منه

٦٨٦ - مسلم (١٦٦٤ / ٢) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

والنسائي (١٨٦ / ٧) ٤٢ - كتاب الصيد والذبائح ، ١١ - باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب .

(١) النسائي (١٨٤ / ٧) ٤٢ - كتاب الصيد والذبائح ، ٩ - باب الأمر بقتل الكلاب .

(واجمًا) الواجمُ : المطرقةُ المُفَكَّرُ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ . (فسطاط) (الفسطاط : بيت من شعر .

٦٨٧ - البخاري (٣١٢ / ٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذ قال أحدكم « أمين » والملائكة ... إلخ .

مسلم (١٦٦٥ / ٣) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

وأحمد (٢٨ / ٤) .

والترمذي (١١٤ / ٥) ٤٤ - كتاب الأدب ، ٤٤ - باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب .

٦٨٨ - أبو داود (٧٩ / ٤) ٧٩ - كتاب الترجل ، باب في الخلق للرجال .

وأحمد (٢٢ / ٤) .

شيءً فسلمتُ عليه ، فلم يرد عليّ ولم يرحب بي ، وقال : « اغسل هذا عنك » . فذهبت فغسلته ، ثم جئت فسلمت عليه فرد عليّ ورَحَّبَ بي وقال : « إن الملائكة لا تحضُر جنازةَ الكافرِ ولا المتصمخِ بزعفرانٍ ولا الجنَّبِ » ورخصُ للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .

٦٨٩ - * روى أبو داود عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلواته ، فإن كان أتم ، كتبت له تامّة ، وإن لم يكن أتم ، قال الله للملائكة : انظروا هل تجدون لعبي من تطوع فتكمّلون بها فريضته ؟ ثم الزكاة كذلك ، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » .

٦٩٠ - * روى أحمد عن عبد الله بن عامر الألهاني ، قال : دخل المسجد حابس بن سعيد الطائي من السحر - وقد أدرك النبي ﷺ - فرأى الناس يصلون في مقدم المسجد فقال : مراؤون ورب الكعبة ، أزعبهم فن أزعبهم فقد أطاع الله ورَسُوله . فأتاهم الناس فأخرجهم . قال : فقال : إن الملائكة يصلون من السحر في مقدم المسجد .

٦٩١ - * روى أبو داود عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : صَلَّى بِنَا أَوْ صَلَّى لِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَشَاهِدُ فَلَانَ ؟ » مَرَّتَيْنِ . قُلْنَا : نَعَمْ ، وَلَمْ يَشْهَدْ الصَّلَاةَ . ثُمَّ قَالَ : « أَشَاهِدُ فَلَانَ ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ ، وَلَمْ يَشْهَدْ الصَّلَاةَ . قَالَ : « إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ ، وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا فِيهِمَا مِنْ

٦٨٩ - أبو داود (٢٢٩ / ١) كتاب الصلاة - باب قول النبي ﷺ : « كل صلاة لا يقبها صاحبها ... » .
وأحمد (٢٢٠ / ٤) .

وابن ماجه (٤٥٨ / ١) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٢٠٢ - باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد .
والمستدرک (٢٦٢ / ١) .

٦٩٠ - أحمد (١٠٥ / ٤) .

مجمع الزوائد (١٦ / ٢) . وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه عبد الله بن عامر الألهاني ولم أجد من ذكره .

٦٩١ - أبو داود (١٥١ / ١) كتاب الصلاة ، باب في فضل صلاة الجماعة .

والنسائي (١٠٤ / ٢) ١٠ - كتاب الإمامة ، ٤٥ - باب الجماعة إذا كانوا اثنين .

وأحمد (١٤٠ / ٥) .

والمستدرک (٢٤٦ / ١) .

الرَّغَائِبِ لِأَتَيْتُمُوهَا ، وَلَوْ حَبْوًا ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ ،
وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لَا بُدْرُؤُومَهُ ، وَإِنَّ صَلَاتِكَ مَعَ رَجُلٍ أَرْكَى مِنْ صَلَاتِكَ
وَحَدِّكَ ، وَإِنَّ صَلَاتِكَ مَعَ رَجُلَيْنِ أَرْكَى مِنْ صَلَاتِكَ مَعَ رَجُلٍ ، وَمَا أَكْثَرَتْ فَهُوَ
أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ .

٦٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « الملائكة
يتعاقبون : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجمعون في صلاة الفجر وفي صلاة
العصر ، ثم يعرجُ إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم - فيقول : كيف تركتم
عبادي ؟ فقالوا : تركناهم يصلون ، وأتيناهم يصلون . »

٦٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« إذا قال الإمام : سمعَ اللهُ لمن حمده . فقالوا : اللهم ربنا لك الحمد . فإنه من
وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . »

٦٩٤ - * روى أحمد عن أبي عبد الرحمن قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول : قال
رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلت عليه الملائكة ،
وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه . وإن جلس ينتظر الصلاة صلت
عليه الملائكة ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه . »

٦٩٥ - * روى ابن ماجه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أن نوحاً وعبد الله بن عمرو

- ٦٩٢ - البخاري (٢ / ٢٣) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ١٦ - باب فضل صلاة العصر .
مسلم (١ / ٤٢٩) ٥ - كتاب المساجد ، ٢٧ - باب فضل صلاتي الصبح والعصر .
والنسائي (١ / ٢٤٠) ٥ - كتاب الصلاة ، ٢١ - باب فضل صلاة الجماعة .
والموطأ (١ / ١٧٠) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر ، ٢٤ - باب جامع الصلاة .
٦٩٣ - البخاري (٢ / ٢٨٢) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٢٥ - باب فضل « اللهم ربنا لك الحمد » .
مسلم (١ / ٣٠٦) ٤ - كتاب الصلاة ، ١٨ - باب التسميع والتحميد والتأمين .
والموطأ (١ / ٨٨) ٣ - كتاب الصلاة ، ١١ - باب ما جاء في التأمين خلف الإمام .
٦٩٤ - أحمد (١ / ١٤٤) .

جمع الزوائد (٢ / ٣٦) . وقال : رواه أحمد ، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، لكنه اختلط آخر عمره .
وروى البخاري نحوه عن أبي هريرة (١ / ٥٦٤) ٨ - كتاب الصلاة ، ٨٧ - باب الصلاة في مسجد السوق .
٦٩٥ - ابن ماجه (١ / ٢٦٢) ٤ - كتاب المساجد والجماعات ، ١٩ - باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة . وهو صحيح . =

اجتمعوا ، فقال نوف : فذكر الحديث ، فقال عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص : وأنا أحدثك عن النبي ﷺ ؛ قال : صلينا مع النبي ﷺ ذات ليلة فعقب من عقيب ، ورَجَعَ من رَجَع ، فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يثورَ الناسُ لصلاة العشاء ، فجاء وقد حَفَزَهُ النَّفْسُ رافعاً أصبعه هكذا ، وعقدَ تسعاً وعشرين وأشار بأصبعه السبابة إلى السماء وهو يقول : « أبشروا معشرَ المسلمين ، هذا ربُّكم عز وجل قد فتح باباً من أبواب السماء يُباهي بكم الملائكة ، يقول : ملائكتي ، انظروا إلى عبادي أدوا فريضةً وهم ينتظرون أخرى » .

٦٩٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة كان على كلِّ بابٍ من أبواب المسجد الملائكةُ يكتُوبون الأوَّلَ فالأول ، فإذا جلس الإمام طَوَّأوا الصحفَ وجاءوا يستمعون الذِّكْرَ » .

٦٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن سالم ، عن ابنِ عمر ، قال : كانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَمَتَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ : وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًا عَزَبًا ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ . فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُئْرِ . وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنِي الْبُئْرِ ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتَهُمْ . فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي : لَمْ تَرَ . فَقَصَّصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ ، فَقَصَّصْتُهَا حَفْصَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ ! لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » .

= وأحد (٢ / ١٨٦) .

(عَقَبَ) أَي : بَقِيَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى صَلَّى الصَّلَاةَ الْوَأخِرَةَ .

(حَفَزَهُ) : أَشْجَلَهُ .

٦٩٦ - البخاري (٦ / ٣٠٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٦ - باب ذكر الملائكة .

٦٩٧ - البخاري (١٢ / ٤١٩) ٩١ - كتاب التعبير ، ٣٦ - باب الأخذ على العين في النوم .

مسلم (٤ / ١٩٢٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣١ - باب فضائل عبد الله بن عمر .

وأحد (٢ / ١٤٦) .

قَالَ سَالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا .

٦٩٨ - * روى البخاري عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وقرسه مربوطاً عنده إذ جالتِ الفرسُ ، فسكتَ فسكنتُ ، فقرأ فجالتِ الفرسُ ، فسكتت وسكتت الفرسُ ، ثم قرأ فجالتِ الفرسُ ، فانصرف . وكان ابنةً يحبي قريباً منها فأشفق أن تُصيبه ، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له : « اقرأ يا ابنَ حُضَيْرٍ ، اقرأ يا ابنَ حُضَيْرٍ » قال : فأشفقتُ يارسولَ الله أن تطأ بحبي ، وكان منها قريباً ، فرفعتُ رأسي فانصرفتُ إليه ، فرفعتُ رأسي إلى السماء فإذا مثلُ الظلّةِ فيها أمثالُ المصاييحِ ، فخرجتُ حتى لا أراها . قال : « وتُدري ما ذاك ؟ » قال : لا . قال : « تلكَ الملائكةُ دنتُ لصوتك ، ولو قرأت لأصحتُ ينظُرُ الناسُ إليها ، لا تتواري منهم » .

٦٩٩ - * روى أحمد عن أنسٍ أو غيره أن رسولَ الله ﷺ استأذن على سعدِ بنِ عبادةَ ، فقال : « السلام عليكم ورحمةُ الله » فقال سعد : وعليك السلام ورحمةُ الله ، ولم يُسمعِ النبي ﷺ ، حتى سلم ثلاثاً وردّ عليه سعد ثلاثاً ، ولم يُسمعهُ فرجع النبي ﷺ واتبعه سعد فقال : يارسولَ الله بأبي أنت وأمي ما سلمتُ تسليمةً إلا هني بأذني ، ولقد رددتُ عليك ولم أسمعك ، أحببتُ أن أستكثرَ من سلامك ومن البركة ، ثم أدخله البيتَ فقربَ له زبيبتاً ، فأكل نبي الله ﷺ فلما قرعَ قال : « أكلَ طعامكم الأبرارَ وصلّتُ عليكم الملائكةُ وأفطرَ عندكم الصائمون » .

وفي رواية لأحمد وأبي داود (١) عن أنس بن مالك ، قال : كان النبي ﷺ إذا أفطر عند أهل بيت قال : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرارَ وتنزلتُ عليكم الملائكةُ » .

٦٩٨ - البخاري (٩ / ٦٣ / ٩٦) - كتاب فضائل القرآن ، ١٥ - باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

٦٩٩ - أحمد (٣ / ١٣٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٣٤) .

(١) أحمد (٣ / ٢٠١) .

أبو داود (٣ / ٣٦٧) كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام .

٧٠٠ - * روى مسلم عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال : أتيت الشام ، فدخلت على أبي الدرداء فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت : تريد الحج العام . قال : قلت : نعم . فقالت : فادع لنا بخير فإن النبي ﷺ كان يقول : « إن دعوة المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال : آمين ، ولك بمثل » .

٧٠١ - * روى مسلم عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ، قال : حدثتني أم الدرداء ، قالت : حدثتني سيدي ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من دعا لأخيه بظهر الغيب ، قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

٧٠٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « أن رجلاً زار أخاه له في قرية أخرى . فأرصد الله له على مدرجته ملكاً . فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا . غير أنني أحببته في الله عز وجل . قال : فإنني رسول الله إليك : بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

٧٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » .

٧٠٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن

٧٠٠ - مسلم (٤ / ٢٠٩٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٣ - باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب .

وأحمد (٥ / ١٩٥) .

٧٠١ - مسلم ، الموضع السابق .

٧٠٢ - مسلم (٤ / ١٩٨٨) ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ١٢ - باب في فضل الحب في الله .

(ترجمها) : أي تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك .

٧٠٣ - البخاري (٣ / ٣٠٤) ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٢٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ .

مسلم (٢ / ٧٠٠) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١٧ - باب في المنفق والممسك .

٧٠٤ - مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ١١ - فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ . وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .

٧٠٥ - * روى أحمد عن أبي المدللة مولى أم المؤمنين ، سمع أبا هريرة يقول : قلنا : يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا أهل الآخرة ، وإذا فارقتنا أعجبتنا الدنيا وثمنا النساء والأولاد قال : « لو تكونون » أو قال : « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذبون كي يغفر لهم » .

٧٠٦ - * روى الترمذي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ ابْتَغَى الْقَضَاءَ ، وَسَأَلَ فِيهِ شَفْعَاءَ ، وَكَلَّ إِلَى نَفْسِهِ . وَمَنْ أَكْرَهَ عَلَيْهِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ » .

٧٠٧ - * روى مالك عن سعيد بن المسيب ؛ أن عمراً بن الخطاب اختصم إليه مسلمٌ ويهوديٌ ، فرأى عمراً أن الحق لليهودي فقصى له ، فقال له اليهودي : والله لقد قضيت بالحق . فصرته عمراً بن الخطاب بالذرة ، ثم قال : وما يدريك ؟ فقال له اليهودي : إنا نجد أنه ليس قاض يقضي بالحق ، إلا كان عن يمينه ملكٌ وعن شماله ملكٌ ، يسدّدانه ويوفّقانه للحق - مادام مع الحق - فإذا ترك الحق عرجاً وتركاه .

٧٠٥ - أحمد (٢ / ٢٠٤) . وإسناده لا بأس به .

٧٠٦ - الترمذي (٢ / ٦١٤) ١٢ - كتاب الأحكام ، ١ - باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضى .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وهو أصح من حديث إسرائيل عن عبد الأعلى .

قال الحافظ في فتح الباري : وله طرق وقد ضعفه بعضهم .

٧٠٧ - الموطأ (٢ / ٧١٩) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ١ - باب الترغيب في القضاء بالحق .

٧٠٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما جلس قومٌ يذكرون الله ، إلا حَفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » .

٧٠٩ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا سمعت صياحَ الذئبةِ فاسألوا اللهَ من فضله ؛ فإنها رأتُ ملكًا ، وإذا سمعت نهيقَ الحمار فتعوذوا باللهِ مِنَ الشيطان ، فإنه رأى شيطانًا » .

٧١٠ - * روى مسلم عن أبي ذرٍّ أن رسولَ الله ﷺ سئل : أيُّ الكلامِ أفضلُ ؟ قال : « ما اصْطَفَى اللهُ لِملائكتهِ أو لِعِبادهِ : سَبَّحَانَ اللهُ وَبِحَمْدِهِ » .

٧١١ - * روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تُفْتَحُ أبوابُ الجنةِ في كلِّ اثنين وخميسٍ » - قال مَعْمَرٌ وقال غيرُ سهيل - « وتعرضُ الأعمالُ في كلِّ اثنين وخميسٍ فيغفرُ اللهُ عز وجل لكل عبد لا يُشْرِكُ به شيئًا إلا المتشاحنين ، يقول اللهُ للملائكة : ذروهما حتى يَصْطَلِحَا » .

٧١٢ - * روى مسلم عن ابن سيرين : سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قال أبو القاسمِ ﷺ : « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ الملائكةَ تَلْعَنُهُ ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمَّهُ » .

٧٠٨ - مسلم (٢٠٧٤ / ٤) - كتاب الذكر والدعاء ، ١١ - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .
وأحمد (٤٩ / ٣) .

والإحسان بترتيب ابن حبان (١٠٨ / ٢) .

٧٠٩ - البخاري (٣٥٠ / ٦) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٥ - باب خير مال المسلم غنم ... إلخ .

٧١٠ - مسلم (٢٠٩٣ / ٤) - ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٢ - باب فضل سبحان الله وبجمده .

٧١١ - مسلم (١٩٨٧ / ٤) - ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ١١ - باب النهي عن الشحناء .

وأحمد (٤٠٠ / ٢) .

والموطأ (١٠٨ / ٢) - ٤٧ - كتاب حسن الخلق ، ٤ - باب ما جاء في المهاجرة .

(المتشاحنين) المْتَمَدِّين . والمتشاحن : المُعادي .

٧١٢ - مسلم (٢٠٢٠ / ٤) - ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ٣٥ - باب النهي عن الإشارة بالسلاح .

والترمذي (٤٦٢ / ٤) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤ - باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح .

٧١٣ - * روى أبو داود عن أبي هريرة : أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالساً ، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم ، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله ، فعضب النبي ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت . قال : « إنه كان معك ملك يردّ عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان » .

٧١٤ - * زوى أبو داود عن عبد الله بن نافع ، قال : عاد أبو موسى الأشعري الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له علي رضي الله عنه : أعمداً جئت أم زائراً ؟ قال : لا ، بل جئت عائداً . قال علي رضي الله عنه : أما إنه ما من مسلم يعود مريضاً إلا خرج معه سبعون ألف ملك ، كلهم يستغفرون له إن كان مصعباً حتى يمسي ، وكان له خريف في الجنة ، وإن كان ممسياً خرج معه سبعون ألف ملك ، كلهم يستغفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة .

٧١٥ - * روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أرى مالا ترون ، وأسبع مالا تسمعون ، أطت السماء ، وحق لها أن تبط ، ما فيها

٧١٣ - أبو داود (٤ / ٢٧٤) كتاب الأدب ، باب في الانتصار .

وفيه محمد بن عجلان صدوق لكن اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . ورواه أبو داود مرسلأ أيضاً . وذكرها البخاري في تاريخه وقال : المرسل أصح .
وأحمد (٢ / ٤٣٦) .

٧١٤ - أبو داود (٢ / ٨٥) كتاب الجنائز ، باب في فضل العبادة على وضوء .

وأحمد (١ / ٨١) .

والمستدرک (١ / ٣٥٠) . وهو صحيح .

قوله (وكان له خريف في الجنة) : قال في النهاية : « الحارف جمع منخرف بالفتح وهو الحائط من النخل : أي أن العائد فيها يجوز من الثواب كأنه على نخل الجنة يخترق ثمارها . وقيل : الحارف جمع منخرفة ، وهي سكة بين صفتين من نخل يخترق من أيها شاء : أي يجتني . وقيل : المخرفة الطريق ، أي أنه على طريق تؤذيه إلى طريق الجنة » ١ هـ .

٧١٥ - الترمذي (٤ / ٥٥٦) ٢٧ - كتاب الزهد ، ٩٠ - باب في قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم ... » .

وابن ماجه (٢ / ١٤٠٢) ٢٧ - كتاب الزهد ، ١٩ - باب الحزن والبكاء .

وأحمد (٥ / ١٧٣) .

والمستدرک (٢ / ٥١٠) . وهو حديث حسن .

موضع أربع أصابع ، إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جِبْهَتَهُ لله تعالى ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لَضَحِكْتُمْ قليلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كثيراً ، وما تَلَذَّذْتُمْ بالنساء على الفَرْشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إلى الله .

٧١٦ - * روى الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : تَبَيَّنَا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرِقَاعِ إذ قال : « طَوَّبَى للشام » . قيل : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إن ملائكة الرحمن باسِطَةٌ أجنِحَتِهَا عليه » .

٧١٧ - * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ماتَ العبدُ قالَ اللهُ تعالى للملائكَةِ : قبضتم ولدَ عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرةَ فؤادهِ ؟ فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قالَ عبدي ؟ فيقولون : حميدكَ واسترَجَعَ ، فيقول اللهُ تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسَمُوهُ بيتَ الحمدِ » .

٧١٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تصلي الملائكة على نائحة ولا على مَرْنَةٍ » .

٧١٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

= (الصُّعَدَاتُ) : الطُّرُقُ ، وهي جمع ، وصُعْدٌ : جمع صَعِيدٍ . كطريقٍ وطُرُقٍ وطُرُقَاتٍ .

٧١٦ - الترمذي (٥ / ٧٣٤) - ٥٠ - كتاب المناقب ، ٧٥ - باب في فضل الشام واليهن .

وأحد (٥ / ١٨٥) .

والمستدرک (٢ / ٢٢٩) . وهو صحيح .

٧١٧ - الترمذي (٢ / ٣٤١) - ٨ - كتاب الجنائز ، ٣٦ - باب فضل المصيبة إذا احتسب .

وهو حديث حسن .

وأحد (٤ / ٤١٥) .

٧١٨ - أحمد (٢ / ٣٦٢) .

بمع الزوائد (٣ / ١٢) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه أبو مرانة ولم أجد من وثقه ولا جرحه ، وبقيّة رجاله

ثقات .

(المبرئة) المصوتة .

٧١٩ - البخاري (٦ / ٣١٤) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم « آمين » .

مسلم (٢ / ١٠٦٠) - ١٦ - كتاب النكاح ، ٢٠ - باب تحريم امتناعها من فراش زوجها .

« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

٧٢٠ - * روى أحمد عن عقبة بن عامر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس من عمل يوم إلا وهو يُختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة : ياربنا ، عبدك فلان قد حبسته . فيقول الرب عز وجل : اختيموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت » .

٧٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري : أن نبي الله ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمّل به مائة . ثم سأل عن أهل الأرض فدل على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت . فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب : فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين : فإلى أيتهما كان أدنى ، فهو له . فقاوسه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » .

= واحد (١٢٦ / ٢) .

٧٢٠ - أحمد (١٤٦ / ٤) .

والمعجم الكبير (٢٨٤ / ١٧) .

جمع الزوائد (٢٠٢ / ٢) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفيه ابن لمية ، وفيه كلام .

والمستدرک (٣٠٨ / ٤) .

٧٢١ - البخاري (٥١٢ / ٦) - كتاب الأنبياء ، ٥٤ - باب حدثنا أبو الهان .

مسلم (٢١١٨ / ٤) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٨ - باب قبول توبة القاتل .

٧٢٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ - وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ لِحَمْدِ ﷺ . فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيَقَالُ لَهُ : انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبَدْنَاكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا .

قال قتادة : وَذَكَرْنَا أَنَّهُ يُفْسَخَ لَهُ فِي قَبْرِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : « وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ . فَيَقَالُ : لَا ذَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ . وَيُضْرَبُ بِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً ، فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » .

٧٢٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ . فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أُغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا . فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا » .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : رَبِّ ، ذَاكَ عَبْدُكَ يَرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ) فَقَالَ : ارْقُبُوهُ . فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً . إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاي » .

٧٢٤ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

٧٢٢ - البخاري (٣ / ٢٢٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ما جاء في عذاب القبر .
 مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة .
 وأحمد (٢ / ١٢٦) .
 ٧٢٣ - مسلم (١ / ١١٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٩ - باب إذا هم العبد بحسنة .
 ٧٢٤ - البخاري (١٣ / ١٠١) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٧ - باب لا يدخل الدجال المدينة .

٧٢٥ - * روى البخاري عن أبي بكرَةَ عن النبي ﷺ قال : « لا يَدْخُلُ المَدِينَةَ رَعْبُ المَسِيحِ الدَّجَالِ ، وَلَهَا يَوْمئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانٌ » .

وبعد فإن ما مر معنا من النصوص كافٍ ليعرفنا على أن الملائكة مخلوقات نورانية متميزة ، فلا هم ذكور ولا هم إناث ولا هم خنائى . وهم مستغرقون في العبادة والطاعة ، ولهم وظائفهم المتعددة . ومن معرفة ما وصف به الملائكة ومن معرفة وظائفهم نعرف دقة الترتيب في المملكة الإلهية ، فزيادة على هذا الترتيب الكوني المدهش وعلى هذا النظام الكوني البديع ، فهناك عالم الملائكة ، وهو جزء قائم بشؤون كثيرة من أمر مملكة الله في الدنيا والآخرة ، ولعل ما مر معنا وسهر تفصيل لأشياء كثيرة نتعرف بها على الله ومملكته ومالكيته ، فلننتقل إلى فصل آخر من فصول الغيب لنرى عالمًا آخر مغيبًا عنا وهو عالم الجن والشياطين .

* * *

الفصل الخامس
في:
المجنّ والسّاطين
وفيه:
مقدمة ونصوص وتلخيص ونقول ووصلان

المقدمة

نعمد هذا الفصل ههنا لأن الجن والشياطين من أمر الغيب ، واخترنا أن نذكر هذا الفصل هنا ؛ لأن الشياطين وهم جزء من الجن على القول الراجح هم الجهة المقابلة للملائكة من بعض الحيشيات ؛ فالملائكة تفعل الخير وتأمر به وتثبت عليه ، والشياطين تفعل الشر وتأمر به وتثبت عليه .

ومن ملاحظات السيد عبد الرزاق نوفل : (فإن لفظ الملائكة قد تكرر في القرآن الكريم ٦٨ مرة وهو نفس العدد تمامًا الذي تكرر فيه لفظ الشيطان ، وأن عدد ما ورد في الآيات الشريفة من مختلف صور لفظ الملائكة كملك وملكا وملكني وملائكة هو ٨٨ مرة ، وهو نفس العدد تمامًا أيضاً الذي تكرر فيه مختلف صور لفظ الشيطان كالشياطين وشيطاناً وشياطينهم) ١. هـ . (الجن والملائكة لعبد الرزاق نوفل) .

والجن مكلفون كالإنسان ، وبالتالي فعندهم قدرة على إدراك الخطاب ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) ، ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ (٢) .

وقد ذكرت بعض كتب العقائد أن الجن يكلفون من لحظة الولادة ؛ لأنهم مؤهلون لإدراك الخطاب منذ اللحظة الأولى .

ومن آثارهم التي يستأنس بها على وجودهم الصرع الذي لم يزل موجوداً ، وتكلم الجن على لسان شخص يتلبس به ، وظهورهم لبعض الناس ومخاطبتهم إياهم بالوساوس التي يحسها الإنسان في قلبه كأثر منهم .

* * *

وعالم الجن فيه الكافر والمؤمن والفاسق ، قال تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً ﴾ (٣) : أي أدياناً مختلفة .

(٢) الأنعام : ١٣٠ .

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٣) الجن : ١١ .

﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾^(١) : أي الجائرون .

وهل الكافرون منهم هم الشياطين ، أو الشياطين جنس آخر ؟ فالجن مخلوقات هوائية والشياطين مخلوقات نارية : قولان للعلماء ، والراجح أن الشياطين هم كفرة الجن .

ولا خلاف أن رسول الله محمداً ﷺ أرسل إلى الإنس والجن ، وأنه بلغ الرسالة للإنس والجن ، وقد ذكر القرآن ذلك في أكثر من سورة ، ولكن هل كان الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام يرسلون إلى الإنس والجن حيث أرسلوا ، أو أنه قبل محمد عليه الصلاة والسلام كانت ترسل رسل من الجن ؟

قولان للعلماء في ذلك ؛ فابن عباس وآخرون يرون أنه لم يبعث الله رسولاً من الجن ؛ وقال الضحاك وابن حزم وآخرون : إنه قد ابتعث الله من الجن أنبياء ورسلاً ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾^(١) .

* * *

وقد ألف أكثر من كتاب في الجن وأحكامها ، منها القديم ومنها الحديث ، عدا ما قاله المفسرون وشرّح السنة بمناسبة ورود شيء من ذلك في سياقه ، عدا ما تذكره كتب العقائد في الحديث عنهم على اعتبار أن الجن جزء من عالم الغيب ، والإيمان بوجودهم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر منكرها ، ومن أفرد التأليف عن الجن قديماً : ابن القيم في كتابه : « لقط المرجان في أحكام الجنان » . والقاضي بدر الدين الشبلي الحنفي في كتابه : « آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجنان » . وقد حاول عبد الرزاق نوفل في كتابه عن « الجن والملائكة » أن يستأنس في بحثه ببعض معطيات عصرنا التي تشير إلى عالم الجن والشياطين ، فاستأنس بكلام بعض علماء النفس الذين تحدثوا عن الدوافع الخفية التي تدفع الإنسان إلى اتجاهات معينة ، وبكلام بعض علماء الطب بمناسبة العلاج الروحي والنفسى لبعض الأمراض ، وتكلم عن معطيات أخرى ، وربط الشيخ حسن أيوب بين ما

يجرى في عمليات تحضير الأرواح وعالم الجن .

وعلماء الإسلام سلفاً وخلفاً يذكرون حوادث يقينية كان للجن حضورهم فيها ، وهناك أعلام من العلماء تتلمذ عليهم أفراد من الجن ، ولاين عابدين - من فقهاء الحنفية - رسالة في تلمذة الجن على شيخه مولانا الشيخ خالد النقشبندي رحمه الله . وإنه لموضوع حَرِي أن يَتَّبِعَ وَتَتَّبِعَ أخباره في الشرق والغرب ، وفي الكتب القديمة والحديثة ، فذلك يدحض فرية افتراءات الماديين ويلقم الحجرَ للمشركين ، ويكفي المسلم أن يعرف النصوص الواردة في ذلك وأن يفهمها حق الفهم وأن يؤمن بها ، وهذا الكتاب مقصور على مثل هذا .

ونحن سنذكر بعض نصوص القرآن في الجن ، ثم نعقب ذلك بذكر بعض النصوص النبوية في هذا الشأن ، مع شرح ما لا بد من شرحه وبعض التعليقات المختصرة ، ثم نعقب ذلك بتلخيص إجمالي لهذا الموضوع ، ثم بنقل بعض أقوال العلماء .

* * *

(١)

بعض نصوص القرآن في الجن والشياطين

يقرر القرآن أن الجن خُلِقُوا من نار ، قال تعالى :

﴿ وخلق الجن من مارج من نار ﴾^(١) ، والمارج : هو اللهب الأزرق الخالي من الدخان .

﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾^(٢) ، ونار السموم : هي المرتفعة الحرارة التي تنفذ حرارتها إلى الأجسام .

ويقرر القرآن أن إبليس من الجن ، فالجن خلقت قبل أدينا آدم عليه السلام :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾^(٣) .

ويذكر القرآن قصة إبليس مع أدينا آدم وما ترتب على ذلك من إهباط كل من إبليس وأدم ، وحواء إلى الأرض ، والبواعث التي بعثت إبليس على هذا الموقف ، ومن ذلك : الكبر والحسد ، ويحذرنا الله عز وجل أن نستجيب لوسوسة إبليس وجنوده أو لاتباع خطواته ، ويعرفنا القرآن على مآتي الشيطان للإنسان وعلى أنواع إضلاله ، وذلك يستغرق حيناً كبيراً من القرآن الكريم ومن ذلك :

﴿ لا آتيتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾^(٤) .

﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنها لباسها ليثريها سوءاتها إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾^(٥) .

﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بغيلك وزجلك وشاركهم في

(٢) الحجر : ٢٧ .

(٤) الأعراف : ١٧ .

(١) الرحمن : ١٥ .

(٣) الكهف : ٥٠ .

(٥) الأعراف : ٢٧ .

الأموال والأولاد وعيذهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا ﴿^(١)﴾ .

﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فلبيبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فلبيغترون خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدم ويمنيهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا ﴿^(٢)﴾ .

وتقرر السنة النبوية أنه ما من إنسان إلا وله قرين من الشياطين ، ويذكر القرآن موضوع القرين في أكثر من مكان :

﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴿^(٣)﴾ .

﴿ والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴿^(٤)﴾ .

﴿ ومن يمشق عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴿^(٥)﴾ .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴿^(٦)﴾ ، أي محل أمنيته وهم أفراد أمته .

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴿^(٧)﴾ .

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴿^(٨)﴾ .

﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴿^(٩)﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴿^(١٠)﴾ .

(٢) النساء : ١١٦ .

(٤) النساء : ٢٨ .

(٦) الحج : ٥٢ .

(٨) الحج : ٢ .

(١٠) المائدة : ٩٠ .

(١) الإسراء : ٦٤ .

(٣) ق : ٢٧ .

(٥) الزخرف : ٣٦ .

(٧) الحشر : ١٦ .

(٩) الأنعام : ١٢١ .

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ (١) .

﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ (٢) .

﴿ من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ (٣) .

﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه ﴾ أي يخوفكم أوليائه ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ (٤) .

﴿ الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس ﴾ (٥) .

﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ (٦) .

﴿ الشيطان يعدم القبر ويأمركم بالفحشاء ﴾ (٧) .

﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ (٨) .

﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ (٩) .

﴿ وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (١٠) .

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (١١) .

ويقرر القرآن أن الشيطان يمكن أن يمسه الإنسان فيصيبه بالصرع :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (١٢) .

(٢) الإسراء : ٥٢ .

(٤) آل عمران : ١٧٥ .

(٦) النور : ٢١ .

(٨) العنكبوت : ٢٨ .

(١٠) الأنعام : ٦٨ .

(١٢) البقرة : ٢٧٥ .

(١) المائدة : ٩١ .

(٣) يوسف : ١٠٠ .

(٥) الناس : ٦ ، ٥ .

(٧) البقرة : ٢٦٨ .

(٩) الأنعام : ٤٣ .

(١١) المجادلة : ١٩ .

ويقرر القرآن أن للشيطان ذرية ، وهذا يقتضي أن عالم الشياطين فيه تزاوج وتناسل ؛
ففيه الذكر والأنثى :

﴿ أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ (١) .

﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ (٢) .

وعالم الشياطين جزء من عالم الجن على القول الراجح ، والجن كلهم مكلفون
ومحاسبون ومجزيون بالجنة أو بالنار :

﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ﴾ (٣) .

﴿ قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى
الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (٤) .

﴿ وأنا بنا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قِدَا ﴾ (٥) .

﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ (٦) .

﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا
فلما قضِيَ وَلُوا إلى قومهم منذرين ﴾ (٧) .

﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ (٨) ، أي الجائرون .

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٩) .

فالجن مكلفون ، ومحمد ﷺ قد أرسل إلى الإنس والجن بإجماع ، وهل أرسل قبل
محمد إلى الجن رسل منهم ، أو أنّ رسل الإنس رسل للجن في الوقت نفسه ؟ قولان
للعلماء : والراجح أنه لم يكن في الجن نبوة ولا رسالة وعلى كل الأحوال فالحجة قائمة عليهم :

(٢) الرحمن : ٥٦ .

(٤) الجن : ١ ، ٢ .

(٦) الجن : ١٢ .

(٨) الجن : ١٤ .

(١) الكهف : ٥٠ .

(٣) الأعراف : ٢٨ .

(٥) الجن : ١١ .

(٧) الأحقاف : ٢٩ .

(٩) الناريات : ٥٦ .

﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ (١) .

وللجن عامة قدرات :

﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ (٢) .

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (٣) .

وقال تعالى على لسان الجن :

﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ (٤) .

ومن قدراتهم ما ذكره القرآن الكريم بقوله :

﴿ قال يا أيها الملأ أيمكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتولي مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ (٥) .

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ (٦) .

﴿ ومن الشياطين من يفوضون له ويعملون عملاً دون ذلك ﴾ (٧) .

وينفي القرآن عن الجن معرفة الغيب :

﴿ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ (٨) .

* * *

(٢) النمل : ١٧ .

(٤) الجن : ٨ ، ٩ .

(٦) سبأ : ١٣ .

(٨) سبأ : ١٤ .

(١) الأنعام : ١٣٠ .

(٣) الرحمن : ٣٣ .

(٥) النمل : ٢٨ ، ٢٩ .

(٧) الأنبياء : ٨٢ .

(٢) النصوص النبوية

٧٢٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال استتبعني رسول الله ﷺ . قال : فأنطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فحط رسول الله ﷺ خطة فقال : « كُنْ بَيْنَ ظَهْرِي هَذِهِ لَا تَخْرُجْ مِنْهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ مِنْهَا هَلَكْتَ » . قَالَ : فَكَتَبْتُ فِيهَا . قَالَ : فَخَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدَقٌ أَوْ أُبْعَدَ شَيْئًا . أَوْ كَمَا قَالَ . ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ هُنَيْنًا كَأَنَّهُمْ الرُّطْبُ - قَالَ : أَوْ كَمَا قَالَ عَفَّانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ وَلَا أَرَى سَوَاتِيهِمْ ، طِوَالَ ، قَلِيلٌ لِحْمِهِمْ . قَالَ : فَأَتَوْا فَجَعَلُوا يَرْكَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ . قَالَ : وَجَعَلُوا يَأْتُونَ فَيَحْتَلِبُونَ حَوْلِي وَيَعْرَضُونَ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَأُرْعِيْتُ مِنْهُمْ رَغْبًا شَدِيدًا . قَالَ : فَجَلَسْتُ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَلَمَّا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ جَعَلُوا يَنْدُهِبُونَ - أَوْ كَمَا قَالَ - ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ثَقِيلًا وَجِعًا أَوْ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ وَجِعًا مِمَّا رَكِبُوهُ ، قَالَ : « إِنِّي أَجِدُنِي ثَقِيلًا » أَوْ كَمَا قَالَ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ هُنَيْنًا أَتَوْا عَلَيْهِمْ ثِيَابَ بِيضٍ طِوَالَ - أَوْ كَمَا قَالَ - وَقَدْ أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَأُرْعِيْتُ أَشَدَّ مِمَّا أُرْعِيْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . قَالَ عَارِمٌ فِي حَدِيثِهِ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَلُمَّ فَلْنَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا ، أَوْ كَمَا قَالُوا . قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اضْرِبُوا لَهُمْ مَثَلًا وَتَوَلَّى نَحْنُ أَوْ نَضْرِبْ نَحْنُ ، وَتَوَلَّى أَنْتُمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَثَلُهُ كَمَثَلِ سَيِّدِ بَنِي بِنِيَانَا حَصِينًا ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى النَّاسِ بَطْعَامٍ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَمَنْ لَمْ يَأْتِ طَعَامَهُ (أَوْ قَالَ لَمْ يَتَّبِعْهُ) عَذَبَ عَذَابًا شَدِيدًا (أَوْ كَمَا قَالَ الْآخَرُونَ) أَمَّا السَّيِّدُ فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَأَمَّا الْبُنْيَانُ فَهُوَ الْإِسْلَامُ ، وَالطَّعَامُ الْجَنَّةُ وَهُوَ الدَّاعِي ، فَمَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ - قَالَ عَارِمٌ فِي حَدِيثِهِ : أَوْ كَمَا قَالُوا - وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ عَذَبَ أَوْ كَمَا قَالَ . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا رَأَيْتَ يَا ابْنَ أُمَّ عَبْدِي ؟ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : « مَا

٧٢٦ - الترمذي (٥ / ١٤٥) ٤٥ - كتاب الأمثال ، ١ - باب ما جاء في مثل الله لعباده .

وروايته له مختصرة . وقال : حسن صحيح غريب .

ومسند أحمد (١ / ٣٩١) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٠) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمرو البكالي وذكره المعجمي في ثقات

التابعين وابن حبان وغيره في الصحابة .

خَفِيَّ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا قَالُوا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ » . أَوْ قَالَ : « هُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ » . أَوْ كَمَا شَاءَ اللَّهُ .

٧٢٧ - * روى مسلم عن علقمة رَجِمَةَ اللَّهِ ، قال : قلتُ لابنِ مسعودٍ : هل صحبَ النبي ﷺ ليلةَ الجِنِّ منكم أحدٌ ؟ قال : ما صحبه منَّا أحدٌ ، ولكنَّا كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ ففقدناه ، فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا : استطير ، أو اغتيل . فبتنا بشرَّ لَيْلَةٍ باتَ بها قومٌ ، فلما أصبحنا إذا هو جَاءَ مِن قِبَلِ حِرَاءٍ . قال : فقلنا : يا رسولَ الله ، فقدناك ، فطلبناك ، فلم نجدك ، فبتنا بشرَّ لَيْلَةٍ باتَ بها قومٌ . قال : « أتاني داعي الجِنِّ ، فذهبتُ معه ، فقرأتُ عليهم القرآن » . قال : فانطلقَ بنا ، فأرانا آثارهم ، وأثارَ نيرانهم وسألوه الزَّادَ ، فقال : « لكم كلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسمُ اللهِ عليه يَقَعُ في أيديكم أوفَرَ ما يكونُ لحمًا ، وكلُّ بَعْرَةٍ عُلِفَتْ لدوابِّكم » . فقال رسولُ الله ﷺ : « فلا تستنجوا بها ، فإنها طعامٌ إخوانكم » .

وفي رواية (١) بعد قوله : « وأثارَ نيرانهم » ، قال الشعبيُّ : وسألوه الزَّادَ ؟ وكانوا من جِنِّ الحزيرةِ - إلى آخر الحديث ، من قول الشعبيِّ مفضلًا من حديث عبد الله .
ورواه الترمذي (٢) ، وذكر فيه قول الشعبيِّ ، كما سبق في هذه الرواية الآخرة ، وزاد فيه : « أَوْ رُوِّتِ » .

٧٢٧ - مسلم (١ / ٣٢٢) ٤٠ - كتاب الصلاة ، ٣٢ - باب المجر بالقرءة في الصبح والقرءة على الجن .

(١) مسلم : للموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٨٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤٧ - باب ومن سورة الأحقاف . وقال : حسن صحيح .

قال النووي : قال الدارقطني : انتهى حديث ابن مسعود عند قوله : « فأرانا آثارهم ، وأثارَ نيرانهم » وما بعده قول الشعبيِّ ، كذا رواه أصحاب داود الراوي عن الشعبيِّ ، وابنِ عليَّة ، وابنِ زريع ، وابنِ أبي زائدة ، وابنِ إدريس وغيرهم . هكذا قاله الدارقطني وغيره . ومعنى قوله : إنه من كلام الشعبيِّ . أنه ليس مرويًا عن ابن مسعود بهذا الإسناد ، وإلا فالشعبي لا يقول هذا الكلام إلا بتوقيف عن النبي ﷺ .
(استطير) أي : طارت به الجن .

(المغتيل) : قتل سرًا ، والغيلة : بكسر الغين ، هي القتل خفية .

قوله : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه) : قال بعض العلماء : هذا للمؤمنينهم . وأما غيرهم : فجاء في حديث آخر « أن طعامهم : ما لم يذكر اسم الله عليه » .

وفي رواية لمسلم ^(١) أن ابن مسعود قال : لم أكن ليلة الجنّ مع رسول الله ﷺ ، ووَدِدْتُ أني كنتُ معه . لم يزد على هذا .

وروى أبو داود ^(٢) منه طرفًا ، قال : قلتُ لعبد الله بن مسعود : مَنْ كان منكم ليلة الجنّ مع النبيّ ﷺ ؟ فقال : ما كان معه منّا أحدٌ . لم يزد على هذا .

٧٢٨ - * روى الطبراني عن الزبير بن العوام قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال : « أَيُّكُمْ يَتَّبَعُنِي إِلَى وَقْدِ الْجِنِّ اللَّيْلَةَ ؟ » فأسكت القوم فلم يتكلم منهم أحدٌ ، قال ذلك ثلاثًا ، فر بي يمشي فأخذ بيدي ، فجعلت أمشي معه حتى خَنَسْتُ عِنا جبالَ المدينة كُلِّها ، وأفضينا إلى أرض بزار فيأذا رجالَ طوال كأنهم الرماح مُسْتَذْفِرِي ثيابهم من بين أَرْجُلِهِمْ ، فلما رأيتهم عَشَيْتُنِي رِعْدَةً شَدِيدَةً حتى ما تَمَسِكُنِي رِجلاي من الفَرْقِ ، فلما دنونا منهم خَطُّ لي رسول الله ﷺ بإيهاهم رجله في الأرض خطأً ، فقال لي : « اقْعُدْ في وسطه » . فلما جلست ذهب عني كلُّ شيء كنتُ أجدهُ من رَيْبَةٍ ، ومضى النبيّ ﷺ بيني وبينهم فتلا قرآنا ربيعًا حتى طلع الفجرُ ، ثم أقبل حتى مر بي فقال لي : « الحق » . فجعلت أمشي معه فُضِينا غير بعيد فقال لي : « التَّفِتْ فانظُرْ هل ترى حيث كان أولئك من أحد ؟ » . قلت : يارسول الله أرى سوادًا كثيرًا . فخَفَضَ رسولُ الله ﷺ رأسه إلى الأرض فَنَظَمَ عَظْمًا بروثة ثم رمى به إليهم ، ثم قال : « رَشَدٌ . أولئك مني ، وقد قوم هم وقد نصيبين سألوني الزادَ فجعلتُ لهم كل عَظْمٍ وروثة » . قال الزبيرُ : فلا يحل لأحد أن يستنجي بعظم ولا زوثة أبدًا .

(١) مسلم (١ / ٢٢٢) نفس الكتاب والباب السابقين .

(٢) أبو داود (١ / ٢٢) كتاب الطهارة ، باب الوضوء بالنبية .

٧٢٨ - المعجم الكبير (١ / ١٢٥) .

جمع الزوائد (١ / ٢٠٩) . وقال : إسناده حسن ، ليس فيه غير بقية وقد صرح بالتحديث .

(خنست) خنس عنه : تأخر ، وبابه دخل ونصر .

(تراز) البراز : الفضاء الواسع .

٧٢٩ - * روى مسلم عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ . وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصِفَ لَكُمْ » .

٧٣٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي ، يَقُولُ : يَا وَيْلَةَ (وفي رواية أبي كريب : يَا وَيْلِي) أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأَمَرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَيْتُتْ قَلْبِي النَّارُ » .

٧٣١ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانَ » وهو السحاب - « فتذكر الأمر قضي في السماء ، فستترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهَّان ، فيكذبون منها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

٧٣٢ - * روى البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ودة فكانت لكلب بدومة الجندل . وأما سواع فكانت لهذيل . وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني عطف بالجرف عند سبأ . وأما يعوق فكانت لهمدان . وأما نسر فكانت لحمير ، لآل ذي الكلاع . أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وتسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبُدْ ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ الْعُلَمُ عَبَدتْ .

٧٢٩ - مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٥٣ - كتاب الزهد والرفائق ، ١٠ - باب في أحاديث متفرقة .
وأحمد (٦ / ١٥٣) .

٧٣٠ - مسلم (١ / ٨٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٣٥ - باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة .
وأحمد (٢ / ٤٤٣) بلفظ مقارب .

وإبن ماجه (١ / ٣٣٤) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ٧٠ - باب سجود القرآن .

٧٣١ - البخاري (٦ / ٣٠٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٦٠ - باب ذكر الملائكة .

٧٣٢ - البخاري (٨ / ٦٦٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١٠ - باب : (وذا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق) .
(دومة) : بضم الدال ، اسم موضع .

قال في لسان العرب : ويسميه أهل الحديث دومة بالفتح وهو خطأ .

وقال ابن الأثير : وقد وردت في الحديث ، وتضم دالها وتفتح .

٧٣٣ - * روى مسلم عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه عقدة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

٧٣٤ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إنى لأظنن كذا إلا كان كما يظن. بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، علي الرجل. فدعي له، فقال له ذلك. فقال: ما رأيت كالיום استقبل به رجل مسلم. قال: فإني أعزيم عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيئك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق، جاءني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاستها، ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقيلاص وأحلاسها. قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند أهتيم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أنتع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا أنت. فوثب القوم. قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقمت

٧٣٣ - مسلم (١ / ١٤٧) ١ - كتاب الإيمان، ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .
وأحد (٣ / ١٤٩) .

٧٣٤ - البخاري (٧ / ١٧٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار، ٢٥ - باب إسلام عمر بن الخطاب .
(إبلاصها) : الإبلاس : التحير والدهش .

(ياسها) : كأن الجن يأست مما كانت تدركه من بعثة النبي ﷺ .

(إنكاسها) : انتقالها عن أمرها .

(القيلاص) : جمع القلوص وهي الناقة الشابة .

(أحلاسها) : المجلس : الكساء الذي يكون على ظهر البعير .

(جليح) : اسم رجل .

(نجيح) : النجيج : السريع ، أو هو الظفر المطلوب من النجاح .

فما نَشِينَا أَنْ قِيلَ : هَذَا نَبِيٌّ .

٧٣٥ - * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ » . قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « وَإِيَّاي . إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » .
غَيْرَ أَنْ فِي حَدِيثِ سَفِيَّانَ « وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ » .

٧٣٦ - * روى مسلم : قال عروة : إن عائشة ، زوج النبي ﷺ ، حَدَّثَتْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا . قَالَتْ : فَمَرَّتُ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ . فَقَالَ : « مَا لَكَ ؟ يَا عَائِشَةُ ! أُغْرِتِ ؟ » فَقُلْتُ : وَمَالِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ ﷺ : « أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ ؟ » قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : وَمَعَكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « نَعَمْ » . وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ » .

٧٣٧ - * روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خِيَاشِيمِهِ » .

٧٣٨ - * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ : ذَكَرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ . قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنَيْهِ » . أَوْ قَالَ : « فِي أُذُنِهِ » .

= (نَشِينَا) : أَي لَبِينَا .

٧٣٥ - مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ - باب تحريش الشيطان إلخ
وأحمد (١ / ٢٨٥) .

٧٣٦ - مسلم (٤ / ٢١٦٨) الموضوع السابق .

٧٣٧ - البخاري (٦ / ٣٣٩) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

مسلم (١ / ٢١٢) ٢ - كتاب الطهارة ، ٨ - باب الإيتار في الاستنثار والاستجار .

والنسائي : (١ / ٦٧) ١ - كتاب الطهارة ، ٧٣ - باب الأمر بالاستنثار عند الاستيقاظ من النوم .

٧٣٨ - مسلم (١ / ٥٢٧) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٨ - باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .

قال النووي :

(بال الشيطان في أذنيه) اختلفوا في معناه . فقال ابن قتيبة : معناه أفسده . وقال المهلب والطحاوي وآخرون : هو استعارة وإشارة إلى انقياده للشيطان وتحكه فيه ، وعقده على قافية رأسه : عليك ليل طويل . وإذلاله له ، وقيل : معناه استخف به واحتقره واستعمل عليه . يقال : لمن استخف بإنسان وخدعه : بال في أذنه . وأصل ذلك في دابة تفعل ذلك بالأسد ، إذلالا له . وقال الحرابي : معناه ظهر عليه وسخر منه . قال القاضي عياض : ولا يبعد أن يكون على ظاهره قال : وخص الأذن لأنها حاسة الانتباه . ١ . ه .

٧٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « التثاؤب من الشيطان ، فإذا تشاءب أحدكم فليردّه ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال : ها ضحك الشيطان » .

٧٤٠ - * روى مسلم عن سهيل بن أبي صالح ، قال : سمعت أبا لبيبي سعيد الخدري يحدث أبي عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تشاؤب أحدكم ، فليمسك بيده على فيه . فإن الشيطان يدخل » .

٧٤١ - * روى مسلم عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر . إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » .

٧٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

-
- ٧٣٩ - البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .
 مسلم (٤ / ٢٢٩٣) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، ٩ - باب تسميت العاطس وكراهة التثاؤب .
 ٧٤٠ - مسلم : للوضع السابق .
 ٧٤١ - مسلم (١ / ٥٣٩) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٩ - باب استحباب صلاة النافلة
 والترمذي (٥ / ١٥٧) ٤٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٢ - باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .
 وقال : حديث حسن صحيح .
 وأحمد (٢ / ٢٨٤) .
 ٧٤٢ - البخاري (٢ / ٨٤) ١٠ - كتاب الآذان ، ٤ - باب فضل التأذين .

« إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ ، فَإِذَا تَوَبَّ بِهَا أَذْبَرَ ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ فَيَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا . حَتَّى لَا يَدْرِي أَثَلَاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا ، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ ثَلَاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا سَجَدَ سَجْدَتِي السَّهْوِ » .

٧٤٣ - * روى البخاري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له : « إِنِّي أُرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ فَأَذْنَتِ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعِ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسًا وَلَا شَيْءًا إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ .

٧٤٤ - * روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَحَادُّوا بِالْأَعْنَاقِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصُّفُوفِ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ » .

٧٤٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَّضَ لِي فَشَدُّ عَلَيَّ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ ، فَأُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْهُ » .

٧٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إِنَّ عِفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنَّ تَقَلَّتْ الْبَارِحَةَ لَيَقْطَعَنَّ عَلَيَّ صَلَاتِي ، فَأُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَأَرَدْتُ أَنْ

= مسلم (١ / ٢٩١) ٤ - كتاب الصلاة ، ٨ - باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .

ومالك (١ / ٦٩) ٣ - كتاب الصلاة ، ١ - باب ما جاء في النداء للصلاة .

٧٤٣ - البخاري (٢ / ٨٧) ١٠ - كتاب الأذان ، ٥ - باب رفع الصوت بالنداء .

٧٤٤ - أبو داود (١ / ١٧٩) كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف .

والنسائي (٢ / ٩٢) ١٠ - كتاب الإمامة ، ٢٨ - باب حث الإمام على رص الصفوف والمقاربة بينها .

وأحمد (٣ / ٢٨٣) .

وابن حبان (٣ / ٢٩٨) كتاب الصلاة - باب فرض متابعة الإمام . وهو حديث صحيح .

(الحذف) : بفتح الحاء ، غم سود صفار من غم الحجاز .

٧٤٥ - البخاري (٣ / ٨٠) ٢١ - كتاب العمل في الصلاة ، ١٠ - ما يجوز من العمل في الصلاة .

٧٤٦ - البخاري (١ / ٥٥٤) ٨ - كتاب الصلاة ، ٧٥ - باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد .

أربطه على سارية من سَواري المسجدِ حتى تَنظروا إليه كلّم ، فذكرت دَعوةَ أخي سليمانَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي ﴾ فَرَدَّدْتُهُ خَاسِتًا .

٧٤٧ - * روى البزار عن جابر بن سَمرةَ أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطانَ عَرَضَ لِي فَجعلَ يُلقِي عَلَيَّ شَرَرَ النَّارِ فلولًا دَعوةَ أخي سليمانَ لِأَخَذْتُهُ .

(دَعوةَ سليمان) : قوله تعالى على لسانه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١) .

٧٤٨ - * روى الطبراني عن جابر عن النبي ﷺ قال : « دخلتُ البيتَ فإذا شيطانٌ خلفَ البابِ فَخَنَقْتُهُ حتى وجدتُ بَرْدَ لِسَانِهِ على يدي ، فلولًا دَعوةَ العبدِ الصالحِ لِأَصْبَحَ مَرْبُوطًا يراه النَّاسُ » .

٧٤٩ - * روى أحمد عن عياض قال : قلت لأبي سعيد الخدري : أحدنا يصلي فلا يدري كم صلى . فقال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلى أحدكم فلا يدري كم صلى فليسجد سجدتين وهو جالس ، وإذا جاء أحدكم الشيطان فقال : إنك قد أحدثت فليقل : كذبت . إلا ما وجدَ ريحَه بأنفِهِ أو سمع صوتَه بأذنيه » .

= مسلم (١ / ٢٨٤) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٨ - باب جواز لمن الشيطان .

وأحمد (٢ / ٢٩٨) .

(عفريت) : مَتَمَرَّةٌ من إنس أو جانٍ .

٧٤٧ - كشف الأستار : (٣ / ١٣١) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٩) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(١) ص : ٢٥ .

٧٤٨ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٩) .

٧٤٩ - أحمد (٣ / ٥١ ، ٥٢) .

وأبو داود (١ / ٢٧٠) كتاب الصلاة ، - باب من قال يتم على أكبر ظنه .

والترمذي (٢ / ٢٤٢) أبواب الصلاة ، ٢٦١ - باب ما جاء في الرجل يصلي فيشك ... إلخ .

وقال : حديث حسن .

٧٥٠ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : « إذا مرَّ بين أحدكم شيء وهو يصلي فليمنعه ، فإن أبي فليمنعه . فإن أبي فليقاتله ، فإنما هو شيطان » .

٧٥١ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : سألت النبي ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال : « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم » .

٧٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، يتلغ به النبي ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقدي إذا نام . بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً . فإذا استيقظ ، فذكر الله . انحلت عقدة ، وإذا توضأ ، انحلت عنه عقدة . فإذا صلى انحلت العقدة . فأصبح نشيطاً طيب النفس . وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

٧٥٣ - * روى مسلم عن عبد الله ، قال : لا يجعلن أحدكم للشيطان من نفسه جزءاً ،

٧٥٠ - البخاري (٦ / ٢٣٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٥١ - البخاري (٢ / ٢٣٤) ١٠ - كتاب الأذان ، ٩٣ - باب الالتفات في الصلاة .

وأبو داود (١ / ٢٣٩) كتاب الصلاة ، باب الالتفات في الصلاة .

والنسائي (٢ / ٨) ١٢ - كتاب السهو ، ١٠ - باب التشديد في الالتفات في الصلاة .

وأحمد (٦ / ١٠٦) .

٧٥٢ - البخاري (٢ / ٢٤) ١٩ - كتاب التهجد ، ١٢ - باب عقد الشيطان على قافية الرأس ...

مسلم (١ / ٥٢٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٨ - باب ما روي في نامة الليل أجمع حتى أصبح .

وأحمد (٢ / ٢٤٣) .

قال النووي :

(قافية رأس أحدكم) : القافية آخر الرأس . وقافية كل شيء آخره . ومنه قافية الشعر .

(عليك ليلاً طويلاً) : هكذا هو في معظم نسخ بلادنا ، بصحيح مسلم . وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين :

عليك ليلاً طويلاً ، بالنصب على الإغراء . ورواه بعضهم : عليك ليل طويل ، بالرفع . أي بقي عليك ليل

طويل . واختلف العلماء في هذه العقدة . فقيل : هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام . قال

الله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ . فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر . وقيل :

يتمثل أن يكون فعلاً يفعله كعمل النفاثات في العقد . وقيل : هو من عقد القلب وتصميه . فكأنه يوسوس في نفسه

ويحده بأن يكون عليك ليلاً طويلاً ، فتأخر عن القيام . وقيل : هو مجاز كثر به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل .

٧٥٣ - مسلم (١ / ٤٩٢) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٧ - باب جواز الانصراف من الصلاة ...

لا يرى إلا أن حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرَفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ . أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرَفُ عَنْ شِمَالِهِ .

٧٥٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل شهر رمضان فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَغَلَقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَسَلَّسَتْ الشَّيَاطِينَ » .

٧٥٥ - * روى الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغَلَقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٌ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ . وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ » .

٧٥٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ؛ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَخْتَوِي مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ - فَقَالَ : إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، ذَاكَ شَيْطَانٌ » .

٧٥٧ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ

قوله : (ينصرف عن شماله) أي : من الصلاة .

٧٥٤ - البخاري (١١٢ / ٤) ٣٠ - كتاب الصوم ، ٥ - باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ...
مسلم (٧٥٨ / ٢) ١٣ - كتاب الصيام ، ١ - باب فضل شهر رمضان .
وأحمد (٢٨١ / ٢) .

٧٥٥ - الترمذي (٦٦ / ٣) ٦ - كتاب الصوم ، ١ - باب ما جاء في فضل شهر رمضان .
وابن ماجه (٥٢٦ / ١) ٧ - كتاب الصيام ، ٢ - باب ما جاء في فضل شهر رمضان .
وابن حبان (١٨٢ / ٥) كتاب الصوم - باب فضل رمضان .

والمستدرک (٤٢١ / ١) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . وهو حديث حسن .

٧٥٦ - البخاري (٢٣٥ / ٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٥٧ - البخاري (٤٠٨ / ٦) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ١٠ - باب حدثنا موسى ...

والحسين ويقول : « إن أبائنا كان يُعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » .

٧٥٨ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ، فرزقا ولدا ، لم يضره الشيطان » .

٧٥٩ - * روى البخاري ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلقتك كذا ؟ من خلقتك كذا ؟ حتى يقول : من خلقتك ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » .

٧٦٠ - * روى مالك في الموطأ عن خالد بن الوليد ؛ قال لرسول الله ﷺ : إني أروغ في منامي . فقال له رسول الله ﷺ : « قل : أعوذ بكلمات الله التامة . من غضبه وعقابه وشر عباده . ومن همزات الشياطين . وأن يحضرون » .

٧٦١ - * روى مالك عن يحيى بن سعيد ؛ أنه قال : أشرى برسول الله ﷺ فرأى غيريتا من الجن ، يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رسول الله ﷺ رآه . فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن . إذا قلتهم طفيت شعلتة ، وخر ليفيه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلى » . فقال جبريل : فقل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله

٧٥٨ - البخاري (٦ / ٢٣٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

مسلم (٢ / ١٠٥٨) ١٦ - كتاب النكاح ، ١٨ - باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع .
وأحمد (١ / ٢١٧) .

٧٥٩ - البخاري (٦ / ٢٣٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٦٠ - الموطأ (٢ / ٩٥٠) ٥١ - كتاب الشعر ، ٤ - باب ما يؤمر به من التعوذ . وهو مرسل إلا أنه حسن بشواهد .
(أرؤغ) : أي يحصل لي روع ، أي فرغ .

(التامة) : أي الفاضلة التي لا يدخلها تقص .

(همزات الشياطين) : نزغاتهم بما يوسوسون به .

(وأن يحضرون) : أي أن يصيبوني بسوء ويكونوا معي في مكان ؛ لأنهم إما يحضرون بالسوء .

٧٦١ - الموطأ (٢ / ٩٥٠) ٥١ - كتاب الشعر ، ٤ - باب ما يؤمر به من التعوذ . مرسلأ .

وأحمد (٣ / ٤١٩) بمعناه . موصولاً بسند حسن .

التَّامَاتِ اللَّائِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرْ وَلَا فَاجِرٍ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ،
وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ .

٧٦٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : قال النبي ﷺ :
« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَخَافُهُ
فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ » .

٧٦٣ - * روى مسلم عن أبي قتادة ، عن رسول الله ﷺ : أَنَّهُ قَالَ : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ
مِنَ اللَّهِ . وَالرُّؤْيَا السُّوَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فِكْرَةً مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ
عَنْ يَسَارِهِ ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَا تَضُرُّهُ . وَلَا يَخْبِرُ بِهَا أَحَدًا . فَإِنْ
رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِّرْ . وَلَا يَخْبِرْ إِلَّا مَنْ يَحِبُّ » .

٧٦٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قَالَ « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ
تَكْذُرُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِيبٌ ، وَأَصْدَقَكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا . وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ
مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ . وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ : [فَالرُّؤْيَا] الصَّالِحَةُ بُشْرَى
مِنَ اللَّهِ . وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ . فَإِنْ رَأَى
أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ ، فَلْيَتَّقِمْ فَلْيَصِلْ ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ » .

٧٦٥ - * روى مسلم عن أبي سلمة قَالَ : إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي . قَالَ : فَلَقِيتُ
أَبَا قَتَادَةَ ، فَقَالَ : وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ . فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ
يَحِبُّ . وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَّقِمْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ
الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا . وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ » .

٧٦٢ - البخاري (١٢ / ٢٩٢) ٩١ - كتاب التعبير ، ١٤ - باب الحلم من الشيطان

٧٦٣ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٣ - وحدثنى أبو الطاهر ...

٧٦٤ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٦ - وحدثنى محمد ...

٧٦٥ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٤ - حدثنا أبو بكر ...

٧٦٦ - * روى البخاري في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ . إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر : ٥ ، ٦] . جمعة : سمر . قال مجاهد : الغرور الشيطان .

٧٦٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ . وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَحْرَصُ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ . وَلَا تَعْجِزُ . وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللَّهُ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ . فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ » .

٧٦٨ - * روى البخاري ومسلم عن صفية بنت حبيبي ، قالت : « كان رسول الله ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً فحدثتني ثم قت فانتقلبت ، فقام معي ليقلبني - وكان سكنها في دار أسامة بن زيد - فرز رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ : « عَلَى رِسْلِكَمَا ، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ » . فقالا : سبحان الله يارسول الله . قال : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيته أن يقذف في »

٧٦٦ - البخاري (١١ / ٢٤٩) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٨ - باب قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ .

٧٦٧ - مسلم (٤ / ٢٠٥٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ٨ - باب الأمر بالقوة وترك العجز ...

وأحمد (٢ / ٣٦٦) .

قال النووي :

(المؤمن القوي خير) : المراد بالقوة ، هنا ، عزيمه النفس والقريجه في أمور الآخرة . فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه . وأشد عزيمه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والصبر على الأذى في كل ذلك . واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ، ونحو ذلك .

(وفي كل خير) : معناه في كل من القوي والضعيف خير ، لاشتراكهما في الإيمان ، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات .

(احرص على ما ينفعك) : معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده ، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تمجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن الإعانة . ا . هـ النووي .

قوله (لئن الله) : يعظها بعضهم بتشديد الدال : قدر الله .

٧٦٨ - البخاري (١٢ / ١٥٨) ٩٢ - كتاب الأحكام ، ٢١ - الشهادة تكون عند الحاكم ...

مسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٩ - باب بيان أنه يستحب لمن رُئي خاليا ...

قلوبكما سوءاً» - أو قال - : « شيئاً » .

٧٦٩ - * روى مسلم عن جابر: أن رسول الله ﷺ رأى امرأة . فأتى امرأته زينب ، وهي تمسح منيئة لها . فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال : « إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله . فإن ذلك يرد ما في نفسه » .

٧٧٠ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ يُشير إلى المشرق فقال : « ها إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، من حيث يطع قرن الشيطان » .

٧٧١ - * روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرأ ، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، فإنها تطلع بين قرني شيطان » . أو « الشيطان » . لا أدري أي ذلك قال هشام [أحد الرواة] .

٧٧٢ - * روى البخاري عن عتبة بن عمرو أبي مسعود قال : أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال : « الإيمان يمان هاهنا ، ألا إن القسوة وغلظة القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومصر » .

٧٧٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ برجل قد شرب ، قال : « أضربوه » . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمنا الضارب بيده والضارب

٧٦٩ - مسلم (٢ / ١٠٢١) ١٦ - كتاب النكاح ، ٢ - باب نذب من رأى امرأة فوقعت في نفسه
(تمس منيئة) : تدني إهاباً ، وإهاب : الجلد . وأصل اللبس : اللعك والدلك .
وأحمد (٣ / ٢٣٠) .

٧٧٠ - البخاري (٩ / ٤٣٦) ٦٨ - كتاب الطلاق ، ٢٤ - باب الإشارة في الطلاق والأمور .

٧٧١ - البخاري (٦ / ٢٣٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٢ - البخاري (٦ / ٢٥٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٥ - باب خير مال السلم غم يتبع بها شفت الجبال .
(الفدادين) : أهل الوبر .

٧٧٣ - البخاري (١٢ / ٦٦) ٨٦ - كتاب الحدود ، ٤ - باب الضرب بالجريريد والنعال .

بنملة والضارب بثوبه . فلما انصرف قال : بعض القوم : أخزأك الله . قال : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » .

٧٧٤ - * روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال : « استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنّه ويستكثرنّه عالية أصواتهنّ ، فلما استأذن عمر قرن يتدّرّن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله . قال : « عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » . قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يعن . ثم قال : أي عدوات أنفسهن ، أتتهنني ولا تهنن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » .

٧٧٥ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أحد هزيم المشركون ، فصاح إبليس : أي عباد الله ، أخراكم ، فرجعت أولام فاجتلدت هي وأخراهم ، فنظر خذيفة فإذا هو بأبيه الهان ، فقال : أي عباد الله ، أي أبي . فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال خذيفة : عقر الله لكم . قال عروة : فإزالت في خذيفة منه بقية خير حتى لحق بالله » .

٧٧٦ - * روى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : « هذا سبيل الله » . ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سبيل » قال يزيد : « متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » . ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

٧٧٤ - البخاري (٦ / ٣٣٩) ، ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٥ - البخاري (٦ / ٣٣٨) ، ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٦ - أحمد (١ / ٤٦٥) .

والمستدرک (٢ / ٣١٨) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

جمع الزوائد (٧ / ٢٢) . وقال : رواه أحمد والبخاري ، وفيه عامم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف .

٧٧٧ - * روى النسائي عن محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « على ظهر كل بعير شيطانٌ فإذا ركبتموها فموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم » .

٧٧٨ - * روى أبو داود عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العيافة والطيرة والطرق من الجيت » .

٧٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : « لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح . فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » .

٧٨٠ - * روى أحمد عن عياض بن حمار ، قال : قلت : يا رسول الله رجل من قومي يشتمني وهو دوني ، عليّ بأس أن أنتصر منه ؟ قال : « المستببان شيطانان يتهاذبان ويتكاذبان » .

٧٨١ - * روى البخاري ومسلم عن هشام بن عامر أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليالٍ ، فإنها ناكبان عن الحق ما دام »

٧٧٧ - النسائي في اليوم والليلة . وهو صحيح .

وأحد (٤٩٤ / ٢) .

٧٧٨ - أبو داود (١٦ / ٤) كتاب الطب ، باب في الخط و زجر الطير . وهو حديث حسن .

وأحد (٤٧٧ / ٣) .

قال عوف : العيافة زجر الطير ، والطرق : الخط يخط في الأرض ، والجيت : قال الحسن : إنه الشيطان .

(العيافة) : زجر الطير والتناول بها ، كما كانت العرب تفعله ، غاف الطير يعيفه : إذا زجره .

(الطرق) : الضرب بالعصا ، وقيل : هو الخط في الرمل ، كما يفعله المنجم لاستخراج الضير ونحوه ، وقد جاء في

كتاب أبي داود : « أن الطرق : الزجر ، والعيافة : الخط » .

(الجبت) : كل ما عبد من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان .

٧٧٩ - البخاري (١٢ / ٢٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٧ - باب قول النبي ﷺ : « من حمل ... » .

مسلم (٤ / ٢٠٢٠) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٣٥ - باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ...

وأحد (٣١٧ / ٢) .

٧٨٠ - أحمد (٤ / ١٦٢) .

٧٨١ - البخاري (١٠ / ٤٩٢) ٧٨ - كتاب الأدب ، ٦٢ - باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ : « لا يحل لرجل ... » .

مسلم (٤ / ١٩٨٤) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٨ - باب تحريم المجرم فوق ثلاث بلا عذر شرعي .

على صرامِها ، وأولها فيئاً يكون سبقه بالفيء كفارة له ، وإن سَلِمَ فلم يقبل وردة عليه سلامه رَدَّتْ عليه الملائكةُ ، وَرَدَّ عَلَى الْآخِرِ الشَّيْطَانُ ، وإن ماتا على صرامِها لم يدخلوا الجنةَ جميعاً أبداً .

٧٨٢ - * روى البخاري عن سليمان بن صرَدٍ قال : « كنتُ جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يَسْتَبَّان ، فأحدهما احمرَّ وجهه وانفخعت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عنه ما يجد » . فقالوا له : إنَّ النبي ﷺ قال : « تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ » . فقال : وهل بي جنون ؟ »

أقول : إن الغضب يجر الإنسان من وضع سيئ إلى وضع أسوأ ، فهذا إنسان أحدث فيه الغضب ما أحدث ، ثم استجره الغضب لأن يرد كلام رسول الله ﷺ جهلاً منه ، لأنه ربط بين الاستعاذة والجنون ، والأمر ليس كذلك ، فالاستعاذة من الشيطان مطلوبة في أحوال منها : حالات الغضب ؛ لأن للشيطان دوره في الغضب من ناحية ، ولأنه بالغضب يستجر الشيطان الإنسان إلى مواقف لا تحمد عقباها ديناً ودنياً .

٧٨٣ - * روى مسلم عن عبيد بن عمير ، قال : قالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : غَرِيبٌ وَفِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ ، لِأَبِكَيْتِنَا بَكَاءٌ يَنْحَدُّ عَنْهُ ، فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الصُّعَيْدِ تُرِيدُ أَنْ تُسَعِدَنِي فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ » مرتين ، فَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبُكْ .

٧٨٤ - * روى مسلم عن جابر ، قال : قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ

وأحد (٤ / ٢٠) .

٧٨٢ - البخاري (١٠ / ٤٦٥) ٧٨ - كتاب الأدب . ٤٤ - باب ما ينهى عن السباب واللعن .

٧٨٣ - مسلم (٢ / ٦٣٥) ١١ - كتاب الجنائز ، ٦ - باب البكاء على الميت .

(إن سعدني) : أي تساعدها على النياحة .

٧٨٤ - مسلم (٤ / ١٦٠٦) ١٨ - كتاب الأثرية ، ١٨ - باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ...

قال اللغوي :

(لا تدرين في أيه البركة) : معناه ، والله أعلم ، أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة . ولا يدري أن تلك

أَحَدَكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا ، فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعَهَا لِلشَّيْطَانِ .
وَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ
الْبَرَكَةُ .»

٧٨٥ - * روى مسلم عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : لا تكوننَّ إن استطعت ، أوَّلَ
مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا . فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ ، وَبِهَا يُنْصَبُ رَأْيَتَهُ .

٧٨٦ - * روى مسلم عن جابر ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ
عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ . فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنزِلَةً أَكْبَرَهُمْ فِتْنَةً . يَجِيءُ أَحَدَهُمْ
فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا . قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ
فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتَهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ » قَالَ : « فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ :
نَعَمْ أَنْتَ . »

٧٨٧ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليمان ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إنا كنا بشرَّ فَجَاءَ
اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فَتَحَنَّنَ فِيهِ . فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : هَلْ وَرَاءَ
ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .
قُلْتُ : كَيْفَ ؟ قَالَ : « يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايِي ، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي .
وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثَانِ إِنْسٍ » . قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ

البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه ، أو فيما بقي في أسفل القصعة ، أو في اللقمة الساقطة . فينبغي أن يحافظ
على هذا كله لتحصل البركة . وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به . والمراد هنا ، والله أعلم ، ما يحصل
به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ، ويقوي على طاعة الله تعالى ، وغير ذلك .

(فليمط) : معناه يزيل ويُحَمِي . قال الجوهري : حكى أبو عبيد : ماطه وأماطه نحاه ، وقال الأصمعي :
أماطه ، لا غير . ومنه : إماطة الأذى . ومطت أنا عنه ، أي تنحيت .

(أذى) : المراد بالأذى ، هنا المستقذر من غبار وتراب وقدى ونحو ذلك .

(بالمنديل) : معروف . قال ابن فارس في الجمل : لعله مأخوذ من الندل وهو النقل . قال أهل اللغة : يقال :

تندلت بالمنديل . قال الجوهري : ويقال أيضاً : تندلت . قال : وأنكر الكسائي تندلت ا . هـ .

٧٨٥ - مسلم (٤ / ١٩٠٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ١٦ - باب من فضائل أم سلمة ...

٧٨٦ - مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ - باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه

٧٨٧ - مسلم (٢ / ١٤٧٦) ٣٢ - كتاب الإمارة ، ١٢ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين

أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تَسْمَعُ وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ . وَإِنْ ضَرِبَ ظَهْرُكَ . وَأَخَذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ » .

٧٨٨ - * روى البخاري عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة ، قال قدمت الشام ، قالوا : أبو الدرداء ، قال : أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ وقال : الذي أجاره الله على لسان نبيه ﷺ ، يعني عمارة .

٧٨٩ - * روى مسلم عن المقداد . قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي ، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ . فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا ، فَآتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ . فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَغْنَزَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا » . قَالَ : فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيُشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ ، وَتَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ . قَالَ : فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْلَمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا . وَيَسْمَعُ الْيَقْظَانَ . قَالَ : ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيَصَلِّي ، ثُمَّ يَأْتِي شِرَابَهُ فَيُشْرَبُ . فَآتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي ، فَقَالَ : مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ ، وَيُضَيِّبُ عِنْدَهُمْ ، مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ . فَآتَيْتَهَا فَشَرِبْتُهَا . فَلَمَّا أَنْ وَعَلْتُ فِي بَطْنِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ . قَالَ : نَدَمْتَنِي الشَّيْطَانُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! مَا صَنَعْتَ ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ ؟ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَذْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ ، فَتَذْهَبُ ذُنُوبُكَ وَأَخْرَتُكَ . وَعَلَيَّ شِمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتَهَا عَلَى قَدَمِي خَرَجَ رَأْسِي ، وَإِذَا وَضَعْتَهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ . وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَضْعَا مَا صَنَعْتُ . قَالَ : فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى . ثُمَّ أَتَى شِرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، فَزَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى

٧٨٨ - البخاري (٧ / ٩٠) ٦٢ - فضائل الصحابة ، ٢٠ - مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما .
(قالوا : أبو الدرداء) أي أنه سأل من هذا ، فقالوا : فلان . كما وضحت رواية أخرى ، وسأل أبو الدرداء علقمة من أين ؟ فقال : من الكوفة . فقال له : أفيكم

٧٨٩ - مسلم (٣ / ١٦٢٥) ٣٦ - كتاب الأثرية ، ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

(الجهد) : بفتح الجيم ، هو الجوع والمشقة .

(فليس أحد منهم يقبلنا) : هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به .

(ما به حاجة إلى هذه الجرعة) : هي بضم الجيم وفتحها ، حكاها ابن السكيت وغيره . والفعل منه جرعت .

(وعلت في بطني) : أي دخلت وتمكنت منه .

السَّمَاءِ . فَقُلْتُ : الْآنَ يَدْعُو عَلِيَّ فَأَهْلِكَ . فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي . وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي » . قَالَ : فَعَمَدْتُ إِلَى الشُّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ . وَأَخَذْتُ الشُّفْرَةَ فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ ، وَإِذَا هُنَّ حَفْلٌ كُلُّهُنَّ . فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لَأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَخْتَلِبُوا فِيهِ . قَالَ : فَجَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَشْرَبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَشْرَبْتُ . فَشَرِبَ . ثُمَّ نَآوَلَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَشْرَبْتُ . فَشَرِبَ . ثُمَّ نَآوَلَنِي . فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَى ، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ، ضَحِكْتُ حَتَّى أَلْقَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ . قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِحْدَى سَوَاتِكِ يَا مِقْدَادُ » . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ . أَفَلَا كُنْتَ أَذْنَتَنِي ، فَتَوَقَّظَ صَاحِبَيْنَا فَيَصِيبَانِ مِنْهَا » . قَالَ : فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! مَا أَبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتَهَا مَعَكَ ، مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ .

٧٩٠ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَرَ أَنْ يَتَعَبَّدَهُ الْمُصَلُّونَ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ » .

٧٩١ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ » .

٧٩٢ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْجَدِيثِ مِنَ الْكُذْبِ ، فَيَتَفَرَّقُونَ ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ

٧٩٠ - مسلم (٤ / ٢١٦٦) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ - باب تحريش الشيطان
وأحد (٣ / ٢٥٤) .

وزاد مسلم : « فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » .

(وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) : التَّحْرِيشُ : الْإِغْرَاءُ بَيْنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، أَيْ : وَلَكِنَّهُ يَسْمَى فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ بِالْخُصُومَاتِ وَالشُّحْنَاءِ وَالْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ وَغَيْرِهَا .

٧٩١ - البخاري (١٣ / ١٥٨) ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٢١ - باب الشهادة تكون عند الحاكم ...

مسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٩ - باب بيان أنه يستحب لمن رُئِيَ خَالِيًا بِأَمْرَةٍ ...

وأبو داود (٢ / ٢٣٣) كتاب الصوم ، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته . وإسناده صحيح .

٧٩٢ - مسلم (١ / ١٢٧) المقدمة ، ٤ - باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .

منهم : سمعتُ رجلاً أعرِف وجهَهُ ، ولا أعرِفُ اسمَهُ ، يحدثُ كذا وكذا .

٧٩٣ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الشيطان لعنه الله لن يسلم مني صاحبُ المال من إحدى ثلاث ، أَعَدُو عليه بهن وأروحُ بهن : أخذُهُ من غيرِ حلِّه ، وإنفاقُهُ في غيرِ حقِّه ، وأحبَّبهُ إليه فمِنَعَهُ مِنْ حَقِّهِ » .

٧٩٤ - * روى ابن ماجه عن عثمان بن أبي العاص ، قال : لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَغْرِضُ لِي شَيْءَ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أُدْرِي مَا أُصَلِّي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « ائِنَّ أَبِي الْعَاصِ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أُدْرِي مَا أُصَلِّي . قَالَ : « ذَلِكَ الشَّيْطَانُ ، اذْنُ » فَذَنُوتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ عَلَى صَدْرِي قَدَمِي قَالَ : فَضَرَبَ صَدْرِي يَبْدِي وَتَقَلَّ فِي فَمِي وَقَالَ : « اُخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ » . فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : « الْحَقُّ بِعَمَلِكَ » . قَالَ : فَقَالَ عُثْمَانُ : فَلَعَمْرِي مَا أَحْسَبُهُ خَالِطِي بَعْدُ .

٧٩٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال « الْجَرَسُ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ » .

٧٩٦ - * روى البخاري عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ » - أو « كَانَ جَنَحَ اللَّيْلِ - فَكفُّوا صبيانكم فإنَّ الشياطينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهم ، وَأغْلِقْ بَابَكَ واذكُر اسمَ اللَّهِ ، وَأطفئ مصباحك واذكُر اسمَ اللَّهِ ، وَأوْكِ سِقَاءَكَ واذكُر اسمَ اللَّهِ ، وَخَمَّرْ إِنْءَاكَ واذكُر اسمَ اللَّهِ » .

٧٩٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٥) . وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

٧٩٤ - ابن ماجه (٢ / ١١٧٤) ، ٣١ - كتاب الطب ، ٤٦ - باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . ورواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

٧٩٥ - مسلم (٢ / ١٦٧٢) ، ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٧ - باب كراهة الكلب والجرس في السفر .

وأحمد (٢ / ٣٦٦) .

٧٩٦ - البخاري (٦ / ٣٣٦) ، ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٩٧ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - رَفَعَةَ - قال : « خَمَرُوا
الْأَيْتَةَ ، وَأَوْكُوا الْأُسْقِيَةَ ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَكْفَتُوا صَبِيَانَكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، فَإِنَّ
لِلْجَنِّ انْتِشَارًا وَخَطْفَةً ، وَأَطْفَتُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرَّقَادِ فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رَبًّا اجْتَرَّت
الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ » .

٧٩٨ - * روى أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا سَمِعْتُمْ
نَبَاحَ الْكَلْبِ وَنَهَيْقَ الْحَمَارِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ فَإِنَّهُمْ يَرُونَ مَا لَا تَرُونَ » .

* * *

٧٩٧ - البخاري (٦ / ٣٥٥ / ٥٩) - كتاب بدء الخلق ، ١٦ - باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ...
(خمروا) : أي غطوا .
(الفويسقة) : أي الفأرة .
٧٩٨ - أحمد (٣ / ٣٥٥) .
وأخرجه البخاري في الأدب . وهو صحيح .

التلخيص

الجن مخلوقات غيبية ، ودليل ثبوت وجودهم : الكتاب والسنة وإجماع العلماء ، وهم مكلفون كالإنس ومُجَازُونَ مثلهم ، وهم مكلفون منذ النشأة لوجود الإدراك عندهم منذ النشأة ، وقد ذكر ابن عبد البر أن الجن عند أهل اللغة على مراتب : فإِن ذكروا الجن خالصًا قالوا جني ، فَإِن كَانَ مِمنَّ يسكن مع الناس سمي عامرًا والجمع عَمَّار ، فَإِن كَانَ مِن يمرض للصببان قالوا أرواح ، فَإِن خبث وتمرد قالوا شيطان ، فَإِن زَادَ عَلَى ذَلِكَ قالوا مارد ، فَإِن زَادَ عَلَى ذَلِكَ وقوي قالوا عفريت والجمع عفاريت ، وهناك من ذهب إلى أن الشياطين والجن جنس واحد . فالشياطين منهم مَنْ خبث وتمرد وهذا هو الرأي الراجح ، ومن العلماء من ذهب إلى أن الجن مخلوقات هوائية ، والشياطين مخلوقات نارية ، وقد استنبط العلماء من مجموع النصوص أن الجن يتشكّلون على خلاف بين العلماء ؛ هل يتشكّلون بالصورة الشريفة كاملة كصورة الإنسان ، أو لا يستطيعون التشكل إلا بصورة إنسان فيه نوع تقص أو بصورة مخلوقات أخرى ؟ والراجح الأول ؛ فهم يتشكّلون بالأشكال الحسنة والقبیحة ، ويأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ويتناسلون ، والشياطين منهم يوسوسون لبني آدم ويحاولون إغواءهم ، فما من أحد من الإنس ذكرًا أو أنثى إلا وله قرين من الشياطين ، وقد يصاب الإنسان بسببهم بنوع من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج ، وقد يصلون إلى بعض الناس بنوع من الأذى ، ومن الظواهر المشهورة أنهم قد يتلبسون أجسام بعض الناس وينطقون على ألسنتهم ، ولعل بعض مظاهر تحضير الأرواح تكون من ذلك ، وقد سَخَّرَ اللهُ عز وجل عالم الجن لسليمان عليه السلام فكان ذلك خصوصية له ، وهم لا يعلمون شيئًا عن المستقبل ، لكن قد يعرفون بواسطة بعضهم بعضًا ما جرى وما يجري ، فلا عجب أن يستطيع بعض من لهم صلة بالجن أن يكتشفوا سرقة أو يعرفوا ما جرى في أمكنة بعيدة ، فليس ذلك من علم الغيب .

والتوفي من الجن والشياطين يكون بالذكر والاستعاذة وتلاوة القرآن والصلاة ، ومن أصيب بسبب من الجن فبالإمكان معالجته بتلاوة المعوذات وآية الكرسي وقراءة سورة البقرة ، ويصح التداوي بكل شيء تجيزه الفتوى ، والجن في الجملة وإن كانوا مكلفين فهم في

الكرامة أدنى من بني الإنسان ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ^(١) ، والجن يستطيعون الصعود إلى طبقات الجو العليا ويرصدون خبر السماء ، قال تعالى على لسان الجن : ﴿ وَأَنَا لِمَسْنَا السَّمَاءِ فَوَجَدْنَاهَا مَلْئُتَ حَرِيبًا شَدِيدًا وَشَهَبًا ﴾ ^(٢) ومعنى لسنا : قصدنا كما فسرها العلماء ، وللجن قدرات خارقة تتعرف عليها مما ورد في قصة سليمان عليه السلام في القرآن ، ولو أن المتتبعين لبعض الظواهر الأرضية نظروا بعين الإنصاف لوجدوا أن كثيرًا من هذه الظواهر لا تُعَلَّلُ إلا إذا أعطينا للجن دورًا في صنعها ، فقد قرأت مرة عن منقطة عَبَّدَتْ وَصِيْقَتْ صِيَاغَةً لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا كانت هنالك جهة تشرف عليها إشرافًا علويًا ، وَتَوَجَّهَ العاملین على الأرض ، ومثل هذا لا تفسير له في الماضي إلا أن يكون للجن صلة بهذا الموضوع ، وقصة سليمان عليه السلام في القرآن تعطينا دليلاً قطعياً على أن للجن دخلاً في بعض الأوابد التي أنشأها سليمان عليه السلام ، وبالجمله فإنني أميل إلى أن بعض الأوابد الحاضرة التي لا تعلل بطاقة الإنسان قديماً ، ولا بإمكاناته العلمية ، يمكن أن يكون للجن دخل فيها .

ولم تنزل البشرية ولا تزال تحدثنا عن ظواهر ليس لها تعليل إلا بوجود عالم من الجن ، ولم يزل أفراد يوجدون في كل مكان لهم صلة بالجن ، ولم يزل هناك أفراد يَشْكُونَ من حالات لا تعلل إلا بوجود الجن .

فائدة :

حاول بعض العلماء المرابين في هذه الأمة أن يوجدوا قواعد وضوابط لتخريج الوارث الكامل أو الولي المرشد ، وقد كتب كثير من العلماء في شروط المرشد الكامل ، وما يجب أن يتوافر فيه من كالات وصفات ومعارف ، ولقد كان من رأي أحد شيوخنا أنه لا يكفل المرشد - حتى يكون صالحاً للإرشاد - إلا بمعرفته لآلية عمل الشيطان ؛ فإن الذي يعرف أخلاق الشيطان وخطواته ومدخله على النفس البشرية هو الذي يستطيع أن يجنب نفسه وإخوانه مداخل الشيطان ، ومثل هذا المرشد هو الذي يعرف الكالات الإنسانية التي إذا تحقق بها

(٢) الجن : ٨ .

(١) الإسراء : ٧٠ .

الإنسان خرج من أثر الشيطان وكيف يوصل إليها ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (١).

إن فقه مداخل الشيطان على الأنفس من أعظم أنواع الفقه ، فإنما يصرف الإنسان عن الله واليوم الآخر الشيطان والنفس والهوى والدنيا .
والشيطان حادي ركب أهل النار .

ولقد حاول شيخنا الذي أشرت إلى فكرته أن يضع سلباً لمسيرة الإنسان من الحضيض إلى الكمال ، ومما ذكره أن الإنسان غير المعصوم إن استوفى كالاته لم يبق للشيطان عليه مدخل إلا من قبل شهواته الحسية أو المعنوية .

ومن الشهوات المعنوية حب الجاه الدنيوي والتصدر الدنيوي والرئاسة التي لا يقصد بها وجه الله واليوم الآخر .

* * *

تَقُولُ فِي مَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي الْجِنِّ

لم تزل أخبار الجن وقصصهم والحديث عنهم ومباشرتهم لخطاب بعض الناس تملأ الكثير من الكتب ؛ ففي كتب العهد القديم والجديد وفي كتب الطب القديمة والحديثة وفي كتب العلماء والمحققين وعند أهل الأديان عامة كلام كثير عن هذا الموضوع ، وقد جاءتنا نصوص الكتاب والسنة بالخبر اليقين .

لقد كتب عباس محمود العقاد كتاباً أسماه « إبليس » ، والعقاد بشكل عام متأثر في بعض كتبه - ومنها هذا الكتاب - بالدراسات المقارنة ، وهي دراسات تختلط في تيه وضياح وتقاوح وجهات النظر فيها كثيراً بين طرفي الزاوية . وأهم جوانب الكتاب أنه يعطينا تصوراً عن تصورات الأمم عن الشيطان كما وصلت إلينا ؛ فهو يجردنا عن الشيطان في الحضارة المصرية والحضارة الهندية ، وحضارات ما بين النهرين ، وحضارة اليونان ، وعن الشيطان في الديانة اليهودية والديانة النصرانية .

- ومن كلامه عن الشيطان في الحضارة المصرية .

(وقد شغل « سيت » وظيفة ضرورية في عهود الأزمان التي تنهزم فيها الدولة وتنضب الثروة ويختل نظام الحكم وتضطرب مرافق المعيشة . فقد كان « سيت » يبوء وحده بجزيرة ذلك كله ، وكانت عليه وحده تبعة كل أفة لا يستطيع دفعها ، ومن هذه الآفات ريح السموم وعوارض الجفاف والقحط وأوبئة المرض ، وسائر الأمراض التي كانت تنسب من قديم الزمن إلى الجان والعمالقة ، وقد كانت عليه التبعة أيضاً في بقاء السحر الخبيث ؛ لأنه كان على علم واسع بفتنونه ، ولم يكن في وسع الكهان والسحرة أن يعالجوا شروره ويبرئوا المرضى من آفاته بغير وسائله وأسواره ، ولهذا كثرت عنهم التائم والتعاويد ، ومنها ما بقي إلى اليوم في صور الجمل والحشرات والأساور والقلائد التي لا تصنع للزينة ولكنها تقرر بالأدوية والعقاقير طلباً للشفاء ، ويقول الأطباء الذين كانوا يشتغلون بالطب والسحر : إن الدواء هو الذي يشفي ويبرئ من المرض ، ولكن التائم والتعاويد هي التي تمنع « العكوس » من فعل أرواح الشر وأطياف الظلام .

وقد كان الفراعنة أنفسهم يلجأون إلى السحر لمغالبة الأرواح الخفية ، فاستعان رمسيس الثاني بأصحاب التامم والتعاويد على مداواة أهل بيته ، ولم يفعل ذلك جهلاً منه بالطب ولا تعظيماً منه لقدر السحر ، ولكنه فعله إيماناً بضرورة اختيار الترياق من جنس المرض ، ولكل شيء آفة من جنسه كما قيل من قبل ، ويقال في كل زمان) .

- ومن كلام العقاد عن الشيطان في الحضارة الهندية :

(ومن ذلك في هذا الباب عقيدتهم في العفاريت الخبيثة أو العابثة التي يسمونها بالـ « راكشا » وينسبون إليها أعمالاً كأمال الشياطين في الديانات الأخرى ... فالشياطين في صورة « الراكشا » هم « الشر » الذي أبغضه الآريون وصوروه لأبنائهم في الصورة التي تنفرهم منه وتحذرهم من كيده ...

وليس في الديانة الهندية وفروعها المتشعبة شخصية واحدة تشبه شخصية الشيطان. غير الرب الذي يسمونه « المارا » من الموت ...

وهذا الـ « المارا » هو الذي قيل في قصة « بوذا » إنه وسوس له وألح في وسواسه ليشغله عن النسك ويصرفه عن مسلكه من الحكمة وهو مسلك الزهد والإعتدال) . اهـ .

- ومن كلام العقاد عن الشيطان في حضارة ما بين النهرين دجلة والفرات وما جاورهما: تحدث عن « الثنوية » التي تفر من باهرمان وهو الروح الخبيث ، وتحدث عن « الزرادشتية » التي تؤمن بـ (يامة) الذي امتلأت نفسه بالخيلاء فسولت له نفسه أن يناظر الإله ... وأن يكاذب نفسه بخيلائه .

- إن قضية الشيطان تعتبر قاسماً مشتركاً في الثقافة الإنسانية وهي من بقايا الحق الذي تحدث عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولما حرفت ديانات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الجهل والهوى والغلو فلقد كان من جملة ما دخل عليه التحريف قضية الشيطان ، ونحن لا يهمننا من الدراسات المقارنة إلا إثبات أن هناك قضايا لها أصولها ، وأن القرآن جاءنا بالحق اليقين في الأصول والفروع وأعطانا الحق واليقين والصواب مفصلاً في كل شيء .

- وقد كتب عبد الرزاق نوفل عن الجن والشياطين ، وكان من كلامه :
وتروي النسخ المتداولة من الأناجيل أن سيدنا عيسى قد أخرج الشيطان من كثير من
المرضى الذين كان المس قد أصابهم بحالات مرضية وبجنون أيضاً ففي ، إنجيل متى نجد
النص :

(وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه . فلما أخرج الشيطان تكلم
الأخرس فتعجب الجموع قائلين : لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل . أما الفريسيون فقالوا
برئيس الشياطين يخرج الشياطين) .

وفي إنجيل مرقس نجد النص :

(وكان في جمعهم رجل به روح نجس : فصرخ قائلاً آه ما لنا لك يا يسوع الناصري :
أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله فاتتهره يسوع قائلاً : اخرس واخرج منه .
فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه) .

وفي إنجيل لوقا نجد نصاً يشير إلى أن الإنسان قد يسه أكثر من شيطان إذ يقول :

(وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر
وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج
منها سبعة شياطين) .

ويمكن أن يستمر مس الشيطان للإنسان سنوات عديدة ففي إنجيل لوقا أن امرأة كان
بها روح أضعفها وكانت منحنية بسببها ولم تقدر أن تنتصب ألبتة ثمانية عشرة عاماً فوضع
سيدنا عيسى يده عليها فاستقامت وقال : (هذه هي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى
عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت ...

فنجد أبوقراط الذي عرف بأبي الطب يهتم بوسائل العرافة والسحر ومحاربة الشياطين
وهو الذي قال عن الصرع الذي وصفوه بأنه المرض المقدس : إنه خال من القداسة .. ثم
جالين أمير الأطباء حيث يهتم باتخاذ الجديد من طرق طرد الشياطين ، ثم كرامر واسبرنجر
وقد ذاع في زمانها أنها قاتلت أكثر من سبعين أميراً من الشياطين وسبعة ملايين وأربعمائة

وخسة آلاف وأكثر من الشياطين الأقل درجة منهم .. ولقد كانت الفكرة السائدة والتي ظلت فترة طويلة تبلغ مئات السنين هي السيطرة على كل وسائل العلاج .. تلك التي كانت تقول بضرب الشيطان لإخراجه من جسد المريض بل وحتى إلى عهد قريب كان الجراح العظيم توماس ويليز من أكبر أطباء التشريح يقرر أن خير علاج لمرضى العقول هو الرُّكْل والقيد . ولذلك كان البروفسور كالين ينادي بأن معظم حالات الاضطرابات والتي لا سبب عضوي لها لا تشفى إلا بشدة الوثاق والضرب ، وقد نادى الدكتور ريل الألماني والأخصائي في الأمراض العقلية بما يسميه العلاج التعديبي الذي لا يضر .

ويقول العالم كارنجتون عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية في كتابه « الظواهر الروحية الحديثة » عن حالة المس : (واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة مذهشة تؤيدها . وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لا من الوجهة الأكاديمية فقط بل لأن مئات من الناس وأولفًا يعانون كثيرًا في الوقت الحاضر من هذه الحالة ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري . وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والحذق والجلد) .

وفي كتاب « تحليل الحالات غير العادية في علاج العقول المريضة » يقول الدكتور بل : (لدينا الكثير الذي يصح أن نمنع عنه اللثام ، وعلى الأخص ما كان متعلقًا بحالة المس الروحي باعتباره عاملاً مسبباً للأمراض النفسية والعصبية ولقد ظهر لنا أن المس الروحي أكثر تعقيدًا مما كان يظن أولاً . ولا تتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد ولا من عقله وإرادته فقط بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة . والشخصية الماسة المركزية وهي الشخصية التي اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص المسوس وهي على وجه العموم قليلة المقاومة لإيحاءات الغير ، ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون في الاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها إلا في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة كلها أو بعضها، وبمضي الزمن يزداد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي الشخص المسوس الذي يعمل إلى مثل هذه الحال

تلاشيًا تامًا .. ويظهر أن للأرواح الماسة ثلاث تقط اصطدام رئيسية هي : قاعدة المخ ومنطقة الضفيرة الشمية والمركز المهيمن على أعضاء التناسل ، وأما الضجة التي لا بد أن تحدث بهذا المس وتفاعلات الشخص المسوس فيمكن دراستها في مستشفيات الأمراض العقلية .. ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداواة المرضى والمحزونين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف) .

ويقول الدكتور جيمس هايسلوب في كتابه عن المس : (إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص وجسمه ولا يمكن إنكار مكنة حدوث المس) ويرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطرابًا واختلالًا في اهتزازاته وأنه بالكهربائية الاستاتيكية تنظم الاهتزازات وتطرد الشخصية المستحوذة ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة له .

ولذلك فقد اهتم العلم الحديثُ بوسائل علاج مثل هذه الحالات وإن اختلفت الألفاظ واللغات التي وردت فيها طرق العلاج من المس فإنها كلها تتفق في الجوهر والأصل ، فالدكتور باورز أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينابوليس بأمریکا يقول في بيان هذا العلاج : كنت في أيام شبابي أضحك ساخرًا مستهزئًا بذلك الرأي القائل بأن الأرواح الخبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث في ظروف خاصة اضطرابات جسمية أو عقلية خطيرة لبعض الناس ، وكنت أحمل في إحدى يدي كتاب بوخنر المسمى : القوة والمادة ، وفي اليد الأخرى كتاب هكل المسمى : لغز الكون ، وأسخر من الرأي القائل بأن أي روح ابتداء من يسوع المسيح إلى العمه ماريّا تستطيع أن تساعد على إزالة بقايا الثوب الطيني الرث البالي الذي نرتديه الآن أو أن تزيل من العقل ذلك السم الروحي الذي يحول التفاعلات العقلية إلى هذيان الأبله المعتوه أو إلى خبل الجنون القاتل أو إلى يأس المالنخوليا المفجع . ولا يستطيع شخص ذكي أن ينكر أن هناك سببًا لمعظم الأمراض التي تصيب الإنسان وآه لو يعرف هذا السبب « ا.هـ من كتاب الجنء والملائكة .

- ولابن عابدين الحنفي المشهور - صاحب حاشية ابن عابدين المسماة : « رد المختار على الدر المختار » وهي أعظم مرجع في فقه الحنفية كتبه المتأخرون - رسالة مطبوعة مع رسائل أخرى طبعت تحت اسم « رسائل ابن عابدين » تحدث فيها عن تلمذة بعض الجن على شيخه خالد الحضرة رحمه الله واسم الرسالة « سل الحسام الهندي لنصرة ملانا خالد النقشبندي » ، ومن كلامه في هذه الرسالة :

(في الطبقات الكبرى عن حرمة أنه قال : سمعت الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول : من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقوله تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ ^(١) إلا أن يكون الزاعم نبياً انتهى .. لكن هذا ينافي ما مر عن شرح المقاصد من حكاية مشاهدتهم عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات ، فإن المتبادر أن المراد المشاهدة بدون تشكل إلا أن يكون ذلك من باب الكرامة ، فإن ما صح أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي على ما مر فيه من الكلام مبسوطا وكلام الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في غير أصحاب الكرامات عند عدم التشكل ، وإلا فلا وجه لمنع رؤيتهم لكل أحد عند التشكل .

وصح عن الأعمش أنه قال : تروّج إلينا جنيّ فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ قال : الأرز . قال : فأتياناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا... وفي آثار وأخبار أخرى أن مؤمنهم يصلون ويصومون ويحجون ويطوفون ويقرؤون القرآن ويتعلمون العلوم يأخذونها عن الإنس وإن لم يشعروا بهم وكذا رواية الحديث .

تنبيهه : قد تحصل مما ذكرنا سابقاً ولاحقاً جواز رؤية الجن بعد التشكل لكل أحد ، وكذا بدون تشكل لمن شاء الله تعالى من عباده فضلا عن حضورهم في مجالس الذكر وسماع أصواتهم « اهـ .

وقال الشيخ حسن أيوب :

(وذكر صاحب كتاب « أكلام المرجان » حكاية عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

هي أن المتوكل أنفذ إليه صاحبًا له يعلمه أن جاريتة بها صرع وسأله أن يدعوا الله لها بالعافية . فأخرج له أحمد نعلي خشب بشارك - أي رباط - من خوص للوضوء فدفعه إلى صاحب له وقال له : تمضي إلى دار أمير المؤمنين ، وتجلس عند رأس هذه الجارية وتقول له (يعني الجني) قال لك أحمد : أيتها أحب إليك ، تخرج من هذه الجارية ، أو تصفع بهذه النمل سبعين ؟ فمضى إليه وقال له مِثْلَ ما قال له الإمام أحمد . فقال المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة . لو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقننا به . إنه أطاع الله ، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء . وخرج من الجارية . وهدأت ورزقت أولادًا (ا.هـ . « الإيمان بالرسول والكتب واليوم الآخر » .

- وذكر الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في كتابه : « عقيدة المؤمن » حادثة وقعت في بيت أهله ، قال :

إنه كان لي أخت أكبر مني تدعى « سعدية » وكنا يوما ونحن صفار نطلع عراجين الترم من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة جبل يربط به القنؤ (المرجون) ونسجبه إلى السطح ونحن فوقه ، فحصل أن أختي سعدية جرت الحبل ، فضغفت عنه ، فغلبها فوقعت على الأرض على أحد الجنون^(١) ، فكأنها بوقوعها عليه أذته أذى شديداً ، فانتقم منها فكان يأتيها عند نومها في كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً ، أو أكثر فيخنقها ، فترفس المسكينة برجليها ، وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح أشبه بميته ، ونطق مرة على لسانها مصرحاً بأنه يفعل بها هذا لأنها أذته يوم كذا في مكان كذا .. وما زال يأتيها ويمدبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط حتى قتلها بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق ، فصرعها ليلة على عادته فما زالت ترفس برجليها وتضطرب حتى ماتت ، غفر الله لها ، ورحمها .. أمين .

هذه الحادثة عشتها ، وبمعيني رأيتها ، وما رأي كمن سمع !!! « ا.هـ .

(١) يعني واحداً من الجن .

الوصل الأول
في:
ظاهرة ابن صياد
وفيه:
مقدمة ونقول ونصوص

المقدمة

إنما ذكرنا هذا الفصل هنا لارتباطه بصلة الشيطان بالإنسان ، فابنُ صياد رجل يهودي الأصل ثم أسلم بعد ذلك في الظاهر ، وكان تجري على لسانه كلمات كُفْرِيَّة ، وكانت له صلة بعالم الجن ، فهو يمثل ظاهرة الوحي الشيطاني للإنسان ، وقد اشتبه أمره على بعض الصحابة حتى ظنوه المسيح الدجال وليس هو يقيناً لكنه يشبهه وكان أمره ملتبساً ، ولأن هذا اللبس لا يترتب عليه عمل ولا خطر ولا خطأ ، فإن رسول الله ﷺ أبقى هذا الاحتمال مفتوحاً لحكمة يعلمها هو عليه الصلاة والسلام ، وتتوقع أن رسول الله ﷺ أراد بذلك أن يفتح لأمته باب الاجتهاد في فهم الأخبار المستقبلية التي أخبر عنها أنها كائنة بعده إذا وجد المجتهد ما يدعوه لذلك الاجتهاد ، وكان النص أو الأمر يحتمل ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١) . وإيحاء الشياطين يظهر بمظاهر شتى منها الوسوسة التي يوسوس القرين - إلا من عصم الله - وهذه يحس بها أهل القلوب وأكثر الخلق عنها غافلون ، وإن كان الإنسان لا يخلو عن شعور باطني بدوافع داخلية شريرة ، ولذلك تكلم بعض علماء النفس عن أنواع من الدوافع الغريبة التي تلح عليها هذه الدوافع ، وقد يأخذ إيحاء الشياطين مظهرًا أكثر انكشافاً لدي صاحبه ، وظاهرة ابن صياد تمثل هذا الوضع .

وقد رأينا في البحث السابق أن الجن يمكن أن يتلبسوا جسم الإنسان فيتكلموا على لسانه وهي ظاهرة مرئية مشاهدة ، كما رأينا كيف أن بعض الإنس يكون لهم اتصال بعالم الجن ، وظاهرة ابن صياد تدخل في هذا الموضوع فهو على اتصال بعالم الشياطين من عالم الجن .

يظهر اضطراب بعض أهل التحقيق في تفسير هذه الظاهرة ، وهل ابن صياد هو الدجال الذي يظهر في آخر الزمان أو هو دجال من الدجاجلة ؟ والذي نجزم به قطعاً أنه دجال من الدجاجلة أبقى الرسول ﷺ الباب مفتوحاً للتعليل والتحليل في شأنه ، فهو ظاهرة مهمة تظهر في الحياة البشرية بأجزاء من هذه الظاهرة أو بها كلها .

وهاك تحقيقاً للإمام النووي حول ابن صياد ننقله من شرحه على صحيح مسلم :

(١) الأنعام : ١٢١ .

النقول

قال الإمام النووي رحمه الله :

يقال له ابن صياد وابن صائد وسمي بها في هذه الأحاديث واسمه صاف ، قال العلماء : وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه : هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة . قال العلماء : وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يُوحَ إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحى إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله عنه : « إن يكن هو فلن تستطيع قتله » وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو ، وأن لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه ؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض . ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين : قوله للنبي ﷺ : (أتشهد أني رسول الله) ، ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب ، وأنه يرى عرشاً فوق الماء ، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال ، وأنه يعرف موضعه ، وقوله : إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وانتفاخه حتى ملأ السكة ، وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال . قال الخطابي : واختلف السلف في أمره بعد كبره فروي عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا قال : وكان ابن عمر وجابر فيما روي عنهما يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه فقيل لجابر : إنه أسلم فقال : وإن أسلم . فقيل : إنه دخل مكة وكان في المدينة ، فقال : وإن دخل . وروى أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن جابر قال : فقدنا ابن صياد يوم الحرة . وهذا يعطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلى عليه . وقد روى مسلم أن جابر بن عبد الله حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو الدجال وأنه سمع عمر رضي الله عنه يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ . وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يقول : والله ، ما أشك أن ابن صياد هو المسيح الدجال . قال البيهقي في كتابه « البعث والنشور » : اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً هل هو

الدجال ؟ قال : ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تمم الداري في قصة الجساسة قال : ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن . وليس كما قال وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها . قال : وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر فيحتمل أنه ﷺ كان كالموقوف في أمره ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تمم . هذا كلام البيهقي ، وقد اختار أنه غيره وقد قدمنا أنه صح عن عمر وعن ابن عمر وجابر رضي الله عنهم أنه الدجال والله أعلم . فإن قيل : كيف لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة ؟ فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره ، أحدهما : أنه كان غير بالغ ، واختار القاضي عياض هذا الجواب ، والثاني : أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم ، وجزم الخطابي في معالم السنن بهذا الجواب الثاني ، قال : لأن النبي ﷺ بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب صلح على أن لا يهاجوا ويتركوا على أمرهم وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فيهم . قال الخطابي : وأما امتحان النبي ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلا أنه كان يبلفه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر إبطال حاله للصحابة وأنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة فامتحنه بإضمار قول الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ (١) وقال : « خبأت لك خبيئاً » فقال : هو الدخ أي الدخان وهي لفة فيه فقال له النبي ﷺ : « اخساً فلن تعدو قدرك » أي لا تجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنهم يوحى الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحى فيكون واضحاً كاملاً ، وبخلاف ما يلهمه الله الأولياء من الكرامات والله أعلم . ا.هـ .

* * *

النصوص النبوية في ابن صياد

٧٩٩ - * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : إن عمر ابن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رَهْطٍ من أصحابه قَبَلَ ابن صياد ، حتى وجده يَلْعَبُ مع الصَّبِيان عند أَطْمِ بني مِغَالَةَ ، وقد قَارَبَ ابنُ صياد يومئذ الحَلَمَ ، فلم يَشْعُرْ حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد : « أتشهد أنني رسول الله » ؟ فنظر إليه ابن صياد ، فقال : أشهد أنك رسول الأمين . فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ : أتشهد أنني رسول الله ؟ فرفضه رسول الله ﷺ ، وقال : « آمنت بالله وبرسوله » . ثم قال له رسول الله ﷺ : « ماذا ترى » ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب . فقال له رسول الله ﷺ : « خلط عليك الأمر » . ثم قال له رسول الله ﷺ : « إني قد خبأت لك خبيئاً » . فقال ابن صياد : هو الدُخُ . فقال له رسول الله ﷺ : « أخساً ، فلن تُعدو قَدْرَكَ » فقال عمر بن الخطاب : ذرني يارسول الله أضرب عنقك ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن يكنه فلن تُسلطَ عليه ، وإن لم يكنه ، فلا خير لك في قتله » .

وقال سالم : سمعت ابن عمر يقول : انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد ، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طَفِقَ يتقي بجذوع النخل ، وهو يَحْتَلِ أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد ، فرآه رسول الله ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ على فراشٍ في قطيفة له فيها زَمْزَمَةٌ أو زَمْزَمَةٌ ، فرأت أمُّ ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل ، فقالت لابن صياد : يا صاف - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد ، فثار ابن صياد ، فقال رسول الله ﷺ : « لو تركته بين » .

قال سالم : قال عبد الله بن عمر : فقام رسول الله ﷺ في الناس ، فأتى على الله بما هو له أهل ، ثم ذكر الدجال ، فقال : « إني لأنذركموه ، ما من نبي إلا قد أنذره قومه ،

٧٩٩ - البخاري (١٠ / ٥٦٠ ، ٥٦١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ٩٧ - باب قول الرجل للرجل : أخساً .

مسلم (٤ / ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

(يحتل) : الختل : الأخذ عن طريق خفي .

لقد أُنذِرْتَهُ نوحَ قومَه ، ولكن أقولُ لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : تعلموا أَنه أعور ، وإنَّ الله تبارك وتعالى ليس بأعورَ .

وزاد مسلم ^(١) : قال ابن شهاب : وأخبرني عمرُ بن ثابت الأنصاريُّ : أَنه أخبره بعضُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ قال - يومَ حَذَرَ الناسَ الدُّجَالَ - : « إنه مكتوب بين عينيه كافرٌ ، يقرؤه كلُّ من كره عملةً أو - يقرؤه كلُّ مؤمنٍ » - وقال : « تعلموا أَنه لَنْ يَرَى أحدًا منكم ربُّه حتى يموت » .

وفي رواية الترمذي ^(٢) ، أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بابنِ صَيَّادٍ في تَقْرِينٍ من أصحابه - منهم : عمرُ بنُ الخطاب - وهو يلعبُ مع الغلمان ، عند أَطْمِ بني مَغَالَةَ - وهو غلامٌ - فلم يشعر حتى ضربَ رسولُ الله ﷺ ظهره بيده .. وذكر الحديث إلى قوله : « خَلَطَ عليك الأمر » . وقال : ثم قال رسولُ الله ﷺ : « إني قدُ خَبَّأتُ خبيئاً » . وخبأُ له ﴿ يوم تأتي السماءُ بدخانٍ مبينٍ ﴾ [الدخان : ١٠] فقال ابن صياد : هو الدُّخُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « اخسأ ، فلن تُعَدَّوْ قَدْرُك » . قال عمرُ : يا رسولَ الله ائذن لي فأضربَ عُنُقَه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إن يَكُ حقاً فلنْ تُسَلِّطَ عليه ، وإن لا يَكُ ، فلا خير لك في قتله » .

وفي رواية لأبي داود ^(٣) : زاد بعد قوله : « فلنْ تُسَلِّطَ عليه » . قال : يعني الدُّجَالَ .

٨٠٠ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسولَ الله ﷺ قال لابن صياد : « ما ترى ؟ » قال : أرى عرشاً على البحر وحوله الحيتان . قال رسولُ الله ﷺ : « ترى عرش إبليس » .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٥) ، في الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٥١٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٣ - باب ما جاء في ذكر ابن صائد .

(٣) أبو داود (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

(الأطم) : البناء المرتفع .

(اخسأ) : خسأت الكلبُ : إذا طردته .

٨٠٠ - مسند أحمد (٣ / ٦٦ ، ٩٧ ، ٢٨٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٤) . وقال : رواه أحمد ، وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

٨٠١ - * روى البخاري ومسلم عن محمد بن المنكدر، قال : رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحلف بالله : أن ابنَ صيَّادِ الدجال ، قال : قلتُ أتخلف بالله ؟ قال : فإني سمعتُ عمر يحلف بالله على ذلك عندَ رسول الله ﷺ ، فلا يُنكره .

وفي رواية لأبي داود بسند حسن ^(١) : أنه قيل لجابر رضي الله عنه :

إنه أسلم . فقال : وإن أسلم . فقيل : إنه دخل مكة وكان بالمدينة . فقال : وإن دخل مكة .

٨٠٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ لابن صياد : « ما تُرَبِّةُ الجنة » ؟ قال : دَرْمَكَةٌ بيضاءٌ مسكٌ يأبأ القاسم . قال : « صدقت » .
وفي رواية ^(٢) : أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تُرَبِّةِ الجنة ؟ فقال : « دَرْمَكَةٌ بيضاءٌ مسكٌ خالصٌ » .

والجمع بين الروایتين بأن رسول الله ﷺ أخبره ابتداءً ثم امتحنه بالسؤال ليعرف مدى حافظته .

وتقل القاضي عياض : إن بعض أهل النظر قالوا : الرواية الثانية أظهر .

٨٠٣ - * روى مسلم عن نافع - مولى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما ، قال : لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة ، فقال له قولاً أغضبته ، فانتفخ حتى ملأ السكَّة ،

٨٠١ - البخاري (١٢ / ٢٢٢) - كتاب الاعتصام ، ٢٢ - باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة ...

مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

وأبو داود (٤ / ١٢١) كتاب الملاحم ، باب في خير الجساسة .

(١) أبو داود (٤ / ١١٩ ، ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خير الجساسة .

٨٠٢ - مسلم (٤ / ٢٢٤٢) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

(دَرْمَكَةٌ بيضاء مسك) : معناها أنها في البياض دَرْمَكَةٌ وفي الطيب مسك ، والدَرْمَكُ هو الدقيق الحواري الخالص

البياض .

٨٠٣ - مسلم (٤ / ٢٢٤٦) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

فدخل ابنُ عمرَ على حَفْصَةَ - وقد بلغها - فقالت له : رَجِمْكَ اللهُ ، ما أردتَ من ابنِ صياد ؟ أما علمتَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنما يخرج [أي الدجال] من غَضَبَةِ يَعْضَبُهَا ؟ » .

وفي رواية ^(١) : كان نافعٌ يقولُ : ابنُ صياد قال : قال ابنُ عمرَ : لقيته مرتين ، فلقيتُه مع قومه ، فقلت لبعضهم : هل تُحدِّثون أنه هو ؟ قالوا : لا والله . قال : قلتُ : كَذَّبْتُمُونِي ، والله لقد أخبرني بمضكم أنه لن يموتَ حتى يكونَ أكثرَكم مالاً وولداً ، وكذلك هو زعموا اليومَ ، قال : فتحدَّثنا ، ثم فارقتُه . قال : فلقيتُه لقيَّةً أخرى ، وقد نفرت عينُه . قال : فقلتُ : متى فَعَلْتُ عَيْنُكَ ما أرى ؟ قال : لا أدري . قلتُ : لا تسدري وهي في رأسِك ؟ قال : إن شاء اللهُ خلقها في عصاك هذه . قال : فنخر كأشدِّ نخير حمار سمعتُ . قال : فزعم بعض أصحابي أني ضربتُه بعضاً كانتُ معي حتى تكسرتُ ، وأما أنا : فوالله ما شعرتُ . قالوا : وجاء حتى دخل على أم المؤمنين ، فحدَّثها ، فقالت : ما تريد إليه ؟ ألم تعلم أنه قد قال : « إنَّ أوَّلَ ما يبعثه على الناسِ غَضَبَةٌ يفضبها ؟ » .

٨٠٤ - * روى أبو داود ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : فقدنا ابنَ صيَّاد يوم الحرَّة .

٨٠٥ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : صَحِبْتُ ابنَ صيادٍ إلى مكة ، فقال لي : أما قد لقيتُ من الناسِ ، يَزَعُمُونَ أني الدجال ؟ أَلَسْتَ سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إنه لا يولد له » ؟ قال : قلتُ : بلى . قال : فقد وُلِدَ لي ، أو ليس سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « لا يدخلُ المدينةَ ولا مكةَ » ؟ قال : قلتُ : بلى . قال : فقد وُلِدْتُ بالمدينةَ ، وها أنا ذا أريدُ مكةَ . ثم قال في آخرِ قوله : أما والله إنني لأَعْلَمُ مَوْلِدَةَ ومكانه ، وأين هو . قال : فَلَبَسْنِي .

= مسلم (٤ / ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٧) في الموضوع السابق .

٨٠٤ - أبو داود (٤ / ١٢١) كتاب اللامح ، باب في خبر ابن صياد .

وإسناده صحيح . وصحح الحافظ في الفتح إسناده وقال : وهذا يضمف ما تقدم أنه مات بالمدينة ، وأنهم صلوا عليه وكشفوا عم وجهه .

٨٠٥ - مسلم (٤ / ٢٢٤١ ، ٢٢٤٢) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١١ - باب ذكر ابن صياد .

وفي رواية (١) : قال : قال لي ابن صائد - وأخذتني منه ذمامة - هذا عذرتُ الناس ، مالي ولكم يا أصحابَ محمد ؟ ألم يقل نبيُّ الله : « إنه يهودي » . وقد أسلمت . وقال : « لا يولد له » . وقد وُلد لي . وقال : « إنَّ الله حَرَّمَ عليه مكة » . وقد حَجَّجْتُ ؟ قال : فإزال حتى كاد أن يأخذ في قولهُ . قال : فقال له : أما والله إني لأعلمُ الآنَ حيث هو ، وأعرفُ أباه وأمه . قال : وقيل له : أيسرُّك أنك ذاك الرجلُ ؟ قال : فقال : لو عُرضَ عليَّ ما كُرِهتُ .

وفي رواية (٢) قال : خرجنا حجاجًا - أو عمَّارًا - ومعنا ابن صائد ، قال : فنزلنا منزلاً ، ففترَّق الناس ، وبقيتُ أنا وهو ، فاستوحشتُ منه وحشة شديدة مما يقال عليه ، قال : وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي ، فقلتُ : إنَّ الحرَّ شديدٌ ، فلو وضعته تحت تلك الشجرة ؟ قال : ففعل . قال : فرفعتُ لنا غنم فانطلق فجاء بعسٍّ ، فقال : أشربُ أبا سعيد . فقلتُ : إنَّ الحرَّ شديدٌ ، واللبن حارٌّ ، ما بي إلا أني أكرهُ أن أشربَ عن يده - أو قال : أخذ عن يده - فقال : أبا سعيد ، لقد هممتُ أن أخذ حبلًا فأعلقه بشجرة ثم أختنقُ مما يقولُ لي الناسُ ، يا أبا سعيد ، من خفي عليه حديثُ رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشرَ الأنصار ، ألسنتُ من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو كافر » ؟ وأنا مسلم . أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو عقيم لا يولد له ولد » . وقد تركتُ ولدي بالمدينة ؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل المدينة ولا مكة » . وقد أقبلتُ من المدينة ، وأنا أريدُ مكة ؟ قال أبو سعيد : حتى كذتُ أن أعذره ، ثم قال : أما والله إني لأعرفهُ ، وأعرف مولده ، وأين هو الآن ؟ قال : قلتُ له : تَبَّ لك سائر اليوم .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٢) في الموضع السابق .

(٢) ذمامة (: الذمامة ، بالذال المعجمة : الحياء والإشفاق من الذم ، والذممة : العار ، وبالذال المهملة : قبح الوجه ، والمراد الأول .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٢) في الموضع السابق .

(الضنن) : قدح ضخم يشرب فيه .

(التتب) : الحسار والهلاك .

٨٠٦ - * وروى الترمذي الرواية الآخرة إلى قوله : وقد تركتُ ولدي بالمدينة .
وقال : ألم يقل رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ لَا تَحِلَّ لَهُ مَكَّةُ » ؟ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ
ذَا أَنْطَلَقَ مَعَكَ إِلَى مَكَّةَ ؟ قال : فوالله ما زال يَجِيءُ بِهَذَا ، حَتَّى قُلْتُ : فَلَعَلَّهُ مَكْذُوبٌ
عَلَيْهِ . ثم قال : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، وَاللَّهِ لِأَخْبِرُنْكَ خَيْرًا حَقًّا ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ ، وَأَعْرِفُ وَالِدَهُ ،
وَأَيُّنَ هُوَ السَّاعَةَ (أَي : الْآنَ) مِنَ الْأَرْضِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ .

٨٠٧ - * روى أبو داود عن نافع - مولى عبد الله بن عمر - أَنَّ ابْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنْ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ ابْنَ صَيَّادٍ .

٨٠٨ - * وروى أحمد عن أبي ذرٍّ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فِي ابْنِ صَيَّادٍ - هُوَ الدَّجَالُ . وَقَالَ :
قَالَتْ أُمُّهُ : حَمَلْتُهُ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا ، فَلَمَّا وَقَعَ ، صَاحَ صَيَّاحُ ابْنِ شَهْرِينَ ، وَكَانَ يَنْشَبُ فِي
الْيَوْمِ الْوَاحِدِ شَبَابَ الصَّبِيِّ لِشَهْرٍ .

روى الطبراني (١) عن أبي ذرٍّ ؛ لِأَنَّ أُخْلَفَ عَشْرَ مَرَّاتٍ أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ هُوَ الدَّجَالُ أَحَبُّ
إِلَى مَنْ أَنَّ أُخْلَفَ مَرَّةً وَاحِدَةً أَنَّهُ لَيْسَ بِهِ .

أقول : وعلى الفرض أن ابن صياد هو الدجال ، فهذه الفترة التي قضاها تمثل ظاهرة لها
صلة بالجن والشياطين ، لأنها فترة ما قبل خروجه . وإنما جزمتم بأن ابن صياد غير الدجال
لحديث تميم الداري الذي سير معنا والذي فيه أنه رأى الدجال في جزيرة من الجزر ،
فكيف يجتمع ذلك مع أن ابن صياد الدجال ، خاصة وقد أقر الرسول ﷺ تميمًا الداري على
رؤيته ؟ .

٨٠٦ - الترمذي (٤ / ٥١٦ ، ٥١٧) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٦٣ - باب ما جاء في ذكر ابن صائد .

٨٠٧ - أبو داود (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خير ابن صائد .

وإسناده صحيح .

٨٠٨ - مسند أحمد (٥ / ١٤٨) . وسنده حسن .

(١) المعجم الكبير (١٠ / ١٢٤) .

مجمع الزوائد (٨ / ٤) وقال : إسناده حسن .

وصححه الحافظ في الفتح . وقال : ومن حديث ابن مسعود نحوه لكن قال : سبقا . بدل : عشر مرات .

قال ابن كثير في النهاية :

(قال بعض العلماء : إن ابن صياد كان بعض الصحابة يظنه الدجال وهو ليس به إنما كان رجلا صغيرًا) .

(وقد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله ويقال صاف وقد جاء هذا وهذا وقد يكون أصل اسمه صاف ثم تسمى لما أسلم بابن عبد الله وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين وروى عنه مالك وغيره وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته) .

(والأحاديث الواردة في ابن صياد كثيرة ، وفي بعضها التوقف في أمره هل هو الدجال أو لا ؟ فالله أعلم ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يُوحى إلى رسول الله ﷺ في شأن الدجال وتعيينه ، وقد تقدم حديث تميم الداري في ذلك وهو فاصل في هذا المقام) .

[وقال :] (وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس بابن صياد والله تعالى أعلم وأحكم) .

(والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعًا وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصل في هذا المقام والله أعلم) ا . هـ من النهاية .

الوَصَلُ الثَّانِي
فِي
تَحْضِيرِ الْأَرْوَاحِ

أخذت ظاهرة تحضير الأرواح حيزًا كبيرًا من تفكير الناس في عصرنا وفي القرن الماضي وذلك أن الناس أرادوا أن يتعلقوا بشيء غيبي بعد أن وصلت موجة الدعوة المادية إلى ذروتها وموجة التشكيك إلى غايتها ، ولو أن الناس عرفوا حقيقة النبوة والرسالة وعرفوا القرآن والسنة وما فيها من معجزات وعرفوا الولاية لأهل الولاية لما احتاجوا إلى التسك بالظنيات والوهميات ولكن وضع العصر وما جرى فيه جعل الكثيرين يهتمون بالظواهر التي تدحض فرية المادية ومن ههنا أقبلوا على تتبع ظاهرة التلثبات وظاهرة التنويم المغناطيسي وظاهرة الأحلام وظاهرة تحضير الأرواح ، وكلها ظواهر تثبت أن في الإنسان وفي الكون خفايا غيبية وإن اختلفت في الناس منازع التحليل والتعليل . والذين تحدثوا عن ظاهرة تحضير الأرواح اختلفوا ففهم : من نفاها كلية واعتبروها شعوذة وكذبًا ، ومنهم : من أثبتها وأخذ يتلقى عنها وكأنها وحي معصوم ، وهؤلاء وهؤلاء أفرطوا فن أعطى العصمة في أمر الغيب لغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فقد كفر ، ومن اعتبر أن هناك جهة يتلقى عنها تشريعًا غير الوحي وما بني عليه باجتهاد من أهله فقد كفر . والظاهر أن مجموع ما يجري في حوادث تحضير الأرواح يثبت أن هناك شيئًا غير عادي يحدث فما هو التعليل الصحيح ؟ .

يذهب الشيخ حسن أيوب في رسالته : « مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر » أن كل ما يظهر من ظواهر في عمليات تحضير الأرواح يمكن أن تُعلل بأنها من آثار عمل الجن والشياطين وينفي إمكانية أن تكون روح من أرواح الإنس يمكن أن يكون لها علاقة بهذا الشأن ، والذي ذهب إليه هو الذي ترتاح له النفس ويطمئن القلب ، ومن كلامه :

(يمكن للجن أن يقلد أية شخصية حية أو ميتة بعد موتها ، لأن أعمار الجن تصل أحيانًا إلى مئات السنين ، كما ثبت ذلك في بعض الأحاديث والآثار ، كما أن تكلم الجن للإنسان على لسان إنسان آخر أمر ثابت وتحريك الجن لقلم يكتب ، أو سلسلة ترسم بوساطة قلم ، أو لأثاث حجره ليكسر أو لغير ذلك مما نسمع عنه أمر ممكن وواقع فيما مضى ويقع الآن كثيرًا ، والمتتبع لهذا الأمر يجد الغرائب التي لا شك فيها) ١ . هـ .

ومن كلام الشيخ سعيد رمضان البوطي في كبرى اليقينيات عن تحضير الأرواح :

(وكما أن في النَّاسِ أشرارًا دأبهم الكذب والتلاعب بعقول الناس ، فإن في الجن أيضًا كذلك ، فمن أين لك أن الذي يناجيك أو يكتب لك جواب أسئلتك من قاع السلة ، ليس شيطانًا مرينًا جاء ليلبس عليك دينك ويلهو بمخادعتك ويلتذ بالكذب عليك ؟ أو لم تقرأ أن أكثر أسباب الحماقة في المنحرفين أو المجانين الذين ادعوا أنهم أنبياء أو عظماء إنما هو هواجس من هؤلاء الشياطين ، إذ هتفوا في أعماق أفئدتهم أو على طبلة آذانهم أنهم أحباء الله وعظماؤه .. وأنَّ الله قد أكرمهم بإسقاط تكاليفه عنهم ، فَرَبَّبا الغرورَ في أوداجهم وثقلت رؤوسهم الفارضة بالخديعة وزاحت تهتمنهم الأعطاف) . اهـ.

* * *

الفصل السادس
في:
الإيمان بالكُتب
وفيه:
مقدمة ووصل

المقدمة

- الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، والكتب التي أنزلها الله عز وجل غير محصورة بعدد معروف ، لكن القرآن الكريم نص على أربعة منها ، ونص على صحف إبراهيم وموسى ، فكما أن الرسل عليهم الصلاة والسلام غير محصورين بعدد على القول الراجح ، لكنه - أي القرآن - حدثنا عن خمسة وعشرين منهم تفصيلاً فكذلك الكتب ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ (١) .

قال الفخر الرازي عند هذه الآية تقييداً عن القاضي : (ظاهر الآية يدل على أنه لا نبى إلا معه كتاب منزل فيه بيان الحق طال ذلك الكتاب أم قصر ، ودون ذلك الكتاب أم لم يدون ، وكان ذلك الكتاب مُعْجِزاً أم لم يكن ، كذلك لأن كون الكتاب منزلاً معهم لا يقتضي شيئاً من ذلك) . ا.هـ .

وقال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ - أي بالمعجزات على القول الراجح - ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ (٢) . وأخبرنا جل جلاله عن المسيح عليه السلام : ﴿ وإذ علمت أنك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ (٣) ، فسر بعض العلماء الكتاب في الآية الأخيرة بالكتابة والخط واحتمل لها تفسيراً آخر أنه المفروض ؛ أخذاً من قوله تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ (٤) : أي فريضة مؤقتة بوقت ، فالكتاب يأتي بمعنى المكتوب وهو المفروض ، والحكمة معناها وضع الأمور في مواضعها ، فقد أتى الله عز وجل المسيح علم المفروضات على العباد ، وأوتي الحكمة في الأقوال والأفعال ، وأوتي التوراة حفظاً وفيها ، وأنزل عليه الإنجيل كتاباً متيزاً .

والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم يعرفون فرائض الله بتعريف الله إياهم ،

(٢) الحديد : ٢٥ .

(٤) النساء : ١٠٣ .

(١) البقرة : ٢١٣ .

(٣) المائدة : ١١٠ .

وكذلك كتابهم سواء تَوُّنٌ أو لم يَدَوُّنٌ ، كبيراً كان أو صغيراً ، نقل إلى الناس باللفظ والمعنى أو بالمعنى دون اللفظ .

لكن القرآن خص بالذكر التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى ؛ فهذه لفظها ومعناها من الله عز وجل ، وخص القرآن من بينها بأنه معجز ، كما خُصَّ بخصائص أخرى ، منها أن الله تولى حفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) . وقامت هذه الأمة بتوفيق الله لها بحفظ كتابها ، بينما كلف أهل الكتب الأخرى بأن يتولوا حفظها فلم يقوموا بحق الله عز وجل : ﴿ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ (٢)

- والظاهر أن الأسفار الخمسة الأولى من أسفار العهد القديم - وهي تعتبر عند اليهود التوراة - قد اختلطت فيها صحف موسى مع التوراة مع السيرة الذاتية لموسى عليه السلام مع قومه ومع فرعون ، وهذا واضح من أدنى قراءة لهذه الأسفار ، هذا مع التبديل والتحريف والزيادة والنقص مما تدل عليه أدلة كثيرة ، وفي كتابنا الرسول ﷺ ، وفي تفسيرنا بَرَهْنَا على ذلك من خلال نصوص هذه الأسفار ، ويكفيها ما شهد به القرآن عنهم : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٣) ، ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٤) ، ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمناً قليلاً ﴾ (٥) وهناك شيء آخر غير التوراة أنزل بمناسبات أخرى .

- والظاهر أن الأناجيل الحالية قد أختلط فيها كذلك ما هو من الإنجيل وما هو سيرة ذاتية للمسيح عليه الصلاة والسلام مع التحريف والتبديل ، فالأناجيل المعتمدة عند نصارى اليوم مكتوبة بأقلام مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ، وهناك أناجيل أخرى لم تُعتمد وأندرست ، وكل ما وصلنا مما يسمى إنجيلاً نجده وكأنه سيرة ذاتية للمسيح عليه الصلاة والسلام فيه مقاطع ؛ نحسُّ بأنه بالإمكان أن تكون من الإنجيل ، ولكننا لا نستطيع الجزم .

(٢) المائة : ٤٤ .

(٤) المائة : ٤١ .

(١) الحجر : ٩ .

(٣) النساء : ٤٦ .

(٥) البقرة : ٧٦ .

- والظاهر أن الزبور الحالي قد اختلط فيه ما هو وحي رباني بما هو إنشاد لداود بما هو قصائد أخرى قالها غير داود ، يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فهنا مزامير لا تُذكر نسبتها وهناك مزامير تذكر أن داود قالها بمناسبة ، وهناك مزامير أخرى تُنسب لقائلها .

- والراجح أن هناك بقية من صحف موسى في الأسفار الخمسة مخلوطة بغيرها .

ومن ههنا نعرف رحمة الله عز وجل إذ خص محمداً ﷺ بكتابه الحاكم والمهين والمعجز والمحفوظ لتفيء البشرية إليه ، ويكون حجة على المكلفين ، وجعل فيه من الخصائص ما لا يحاط به .

وتوجد عند أمم كثيرة غير اليهود والنصارى أسفار دينية قد تكون بعض أصولها مروية عن الأنبياء ، ولكن ذلك لا نستطيع الجزم به ، وإن كنا نجزم أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها من يبلغها دعوة الله : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ^(١) . وهؤلاء الرسل جميعاً بعثوا بتبيان المفروض على الناس ، وتعليم الحكمة في التعامل مع الخالق والمخلوق ، وبعثوا بتزكية الأنفس : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْتَقَىٰ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ ^(٣) .

وهذا كله يتم عبر تبليغ الوحي ؛ سواء أشبه هذا الوحي الأحاديث القدسية في شريعتنا ، أو أشبه السنة النبوية ثم سجله الناس عن أنبيائهم وحرفوه فيما بعد ، ويحتمل أن يكون الله عز وجل قد أنزل كتباً أخرى غير الذي ذكره لنا ؛ فقد قال الله عز وجل : ﴿ فَبِعِثْ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ^(٤) ، قال الفخر الرازي : (وللوحي خصائص وللكتب السماوية خصائص وسمات وخصص القرآن بمزيد من هذه الخصائص والسمات) ، وقد ذكرت في القرآن الكريم خصائصه وصفاته فهو : محكم ، مثاني ، حق ، عدل ، مفصل ، يفرق بين الحق والباطل ، يبين كل شيء يحتاجه المكلف في أمر دنياه وآخره وفيه الهداية والرحمة ، وآياته على نوعين : محكمة ومتشابهة ، وفيه عرض لآيات الله في الكون والنفوس ، وفيه علم الساعة ، وهو أعلى كتاب ، وأحكم كتاب ، وفيه الإنذار

(٢) النازعات : ١٨ ، ١٩ .

(٤) البقرة : ٢١٣ .

(١) فاطر : ٢٤ .

(٣) البقرة : ١٢٩ .

والتبشير ، وهو الحكم الفصل لكل ما اختلف فيه الناس ، وهو شفاء لما في الصدور من أمراض وشكوك وأسئلة وخيرة ، وهذا وغيره تجده في القرآن الكريم مما وصف الله عز وجل كتابه ، كما سنرى ذلك .

وكلمة الإنجيل تعني البشارة ، والنصوص القرآنية تذكر أن عيسى عليه السلام جاء مبشراً برسول اسمه أحمد ، وقد وصف الله عز وجل رسالة عيسى بصفات تنطبق ضرورة على الإنجيل ، كما وصف الإنجيل بصفات ، ومن خلال ذلك تتحدد معالم الإنجيل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٣) .

وأما الزبور فلم يأت له وصف قرآني ولكن اسمه يوحى بأنه أقرب إلى الأنشودة والتذكير ، قال ﷺ : « لقد أوتي زمماراً من مزامير آل داود » ^(٤) . والمراد بالزممار هنا : الصوت الحسن .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ^(٥) .

والمزامير الموجودة الآن في العهد القديم منها ما هو منسوب لداود ومنها ما هو منسوب لغيره ، ويظهر من قراءتها وكأن بعضها عليه طابع الوحي ، وبعضها نشيد لداود ، نفسه وبعضها نشيد لغيره ، والله أعلم .

(٢) المائدة : ٤٦ .

(١) الصف : ٦ .

(٣) آل عمران : ٤٩ .

(٤) البخاري (١ / ١٢) - ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣١ - باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن .
ومسلم (١ / ٥٤٦) - ٦ - كتاب صلاة للمسافرين وقصرها - ٣٤ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .
والترمذي (٥ / ٦١٢) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٥٦ - باب في مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
وقال : هذا حديث غريب .

والنسائي : (٢ / ١٨٠) - ١١ - كتاب الافتتاح - ٨٣ - باب تزيين القرآن بالصوت .

(٥) الأنبياء : ١٠٥ .

وأما التوراة فقد وصفت في القرآن بأوصاف جامعة :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ
شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ (٢) .

وأما صحف إبراهيم وموسى فقد ذُكِرَ بعض ما فيها بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي
الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٣) .

وقد وردت إشارة إلى بعض ما في صحف إبراهيم بقوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّى *
أَلَّا تَرَىٰ وَاذِرَةً وَزُرَّ الْأُخْرَى ... ﴾ (٤) .

ولم تصلنا كل أخبار الرسل السابقين وما أنزل عليهم وما بلغوه أقوامهم إلا ما جاء في القرآن
والسنة ، أما ما سوى ذلك فالأدلة الواضحات والتحقيقات القاطعات تشهد على التحريف
والتبديل ، ومن ههنا تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن الكريم ليبقى الحجة القطعية على
الخلق في كل ما بعث به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فقد تضمن ذلك كله الآيات
والمفروض والحكمة وتزكية النفس وزاد على ذلك ، وقد جملة الله معجزاً لتقوم به الحجة
على الخلق جميعاً : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَهُدًى
عَلَيْهِ ﴾ (٥) .

وقد جاء بالأحكام التي تسع الزمان والمكان وخفف فيه عن المكلفين ما شدد على أمم
سابقة عقوبة لهم : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْحَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦) .

* * *

(٢) الأعراف : ١٤٥ .

(٤) النجم : ٣٧ ، ٣٨ .

(٦) الأعراف : ١٥٧ .

(١) المائدة : ٤٤ .

(٣) الأمل : ١٤ - ١٩ .

(٥) المائدة : ٤٨ .

والإيمان بالقرآن يدخل فيه الإيمان بحروفه وقراءته ومضمونه ، ويدخل فيه الإيمان بالسنة شارحة الكتاب : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

- وأسهل طريقة للتعرف على خصائص القرآن أن نعرف ما وصف الله عز وجل به كتابه ، أو ماسماه به ، أو ما وصف به رسول الله ﷺ الله كتاب الله وسماه به ، وقد أحصى الإمام الزركشي في كتابه (البرهان) ثمانية وأربعين اسماً ؛ من ذلك أنه روح : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (٢) ، ومن ذلك النور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) ، ومن ذلك الذكر : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (٥) ، ومن ذلك الهدى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْسَمُ ﴾ (٦) ، ومن ذلك حبل الله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٧) ، ومن ذلك الحق : ﴿ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ (٨) ، ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ (٩) ومن ذلك الشفاء : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ (١٠) ، ومن ذلك الموعظة والرحمة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١) ، ومن ذلك المبين : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٢) ، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١٣) ومن ذلك أحسن الحديث : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١٤) ، ومن ذلك الحكم : ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ

(٢) الشورى : ٥٢ .

(٤) الحجر : ٩ .

(٦) الإسراء : ٩ .

(٨) الرعد : ١ .

(١٠) فصلت : ٤٤ .

(١٢) المائدة : ١٥ .

(١٤) الزمر : ٢٣ .

(١) النحل : ٤٤ .

(٣) المائدة : ١٥ .

(٥) طه : ١٢٤ .

(٧) آل عمران : ١٠٣ .

(٩) فصلت : ٤٢ .

(١١) يونس : ٥٧ .

(١٣) النحل : ٨٩ .

خَبِيرٍ ﴿١﴾ . فكتاب اجتمعت فيه هذه الخصائص وغيرها مع عجز البشر أن يأتوا بأقصر سورة من سورة أو ثلاث آيات من آياته ففيه دليل أنه من الله عزوجل .

- إنك عندما تنظر إلى القرآن ككل تجده مدهشاً بما اجتمع فيه من تناسق وتوافق وتكامل وبما فيه من كمال في الأسلوب والفصاحة والمعاني : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٢) .

- والقرآن فيه إعجاز ومعجزات ، فإعجازه قدر مشترك فيه ، وذلك وحده معجزة محسة قامت بها الحجة على العالمين ، إذ عجز المخاطبون وهم عاجزون إلى الأبد أن يأتوا بسورة من مثله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٣) . فالعجز عن الإتيان بأدنى سورة من سورة هو مظهر إعجازه ، وهناك زيادة على الإعجاز معجزات تظهر حيثما وجدت شيئاً يستحيل أن يكون مصدره بشرياً كآيات التي تتحدث عن كونيات لم يكتشفها الإنسان إلا مؤخراً ، وكإخباره عن الغيوب السابقة واللاحقة ، وأسرار وحدته إلى غير ذلك من أمور أطنب الكتاب في شرحها وتحدثنا عن بعضها في كتابنا (الرسول ﷺ) وفصلنا الكثير منها في التفسير .

- والحديث عن أسباب الإعجاز يطول وقد لا يدرك كل إنسان هذه الأسباب ولكن الحجة قائمة على البشر بالعجز وفي ذلك الكفاية ، والأسهل على الخلق أن يتعرفوا على معجزاته ، فقيام الحجة بها على العرب والعجم وكل مكلف لا يتارى فيه ، فن معجزاته أنه قدم للمكلفين هداية كاملة في العقائد والعبادات والتشريع والأخلاق والآداب ومن معجزاته أنه قدم تصوراً عجيباً عن الكون والحياة وعن الزمان والمكان بما لم تعرف أبعاده إلا في عصرنا : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنِينَا فَا بِأَيْدِي وَإِنَّا

(١) هود : ١ .

(٢) النساء : ٨٢ .

(٣) البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) الحجج : ٤٧ .

مُوسِعُونَ ﴿ (١) ، ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لَقَسَمَ لو تعلمون عظيم ﴾ (٢) ، ﴿ أولم ير
الذين كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (٣) ومن معجزاته ما حدثنا به
عن كوني لم تعرف إلا في عصرنا ، ومن معجزاته ما أخبر به عن مستقبلٍ ووقع ، ومن
معجزاته ما أخبر به عن أمم سالفه ولم يكن العرب يعرفونها ، ومن معجزاته تَضْمُنُهُ لكل
ما في كتب أهل الكتاب من معانٍ مع أن محمدًا ﷺ كان أميًا ، ومن معجزاته التناسب في
جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف فيه ، ومن معجزاته وفاءه بجادات البشر في
المداية في كل شيء ، ومن معجزاته التصرف في الأمثال والتصوير بما لا يخطر على قلب
بشر : ﴿ قل لو كان الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ
جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (٤) .

- ولا شك أن لمعاني القرآن دخلًا في إعجازه ، ومع المعاني اجتمعت فصاحة لا مثيل لها ،
وبلاغة لا مثيل لها ، وأسلوب لا مثيل له ، ونظم لا مثيل له ، وجزالة لا تصح من مخلوق
بحال ، وحسن بيان بالغ ذروة الكمال ، وتصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به
عربي حتى يقع منهم الاتفاق على إصابته في وضع كل كلمة وكل حرف في موضعه ، هذا مع
ما اجتمع فيه من خصائص وصفات مع ما وجد فيه من روح وحياة كل ذلك عوامل في
الإعجاز ، والأمر أوسع من ذلك .

وبعد ، فالإيمان بالكتب يشمل :

- الإيمان الإجمالي بكل كتاب أنزله الله عز وجل على كل نبي ورسول ، والإيمان
التفصيلي بما سماه الله عز وجل لنا وذكره ، وهي : القرآن وهو أفضلها ثم التوراة وهي تالية
له بالفضل ثم الإنجيل ثم الزبور ثم صحف إبراهيم وموسى .

- ومقتضى الإيمان بالكتب الاعتقاد بأنها وحى من الله عز وجل للرسل الذين أنزلت
عليهم هذه الكتب .

(٢) الواقعة : ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) الكهف : ١٠٩ .

(١) الذاريات : ٤٧ .

(٣) الأنبياء : ٣٠ .

- وأن الكتب السابقة على القرآن ضاعت أو حُرِفَتْ أو بُدِّلَتْ أو غُيِّرَتْ أو اختلطت بغيرها وجاء القرآن مؤكداً لثوابتها وذاكراً للتكليفات المستمرة وناسخاً للأحكام الخاصة .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (١) .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢) .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٣) .

- الإيمان بالقرآن يقتضي الإيمان بعموم الخطاب فيه للمكلفين من الإنس والجن جميعاً ويقتضي الإيمان بخلود هذا الخطاب وأن المكلفين من الإنس والجن مخاطبون به حتى يرث الله الأرض ومن عليها وأنه شامل كامل ، وأنه الكتاب الوحيد الذي لم يداخله تغيير ولا تبديل ، وأنه حاكم وناسخ لكل كتاب سابق .

هذا وقد مرت معنا نصوص في القسم الأول من هذا الكتاب عن القرآن وستأتي نصوص في أقسام لاحقة في سياقاتها فلنكتفِ بما ذكرناه هنا كي لا يخلو هذا القسم من تذكير بكل ما يلزم في باب العقائد .

* * *

(٢) النساء : ١٣٦ .

(١) المائدة : ٤٨ .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

الوصل
في:
التعريف على كتب بعض أهل الأديان
وفيه:
مقدمة وتعريفات ونصوص

المقدمة

لقد رأينا فيما مر اتجاهها نقله الفخر الرازي رحمه الله يفيد أنه ما من رسول إلا وأنزل معه كتاب ، وذلك قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (١) .

كما أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٢) ؛ فإذا أخذنا بظاهر هذا القول وعرفنا أنه مامن أمة إلا وقد أرسل لها رسول أو أكثر ، فالمفروض أن تكون هناك كتب كثيرة ذات أصل سماوي ، وقد خص القرآن بالذكر التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى ، فكان القول الذي ذكره الفخر الرازي ، إن تخصيص هؤلاء بالذكر لا ينفي أن تكون هناك كتب أخرى ، هذا مع أن الآيتين اللتين صدرنا بهما هذا الوصل يمكن أن يحملا على محامل أخرى ، كأن يراد بالكتاب المكتوب بمعنى المفروض ، فيكون المعنى : وأنزل معهم المفروضات على أممهم ، إلا أن المتتبع للدراسات المقارنة الحديثة يرجح أن تكون هناك كتب أخرى ذات أصول سماوية ، ولكن هل هي كتب أنزلت من السماء ككتب ، أو أنها الوحي الذي أنزل على رسل جمعه أقوامهم في كتب ، فيكون المعنى الثاني هو المراد ؟ الأمر يحتمل .

وأيا كان الأمر فليس هناك كتاب ديني في العالم يستطيع أصحابه أن يدعوا أنه منقول تواتراً من هذا العصر إلى صاحب رسالة إلا القرآن الكريم ، ومن ههنا كان القرآن هو الحجة على كل التراث المنسوب إلى الله ورسله عليهم الصلاة والسلام .

ولا شك أن كل كتاب قام عليه دين بعد القرآن الكريم فإنه مكذوب على الله عز وجل لأن محمداً ﷺ خاتم النبيين بنص القرآن : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٣) ، وإذا جعل الله عز وجل القرآن مفصلاً لكل شيء ، ومصداقاً للوحي الحق الذي سبقه ، ومهيئاً عليه ، فإنه يغني عن كل كتاب سابق ، ويشهد ببطلان كل ماخالفه من أخبار ، وينسخ

(٢) الحديد : ٢٥ .

(١) البقرة : ٢١٣ .

(٣) الأحزاب : ٤٠ .

كل تشريع لم يقره ، أما الأخبار التي لا تعارضه فليس على المسلم أن يصدقها أو يكذبها إذا كان مما يدخل في دائرة إمكانية القبول ، أما التشريعات السابقة على تشريعنا حتى ولو صحت نسبتها إلى نبي - وأنى يكون ذلك - فلا تدخل ضمن دائرة التكليف ولو سكت عنها شرعنا ، إلا إذا نص عليها ، وحتى في ذلك فإن الأصوليين مختلفون فيما لو قصَّ الله علينا شرع غيرنا دون أن ينسخه ، هل يعتبر شرعاً لنا أو لا ؟ والقول المشهور أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخه شرعنا ولكن بشرط أن يأتينا عن طريق الوحي المنزل على رسولنا عليه الصلاة والسلام .

ولكي يكون عند المسلم تصور عن الكتب الدينية القديمة فإننا نذكر شيئاً عنها :

١ - التعريف بكتب الهند الدينية

١ - كتب « الفيدا » وهي أقدم الكتب الدينية عند اليهود ، وهي أربعة كتب : (الريج فيدا) و (الياجور فيدا) و (الساما فيدا) و (أنار فيدا) وهذه الكتب هي أصول الديانة الهندوسية ، ولا يعرف من وضعها ، وهذا نموذج مترجم عن السنسكريتية من الكتاب الأول يتحدث عن إله الأعلى :

(هو الأعلى من كل شيء وهو الأسنى إله الآلهة ذو القوة العليا الذي أمام قدرته الغالبة ترتعد الأرض والسموات العالية أهباً الناس استمعوا لشعري إنما هو إندرا إله الكون . هو الذي قهر الشياطين في السحاب ، وأجرى الأقمار السبعة الصافية الكبار ، واقتحم كهوف الكآبة والأكدار ، وأخرج البقرات الجميلة من الأرحام ، وأضاء النار القديمة من البرق في الغمام . ذلك هو إندرا البطل الجسور الجيش المتقدم للهيجاء يناديه للنصرة يوم الحرب الأعزاء بصيته الذائع يهتفون ، والأذلاء يذكرون اسمه بشفاهم وهمسون . وقائد الجيش على العجلة الحربية يدعو ويستنصر إندرا إله الحرب . الأرض والسماء تعترفان بسلطانه وكاله ، والجبال المرتعدة تخضُّ له وتسجد لجلاله . هو الذي يرسل صواعق السماء على أعدائه فلتهدَّ إليه السكائب المقدسة فإنه يقبل هذه الخمر : خمر سوما ويستمع للشعر وأغاني الولاء له . البقرات وأفراس الوغي له القرى والمساكن وعجلات الحرب هو يرفع الشمس بيده

البنى ويفتح الأبواب الحمر من شفق الفجر فيبزق السحاب الأحمر تمزيقاً ويرسل شأيب المطر لنصدق به تصديقاً (١) ا. هـ .

ويعتقد الباحثون أن « الثيدا » جاءت مع الشعوب الآرية التي غزت الهند ، وهناك خلاف بين الباحثين حول منشأ الآريين الغزاة للهند ، هل هو تركستان أو أوروبا ، وفي كلا الحالتين فإن الاحتمال الأكبر أن تكون الأصول السماوية الصحيحة للثيدا قد نزلت على هذه الشعوب ثم حملتها إلى الهند ثم تتابع إرسال الرسل إلى الهند ، وإن كنا لا نستطيع التحديد الجازم فيمن هو رسول وفيما هو وحي سماوي .

٢ - (قوانين مانو) وهي التي سجل فيها أسمى نظام طبقي في العالم ، وهذا نسفة « بوذا » بعد ذلك في ديانتته .

٣ - (المهاپارتا) وهي قصيدة طويلة ، ومؤلفها شخص اسمه « وياس » ، وهي أشبه بالإلياذة والأوديسة عند اليونان .

٤ - (كينا) وهو منسوب إلى رجل اسمه « كرشنة » وكرشنة عند الهنود كالمسيح عند المسيحيين بعد تحريف ديانتهم ، حتى إن كثيراً مما وصف به المسيح عليه السلام موصوف به كرشنة مما يعتقد معه أن أحد الجانبين أخذ من الآخر ، ومن كلام كرشنة في هذا الكتاب : « لقد أضلت كلمات ويدا عقلك ، فصرت لا تفهم قيمة الفرض وما يتبعه من الواجبات ، والذين يتسكون بألفاظ ويدا وحدها ، ويرونها كل شيء ، يركبون شططاً ، إنهم إنما يجرون وراء أهوائهم النفسية . يمنون أنفسهم بالجنة ، لأنهم حريصون على لذائذ الحياة ، فيقومون بطقوس يرونها تضمن لهم الجنة ، ولذلك تلبلت عقولهم ، وتشعبت سبلهم ، وضلت أعمالهم ، فهم في حيرة وارتباك ، يجرون وراء شهواتهم ، ولا يستطيعون حصر أفكارهم في نقطة واحدة . »

« أما أنت ، فكن فوق القشور الويدية . لا تقلقك أفكار الراحة أو التعب ، النجاح أو الخيبة ، بل كن مطمئناً منشرحاً في روحك ، والعامل الذي وصل إلى الحقيقة ، ليست

(١) « أدیان الهند الكبرى ، للدكتور / أحمد شلبي .

الكتب الويدية له إلا كبر في مكان ذي أنهار ، فعليك أن تقوم بواجبك ، لأنه واجب عليك ، واجمع عقلك على هذه النقطة وحدها .. » .

« اعلم أن أشد أعداء الإنسان اثنتان : الشهوة والغضب. وهما اللذان يدفعانه إلى الذنوب ، وكما يغطي الدخان النار ، ويكدر الغبار صفاء المرآة ؛ كذلك الشهوة والغضب يغطيان عقل الإنسان ، فعلى الإنسان أن يقتل هذين العدوين » .

« والذي يقوم بواجبه كما قلت ، يبرز نور العرفان في داخله كما تبرز الشمس في السماء ، فيرى ربه بعين قلبه ، ويسعد بالنجاة بعد أن تذهب ذنوبه وتحمل محلها الحسنات » . هـ (١)

٥ - (بوجاواسفسها) ولا يعرف مؤلف هذا الكتاب ، وهو منظومة شعرية تحتوي على أربعة وسبعين ألفاً من الأبيات .

٦ - (رامابانا) ولا يعرف مؤلفه ولا تاريخ تأليفه ، وهو أقرب إلى أن يكون كتاباً في أنظمة الحكم . هذه هي أهم كتب الديانة الهندوسية (٢) .

أما الديانة البوذية ، فالمعروف أنها لم تسجل في حياة بوذا ، وقد ظهر الاختلاف الكبير بين أتباعه فعمدوا مجلساً كبيراً بعد زمن من وفاته عام (٤٨٣ ق م) ، وطلبوا من ثلاثة من أكبر تلامذته أن يتحدثوا عن موضوع رئيسي من تعاليم بوذا ، فتحدث أحدهم عن العقائد وأخر عن الشريعة وأخر عن الحكايات ، وهي مع ذلك بقيت تتناقل شفهيًا حتى عهد الإمبراطور أسوكا عام (٢٤٢ ق م) ومن ههنا فإننا لا نستطيع الثقة بما سجل بعد هذه السنين الطويلة ، وكان التحريف والتبديل والجهل عوامل انتقلت بالبوذيين من اعتبار بوذا حكيمًا ابتداءً إلى تأليهه في النهاية ، فحدث عندهم ما حدث عند النصارى بينما يروي أتباعه عنه هذه الحكاية : (أن أحد تلاميذه قال له مرة : إنني أيها السيد أؤمن بكل قلبي أنه لم يوجد قط ، ولا يوجد الآن ، ولن يوجد إلى آخر الدهر مرشد أعظم قدرًا وأكثر عقلًا من مرشدنا المبارك .

(١) « أديان الهند الكبرى » للدكتور / أحمد شلبي .

(٢) راجع « أديان الهند الكبرى » لأحمد شلبي .

فأجاب بوذا : هل أنت قد عرفت كل العارفين الذين سبقوني ؟ وهل عرفت كل العارفين الذين يأتون بعدي ؟

فأجاب التلميذ : لا ياسيدي فلم يتيسر لي ذلك .

قال بوذا : هل عرفتني كل المعرفة ؟ وتوغلت في نفسي كل التوغل ؟

فقال التلميذ : لا ياسيدي وكيف لي ذلك ؟

فقال بوذا : فَلِمَ إِذَا أُسْرَفْتَ فِي قَوْلِكَ وَجَمَلْتَنِي خَيْرَ النَّاسِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفَنِي وَلَا تَعْرِفُ النَّاسَ ؟ (١) ا. هـ .

ب - التعريف ببعض كتب الصين الدينية

لأنعرف شيئاً عن أديان الصين القديمة إلا عن دينين - لا زالا موجودين حتى الآن : الطاوية المنسوبة لـ (لوتس) والكونفوشيوسية المنسوبة « لكونفوشيوس » ، وقد جُمِعَت آراء لوتس وأحاديثه في كتاب اسمه « كتاب الأخلاق » وهو يدعو إلى القناعة والزهد والتسامح المطلق ومقابلة السيئة بالحسنة ، وقد اجتمع به كونفوشيوس في أخريات حياته ، ويدعي أنه لم يوافق على بعض آرائه ، والكونفوشيوسية أكثر انتشاراً وقد جمع تلاميذ كونفوشيوس آراءه في كتاب « الحوار » وهو مترجم إلى اللغة العربية .

والمعروف عنه أنه لخص كثيراً من الكتب الصينية القديمة ، ولا نعرف أنه تُرجمَ منها شيء إلى اللغة العربية ، فلربما استطاع الدارس أن يلمح فيها شيئاً يوصل إلى استئناس في شأن أديان الصين القديمة .

ج - التعريف ببعض كتب الفرس الدينية

المشهور من كتب الفرس الدينية كتاب « الزندافستا » المنسوب إلى « زرادشت » ، ويذكر أبو الكلام آزاد في رسالته عن ذي القرنين أن الرواية الفارسية تذكر أن صحيفة زرادشت

(١) المرجع السابق .

الدينية دونت في جلود اثني عشر ألف ثور بجزر من الذهب ، واحتترقت أيام حرب الإسكندر ، فيقول أبو الكلام :

(ولما تأسست الإمبراطورية الساسانية بعد خمسمائة سنة من الإسكندر ، حاول الفرس لَمْ شعث الدين الزرادشتي من جديد ، فكما جمع عزرا التوراة بعد أسر بابل ، كذلك يقال إن أردشيربايكان أمر بجمع كتاب أوستا من جديد إلا أن خصوصيات الدين الحقيقية كانت قد تحرفت بتغيرات وإضافات كثيرة ، ومسخت حقيقتها ، فالدين الزرادشتي في شكله الجديد ، لم يكن دينا خالصا ، بل أصبح خليطا من المجوسية القديمة ، واليونانية ، والزردشتية . وقد زاد الطين بلة الموبدون والمفسرون بمحاشيهم وشروحهم وتفسيرهم التي ذهبت بالدين بعيدا عن أصله) (١) . ١ هـ .

ويقول البستاني في دائرة معارفه : «لزرادشت كتاب آخر في الرؤيا صنعته علماء القرن الثاني والأول قبل الميلاد» . ١ هـ .

أقول : وفيما تبقى من «الزندافستا» الحالية بشارة واضحة برسولنا عليه الصلاة والسلام ذكرها العقاد في كتابه مطلع النور وتقلناها في كتابنا (الرسول ﷺ) وهذا يشهد لرسالة زرادشت والله أعلم .

د - التعريف ببعض الكتب اليهودية الدينية

الكتب الدينية لليهود قبل المسيح عليه السلام تتألف من قسمين رئيسيين :

أولاً : أسفار العهد القديم .

ثانياً : التلمود ، وتختلط في أسفار العهد القديم السير الذاتية للأنبياء بنصوص الوحي بالتاريخ اليهودي . ويكاد المؤرخون والمحققون يجمعون أن أكثر أسفار العهد القديم كتبت بعد مئات السنين من تاريخ أحداثها أو وجودها يقول (ويل ديورانت) : « ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد أخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق - م » ، ويقرر (ويلز)

(١) رسالة ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين ﴾ .

« أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد » .
وقد جمعت هذه الأسفار من الروايات الشفهية المتوارثة ولذلك داخلها الخلط والخبث
وأكبر مثال على ذلك أنك تجد زبور داود مختلطاً بما هو وحي ليس منسوباً لأحد وبما هو
قصائد منسوبة لداود قالها في مناسبات وبما هو قصائد منسوبة لغير داود .

وأما التلمود فهو الروايات الشفهية التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل وقد ابتدأ
تدوين التلمود بعد مائة وخمسين سنة من عهد المسيح ثم تكامل تدوينه من بعد ويعتبره
بعض اليهود أقوى إلزاماً من التوراة ومن هذا كله ندرك صعوبة معرفة ما هو وحي صحيح
من مجموع هذا التراث ^(١) .

هـ - التعريف ببعض كتب النصارى الدينية

أنزل الله على المسيح عليه السلام إنجيلاً واحداً ، وكان للمسيح عليه السلام سيرة ذاتية ،
والأنجيل الحالية المعتمدة عند النصارى يختلط فيها ما هو سيرة ذاتية للمسيح بعظاته بما
يمكن أن يعتبر من الإنجيل بما زاده المحرفون وكل ذلك من خلال رواية مدرسة بولس الذي
حرف دين المسيح واختلف مع الحواريين وخالفهم ولم يكن هو من تلاميذ المسيح عليه
السلام . وهذه الأنجيل الأربعة كتبت بعد سنة ٦٣ ميلادية ، وكانت هناك أنجيل أخرى
ورسائل للحواريين وكل ذلك ألفاه مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية حيث تغلب فكر بولس
ومدرسته القائلين بألوهية المسيح ، جاء في كتاب المسيحية لأحمد شلي عن أسفار العهد
الجديد بما في ذلك الأنجيل الأربعة :

(إن هذه السبعة والعشرين سفراً أو الرسالة الموضوعية من قبل ثمانية كتاب لم تدخل في
عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية
العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أي من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى
الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في
الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني ومعهم عشرات الأنجيل

(١) راجع « اليهودية » لأحمد شلي .

ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تمّ انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلاً وتمّ انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها ، حتى عمل هذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صح نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل ، ويؤكد هذا الكاتب : أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً ولا تشير إليها «^(١) . ا. هـ .

و- التعريف ببعض كتب الصابئة الدينية

وعند صابئة العراق الحاليين كتاب يتكثون عليه ويدعون نسبته إلى شيث بن آدم وإدريس عليهم السلام .

هذا العرض السريع لبعض الكتب الدينية المعروفة في العالم ترينا أنه لا يوجد غير القرآن كتاباً إلهياً قطعي النسبة إلى الله ومنقول لنا تقيلاً قطعياً ، قال تعالى عن القرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢) فقد تعهد جل جلاله بحفظ القرآن وكلف بحفظه المسلمين ، أما غير القرآن فقد كلف أصحابه بحفظه ولم يتعهد بحفظه فقصر أصحاب ذلك بالحفظ بل بدلوا وغيروا .

فائدة :

ذكر القرآن الكريم صحف إبراهيم عليه السلام وقد تعرض لذلك الشيخ عبد الرحمن حبنكة في كتابه العقيدة الإسلامية فذكر ما يلي :

(لقد أخبرنا القرآن بأخباره الصريحة عن الصحف الأولى وذكر منها صحف إبراهيم عليه

(١) « السحبة » للدكتور أحمد شلبي .

(٢) الحجر : ٩ .

السلام ولكن هذه الصحف مفقودة فلا يعرف منها شيء إلا بعض حقائق في الدين ، أشار القرآن إلى أنها بما تضمنته هذه الصحف .

١ - فن ذلك قوله تعالى في سورة (النجم) :

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الْأَلْيَسِيِّ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مَنْ نُطِقَهُ إِذَا تَمَنَّىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْمَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿ (١) .

أقنى : أعطى من الرزق والأموال ما يقتنى ويدخر . الشعري : نجم وضاء يقال له : مِرْزَمُ الجوزاء ، ويسمى الشعري العبور ، وقد عبدته طائفة من العرب . المؤتفكة : هي قري قوم لوط ، وسميت هذه القري مؤتفكة لأنها ائتفتك بأهلها ، أي انقلبت . أهوى : أي أوقعها وأسقطها - بعد رفعها عن أماكنها - من الأرض إلى الفضاء .

فهذه الحقائق الدينية التي أعلنتها هذه الآيات مما أنزله الله في صحف إبراهيم وموسى ؛ كما هو ظاهر في مدلول الآيات .

ب - ومن ذلك قوله تعالى في سورة (الأعلى) :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ (٢) .

ونتهي هذا الوصل بذكر نصوص تحدد الموقف من روايات اليهود والنصارى ومن باب أولى غيرهم ونذكر فيها بأدب المسلم في التمسك بالقرآن الكريم وإهمال ما عداه إلا لضرورة الخدمة الإسلامية :

(النصوص)

٨٠٩ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِمَا يُحَدِّثُونَكَ عَنِ الْكِتَابِ ، وَلَا تَكْذِبُوا بِهِمْ ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَنَا أَنَّهُمْ كَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ ، وَقَالُوا : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . »

وفي رواية (١) قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبي ﷺ : « لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ .. » وذكر الحديث .

٨١٠ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ؟ وكتابتكم الذي أنزل الله على نبيكم أخذت الكُتُبَ بالله ، تقرؤونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغَيَّرُوهُ ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ؟ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ ولا والله ، ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

٨١١ - * روى البخاري عن حميد بن عبد الرحمن رحمه الله ، قال : سمعت معاوية رضي الله عنه يحدث زهطاً من قريش بالمدينة - وذكر كُتُبَ الْأَحْبَارِ - فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنَبْلُوَ عَلَيْهِ الْكُذِبَ .

أقول : إن كعباً من الثقات إلا أن الكذب يطرأ على رواياته عن أهل الكتاب بسبب كذبتهم . لا أنه كان يتمد الكذب عليهم أو على غيرهم .

٨٠٩ - البخاري (١٢ / ٢٣٢) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٥ - باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

(١) البخاري (٨ / ١٧٠) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١١ - باب ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ .

٨١٠ - البخاري (١٢ / ٢٣٢) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٥ - باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

٨١١ - البخاري ، للموضع السابق .

٨١٢ - * روى أحمد عن ابن أبي نَمْلَةَ الأنصاري ، أن أباه أبا غلثة الأنصاري أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، وَمَرَّ بِجِنَازَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجِنَازَةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أَعْلَمُ » . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّهَا تَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا حَدَّثْتُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ ، وَلَا تَكْذِبُوهُمْ ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تَكْذِبُوهُ » .

قال البغوي : وهذا أصل في وجوب التوقف عما يشكل من الأمور والعلوم . فلا يقضى فيه بجواز ولا بطلان ، وعلى هذا كان السلف . اهـ .

٨١٣ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ حين أتاه عمْرٌ ، فَقَالَ : إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودٍ تُعْجِبُنَا ، أَفْتَرَى أَنْ نَكْتَبَ بَعْضَهَا . فَقَالَ : « أَمْتَهُوْكُمْ كَمَا تَهْوَكُتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي » .

قال البغوي : قوله : « أَمْتَهُوْكُمْ » أي : متحيرون أنتم في الإسلام ، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى !!

وقوله : « بَيْضَاءَ نَقِيَّةً » أراد الملة ، لذلك جاء بالتأنيث ، كقوله سبحانه وتعالى :

٨١٢ - أحمد (٤ / ١٣٦) .

وأبو داود (٣ / ٣١٨) - كتاب العلم - باب رواية حديث أهل الكتاب .

وشرح السنة (١ / ٣٦٨) .

قال الشيخ شبيب محقق شرح السنة :

(وابن أبي نَمْلَةَ ، وثقه ابن حبان ، وأخرج حديثه في « صحيحه » رقم (١١٠) موارد ، ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري [الذي سبق] فيتقوى به . ا . هـ .

٨١٣ - أحمد (٢ / ٢٨٧) .

وشرح السنة (١ / ٢٧٠) .

قال الشيخ شبيب محقق شرح السنة : حديث حسن ... [وفيه] مجالد ضعيف ، وله شاهد بنحوه من حديث عبد الله بن شداد عند أحمد ٢ / ٤٧٠ ، ٤٧١ وفي سنده جابر الجعفي ، وآخر من حديث عمر عند أبي يعلى ، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ، وهو ضعيف ، وانظر « جمع الزوائد » ١ / ١٧٣ ، ١٧٤ . ا . هـ .

﴿ وذلك دين القيمة ﴾ ^(١) أي : تفسير الملة القيمة الحنيفية .

وروي ^(٢) أن كعب الأبحار جاء إلى عمر بمصحف ، فقال : يا أمير المؤمنين في هذا التوراة ، أفأقرؤها ؟ فقال : إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء فاقراها ، وإلا فلا .

أقول :

لم ننقل هاهنا كثيراً من النصوص الحديثية المتعلقة بالقرآن لأنها ستأتي معنا في القسم اللاحق : قسم العبادات الرئيسية أثناء الكلام عن تلاوة القرآن وتفسيره فلترجع هناك .

* * *

الفصل السابع

في:

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

وفيه:

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد ووصلان

المقدمة

معرفة الرسل هي التي تتحقق بها معرفة الله عز وجل فالإنسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ويؤمن بهم ويسلم لهم ويطيعهم فإنه لا يعرف الله عز وجل ، ولا يقوم بحقوقه ، ولذلك نجد آية في كتاب الله أقامت بيعة الرسول مقام بيعة الله ، كما نجد آية أخرى أقامت طاعة الرسول ﷺ مقام طاعة الله : ﴿ إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله ﴾ (١) . ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٢) .

لقد ذكرنا أن الله عز وجل له الصفات العليا والأسماء الحسنى وله الربوبية والألوهية والمالكية ولا نعرف مقتضيات وتفصيلات حقوق هذه المعاني إلا من خلال الرسل عليهم الصلاة والسلام :

فالعباداة والعبودية ، والتشريع ، والطريق إلى رضوان الله تعالى لا سبيل إلى معرفتها إلا بالرسل عليهم الصلاة والسلام :

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ (٣) .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٤) .

ومن هنا وغيره فإن الذين لا يؤمنون برسول الله ليسوا مؤمنين ، بل الكفر بواحد من الرسل كفر بالله وكفر بالرسل بأن واحد :

﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ (٥) .

ولذلك كان الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان وكان الدخول في الإسلام بالنطق بمجموع الشهادتين ، وإنما يعرف الرسول ﷺ بصفاته وبالمعجزات التي يظهرها الله

(٢) النساء : ٨٠ .

(٤) الأنبياء : ٢٥ .

(١) الفتح : ١٠ .

(٣) النحل : ٢ .

(٥) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .

على يديه والتي قد يكون منها النبوءات التي تتحقق ، وبالثمرات الطيبة الخيرة ، ورسولنا ﷺ كان له من الصفات أرقاها ومن المعجزات أكثرها وأخلدها وأظهرها ومن النبوءات ما يتحقق في الجيل بعد الجيل ومن الثمرات أحلاها وأطيبها وأعذبها ، وقد بشرت به الرسل السابقون وقد تعرضنا لذلك تفصيلاً في كتابنا «الرسول» صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وقد أعطانا القرآن الكريم تصوراً كاملاً عن موضوع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

- بما ذكره أن النبوة والرسالة قائمة على الاصطفاء فليس للكسب فيها مدخل ، وإن كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصفى الناس قلباً وأعلام استعداداً قال تعالى : ﴿ اللهُ أعلم حيث يجعل رسالته ﴾^(١) ، ﴿ اللهُ يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾^(٢) ، ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾^(٣) . وقال في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾^(٤) وقال في حق إبراهيم عليه السلام : ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾^(٥) ، وقال في حق موسى عليه السلام : ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾^(٦) ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾^(٧) .

- وبما ذكره القرآن أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها رسول ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسلاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾^(٨) ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾^(٩) ، ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسلاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾^(١٠) ، ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾^(١١) .

(٢) الحج : ٧٥ .

(٤) ص : ٤٧ .

(٦) الأعراف : ١٤٤ .

(٨) النحل : ٣٦ .

(١٠) القصص : ٥٩ .

(١) الأنعام : ١٢٤ .

(٣) النحل : ٢ .

(٥) البقرة : ١٣٠ .

(٧) طه : ١٣ .

(٩) فاطر : ٢٤ .

(١١) إبراهيم : ٤ .

وقد ختم الله النبوة والرسالة بمحمد ﷺ وجعله رسولا للعالمين من الإنس والجن ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (١) ، ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (٢) ، وكما أنه رسول الله إلى كافة الإنس فهو رسول إلى الجن : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ (٣) ﴿ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ﴾ (٤) ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ (٥) ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ (٦) .

- وبما ذكره القرآن أنه لم يقصص علينا نبأ المرسلين فقال : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ (٧) .

﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾ (٨) .

والقول الراجح عند العلماء أن عدد الرسل الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون على خلاف في ذي الكفل والراجح أنه رسول .

والرسل الذين ذكرهم القرآن هم :

آدم - إدريس - نوح - هود - صالح - إبراهيم - لوط - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - أيوب - شعيب - موسى - هارون - يونس - داود - سليمان - إلياس - اليسع - ذو الكفل - زكريا - يحيى - عيسى - محمد - عليهم الصلاة والسلام جميعا .

- وصف القرآن بعض الرسل بأنهم أولوا عزم لكثرة ما صبروا وتحملوا وما قاموا به قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ (١) وهم الخصوصون بالذكر في سورة الأحزاب : ﴿ ولقد أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

(٢) سبأ : ٢٨ .

(٤) التكويد : ٢٧ .

(٦) آل عمران : ٨٥ .

(٨) النساء : ١٦٤ .

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) الأحقاف : ٢٩ .

(٥) الأعراف : ١٥٨ .

(٧) غافر : ٢٨ .

(٩) الأحقاف : ٢٥ .

ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴿ (١) .

وهم في الفضل عند أهل العلم على الترتيب التالي :

محمد - إبراهيم - موسى - عيسى - نوح عليهم الصلاة والسلام .

وما ميز الله به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الوحي :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴿ (٢) .

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴿ (٣) .

﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴿ (٤) .

- والوحي الذي خص به النبيون والمرسلون هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه مخاطباً به ذلك النبي بأنه نبي ، وطرائق ذلك ما ذكره القرآن : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء ﴿ (٥) ، فهناك الإلقاء المباشر في قلب الرسول ﷺ وهناك الكلام المباشر من الله عز وجل من وراء حجاب وهناك الوحي بواسطة الملك ، وصور الملك بالوحي كثيرة والرسول الرئيسي المكلف بالوحي هو جبريل عليه السلام : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴿ (٦) .

- والعقل والنقل متضامان على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يتصفوا بأربع صفات رئيسية : الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة .

والصدق هو مطابقة الخبر للواقع ، قال تعالى : ﴿ وصدق الله ورسوله ﴿ (٧) .

وقال : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿ (٨) .

(٢) الكهف : ١١٠ .

(٤) الأنبياء : ٧ .

(٦) الشعراء : ١١٣ ، ١١٤ .

(٨) الحاقة : ٤٤ - ٤٧ .

(١) الأحزاب : ٧ .

(٣) النساء : ١٦٣ .

(٥) الشورى : ٥١ .

(٧) الأحزاب : ٢٣ .

﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ (١) .

وأما الأمانة فهي العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمصيبة فهي في اصطلاح العلماء القيام بالتكليف وهو الأمانة بمعناها العام : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ (٢) .

واتصافهم بالأمانة هو مقتضى التكليف الإلهي باتباعهم والافتداء بهم :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٣) .

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ (٤) .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (٥) .

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ (٦) .

﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ (٧) .

﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ (٨) .

ومعنى الفطنة القدرة على إقامة الحجة ومايستتبع ذلك من وفور عقل وقوة فهم وسرعة بديهة لأن مهمتهم إقامة الحجة بدين الله على المكلفين من خلق الله :

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٩) .

﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ (١٠) .

﴿ يأنوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ (١١) .

(٢) الأحزاب : ٧٢ .

(٤) النساء : ٦٤ .

(٦) للمتحنة : ٤ .

(٨) الأنبياء : ٩٠ .

(١٠) الأنعام : ٨٢ .

(١) الأنعام : ٢٣ .

(٣) آل عمران : ٢١ .

(٥) الأحزاب : ٢١ .

(٧) هود : ٨٨ .

(٩) النساء : ١٦٥ .

(١١) هود : ٣٢ .

ومعنى التبليغ إيصال رسالات الله إلى من أمروا بتبليغهم إياها :

﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾ (١) .

﴿ يأياها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (٢) .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٣) .

- ومن قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ﴾ (٤) أخذ العلماء أنه لم تكن نبوة ولا رسالة في جنس الإناث ، أما خطاب الملائكة لمريم عليها السلام فلم يكن بوصف النبوة بل كان كرامة لها من الله بوصف الصديقة ، قال تعالى : ﴿ وأمّه صديقة ﴾ (٥) ، وأما قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ (٦) ؛ فيحتمل أنه إلهام أو خطاب بواسطة ملك ولكن ليس بوصف النبوة بل هو كرامة وولاية .

- وقد جعل الله عز وجل العلامة على صدق الرسول هي المعجزة الخارقة للعادة التي يمجز المخاطبون عن الإتيان بمثلهما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ (٧) فما من رسول إلا وقد أوتي معجزة تقوم بها الحجج على المخاطبين برسالته وقد يكون للرسول معجزة واحدة وقد تكون له معجزات كثيرة ، والمعجزة الرئيسية لرسولنا ﷺ هي القرآن ، وهي معجزة فيها معجزات ، ولكنه مع القرآن أوتي معجزات أخرى كثيرة عليه الصلاة والسلام .

ومن وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام :

١ - إقامة العدل : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم

الناس بالقسط ﴾ (٨) .

٢ - الدعوة إلى الله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن

اتبعني ﴾ (٩) .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٤) الأنبياء : ٧ .

(٦) القصص : ٧ .

(٨) الحديد : ٢٥ .

(١) الأحزاب : ٣٩ .

(٣) النحل : ١٢٥ .

(٥) المائدة : ٧٥ .

(٧) الحديد : ٢٥ .

(٩) يوسف : ١٠٨ .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) .

٣ - تعلم الكتاب والحكمة وتزكية الأنفس وتعلم الناس ما لا يعلمونه إلا بواسطة الوحي مما يحتاجون إليه :

﴿ وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾ (٢) .

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (٣) .

- شرح الكتاب للناس :

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (٤) .

٥ - التبشير والإنذار :

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٥) .

- والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتفاضلون عند الله ، قال تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ (٦) .

﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ (٧) .

- كما أن أمم المرسلين تتفاضل : فقد فضل الله بني إسرائيل على عالم زمانهم :

﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (٨) .

- وقد جعل الله عز وجل أمة محمد خير الأمم :

(٢) البقرة : ١٢٩ .

(٤) النحل : ٤٤ .

(٦) البقرة : ٣٥٢ .

(٨) الدخان : ٢٢ .

(١) النحل : ١٢٥ .

(٣) البقرة : ١٥١ .

(٥) النساء : ١٦٥ .

(٧) الإسراء : ٥٥ .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) .

- وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تقوم الحجة على المكلفين فيطالبون بالأصول والفروع ويستحقون العذاب في الدنيا والآخرة إذا عاندوا :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٢) .

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ (٣) .

﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ (٤) .

- ومن قوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ (٥) .

وأمثال ذلك بحث العلماء موضوع ما يجوز على الرسل عليهم الصلاة والسلام من أحكام البشرية :

﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ (٦) .

﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية ﴾ (٧) .

- ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة هي الدعوة إلى التوحيد والعبادة والعبودية والاستسلام لله عز وجل فيما أوحاه إلى أنبيائه .

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (٨) .

(١) النساء : ١٦٥ .

(٢) طه : ١٣٤ .

(٣) الفرقان : ٢٠ .

(٤) الشورى : ١٣ .

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) الإسراء : ١٥ .

(٣) الأنبياء : ٨٠ ، ٧ .

(٤) الرعد : ٢٨ .

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١) .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .
﴿ واتبع ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ (٣) .

﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ (٤) .

ولكن تفصيلات العبودية لله قد تختلف من شريعة إلى شريعة والشريعة الخاتمة والناسخة لما خالفها هي شريعة محمد ﷺ :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ... ﴾ (٥) .

وأعظم مظاهر الرحمة الإلهية إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وأعظم ماتثلت به هذه الرحمة بعثته محمد ﷺ :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٦) .

ومن مظاهر هذه الرحمة تخليص الإنسان من عبودية غير الله وتعريفه للناس كيف يتعاملون وتعريفه للناس على الحق والعدل ومكارم الأخلاق وتعريفه للناس على ما يصلحهم ويذرون ما يضرهم وتعريفه للإنسان على مكانته وعلى ظواهر الوجود وبواطنه وعلى ما غاب عنه وتحقيقه بما يستأهل به الجنة ويقيه عذاب النار وبمحمد ﷺ وجدت القدوة الكاملة للإنسان .

- ونصوص الكتاب والسنة التي تتحدث عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٤) يوسف : ٤٠ .

(٦) الأنبياء : ١٠٧ .

(١) البينة : ٥ .

(٣) يوسف : ٢٨ .

(٥) المائدة : ٤٨ .

وهي تأتي في سياقات متعددة وقد ذكرنا لك أمهات من معاني القرآن وهانحن نعرض عليك بعض نصوص السنة الواردة في الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهناك نصوص أخرى تأتي في سياقاتها من هذا الكتاب .

* * *

النصوص النبوية في ذكر الأنبياء

٨١٤ - * روى أحمد عن أبي ذر قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال : « يا أبا ذر هل صليتَ ؟ » فقلت : لا . قال : « قم فصل » . قال : فقمت فصليت ثم جلست . فقال : « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » . قال : قلت : يا رسول الله للإنس شياطينٌ ؟ قال : « نعم » . قلت : يا رسول الله الصلاة ؟ قال : « خيرٌ موضوعٌ ، من شاء أقل ومن شاء أكثر » . قال : قلت يا رسول الله فالصوم ؟ قال : « فرضٌ مجزئٌ وعند الله مزيدي » . قلت : يا رسول الله فالصدقة ؟ قال : « أضعافٌ مضاعفةٌ » . قال : قلت : فأبها أفضلُ ؟ قال : « جهدي من مقلٍ أو سرٍّ إلى فقير » . قلت ؟ يا رسول الله : أيُّ الأنبياء كان أولَ ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : « نعم نبي مكلَّم » . قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : « ثلاثمائة وبضعة عشرَ جما غفيرا » . أو قال مرة : « خمسة عشر » . قلت : يا رسول الله ، آدم نبي ؟ قال : « نعم مكلَّم » . قال : قلت يا رسول الله ! أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال : « آية الكرسي ﴿ اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ » (١) .

٨١٥ - * روى الطبراني عن أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله أنبياءُ كان آدم ؟

٨١٤ - أحمد (١٧٨ / ٥) .

وروى النسائي صخرة (٢٧٥ / ٨) - ٥٠ - كتاب الاستعاذة - ٤٨ - باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس . وموارد الطبان (٥٠٨) ، ٣٤ - كتاب علامات النبوة - ١ - باب في عدد الأنبياء والمرسلين وما نزل من الكتب . وذكره مطولاً الحاكم في المستدرک (٥١٧ / ٢) . وسكت عنه . قال الذهبي : فيه السمعي وليس بثقة . أقول : وإخراج الحاكم وابن حبان للحديث يفيد تصحيحها للحديث ، لكن الذهبي تعقب الحاكم وذكر أن أحد رواة الحديث ليس بثقة ، ومن العلماء من حكم بضعف الحديث وبعضهم حكم بوضعه . والقول الراجح عند العلماء أن تؤمن بالأنبياء والمرسلين دون تقييد ذلك بعدد حتى لا تخرج أحداً منهم أو تدخل أحداً فيهم بسبب التقييد مادام ثبوت النصوص الواردة في ذلك محل خلاف .

(١) البقرة : ٢٥٥ .

٨١٥ - المعجم الكبير (١٣٦ / ٨) .

مجم الزوائد (٢١٠ / ٨) . وقال : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليف الحلبي وهو ثقة . قلت : ورواه ابن حبان (٢٠٨٥) ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٠١ / ١) : وهذا على شرط مسلم ولم يخرج . وقال في الجمع (١٩٦ / ١) : ورجالهم رجال الصحيح . بعد أن نسبه إلى الأوسط . ا. هـ .

قال : « نعم » . قال : كم كان بينه وبين نوح ؟ قال : « عشرة قرون » . قال : كم كان بين نوح وإبراهيم ؟ قال : « عشرة قرون » . قال : يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال : « ثلاثمائة وثلاثة عشر » .

أقول : هذا حديث آحاد ، لا يكفي لتحديد ما أطلقه المتواتر أو سكت عنه ، سواء في ذلك عدد الرسل ، أو الزمن بين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والقرن قد يراد به الجيل وقد يراد به مئة سنة ، والظاهر أن المراد بالقرن هنا هو الجيل ، لأن الناس كانوا يعمرون كثيراً في أول حياة البشرية كما رأينا من قبل ، لذلك - وعلى كل حال - فالذي رجّحه أئمة علماء العقائد وهم أئمة هذا الشأن أنه لا يجد الرسل ولا الأنبياء بعدد ، كي لا نرتكب خطيئة إدخال أحدٍ من الرسل ليس منهم ، أو إخراج أحدٍ وهو منهم بحديث آحاد قد يكون وهم راويه أو نسي إلى غير ذلك مما يحتمل في حديث الآحاد .

٨١٦ - * روى البزار عن أبي موسى رفعه : « لما أخرج الله آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فشارك هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغيّر ، وتلك لا تغير » .

٨١٧ - * روى الطبراني عن عمران بن حصّين وسَمْرَةَ بن جُنْدُب أن النبي ﷺ قال : « وَلَدُ نُوْحٍ ثَلَاثَةٌ ؛ فَسَامٌ أَبُو الْعَرَبِ ، وَحَامٌّ أَبُو الْحَبَشَةِ ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ » .

٨١٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اخْتَنَنَ إِبْرَاهِيمُ بِالْقَدُومِ » . وقال بعضهم : مُخَفَّفًا ، وقال أبو الزناد : « القَدُومُ » مشددة : موضع .

٨١٦ - كشف الأستار (١٠٢ / ٣) . قال في الجمع (١٩٧ / ٨) : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات .

٨١٧ - الطبراني (١٨ / ١٤٥) . قال في الجمع (١ / ١٩٣) : زجاله موثوقون .

والمستدرک (٢ / ٥٤٦) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، وضعفه بعضهم .

٨١٨ - البخاري (١١ / ٨٨) - ٧٩ - كتاب الاستئذان - ٥١ - باب الختان بعد الكبر وتنف الإبط .

مسلم (٤ / ١٨٣٩) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤١ - باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ .

(بالقَدُومِ) : القَدُومُ - بالتخفيف - آلة النجار معروفة ، وبالتشديد : اسمٌ موضع ، وقيل : هو بالتخفيف أيضاً

وزاد في رواية (١) ، قال : « اختن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة » .

٨١٩ - * روى البزار عن أبي هريرة رفعه : « إن في الجنة قصرًا من دُرَّة ، لاصدع فيه ولا وهن ، أعده الله لخليله إبراهيم نزلًا » .

٨٢٠ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن إبراهيم عليه السلام يرى أباه يوم القيامة ، عليه الغبرة والقتره » .

وفي رواية (٢) : قال : « يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة وعلى وجهه أزر قتره وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك : لا تعصني ؟ فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب ، إنك وعدتني أن لا تخزيتني يوم يبعثون ، فأبي خزي أخزي من أبي الأبعد ؟ فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجلك ؟ فنظر ، فإذا هو بذيخ مملطح ، فيؤخذ بقوائمه ، فيلقى في النار » .

٨٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رجم الله لوطًا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ، ثم أتاني الداعي ، لأجبت » .

وللبخاري (٣) أيضًا أنه ﷺ قال : « يغفر الله للوطي ، إن كان ليأوي إلى ركن شديد » .

(١) البخاري : للوضع السابق .

٨١٩ - كشف الأستار (١٠٢ / ٢) .

مجمع الزوائد (٢٠١ / ٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ، ورجالها رجال الصحيح .

٨٢٠ - البخاري (٤٩٩ / ٨) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١ - باب ﴿ ولا تخزيتني يوم يبعثون ﴾ .

(٢) البخاري (٢٨٧ / ٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٨ - باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلًا ﴾ .

(القتره) : غبرة معها سواد .

(بذيخ) اللذيخ : ذكر الضباع ، والأثني : ذبيحة .

٨٢١ - البخاري (٤١٨ / ٦) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ١١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته

آياتٍ للسائلين ﴾ .

مسلم (١٣٣ / ١) - ١ - كتاب الإيمان - ٦٩ - باب زيادة طهانية القلب بتظاهر الأمتة .

(٣) البخاري (٤١٥ / ٦) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ١٥ - باب ﴿ ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم

تبصرون ﴾ .

٨٢٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود ، قال أُعطي يوسفُ وأمه ثُلثي حسنِ الناسِ في الوجه والبياض وغير ذلك . فكانت المرأة إذا أتته غطى وجهه مخافة أن تفتتن .

٨٢٣ - * روى أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة إن الله عز وجل أخبر موسى عليه السلام بما صنع قومَه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت » .

٨٢٤ - * روى البخاري عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن موسى عليه السلام قال لفتاه : أتينا غداءنا . قال : رأيت إذ أويانا إلى الصخرة فياني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره . ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به » .

٨٢٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُرسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، فلما جاءه صَكَّةٌ ففَقَّأَ عينَه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أُرْسَلْتَنِي إلى عبدٍ لا يريد الموتَ ، فردَّ اللهُ إليه عينَه ، فقال : أُرْجِعْ إليه ، فقل له : يضعُ يده على متْنِ ثَوْرٍ فله بكل ما غطتُ يده من شعرة سنَّة ، قال :

= والترمذي نحوه (٢١٣ / ٥) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٢ - باب « ومن سورة يوسف » .

٨٢٢ - المعجم الكبير (١١١ / ٩) .

قال في المجمع (٢٠٢ / ٨) : رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح .

٨٢٣ - أحمد (٢٧١ / ١) .

وكشف الأستار (١١١ / ١) .

مجمع الزوائد (١٥٢ / ١) . وقال : رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح وصححه ابن حبان .

٨٢٤ - البخاري (٣٣٦ / ٦) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

(النسب) : التنب .

٨٢٥ - البخاري (٢٠٦ / ٢) - ٢٢ - كتاب الجنائز - ٦٨ - باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها .

مسلم (١٨٤٢ / ٤) - ٤٢ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى ﷺ .

والنسائي (١١٨ / ٤) - ٢١ - كتاب الجنائز - ١٢١ - باب نوع آخر .

(الصلح) : الضرب باليد ، كاللطم ونحوه .

(فقاً) : عَيْتَةٌ : إذا تَفَضَّلَتْ وَقَلَّمَتْهَا .

أي ربّ ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت ، قال : فالآن ، فسأل الله أن يُذنيه من الأرض المقدسة رَمِيَةً بِحَجَرٍ . قال رسولُ الله ﷺ : « فلو كنتَ ثمَّ لأرئيتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكَثِيبِ الأحمرِ » .

ولمسلّم^(١) قال : « جاء مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، فقال له : أَجِبْ رَبِّكَ ، قال : فلطم عينَ مَلَكِ الموتِ ، ففقاها » ثم ذكر معناه .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن خزيمة : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وقالوا : إن كان موسى عرفه فقد استخف به ، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقه عينه ، والجواب أن الله تعالى لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه إليه اختباراً ، وإنما لطم موسى ملك الموت ، لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ، ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فقه عين الناظر في دار المسلم بغير إذن . هـ وانظر بقية كلام الحافظ في « الفتح » .

٨٢٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنما سُمِّيَ الخَضِرُ ، لأنه جلس على قَرْوَةٍ بَيْضَاءَ ، فإذا هي تَهْتَرُ من خَلْفِهِ خَضْرَاءَ » .

أقول :

ذكرنا هذه الرواية هنا لأن هناك من يذهب إلى أن الخضر عليه السلام كان نبياً ، والخلاف في شأنه معروف ، فهناك من رجّح ولايته وهناك من رجّح نبوته وهناك من يرى أنه لا زال حياً وهناك من يرى أنه لا تصح هذه الدعوة والبخاري من هؤلاء وبني ذلك على بعض النصوص العامة التي تنفي بقاء أحدٍ ممن على وجه الأرض بعد فترة حدها

= (الكثيب) : المجتمع من الرُّمْلِ .

(١) مسلم ، الوضع السابق .

٨٢٦ - البخاري (٦ / ٤٢٣) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٢٧ - باب حديث الخضر مع موسى عليها السلام .

والترمذي (٥ / ٢١٢) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٩ - باب « ومن سورة الكهف » .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(قروة) : القروة : قطعة نبات مجتمعة يابسة .

رسول الله ﷺ .

٨٢٧ - * روى البزار عن أبي الدرداء قال وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داودَ ﷺ قال :
« كان أعبدَ البشرِ » .

٨٢٨ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « خَفَّفَ
على داودَ القرآنَ ، فكان يأمرُ بِدَوَابِّهِ أَنْ تُسْرَجَ ، فيقرؤه قبل أن تُسْرَجَ دوابُّه ،
ولا يأكلُ إلا من عَمَلٍ يديه » .

وفي رواية^(١) مختصراً قال : « إنَّ داودَ عليه السلام كان لا يأكلُ إلا من عمل
يديه » .

قوله (خفف على داود القرآن) : قال ابن حجر :

قيل المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وقيل
المراد الزبور وقيل التوراة ، وقراءة كلِّ نبيٍّ تطلق على كتابه الذي أوحى إليه ،... وإنما
ترددوا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة .
قال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ، ليس فيه حلال
ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، بل كان اعتماده على التوراة ، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره .
وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير . هـ .
« الفتح » .

(لا يأكلُ إلا من عمل يده) : دليل على أنه أفضل المكاسب ، فكان ينسج الدروع
ويبيعها ولا يأكلُ إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك .

٨٢٩ - * روى الطبراني عن أبي الدرداء أن رسولَ الله ﷺ قال لأصحابه : « لقد قبض

٨٢٧ - مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٦) وقال : رواه البزار في حديث طويل ، وإسناده حسن .

٨٢٨ - البخاري (٦ / ٤٥٣) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٢٧ - باب قوله تعالى ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ ذُبُورًا ﴾ .

(١) البخاري (٤ / ٢٠٣) - ٢٤ - كتاب البيوع - ١٥ - باب كسب الرجل وعمله يديه .

٨٢٩ - مجمع الزوائد (١ / ١٩١) وقال : رواه الطبراني ورجاله موثقون .

الله روح داود عليه السلام من بين أصحابه فما فُتِنُوا ولا بَدَّلُوا ولقد مَكَثَ أصحابُ المسيح على سنِّه وهديه مائتي سنةٍ .

أقول :

قوله : (من بين أصحابه) لا يشترط فيها أنه أثناء القبض كان أصحابه حوله بل يفيد أن أصحابه لم يغيروا بعد أن قبض من بينهم .

وقوله (مكث أصحاب المسيح على سنِّه وهديه مائتي سنة) : هذا يفيد أن الغلبة بقيت للدين الصحيح للمسيح عليه السلام عند المنتسبين إليه مائتي سنة بعد رفعه إلى السماء ثم بعد ذلك تغلبت مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ومن يومها حتى الآن فإن الغلبة لمدرسة بولس ، وقد فرضت ديانة بولس من خلال أباطرة الرومان على النصارى فرضاً ..

ولاحقوا مخالفيها حتى لم يبق منهم إلا القليل وقد لقي سلمان الفارسي آخرهم قبل أن يأتي إلى المدينة المنورة .

٨٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « كانت امرأتان معها ابناهما ، جاء الذئب فذهبَ بواحدةٍ ، فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهبَ بابنك . وقالت الأخرى : إنما ذهبَ بابنك . فتحاكتما إلى داودَ ، ففرض به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داودَ ، فأخبرتهما ، فقال : اثنوني بالسكِّين أشقَّه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل رَحِمَكَ اللهُ ، هو ابناهما . ففرض به للصغرى . »

قال أبو هريرة : والله إن سمعتُ بالسكِّين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المذَّية .

٨٣١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

٨٣٠ - البخاري (٦ / ٤٥٨) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٠ - باب قوله تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ .

مسلم (٣ / ١٣٤٤) - ٣٠ - كتاب الأفضية - ١٠ - باب بيان اختلاف المجتهدين .

والنسائي (٨ / ٢٢٤) - ٤٩ - كتاب القضاة - ١٤ - باب حكم الحاكم بعلمه .

٨٣١ - البخاري (٦ / ٤٥١) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٣٥ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يونسَ لمن المرسلين ﴾ . =

« قال الله تعالى : لا ينبغي لعبدٍ لي » - وفي رواية : « لعبدي أن يقول : أنا خيرٌ من يونسَ بنِ مَتَّى » .

وللبخاري^(١) : « أن رسولَ الله ﷺ قال : « من قال : أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى . فقد كَذَبَ » .

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... ﴾ يخبر تعالى أنه فَضَّلَ بعضَ الرسل على بعض ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناهم داودَ زبوراً ﴾ . وقال هُنا : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ﴾ . يعني موسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل (فإن قيل) فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال : أي خبيث ؟ وعلى محمد ﷺ ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم فقال رسول الله ﷺ : « لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ؟ فلا تفضلوني على الأنبياء » . وفي رواية : « لا تفضلوا بين الأنبياء » . فالجواب من وجوه (أحدها) : أن هذا كان قبل أن يعلم بالترتيب وفي هذا نظر . (الثاني) : أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع . (الثالث) : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند الخصام والتشاجر . (الرابع) : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية . (الخامس) : ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الاتقياء والتسليم له والإيمان به) . ١ . هـ (تفسير القرآن العظيم) .

= مسلم (٤ / ١٨٤٦) - ٤٢ - كتاب الفضائل - ٤٣ - باب في ذكر يونس عليه السلام .

(١) البخاري (٨ / ٢٦٧) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٢٦ - باب ﴿ إنا أوحينا إليك ... ﴾ .

٨٣٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة : بينا يهودي يعرضُ سلعته أعطى بها شيئاً كرهته ، فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر . فسمعة رجلٌ من الأنصار فقام فلطم وجهه ، وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر ، والنبي ﷺ بين أظهرنا ؟ فذهب إليه فقال : يا أبا القاسم : إن لي ذمّةً وعهدًا ، فما بال فلان لطمني ؟ فقال : « لم لطمت وجهه » ؟ فذكره ، فغضب ﷺ حتى رثي في وجهه ، ثم قال : « لا تفضلوا بين أنبياء الله ، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فأكون أول من يبعث ، فإذا موسى أخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقة الطور أم بعث قبلي ؟ ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى . »

قال ابن كثير في النهاية : (فقوله أم جوزي [وفي رواية : أحوسب وهي عندنا] بصعقة الطور يدل على أن هذا الصعق الذي يحصل للناس يوم القيامة ، سببه تجلي الرب تعالى لعباده لفصل القضاء ؛ فيصعق الناس من العظمة والجلال ، كما صعق موسى يوم الطور . حين سأل الرؤية . ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ﴾ ؛ فوسى عليه الصلاة والسلام يوم القيامة إذا صعق الناس ، إما أن يكون جوزي بتلك الصعقة الأولى فما صعق عند هذا التجلي ، وإما أن يكون صعق أخف من غيره ، فأفاق قبل الناس كلهم . والله أعلم .) . ١ هـ .

٨٣٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجلٌ جرّادٍ من ذهب ، فجعل يحثي في

٨٣٢ - البخاري (١١ / ٣٦٧) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٤٢ - باب نفخ الصور .
 مسلم (٤ / ١٨٤٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى ﷺ .
 وأبو داود (٤ / ٢١٧) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء .
 والترمذي (٥ / ٣٢٣) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٤١ - باب « ومن سورة الزمر » .
 ٨٣٣ - البخاري (٦ / ٤٢٠) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٢٠ - باب قول الله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ .
 والنسائي (١ / ٢٠١) - ٤ - كتاب الفسل - ٧ - باب الاستتار عند الاغتسال .
 (خرّ) : إذا سقط من فوق .
 (رجلٌ جرّادٍ) : الرّجُل : القطيع من الجراد .
 (يحثي) : يجمع .

ثوبه ، فناداه ربُّه : يا أيوبُ ، ألم أكن أغنيُّكَ عما ترى ؟ قال : بلى ياربُّ ، ولكنَّ لا غنيَّ لي عن بَرَكَتِكَ .»

٨٣٤ - * روى البزار ، عن أنس بن مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن نبيَّ الله أيوبَ كان في بلائه ثمانِي عشرة سنة فرفضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلان من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان إليه . فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنبَ ذنبًا ما أذنبه أحدٌ . قال صاحبه وما ذاك ؟ قال : منذ ثمانِي عشرة سنة لم يَرَحِمَهُ اللهُ فيكشف اللهُ عنه . فلما راحا إليه لم يَصْبِرِ الرجل حتى ذكَّرَ ذلك له . قال أيوبُ : ما أدري ما تقول إلا أن الله يعلم كنت أمرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجعُ إلى بيتي فأكفرُ عنها كراهية أن يذكَرَ اللهُ إلا في حقِّ » .
قال : « وكان يخرجُ إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلُغ . فلما كان ذات يومٍ أبطأَ عليها وأوحى إلى أيوبَ في مكانه أن ۞ اركض برجلك هذا مفتسلٌ باردةً وشرابٌ ۞ فاستببطأته فتلقته تنظرُ وأقبلَ عليها قد أذهب اللهُ ما به من البلاء وهو على أحسنِ ما كان ، فلما رأته قالت : أي بارك اللهُ فيك هل رأيتَ نبيَّ الله هذا المبتلى ، والله على ذلك ما رأيتُ أحدًا أشبه به مذ كان صحيحًا منك . قال : فياني أنا هو . وكان له أْبْدَرَانِ أْبْدَرِ القمحِ وأْبْدَرِ الشعيرِ ، فبعث اللهُ سحابتين فلما كانت إحداهما على أْبْدَرِ القمحِ فرَّغت فيه الذهبَ حتى فاضَ وأفرغت الأخرى على أْبْدَرِ الشعيرِ الورقَ حتى فاض .»

٨٣٥ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا أدري : تَبِعَ أَلْعِينُ هو ؟ » - وفي نسخة : « اللعين هو - أم لا ؟ ولا أدري عزيرُ نبيُّ هو ، أم لا ؟ » .

٨٣٤ - كنف الأستار (١٠٧ / ٣) .

جمع الزوائد (٢٠٨ / ٨) - وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح .

(الأْبْدَرُ) : : التَّبْدَرُ . وهو المكان الذي يفصل فيه الحب عن قشه بواسطة الدياس قديمًا .

(الورق) : الفضة .

٨٣٥ - أبو داود (٢١٨ / ٤) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء وسنده صحيح .

وبما نسبه ابن الأثير في جامعه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنها هذا القول - الذي يدخل تحت قوله جل جلاله : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ - :

(إِنَّ أَهْلَ فَارِسٍ لَمَّا مَاتَ نَبِيُّهُمْ : كَتَبَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْمُجُوسِيَّةَ) .

وقد نسب ابن الأثير في جامعه هذا النص لأبي داود والظاهر أنه موجود في نسخة من نسخ كتاب أبي داود ولا يوجد في كل نسخه .

٨٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من نخسه إياه ، إلا مريم وابنها » .

وفي رواية (١) : « إلا والشيطان يمه حين يولد ، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه ، إلا مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٢) .

وللبخاري (٣) قال : « كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعيه حين يولد ، غير عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب » .

وللمسلم (٤) قال : « كل بني آدم يمه الشيطان يوم ولدته أمه ، إلا مريم وابنها » .

٨٣٧ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يلقى عيسى حجته ، لقاء

٨٣٦ - البخاري (٦ / ٤٦٩) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٢٨) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٠ - باب فضائل عيسى عليه السلام .

(١) البخاري (٨ / ٢١٢) - ٦٥ - كتاب التفسير - سورة آل عمران : ٢ - باب ﴿ وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ... ﴾ .

مسلم ، الموضع السابق .

(٢) آل عمران : ٣٦ .

(٣) البخاري (٦ / ٣٣٧) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

(٤) مسلم ، الموضع السابق .

(فيستهل صارخاً) : الاستهلال : صياح المولود عند الولادة ، والصراخ : الصياح والبكاء .

وقوله : « فطعن في الحجاب » أي : في المشية ، وهي التي يكون فيها المولود .

٨٣٧ - الترمذي (٥ / ٢٦٠) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٦ - باب « ومن سورة المائدة » وهو حديث حسن صحيح .

الله في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « فَلَقَاَهُ اللَّهُ ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾ « الآية كُلُّهَا (١) .

٨٣٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة ؛ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَعَّمَتِ النَّبِيُّ ﷺ « فَإِذَا رَجُلٌ » حَسْبَتْهُ قَالَ : « مُضْطَرِبٌ رَجُلٌ الرَّأْسِ . كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ شَنْوَةَ » . قَالَ : « وَلَقِيتُ عِيسَى » فَنَعَّمَتِ النَّبِيُّ ﷺ « فَإِذَا رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ » (يَعْنِي حَمَامًا) قَالَ : « وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ » . قَالَ : « فَأَتَيْتُ بِأَنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرَ خَمْرٌ . فَقِيلَ لِي : خُذْ أَيُّهُمَا شِئْتَ . فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ . فَقَالَ : هَدَيْتَ الْفِطْرَةَ » أَوْ « أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ عَوَتْ أُمَّتُكَ » .

٨٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا والله ، ما قال النبي ﷺ لعيسى أحمر ، ولكن قال : « بينا أنا نائمٌ أطوفُ بالكعبة ، فإذا رجلٌ آدمٌ سَبَطَ الشعرَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِيفُ رَأْسَهُ مَاءً » أَوْ « يُهْرَاقُ رَأْسَهُ مَاءً - فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : ابْنُ مَرْيَمَ . فَذَهَبَتْ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرٌ جَسِيمٌ جَعَدُ الرَّأْسِ أَعْوَرَ عَيْنِهِ الْيَمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَهُ طَافِيَةٌ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا الدَّجَالُ . وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطْنٍ » . قال الزُّهْرِيُّ : رَجُلٌ مِنْ خَزَاعَةَ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(١) المائدة : ١١٦ .

٨٣٨ - مسلم (١ / ١٥٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(مضطرب) : هومفتعل من الضرب . صرح به ابن الأثير في النهاية .

(رجل الرأس) : أي رجل الشعر أي قد سرحه ودهنه .

قوله : (فإذا ربيعة أحمر كأنما خرج من ديماس) :

قال النووي : أما الربيعة فيقال : رجل ربيعة ومربوع أي بين الطويل والقصير . وأما الديماس فقال الجوهري في صحاحه في هذا الحديث : قوله خرج من ديماس ، يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كُنْ . لأنه قال في وصفه : كأن رأسه يقطر ماء . ١ . هـ .

٨٣٩ - البخاري (١٢ / ٤١٧) - ٩١ - كتاب التيمير - ٣٢ - باب الطواف بالكعبة في المنام .

مسلم (١ / ١٥٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

قال ابن حجر: قوله (رجل الشعر) بكسر الجيم أي قد سرحه ودهنه ، وفي رواية مالك « له لمة قد رجّلها فهي تقطر ماء » وقد تقدم أنه يحتمل أن يريد أنها تقطر من الماء الذي سرحها به أو المراد الاستنارة وكنى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة ، ووقع في رواية سالم الآتية في نعت عيسى « أنه آدم سبط الشعر » وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى « أنه جعد » والجعد ضد السبط فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر ووصفه لجعودة في جسمه لا شعره والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه ، وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمراً ، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة ، والآدم الأسمر ، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمراً لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر ، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمراً فظهر أن ابن عمر أنكروا شيئاً حفظه غيره ، وأما قول الداودي إن رواية من قال « آدم » أثبت فلا أدري من أين وقع له ذلك مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر . وقد وقع في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى « أنه مربوع إلى الحمرة والبياض » . والله أعلم

قوله : (لا والله ما قال رسول الله ﷺ لعيسى أحمراً) اللام في قوله « لعيسى » بمعنى عن وهي كقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ وقد تقدم بيان الجمع بين ما أنكره ابن عمر وأثبتته غيره ، وفيه جواز البين على غلبة الظن لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوي وأن الموصوف بكونه أحمراً إنما هو الدجال لا عيسى ، وذلك أن كلا منهما يقال له المسيح وهي صفة مدح لعيسى وصفة ذم للدجال كما تقدم ، وكان ابن عمر قد سمع سماعاً جزماً في وصف عيسى أنه آدم فسأخ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمراً وإمام . ١ . هـ .

٨٤٠ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي الْحَجْرِ ، وَقَرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ »

٨٤٠ - البخاري (٨ / ٣٩١) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٣ - باب ﴿ أسرى بعينه لهلاً ﴾ .

ولفظه مختصر عن جابر .

مسلم (١ / ١٥٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال . واللفظ له .

مِنْ يَثِثِ الْمُقَدِّسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِّبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِّبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ » . قَالَ : « فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ . مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ . وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي . فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعَدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي . أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عَرُودُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ . وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي . أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبِكُمْ » (يَعْنِي نَفْسَهُ) « فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ . فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ ! هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَالْتَفْتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ » .

٨٤١ - * روى البخاري ومسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزبط » .

٨٤٢ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » .

٨٤٣ - * روى الطبراني ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » .

٨٤٤ - * روى أحمد ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إني لأرجو إن طال بي »

٨٤١ - البخاري (٦ / ٤٧٧) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (١ / ١٥٣) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .

والرواية في مسلم مختلفة ، وليس فيها ذكر عيسى عليه السلام .

(الزبط) : جيل أصغر من السند ، له خصائص مميزة عن البشر .

٨٤٢ - البخاري (٤ / ٤١٤) - ٣٤ - كتاب البيوع - ١٠٢ - باب قتل الخنزير .

مسلم (١ / ١٣٥) - كتاب الإيمان - ٧١ - باب نزول عيسى ابن مريم .

٨٤٣ - مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

٨٤٤ - أحمد (٢ / ٢٩٨) .

عَمَرَ أَنْ أَلْقَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَبَانَ عَجَلٌ بِي مَوْتٌ فَمِنْ لَقِيهِ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ».

٨٤٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء إخوة ، أبناء غلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » .

٨٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رفته : « لا تخيروا بين الأنبياء » .

أقول :

الإجماع منعقد على أن محمداً ﷺ أفضل النبيين والمرسلين ، والنصوص في ذلك كثيرة والقرآن نص على تفضيل بعض المرسلين على بعض : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيننا داود زبوراً ﴾ (١) . وماورد في المنع من ذلك فهو محمول على التواضع وهضم النفس أو على ما يفهم من انتقاص المفضل عليه أو على ما يفهم من عصبية للمفضل على المفضل عليه ، أو عندما لا يكون هناك نص يذكر التفضيل أو ما يوم تقص مرتبة المفضل عليه .

٨٤٧ - * روى البزار عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » .

في قبورهم يصلون » .

= مجمع الزوائد (٢٠٥ / ٨) . وقال : رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ، ورجالها رجال الصحيح .

٨٤٥ - البخاري (٤٧٨ / ٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (١٨٣٧ / ٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٠ - باب فضائل عيسى عليه السلام .

وأبو داود (٢١٩ / ٤) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء .

وهو عنده مختصر .

(أبناء غلات) : إذا كان الإخوة لأب واحد ، وأمّهات شتى ، كانوا أبناء غلات ، وإذا كانوا لأُم واحدة وآباء شتى ،

فهم أبناء أخفاف . وإذا كانوا لأب واحد ، وأم واحدة ، فهم أعيان .

٨٤٦ - البخاري (٢٦٣ / ١٢) - ٨٧ - كتاب الدييات - ٣٢ - باب إذا لطم المسلم يهودياً .

مسلم (١٨٤٥ / ٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى

وأبو داود (٢١٧ / ٤) ، للموضع السابق .

وهو عنده مختصر .

(١) الإسراء : ٥٥ .

٨٤٧ - كشف الأستار (١٠٠ / ٣) .

= مجمع الزوائد (٢١١ / ٨) وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى ثقات .

المسائل والفوائد

- بعض العلماء يعتبر مقام الرسالة والنبوة واحداً ، فكل نبي رسول وكل رسول نبي ، وبعضهم جعل وصف الرسالة فيه معنى زائد على معنى النبوة فالنبوة تحصل بمجرد الوحي على إنسان اصطفاه الله عز وجل للنبوة وأعلمه أنه نبي أما الرسالة فتكون بعد الأمر بالإندار والتبليغ وهل هناك أنبياء يقتصر تكليفهم على أنفسهم ؟ هناك من جوز ذلك . وهناك تعريفات أخرى تحدد صفات من ينطبق عليه وصف النبوة والرسالة بأن واحد فيتصف بالنبوة من كان تابعا لرسول ولم يأت بإنذار جديد أو تبليغ جديد ولو نزل عليه وحي ، فالنبي مهمته العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له .

- الوحي الذي تثبت به النبوة هو ما كان خطابا مباشرا من الملك أو من الله عز وجل في حالة اليقظة أما ما كان من رؤى أو إلهامات قبل ذلك فلا تثبت به النبوة وأما بعد النبوة فالرؤى والإلهامات من جملة الوحي .

- من مباحث علماء التوحيد : ما يجب للرسول وما يستحيل في حقهم وما يجوز عليهم .

ويخصون بالذكر ما يجب عليهم : الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة ، ويخصون بالذكر ما يستحيل عليهم أضرار الصفات الكذب والمعصية والكتمان والغفلة والبلادة ، ويذكرون من الجائزات في حقهم الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية ، مما لا يخالف شرعا ولا مروءة معتبرة شرعا ولا مما يتناقض مع مقامهم ، فيجوز في حقهم الأكل والشرب وإتيان النساء الحلال والنوم بعيونهم لا بقلوبهم والأمراض غير المنفرة ، وبما مر ندرك أن المراد بالأمانة العصمة عن التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى فأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم دائرة بين الواجب والمندوب وهم قبل النبوة معصومون عن كل ما ينفر عنهم ، فهم معصومون عن الكبائر وعن المنفرات .

- من شروط النبوة والرسالة : الحرية فلم يعرف أن الله ابتعث نبيا غير حر - والذكورة والبشرية : فلم يبعث الله عز وجل رسلا من الجن لا للبشر ولا للجن ولم يبعث رسولا من الملائكة إلى البشر ليعيش معهم كما يشترط أن يكون النبي أو الرسول خاليا من

الأمراض المنفرة لأن وجود هذه أو هذه يمنع من الإفادة منه ويمنع من القربى منه وذلك يتناقض مع الحكمة من إرسال الرسل وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يصح أن تتلبس امرأة نبي أو رسول بالزنى ، وما ورد من اسرائليات في حق أيوب تصفه بالمرض المنفر فذلك غير صحيح ، ومن شروط الرسالة أن يكون الرسول أعلم من جميع من بعث إليهم بأحكام الشريعة المبعوث بها أصلية أو فرعية :

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ﴾ ^(١) ، ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ ^(٢) .

- وإرسال الرسل ليس واجبا على الله كما زعم قوم ولا مستحيلاً كما زعم قوم ، بل هو جائز في حقه وقد اختار أن يرسل فأرسل فوجب الإيمان .

- وما ورد في الكتاب والسنة من كلام حول مؤاخذه الله الرسل عليهم الصلاة والسلام على بعض أعمال عملوها أو تصرفات فعلوها ، فبعضها محمول على أنه كان قبل النبوة ، وبعضها محمول على أنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وبعضها محمول على أنه كان اجتهاداً منهم حيث جاز لهم الاجتهاد ولم يوافقوا الصواب عند الله عز وجل ، فأخبرهم الله عز وجل بما هو الصواب عنده ، وعلى هذا فالمسلم مكلف أن ينفي المعصية عن الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعنى الذي تحمل عليه في بقية الخلق ، وأن يفهم النصوص على ضوء ذلك .

- قد يخص بعض الأنبياء بخصوصية لا تقتضي أفضلية ، وقد يخصون بخصوصية مع الأفضلية ، ومما خص به رسولنا عليه الصلاة والسلام أفضليته على جميع الخلق ، وعموم رسالته إلى الإنس والجن ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين ، وأن شريعته مهينة وحاكمة على الشرائع قبلها وناسخة لكل ما ناقضها ، ومما خصه الله به نصره بالرعب مسيرة شهر بسير الإبل ، وجعله الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً ، وحل الغنائم له ولأمته وإعطائه الشفاعة العظمى يوم القيامة .

- نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان لا يتناقض مع ختم النبوة بمحمد ﷺ ؛ لأنه

(٢) آل عمران : ٤٨ .

(١) مريم : ١٢ .

عليه الصلاة والسلام يأتي تابعاً لشریعة محمد ﷺ ، فهو من هذه الحیثیة واحد من أمته ، ومن أهم الكتب التي ألّفت في نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للشيخ أنور الكشيري جمع فيه الشيخ « ٧٥ » حديثاً في رفع عيسى ونزوله ، وأضاف محققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عشرة أحاديث سكت عنها المؤلف وخمسة وعشرين أثراً عن الصحابة ، فمن أنكر نزوله عليه الصلاة والسلام فقد كفر لأن نزوله متواتر .

- التحقيق أن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة بإطلاق بمن في ذلك رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان

- المعجزة هي التي تثبت صدق الرسول ومن تعريفات العلماء للمعجزة :

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة وقال السعد : هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عن تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله فحقيقة الإعجاز إثبات المعجز .

وقال الشيخ أبو الحسن : هي فعل من الله أو قائمة مقام الفعل يقصد بمثله التصديق .

فخرج بذلك السحر والكهانة والشعوذة والعاديات العجيبة لأنها من عالم الأسباب وخرج بذلك الكرامة للأولياء ، والمعونة للعوام والاستدراج للفساق ، والإهانة وهي ما يظهر على يد الفاسق أو الكافر تكذيباً له ، ويخرج بذلك الخارقة التي لا توافق دعوى النبوة بل ترافقها دعوى واضحة البطلان كما يحدث للدجال ، ومن أخطاء أهل العصر وصف ما يجري على يد غير الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات .

- المعجزة الرئيسية لرسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن وله معجزات أخرى كثيرة منها : نبع الماء من بين أصابعه ، وانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وتكثير الطعام القليل ، وشفاء المرضى والمصابين واستجابة الدعاء والإخبار عن مغيبات كثيرة وقعت ومنها إسراؤه ومعرجه ، ومعجزات أخرى كثيرة ذكرنا بعضها في قسم السيرة من هذا الكتاب وكثير منها مثبتة في هذا الكتاب أثناء سياقات أبحاثه فقد كانت أدلة رسالته وأعلام نبوته ظاهرة في أموره كلها عليه الصلاة والسلام .

الوصل الأول
في:
رفع خطأ التوهم بأن الرسل لم يبعثوا إلا
في بقعة من الأرض ولا بعثوا إلا
وفيه:
مقدمة ونقول

المقدمة

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾^(١) .

لقد ذكرت الآية التي صدرنا بها هذا البحث أنه ما من أمة إلا بعث الله لها رسولا ، وقال تعالى : ﴿ وَتَقَدَّمَ بَعْثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عَبَدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(٣) .

فدل هذا على أن الأمة ذات اللسان الواحد أرسل لها رسول بلسانها ثم ختم الله الرسالات بمحمد ﷺ الذي أرسله إلى الناس كافة بهذا القرآن المعجز ليكون حجة الله على العالمين ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَغَاثِمَ النَّبِيِّينَ ﴾^(٤) ، ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(٥) ، بعض هؤلاء الرسل قص الله علينا من أخبارهم وبعضهم لم يقصص علينا من أخبارهم ، قال تعالى : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ ﴾^(٦) .

والأهم التي أرسل لها رسول كثيرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّكُمْ تَتَّبِعُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ »^(٧) وعلم الآثار والحفريات الحديثة ودراسة التاريخ القديم والتعرف على الأديان البائدة والباقية كشف لنا عن بقايا من أديانٍ حقٍ اختلط بها باطل كثير وضلال كثير .

وليس عندنا ميزان نتعرف به على الحق في الأديان البائدة أو الباقية إلا هذا القرآن وإلا السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فالقرآن منقول عن رسولنا تواتراً يتقله جيل عن جيل ، وقد تولى الله حفظه ، والسنة النبوية الثابتة منقولة لنا بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول ﷺ دون انقطاع مع دقة في التحقيق تشمل السند والمتن ، لذلك عرفوا

(٢) النحل : ٣٦ .

(٤) الأحزاب : ٤٠ .

(٦) غافر : ٧٨ .

(١) فاطر : ٢٤ .

(٣) إبراهيم : ٤ .

(٥) إبراهيم : ١ .

(٧) أحد (٣ / ٥) .

والقرمصي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ - كتاب التفسير ٤ - باب : ومن سورة آل عمران .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٣) ٣٧ - كتاب الزهد ٢٤ - باب صلة عهد ﷺ . وهو حديث حسن .

الحديث الصحيح بأنه : ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول الله ﷺ ، وسَلِمَ من الشذوذ والعلّة . والشذوذ : هو أن يخالف الثقة من هو أوثق منه أو أن يخالف الثقة الثقات ، والعلّة هي عيب خفي يدركه الحدائق في الرواية وذلك شيء انفرد به دين محمد ﷺ بأن نصوصه محفوظة منقولة بأسانيد متصلة ، بينما لا يستطيع أهل أي دين أن يثبتوا أن لهم أسانيد متصلة إلى المصدر الأول لدياناتهم . فمن المعروف تاريخياً أن اليهود أعادوا كتابة كتبهم من مروياتهم الشفهية بعد السبي إلى بابل ، وأن الأناجيل المعتمدة عند النصارى لا يوجد منه واحد متصل السند إلى المسيح عليه السلام ، وأن آثار بوذا سجلت حوالي سنة « ٣٥٠ » قبل الميلاد ، بينما كان ميلاد بوذا على القول الراجح حوالي سنة « ٥٦٠ » قبل الميلاد (أبو زهرة - مقارنات الأديان) .

والمعروف أن آثار زرادشت أحرقتها الإسكندر المقدوني : (دائرة معارف البستاني) ، وليس عند البراهمة أسانيد متصلة إلى رسول ، وهكذا قلّ في كل دين من الأديان ، ومن هنا نقول : إن الميزان الذي نعرف به ما إذا كان هناك بقية من حق في دين من الأديان إنما هو القرآن والسنة النبوية ، ووجود شيء من ذلك في دين لا يعني بالضرورة أن هذا الدين أصوله سماوية بل قد يكون تسلسل إليه من دين سماوي ، والملاحظ أن الدراسة المتعمقة لكثير من نصوص الديانات المندثرة أو الباقية تثبت وجود بعض الموافقات لبعض معاني القرآن والسنة وهذا يؤكد شيئين :

الشيء الأول : أن أصول هذه الديانات كانت سماوية .

والشيء الثاني : أن كل أمة قد أرسل لها رسول ، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم برسالة أحد ونبوته إلا إذا جاءنا ذلك عن طريق الكتاب والسنة ، وذلك لاحتالات أن يكون بعض من نسب إليهم بقايا الحق هذه من المجددين أو من المتأثرين بآثار الأنبياء أو من أهل الباطل الذين حاولوا إنشاء ديانات هي مزيج من أفكار ومن بقايا أديان متوارثة قديمة .

ومن أجل أن يكون عندك تصور ماعن بقايا حق توافق بعض نصوص الكتاب والسنة في بعض الديانات المندثرة أو الباقية ، فإننا ننقل لك بعض النقول عن الديانات المصرية والهندية والفارسية والصينية ، أما النصرانية واليهودية فقد أكثرنا من أمثال هذه النقول عن كتبها في التفسير :

النقول

١ - الديانات المصرية القديمة

نجد في الديانات المصرية القديمة فكرة الروح وخلودها وعودتها إلى الجسد مرة أخرى وفكرة اليوم الآخر والحساب .

ومن كلام أحد المتتبعين لتاريخ الديانات المصرية القديمة وهو « ماسيرو » :
 « وكان إله المصريين واحداً فرداً ، كاملاً ، عالماً ، بصيراً ، لا يدرك بالحس ، قائماً بنفسه ، حياً ، له الملك في السموات والأرض ، لا يحتويه شيء ، فهو أب الآباء ، وأم الأمهات ، لا يفنى ، ولا يغيب يملأ الدنيا ، ليس كمثل شيء ، ويوجد في كل مكان » اهـ
 (مقارنات الأديان للإمام أبي زهرة) .

وبما ورد في كتاب الموق وهو كتاب مقدس عند المصريين القدماء : « ... إنني حامل الحقيقة ، إنني لم أكن أحداً ، ولم أغير بأحد ، ولم أجعل أحداً من ذوي قرابتي في ضحك ، ولم أقم بدنية في موئل الحقيقة ، ولم أمارج علي بشر قط ، وجافيت الضر والأذى ، ولم أجعل باعتباري رئيس أسرة مالميس من عمل ربيها ، ولم أكن سبباً في خوف خائف ، ولا إعواز معوز ، ولا ألم متألم ، ولا يؤس بائس ، لم أقدم على مالا يليق بالآلهة فلم أجمع أحداً ، ولم أبك أحداً ، ولم أقتل نفساً ، وما حرضت أحداً على قتل أو خيانة ، ولم أكذب ، ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولا المومياء طعامها . ولم أرتكب أمراً لا يليق مع كاهن في كهنته ، ولم أغل في الأسعار ولم أطفف الكيل والميزان ، ولم أسرق المشية من مرعاها ، ولم أصد طير الآلهة ، ولم أذفع الماء في عهد الفيضانات ، ولم أحول مجرى ترعة ، ولم أطفئ الشعلة في ساعتها ، ولم أخدع الآلهة في قرابينها المختارة ، فأنا نقي ، أنا نقي ، أنا نقي » اهـ
 (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

أقول : لاشك أن بعض الكلام الذي مر معنا عن الديانة المصرية القديمة لا يتفق مع الكتاب والسنة ، ولكن نسباً منه يتفق مع نصوص الكتاب والسنة من حيث المعنى ، وهذا كافٍ للتدليل على ما ذكرناه ولقد حدثنا القرآن عن رسالتين في مصر : رسالة يوسف ورسالة

موسى عليها السلام ، وما قال في يوسف عليه السلام على لسان مؤمن آل فرعون : .
﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم
لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ (١) راجع (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

وواضح من نصوص القرآن أن الوثنية والشرك وادعاء الألوهية من قبل بعض حكام
مصر كان موجوداً وواضح من الدراسات التاريخية والآثار وجود الشرك والوثنية في
الديانات المصرية القديمة كما مر معنا من قبل ، ولكن ما ذكرناه من موافقات مع نصوص
الكتاب والسنة في الآثار المصرية وما نسب إلى « أخناتون » من كلمات توحيدية يُشير إلى
ما ذكرناه من وجود رسالات سماوية خوطبت بها مصر .

٢ - بعض الديانات الهندية

١ - الديانة البرهمية :

أقدم الديانات الهندية المعروفة ذات النصوص هي : « الديانة البرهمية » التي ترجع إلى
القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وفي أحد كتبها وهو « الساماثيدا » بشارة برسولنا محمد
ﷺ كما حقق ذلك « عبد الحق فديارتي » في كتابه : « محمد في الأسفار الدينية العالمية »
ونقله « العقاد » في كتابه : « مطلع النور » ونقلناه في كتابنا : « الرسول ﷺ » .

ومن أشهر من تتبع الديانة البرهمية بحق وفهم ودراسة لنصوصها : « أبو الريحان
البيروني » من المؤرخين المسلمين وهو حجة ياجاع فيها ، ومن تحقیقاته عن أصول الديانة
البرهية قبل أن يطرأ عليها ما طرأ ما ذكره بقوله :

« واعتقاد الهند في الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلي ، من غير ابتداء ولا انتهاء ،
المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحيي المدبر . المنفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ،
لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء ، ولنورد لك شيئاً من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء
المسوع فقط ، قال السائل في كتاب باتنجل من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته ؟ .

(١) غافر : ٣٤ .

قال الحبيب : هو المستغني بأزليته ووحدانيته عن فعل ، لكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى ، أو شدة تخاف وتتقى ، والبريء عن الأفكار ، لتعالیه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة ، والعالم بذاته سرمداً ، إذ العلم الطارئ يكون ما لم يكن معلوم ، وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حال ، ثم يقول السائل بعد ذلك : فهل له من الصفات غير ما ذكرت ؟ فيقول الحبيب : العلو التام في القدر لا المكان ، فإنه يجلب عن التمكن ، وهو الخير المحض التام الذي يشتاقه كل موجود ، وهو العلم الخالص عن دنس الهوى والجهل . قال السائل : أتصفه بالكلام ، أم لا ؟ قال الحبيب : إذا كان عالماً فهو لا محالة متكلم .

قال السائل : فإن كان متكلماً لأجل علمه ، فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ قال الحبيب : الفرق بينهم هو الزمان فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ، وتقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم ، فكلامهم وإفادتهم في زمان ، إذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال ، فالله سبحانه وتعالى عالم متكلم في الأزلى ، وهو الذي كلم إبراهيم وغيره من الأوائل على أنحاء شتى ، فمنهم من ألقى إليه كتاباً ، ومنهم من فتح له بواسطة باباً ، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه . قال السائل : فمن أين له هذا العلم ؟ قال الحبيب : علمه على حاله في الأزلى ، وإذا لم يجهد قط فذاته عالمة ، لم تكتسب علماً لم يكن له ، كما قال في « بيند » الذي أنزل على إبراهيم : احمدا وامدحوا من تكلم ببيند ، وكان قبل بيند .

قال السائل : كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس ؟ قال الحبيب : تسميته تثبت أنيته فالخير لا يكون إلا عن شيء ، والاسم لا يكون إلا لشيء ، وهو إن غاب عن الحواس فلم تدركه ، فقد عقلته النفس ، وأحاطت بصفاته الفكرة .

وهذه هي عبادته الخالصة ، وبالمواظبة عليها تنال السعادة . . . ا . هـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

أقول :

إن الكلام الذي مرّ معنا فيه ما يعترض عليه ، ولكن فيه الكثير مما يوافق الكتاب

والسنة ، وفيه ما يدل على أن براهما قد أنزل عليه كتاب ، فإذا صحَّ النقل فإن براهما يكون رسولاً قد غلا فيه قومه ، أهوه كما فعل النصارى بالمسيح ابن مريم عليه السلام .
ويؤكد « فريد وجدي » في دائرة معارفه ما ذكره « البيروني » مستدلاً بذلك على أن فكرة التثليث الموجودة حالياً عند البراهمة ليس لها وجود في الكتب البرهمية القديمة .

ب - الديانة البوذية :

ومن الديانات الهندية القديمة : « الديانة البوذية » التي جاءت كما يبدو لتصحيح ما حدث من انحراف في الديانة البرهمية ، والمتكلمون عن بوذا يصفونه بصفات الأنبياء ابتداءً بنزول الوحي عليه ، ثم يفلون فيه غلو النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام حتى إن أبا زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) أثبت التوافق بين كثير من عبارات البوذيين في بوذا وعبارات النصارى في المسيح ابن مريم ولا نستطيع أن نعتد على الروايات الماثورة عن بوذا لأنها كما قلنا سجلت بعد وفاته بفترة طويلة ولا نستطيع أن نجزم بشيء في أمره لكن بعض ما نسب إليه يتفق مع الوحي الذي أنزله الله عز وجل على رسولنا ومن ذلك مثلاً :

أن من تعاليم بوذا : أن على الإنسان أن يكون مقيداً نفسه بثمانية أمور :

(أ) الاتجاه الصحيح المستقيم : بأن يتجه إلى أي أمر يريده اتجاهاً صحيحاً مستقيماً خالياً من كل سلطان للشهوة واللذة وماتبعته من أمانى وأحلام فاسدة ، فيجتهد عند الاتجاه إلى أي أمر في أن يخلص إرادته من شائبة اللذات أو الشهوات ، وما يتصل بها من آمال تبعثها وأحلام تثيرها ، وفي الجملة ينقي نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الاتجاه .

(ب) الإشراق الصحيح المستقيم : وذلك أن الإنسان عند الاتجاه إلى أمر من الأمور اتجاهاً مستقيماً خالياً من شوائب اللذات ، تعتريه نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء من غير أن يرتق نظره أي درن من أدران اللذة ، ولا يرين على عقله ماتثيره من أهواء .

(ج) التفكير الصحيح المستقيم : وذلك أن العقل إن خلا من شوائب اللذة ، ونال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيماً ، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها في التفكير في

هذا الأمر مستقيمة لا تؤثر فيها نزعة هوى ، ولا جموح شهوة ، ولا اضطراب الأمان والأحلام في قلبه .

(د) ولا شك أن هذه المستقيمات الثلاثة السابقة : الاتجاه المستقيم والإشراق المستقيم ، والتفكير المستقيم يترتب عليهما أمر رابع مستقيم ، وهو اطمئنان العقل والقلب إلى فكرة خاصة من بين ما يمرض لها من الأفكار والآراء والأنظار . وذلك هو الإيمان المستقيم ، أو الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان ، وبه يصير القلب في روح وريحان من النعم المعنوي .

(هـ) والذي يتم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم ، وذلك بأن يكون نطق الإنسان بما انتهى إليه من فكره مطابقاً تمام المطابقة لاعتقاده ، ولما ارتاح إليه ، وعمر قلبه بالسرور به .

(و) للسلوك المستقيم : وذلك هو الأمر السادس الذي لا بد منه لسلوك المرء الوسط ، والسلوك المستقيم ما يكون مطابقاً لكل ماقام بالقلب من اعتماد فيكون العمل على وفق العلم ، فلا مجافاة بينها ، ولا مناقضة ، بل يكون كل منها مؤكداً للآخر أو متباً له .

(ز) الحياة الصحيحة : بأن يكون قوامها هجر اللذات هجراً تاماً وأن يكون كل ما يجري فيها متطابقاً مع السلوك القويم ، والعلم الصحيح ، ولا يشذ فيها شيء عن مقتضى هذا السلوك وأحكامه .

(ح) الجهد الصحيح : وذلك بأن تكون كل الجهود التي يبذلها الإنسان في سبيل أن تكون الحياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك ، والعلم والحق ، ومنع كل ماله صلة باللذات ، أو من شأنه أن يثير دواعيها . ويحفظ إليها .

هذه هي الأمور التي لو تمت على وجه مستقيم سار الشخص على الجادة ، وسلك المرء الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام خلوها من دواعيها ، وهي الشهوات واللذات . اهـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

ومن وصايا بوذا :

- (أ) لا تقتل أحدا ؛ ولا تقض على حياة حي .
- (ب) لا تأخذ مالا لا يقدم إليك ، فلا تسرق ولا تغضب .
- (ج) لا تكذب ، ولا تقل قولاً غير صحيح .
- (د) لا تشرب خمرأ ، ولا تتناول مسكراً ما .
- (هـ) لا تزن ، ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً .
- (و) لا ترقص ، ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء . ا . هـ (مقارنات الأديان - لأبي زهرة) .

ومن الروايات عنه كما نقل ذلك فريد وجدي في دائرة معارفه :

« كما أنه لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير كذلك لا فرق بين روحيهما كل منهما أهل لإدراك الحقيقة والانتفاع بها في تخليص نفسه ... » .

« ومما يريك مذهب البوذية في صورته الحقيقية ما حدث من المحاورة بينه وبين أحد تلامذته ، وكان ذلك التلميذ أراد التحول إلى قبيلة « سرون بارنتا » للمكث بين ظهرانيم ودعوتهم للبوذية ، فعلم البوذة أن تلك القبيلة المشهورة بالشراسة وسوء الجوار لا يلينها إلا الثابت الضليح فأراد أن يحول تلميذه عن عزمه ، فقال له :

إن رجال قبيلة « سرون بارنتا » الذين تود أن تسكن بين ظهرانيم متحمسون قساة سريعو الغضب ، وأهل حمية وجحود ، فإذا اتفق يابورنا ووجه إليك أولئك الناس ألفاظاً بذينة خشنة ووجه ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت قائلاً ؟

فأجابته : أقول لا شك أن هؤلاء قوم طيبون لينو العريكة لأنهم لم يضربوني بأيديهم ولم يرجوني بالأحجار .

فقال البوذة : وإن ضربوك بأيديهم ورجحوك بالأحجار فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصي ولا بالسيوف .

فقال البوذة : وإن ضربوك بالعصي والسيوف فإذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يجرموني الحياة نهائياً .

فقال البوذة : وإن حرموك الحياة فإذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيئ بلا

كبير ألم .

فقال له البوذة عند ذلك : أحسنت يا بورنا إنك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات

أن تسكن في بلاد قبيلة سرونا بارانتا فاذهب إليهم يا بورنا ! وكما تخلصت فخلصهم وكما

وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك . وكما تمزيت فعزم معك وكما وصلت إلى مقام النيرفانا

الكاملة فأوصلهم إليها مثلك .

فذهب بورنا إليهم وكانت النتيجة أن آمنوا كلهم بالبوذة واتبعوا مذهبه . اهـ

وجدي .

أقول : وقد خالط الديانة البوذية ماخالطها ولكن الشذرات التي تقلناها توحى بأن

لهذه التعاليم صلة برسالة سماوية .

٣ - الديانة الزرادشتية

يرجح « أبو الكلام آزاد » في كتابه عن « ذي القرنين » أن زرادشت قد عاصر ذا

القرنين الذي يرجح أنه (قورش) الفاتح الفارسي المشهور ، وأن قورش كان على ديانة

زرادشت ، وعلى هذا فإن ظهور زرادشت يكون في القرن السادس قبل الميلاد ، ويفرق أبو

الكلام آزاد بين الزرادشتية والمجوسية فالمجوسية أقدم من الزرادشتية ، وقد جاء زرادشت

ليخرج الناس من ضلالها ، ولكنها في النهاية امتزجت مع الديانة الزرادشتية وأفسدتها ،

ويذكر أبو الكلام آزاد أن أساس الدين الزرادشتي :

« صدق النية وصدق القول وصدق العمل » وذلك يتفق مع الوحي الذي أنزله الله على

رسولنا عليه الصلاة والسلام وما يذكره أبو الكلام أزداد عن الدين الزرادشتي : الإيمان باليوم الآخر ، ويذكر أبو الكلام شهادة المؤرخين على بعد الزرادشتية عن الوثنية ، ويؤكد أبو الكلام أن الزرادشتية لا تقول بألوهية اثنين بل تقول بألوهية الله وتحارب الشيطان أما الثنوية فطرات طروراً بعد ذلك على الديانة الفارسية .

وقد نقل أبو الكلام بعض الكتابات المنحوتة في الصخر والتي لا زالت موجودة حتى الآن والتي سجلها دارايوش خليفة قورش وابن عمه والذي يعتقد أنه كان على دين زرادشت الصحيح مانصه :

« إن الإله العلي ، أهورامزدا ، هو الذي خلق الأرض ، ورفع السماء ، وفتح سبل السعادة على البشر ، وهو الذي أقام دارايوش وحده حاكماً على الكثيرين ، وجعله واضح الشرائع لهم » .

ويقول في كتابة أخرى : « يعلن دارايوش للناس قاطبة بأن أهورامزدا ، قد وهبني الملك بفضل ورحمته ، وقد نجحت بتوفيقه تعالى في تدعيم الأمن والسلام في الأرض ، وإني أبتهل إلى أهورامزدا إلهي ، أن يرعاني أنا ، وأسرتي ، وجميع البلاد التي جعلني حاكماً عليها . يارب ، أهورامزدا ، اسمع دعائي واستجبه ! » .

الدعوة إلى الصراط المستقيم :

وكذلك يقول الملك :

« يأيها الإنسان ، أمرك أهورامزدا ألا تخوض قط في الشر ، ولا تحيد عن الصراط المستقيم أبداً ، واحذر الإثم في جميع الأحوال » . ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ويدلل أبو الكلام على أن أصول الزرادشتية سماوية : أن المسلمين عاملوا المجوس معاملة أهل الكتاب باستثناء الزواج منهم وأكل ذبائحهم .

٤- الديانات الصينية

لا تزال في الصين ديارتان رئيسيتان هما الكونفوشيوسية والطاوية والكونفوشيوسية نسبة إلى كونفوشيوس ، والطاوية ؛ نسبة إلى لوتس الذي أدركه كونفوشيوس في أخريات حياته ولا نستطيع الجزم بشيء حول الرجلين هل هما تابعان لرسالة سابقة أولهما دور آخر ، ولكن الثابت أن كثيراً مما روي عن كونفوشيوس يتفق مع معان إسلامية فهل كان ذلك أثراً عن دين سماوي استفاد منه كونفوشيوس أو كان هو له وضع ما ؟ لا نستطيع الجزم بشيء ، والمعروف من سيرته تجواله لنشر دعوته والتزامه بالعبادة وتمسكه بالعدل والفضيلة ... وقد دون تلاميذه آراءه ولا ندري هل السند متصل أو لا ، أو كانت هذه كل آرائه ، وهل كان النقل دقيقاً وقد ترجم أهم الكتب التي تدون آراءه تحت اسم الحوار إلى اللغة العربية ، ترجمه محمد مكي ، والمعروف أن كونفوشيوس لخص كثيراً من الكتب السابقة عليه التي تمثل معارف الصين ، وبما نسب إلى كونفوشيوس :

« انصرفت إلى طلب العلم ، وأنا في الخامسة عشرة من سني ، وفي الثلاثين التزمت جادة الفضيلة ، وفي الأربعين لم يكن في نفسي أي ريب في حقائق الأشياء وعلمت القضاء والقدر وأنا في الخمسين ، وأصغت أذني إلى كل الحق عارفاً فاهماً له وأنا في الستين ، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا في السبعين » .

« السياسة هي الإصلاح فإن جعلت صلاح نفسك أسوة حسنة لرعيتك ، فمن الذي يجترئ على الفساد » ؟ .

« إن أخلاق الرؤساء كالرياح ، وأخلاق المرءوسين كالعشب ، وإلى أية جهة هبت الريح مال العشب » .

« من يعلم الحق دون من يولع بطلبه ؛ ومن يولع بطلبه دون من يطمئن إليه دائماً » فالمراتب عنده ثلاث :

(١) معرفة للحق مجردة (٢) وشوق إلى الحق ومحبة له (٣) وعمل به وإرتياح النفس إلى العمل به ، مها يكتنفها في العمل به من صعاب وشدائد ثم يقسم الناس بالنسبة للمعرفة

إلى أربع درجات : الدرجة الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة ، وأوتي الإلهام ، وهي أعلى الدرجات ، والثانية درجة رجل لم يؤت إلهاما ولكن فيه ذكاء ؛ فتعلم ووصل إلى أقصى ما يتعلمه من لم يؤت إلهاما ، والدرجة الثالثة درجة الرجل الذي لم يؤت ذكاء ، بل فيه غباء ، يطلب المعرفة ، وينال منها بمقدار طاقته ، والدرجة الدنيا وهي الدرك الأسفل .
رجل حائر بائس فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول معرفة » .

« الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ؛ والرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ، والرجل الكامل الخلق يفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ، والرجل الناقص يفكر في كسب المنافع ... والرجل الكامل الخلق واقف على البر ، والرجل الناقص الخلق واقف على الربح » .
« الرجل غير الفاضل لا يستطيع أن يبقى في الفاقة أو الثروة طويلاً ، أما ذو الفضيلة فهو مستريح في فضيلته ، حريص عليها » .

« ذو الفضيلة يستبشر بالماء الجاري ؛ وذو الفضيلة يستبشر بالجبل الراسي ؛ وذو الفضيلة نشيط ، ورزين ، ومعمّر . فالفضيلة عنده روضة فيها الراح والريحان ، والسر والاطمئنان ، أما ذو الرذيلة فهو في شقاء ولبالبا مستمر ؛ وينزل عليه غضب السماء جزاء ما قدمت يدها واقترفت نفسه ؛ ولذا يقول : « يولد الإنسان مستقيماً فن فقد الاستقامة واسترحيا ؛ فنجاته من الموت من حسن حظه » .

« انظر إلى أعمال الناس ، ولاحظ بواعثها ، وراقب ما إليه يستريحون فأين يخفي الناس سرائرهم !! أين يخفي الناس سرائرهم !! .. » .

ولقد قال أحد تلاميذه : « أراقب نفسي وأسألها كل يوم هل خانت عندما تولت شؤون الناس ؟ هل كذبت عندما عاملت ؟ هل كانت غافلة عن العمل بما تلقته من العلوم ؟ » .

« إذا عزم المتعلم على طلب الطريقة الموافقة للفطرة السليمة وهو يأبى الملبس الخلق ، والمطعم الجشيب فهو غير خليق بأن يحاضر » .

« ... ثمرة الآداب حسن العشرة ، وإنما تستحسن سنة السلف الصالح لاشتغالها على هذه

الصفة التي تراعى في جميع الشئون صغيرها وكبيرها ، ولكن لو روعي حسن المعاشرة من غير أن يضبط بالفضيلة ما استقامت الأمور .

« الرجل الفاضل لا يتحيز ، والرجل الفاضل لا يتعصب » .

« واجبُ الولدِ البرُّ بأبويه إذا كان داخلَ المنزل ، والاحترامُ لذوي الأسيان إذا كان خارجاً ، والصدق في أقواله ، والرحمة بالناس في كل أفعاله ، وأن يتقرب إلى الفضلاء وإذا كان لديه فراغ من الوقت زجاه في كتب الأخلاق » .

« من الناس من نستطيع عبادته في العلم ، ولا يمكن أن نحمله على السير معنا بمقتضى الفطرة ، ومنهم من نستطيع أن نسير بهم على الفطرة من غير أن يكونوا ذوي قدم ثابتة فيها ، منهم من يكون ذا خلق قويم شديد التمسك بالفطرة والكمال الإنساني ، ولكن لا يمكننا مشاورته في تقدير الشئون » .

« ... يقول في وصف آراء أستاذه وأثرها في نفسه : « إذا رفعتُ إلى آراء الأستاذ النظرَ رأيته أعلى مما كنت أعتقد ، وهي ملء نفسي ، وتحيط بي ، وتستغرق كل حسي ، والأستاذ يرشد الناس بالتدريج إرشاداً حسناً ، وقد وسع بالعلوم مجال فكري . وضبط بالآداب سلوكي ، حتى أتي لو رغبت في ترك آرائه ما طواعني نفسي » .

« أتظنون أنني أخفي عليكم شيئاً ، مامن أمر أعمله إلا فيه إرشادكم ، وهذه هي طريقي في التربية » .

« لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ، فلو لم أعاشر هذه الأمة ، فن الذي أعاشره ؟ لو كانت البلاد تحت سيادة عادلة ما كنت في حاجة إلى محاولة لإعادة نظامها » .

« إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يمتثل في كهف من الكهوف ، فن الذي يبقى في المدن يعمرها ، وفي الأرض يفلحها ويزرعها ، وفي الصنائع يهر فيها ، ومن الذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان ؟ وإذا كان الاعتزال مقصوراً على الحكماء والفضلاء فن الذي يربي الإنسان ويؤدبه ؟ أم يترك الناس حائرين لا هادي ولا مرشد » .

« إن في الفصل بين المتخاصمين كغيري من الناس ، ولكن السياسة الحكيمة أن تهذب الرعية ، حتى لا تكون محاصمة » .

« إن الحاكم إذا شغف بالأدب الفاضلة لا يجترئ أحد من رعيته على إهانة غيره ، وإذا شغف بالصدق لا يجترئ أحد على الكذب ، ومن هذه حاله أقبل عليه الناس حاملين أولادهم على ظهورهم » .

« إن كان سلوك الرئيس مستقيماً أطاعه المرءوسون من غير أن يأمرهم ، وإن كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم ... » .

« الرعية إذا قدها بالأحكام الصارمة والمعقوبات الزاجرة فستحاول التخلص منها وهي غير مستحبة من مخالفتها ، وإذا قدها بالفضائل وأصلحتها بالأدب تستحي من ارتكاب الجرائم وهي صالحة » .

سأله أحد تلاميذه عن ضروريات السياسة فقال : « من ضروريات السياسة الأقوات الكافية وذخائر الحرب الواقية ، وثقة الرعية » .

فقال التلميذ « لو اضطررنا إلى حذف واحد من هذه الثلاثة فبأيها نبتدئ بالحذف ؟ قال : « احذفوا ذخائر الحرب » قال : « لو اضطررنا إلى حذف أحد هذين الأمرين فأبأيها نحذف ؟ وأيها تبقي ؟ » .

قال : « احذفوا الأقوات ، فإن الموت حظ الإنسان منذ الغابر من الأزمان ؛ ولكن السياسة لا تقوم إلا بثقة الرعية » .

سأله أحد تلاميذه قائلاً : كيف يجعل الحاكم رعيته يجلونه ويثقون به مخلصين ويتواصون بالخير فيما بينهم ؟ .

فقال مجيباً : « إذا قابلهم بالسمت والوقار أجلوه . وإذا كان باراً بوالديه شقيقاً على قومه أخلصوا له ، وإذا رفع الصالحين وأعان العاجزين تواصوا بالخير » .

ولقد سأله أمير مقاطعته قائلاً : « كيف تكتسب طاعة الرعية ؟ » فأجابته بقوله : « إذا أعلی الصالحون وأبعد الطالحون أطاعت الرعية ، وإذا أقصي الصالحون ، وأدني الطالحون

عصت الرعية ... » .

« ... لو تداولت أيدي الصالحين شؤون الدولة لمدة قرن واحد لتهدب الظالمون جميعاً ، ولاستغنى الحاكم عن عقوبة الإعدام ... » .

« آمن بالحق ، وأحب العلم ، واتبع الفطرة ، ولا تقم في مملكة سادتها الفوضى واطلب المنصب إذا كانت البلاد محكومة بسياسة حكيمة ، واعتزل إذا كانت تحت سياسة غاشمة ، فمن العار أن تفتقر وتبتعد ، والبلاد تحت سياسة عادلة ، ومن العار أن تغنى وتعتز والبلاد تحت سياسة غاشمة » .

« لا يكن همك أن تتولى المنصب ، بل ليكن همك ما يؤهلك لهذا المنصب ، ولا تهتم بجهل الناس قدرك ، بل اهتم بالفضل الذي تريد أن يعرفوك به » .

« من يخدم الأمراء فليجعل العناية بأداء الواجب في المحل الأول ، وأمر الراتب في المحل الثاني » .

ذكر أحد تلاميذه أن وزيراً من الوزراء تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات ، فلم يظهر على وجهه أمانة الابتهاج في واحدة منها ، واستقال ثلاث مرات ، فلم يبدي في واحدة منها على وجهه الاكتئاب بل كان يخبر الوزير الجديد بجميع ما حصل في شؤون الدولة في عهده ، فقال كونفوشيوس : « قد كان مخلصاً » .

ناقشته تلاميذه في اعتزاله مناصب الدولة قال لهم : « لماذا يهكم أن يفقد أستاذكم منصبه !! إن البلاد قد خلت من العدل والاستقامة من زمن بعيد ، وستتخذ السماء أستاذكم ناقوساً لها ... » .

قال فيه أحد تلاميذه : « إن رتبة الأستاذ » كونفوشيوس « لا يمكن أن يصل إليها أحداً ، إن السماء لا يمكن أن يصعد إليها أحد : لو كان للأستاذ حظ من الإمارة أو الرياسة لصدق عليه قول القائل : إن أقام الرعية قاموا سراعاً وإن هدام سارعوا وإن أراحهم أوأوا منه إلى ظل وارف وإن عاش عاش جليلاً وإن مات لقيت بموته النفوس حشرات فكيف يمكن أن يصل إلى رتبته غيره !! » اهـ . (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

٥ - ديانا ما بين الرافدين

لقد بعث نوح عليه السلام في بلاد ما بين الرافدين ، وبعث إبراهيم عليه السلام في مدينة أور من بلاد الرافدين ثم هاجر إلى بلاد الشام ، وقد بعث يونس عليه السلام في الموصل من بلاد ما بين الرافدين ، ولا زال في بلاد ما بين الرافدين أصحاب دين يسمون الصابئة ، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إلى إدريس عليه السلام ، وإدريس كان قبل نوح عليه السلام ولذلك فإنه من المستبعد أن تسلم لهم هذه النسبة ، على أن القرآن ذكر الصابئة القديما في جملة أهل الأديان السماوية ابتداء ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) .

على أن علماء التفسير مختلفون هل المراد بالصابئة هنا قدماء صابئة أهل العراق ممن كانوا على دين صحيح ، أو المراد بهم كل من ترك الدين الباطل إلى الدين الحق ، ولعله من المفيد استكمالاً لأخذ تصور عام أن نذكر شيئاً عما قدمته الحفريات الأثرية عن رسالة نوح عليه السلام وعن بعض ما قيل في الصابئة كأهل دين :

١ - بعض ما تذكره الحفريات عن نوح عليه السلام وقصة الطوفان :

إن كثيراً من الكتب الدينية السابقة قد تحدثت عن قصة نوح عليه السلام وقصة الطوفان ، كما أن قصة الطوفان ذكرت في كثير من الألواح التي عثر عليها أثناء التنقيب عن الآثار ولا زالت المحاولات حتى يومنا هذا جادة في محاولة العثور على بقايا سفينة نوح على جبل أرارات .

ولكن الألواح التي تحدثت عن الطوفان كتبت بعد آلاف السنين من حادثة الطوفان . وقد رأينا أن الحفريات تثبت أن بين ساراجون الملك ونوح عليه السلام قد حكمت بعض الأسر في بلاد الرافدين خمسة وعشرين ألفاً من السنين ، ومع عدم الثقة في دقة ماتقدمه لنا ألواح الحفريات ، فإن هناك قاسماً مشتركاً بينهما وهو إثبات حادثة الطوفان ، وكنموذج على ذلك ننقل ما كتبه العقاد في كتابه إبراهيم عليه السلام قال :

(وتؤلف قصة الطوفان البابلية من اثني عشر فصلا على حسب البروج : وراوي القصة يسمى (اسدبار) وقد عبر بحر الموت ليصعد إلى السماء ويلقى زستور الذي ارتفع إليها بعد نجاته من الطوفان ، والباقي من ألواح هذه القصة في المتحف البريطاني يحكيها على هذا المثال :

« ابن بيتا واصنع سفينة تحفظ النبات والحيوان ، واخزن البذور واخزن معها بذور الحياة من كل نوع تحمله السفينة ، وليكن طولها ستائة قدم في ستين عرضا .. وتدخل السفينة وتحكم إغلاقها ، وتضع في وسطها الحبوب والمتاع والأزواد والخدم والجنود ، وتضع فيها كذلك أجناس الوحش لتحفظ ذريتها .. .

... وقال الله ليلا : إني سأرسل السماء مدرارا ، فادخل إلى جوف السفينة ، وأغلق عليك بابها . وتغطي وجه الأرض وهلك كل ما عليه من الأحياء ، وفار الماء حتى بلغ السماء ، ولم ينتظر أخ أخاه ولم يعرف جار جاره . ستة أيام وست ليال ، والريح تعصف والأنواء تغطي ، ثم كان اليوم السابع فانقطع المطر وسكنت العاصفة التي ماجت كوج الزلزال . سكنت العاصفة وانحسر البحر وانتهى الطوفان ، وعج البحر بعد ذلك عجيجة ، واستحال الناس طينا وطفت أجسادهم على وجه الماء .

ثم استوت السفينة على جبل نيزار .. وأرسلت أنا الحمامة فذهبت وعادت ولم تجد من مقر تهبط عليه ، فأرسلت عصفور السمانة فعاد وماهبط على مكان ، وأرسلت الغراب فراح ينهش الجثث الطافية ولم يرجع ، ثم أطلقت الحيوانات في الجهات الأربع وبنيت على رأس الجبل مذبحا فقربت لديه قربانا وفرقته في آنية سبعة وفرشت حوله الريحان .. » .

وقد علم المنقبون أن هذه القصة منسوخة من مصدر قديم أقدم منها ، فهذه الألواح لا يقل تاريخها عن ألفين وخمسمائة سنة ، والمصدر الذي نقلت منه يرجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد .

وعلم المنقبون في جميع آثار الأرض التي كشفت في العالم القديم أو العالم الجديد أن قصة الطوفان عامة لا تنفرد بها الآثار البابلية ، ولا يقل تاريخها في القدم عن تاريخه (اهـ . العقاد (إبراهيم أبو الأنبياء) .

ب - الصابئة :

حاول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة أن يعطينا تصورًا عن صابئة العراق في كتابه :
« العقيدة الإسلامية » فقال .

(يقول المؤرخون : إن أمة السريان أقدم الأمم ، وملتهم هي ملة الصابئين - نسبة لصابي أحد أولاد شيث - ، ويذكر الصابئون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ، وأن لهم كتابًا يعزونه إلى شيث ويسمونه : « صحف شيث » ، ويتضمن هذا الكتاب على ما يذكرون الأمر بمحاسن الأخلاق ، والنهي عن الرذائل .

وأصل دينهم التوحيد وعبادة الخالق جل وعلا . وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ، والحض على الزهد في الدنيا ، والعمل بالعدل .

قالوا : وللصابئين عبادات منها : سبع صلوات في اليوم والليلة : خمس صلوات منهن توافق صلوات المسلمين ، والسادسة صلاة الضحى ، والسابعة صلاة يكون وقتها في الساعة السادسة من الليل . وصلاتهم تشبه صلاة المسلمين من حيث النية وعدم خلطها بشيء من غيرها .
ولهم صلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود .

وعندهم صيام شهر قمري من السنة ، ويصومون من ربيع الليل الأخير حتى غروب قرص الشمس .

ويعظمون بيت مكة .

قال ابن حزم : والدين الذي انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر ، وقد كان الغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث (١) . هـ (العقيدة الإسلامية) .

وقد تحدث العقاد في كتابه : « إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام » عن الصابئة ، وكان من كلامه :

تدين بعقائد الصابئة ملة يبلغ عدد أبنائها ستة آلاف بين رجل وامرأة وطفل ، ولا يجاوز بها المبالغ في عددها عشرة آلاف .

وهي على قلة عددها تستقل بلغة « مقدسة » خاصة ، [عندم] ولها كتابة أبجدية خاصة ، وأحكام دينية في معيشتها لا تشبه في جملتها دينًا واحدًا ولكنها تشبه في بعض

أجزائها كل دين .

ومن ثم كان لها شأنها في الدراسات الدينية .

ففيها ولا شك عقائد سابقة لجميع الأديان الكتابية ، وعقائد سابقة لدين الخليل . بل فيها - على رأي بعض الباحثين - بقية من الديانتين المختلفتين في عصر الخليل ، لأن الصابئة يدينون بمذاهب مختلفة يرد بعضها على بعض ، ولا سيما مذاهب الكواكب والأصنام ، مما تواترت الأخبار بالاختلاف عليه بين قوم إبراهيم ومن حاربه واضطروهم إلى الهجرة من بلادهم .. .

ويقول رايت Wright صاحب كتاب المطالعة العربية إن حروفهم الأبجدية تشبه الحروف النبطية ، وإن لغتهم تشبه لغة التامود الذي كتب في بابل ، ويقولون هم إن لغتهم الأولى سريانية وإنهم كانوا بمصر على عهد الفراعنة الأول وتلقوا ديانتهم الأولى عن أحبارهم ثم هجروها حين تحول أهلها عن الدين القويم .

والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم ، لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، لم ينشأ في عصر حديث ولهذا يفهم الدارسون للأديان أن تحقيق لغتهم وكتاباتهم يؤدي إلى جلاء الغوامض عن كثير من تاريخ الكلدان في الزمن الذي قام فيه الخليل بدعوته ، ويؤكد هذا الفهم أن هؤلاء الصابئة يقيمون في الأقاليم الجنوبية من العراق حيث أقام الخليل في رواية العهد القديم ، ومنهم فئة ترحل إلى حاران التي هاجر إليها ، وينسب إليها الصابئة الحارانيون .. .

ومع استقلال الصابئة باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة ، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر .. فهم يشبهون البراهمة والمجوس والأورفيين أصحاب النحل السرية ، كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين ، أو كما يشبهون الفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات .

وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع .

فن مشابهتهم للبراهمة أنهم يتخرجون من ملامسة غيرهم ، ويتطهرون إذا لمسوا غريبًا في

حالة من حالات العبادة .

ومن مشابهمهم لأصحاب العقائد الأورفية - أو السرية - أنهم يكتبون كتبهم أشد الكتمان ، ولا يباشرون شعائرهم مع الغرباء ، ويتقاسمون الخبز المقدس علامة على الأخوة الروحية ، ويمتقدون أن الكون كنوان وأن الخلق خلقتان . فالكون الظاهر غير الكون الباطن ، ولكل مخلوق في العلانية صورة محجوبة في عالم الغيب .. حتى آدم وبنوه منهم أهل ظاهر وأهل باطن لا يراهم من يعيشون في العلانية .

ومن مشابهمهم للمجوس أنهم يتوجهون إلى قطب الشمال وإلى الكواكب عامة ، ولكنهم لا يعبدونها ، بل يحسبونها من مظاهر الروحانيات التي لا تبرز للعيان . .

ومن مشابهمهم للمسيحيين أنهم يدينون بالعماد ، ويجعلون يوحننا المعمدان أو يحيى المغتسل . ولكن التعميد أم عندهم من التعميد في المسيحية ، ويندر منهم من يسكن بعيدا من الأنهار لحاجتهم كل يوم إلى العماد ، وإلى التطهر بالماء .

ومن مشابهمهم للمسلمين أنهم يقيمون الصلاة مرات في اليوم ، ويقولون إنها فرضت عليهم سبعا ثم أسقطها يوحننا عنهم وأدخل بعضها في بعض واكتفى منها بثلاث ، ولكنهم لا يسجدون في صلاتهم بل يكتبون بالقيام والركوع ، وهم يتوضؤون قبل الصلاة ويفتسلون من الجنابة ويعرفون نواقض الوضوء ولكنهم يغالون فيها .

وعندهم ذبائح كذبائح اليهود ، ويوم في ختام السنة كيووم اليهود . ولكنهم محرمون الختان ولا يبنون لهم هيكلًا قائمًا ، بل يبنون الهيكل من القصب كما تبنى الخيام ، موقوتا عند الحاجة إليه في الأعياد . فكأنها بقية أو أصل لعيد الظلال وللهيكل المنقول .

ومنهم من يحرم الطعام الذي حرمه أتباع فيثاغورس كالبصل ، ويضيفون إليه أنواعا من الخضرا كالكرنب ولحوم الحيوان ذي الذنب ، لأنهم يستوحون الغيب في الرؤيا ، وهذه الأطعمة تمنع الرؤيا الصادقة .

والمشهور عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة ، ويعتقدون أنها من بناء هرمس أو إدريس عليه السلام ، وأنها بيت زحل أعلى الكواكب السيارة ، وينقل عنهم عارفوهم أنهم قرأوا صفة محمد عليه السلام في كتبهم ، ويسمونه عندهم ملك العرب ، لأن الشائع فيهم أنهم

لا يؤمنون بالأنبياء إلا فرقة واحدة تذكر شيئاً وإدريس وإبراهيم ويحيى المغتسل ،
ويحسبونهم تارة من الأنبياء وتارة من عباد الله الخالص الذين وصلوا بالرياضة والعبادة إلى
مقام الزلفى والإلهام .

وقد كان الباحثون يعجبون لتنويه القرآن الكريم بهذه الملة مع قلة عددها وخفاء
أمرها ، ولكن الدراسات الحديثة بينت للباحثين العصريين شأن هذه الملة في دراسات
الأديان كافة ، فمادوا يبحثون عن عقائدها الآن وعقائدها في عصر الدعوة الإسلامية ،
وثبت لهم أنها تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتؤمن بالحساب والعقاب ، وأن الأبرار يذهبون
بعد الموت إلى عالم النور « آلي دنهورو » وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام « آلي
دهشوخا » ويلبثون فيه زمناً على حسب ذنوبهم ، ثم ينقلون منه إلى عالم النور ..

ولهم كتاب يسمونه (كزنة) ولعله من مادة الكنز التي تفيد معنى النفاسة والكتمان ،
لأنهم يقدسونه ويخفونه فلا يطلعون أحداً على أسرارهم . .

إلا أن المتفق عليه أن اللغة التي كتب بها كتاب الكنزة وغيره من الكتب المقدسة عندهم
هي لغة سامية الأصل قريبة من السريانية ، وتكفي نظرة في مصطلحاتهم للجزم بهذه
الصلة الوثيقة بين لغتهم واللغة العربية الحديثة فضلاً عن القديمة المهجورة .

ولم يتيسر حتى اليوم كشف الستار عن بواطن معتقداتهم وشعائرهم ، لأنهم يصطنعون
التقية ويوجبونها ، ومن ذلك أنهم يحرمون الصيام باطنياً كما اشتهر عنهم ، ولكنهم يصومون
جهرًا ، ويروي ابن النديم في الفهرست أنهم يصومون ثلاثين يوماً مفرقة على أشهر السنة ،
وقد يتنفلون بصيام أيام النسيء الخمسة ، ويروي عنهم أيضاً أنهم يصومون خمسة أسابيع
يأكلون فيها الطعام نهارا وليلا ويحبتون أكل اللحوم المباحة لهم وهي غير ذات الذنب ،
ويقال إن الصيام بنوعيه قديم عندهم يرجع إلى أيام البابليين . ١٠ هـ . (إبراهيم أبو
الأنبياء) .

وبعد :

لقد ذكرنا هذا الوصل ليكون القارئ على بصيرة في فهم موضوع الرسالة ، فلقد غلب
على بعض الناس فهم أن الرسائل لم تكن إلا في منطقتنا من هذا العالم ، وهذا غلط ، كما
أن هناك ناساً قد يسارعون في نسبة النبوة والرسالة إلى أحد دون تحقيق ودون عرض على

النصوص ، كما أن هناك ناسا يغالطون ويغلطون فيذكرون أن عقيدة التوحيد كانت نتيجة تطور ، وهم بذلك ينفون رسالات الله إلى الأمم ، وينسون أن أول رسول هو آدم عليه الصلاة والسلام ، فالتوحيد هو الأصل دائماً ثم يحدث الانحراف .

وما يذكر في هذا الوصل وغيره ، ندرك رحمة الله ونعمته على البشرية إذ أرسل محمداً ﷺ بهذا الكتاب ، وبهذا الدين الكامل الذي أخرج الناس جميعاً بما في ذلك بقايا أهل الأديان من الظلمات إلى النور .

قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد ﴾ (١) .

لقد قلنا من قبل : إن الله عز وجل قد بعث محمداً ﷺ ليكسر استمرارية أهل الأديان وغيرهم على الكفر ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة * فيها كتب قيمة ﴾ (٢) .

ومع هذا الإرسال وقيام الحجة به بهذا القرآن الخالد المعجز فإن الكثيرين لازالوا مستمرين على ماورثوه من كفر وضلال ، ولذلك حكته .

ومن حكته : أن الله عز وجل خلق النار وخلق لها أهلها ، وقال تعالى : ﴿ لأنأذن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (٣) .

ومن حكته : أن يزداد أهل الإيمان يقيناً عندما يقارنون ويدرسون ويكتشفون أن حقائق القرآن هي التي ترجع الناس إلى فطرتهم وحقائق أديانهم قبل التحريف والتبديل .

ولكن إذا كان في استمرارية أهل الكفر على كفرهم حكيم فهذا شيء ، وأن تقوم بحق الله في الدعوة إلى دينه الحق شيء آخر ، فقد أوجب الله عز وجل علينا أن ندعو وأن نبلغ ،

(٢) البينة : ١ - ٢ .

(١) إبراهيم : ١ - ٣ .

(٣) السجدة : ١٣ .

وأعلمنا أن أهل الكتاب في شك من أمرهم ولذلك فإن علينا أن ندعوم وتقيم الحجة عليهم ،
والشأن شأنهم أن يختاروا الجنة على النار ، أو النار على الجنة . قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ
الَّذِينَ مَاتُوا بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۚ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي
شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ۚ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَإِسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ .

* * *

الوصّل الثاني
في:
ورائة الأنبياء وكرامات الأولياء
وفيه:
مقدمة ونصوص

المقدمة

إن قلب المؤمن يحتاج إلى تثبيت مستمر ، ولقد قال الله عزَّ وجل : ﴿ وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ﴾ ^(١) ، قال الله تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ ^(٢) . وتثبيت فؤاد المؤمن إنما يكون بملازمة الذكر والطاعات ، وبالاجتماع على القرآن والذكر ، والكينونة مع أهل العلم والصدق ، وتلقي الهداية على الأولياء المرشدين ، ورؤية كرامات الأولياء وسببها الصالحين والانتساب لأهل الحق والعدل ، إلى غير ذلك من وسائل جعلها الله أسباباً لتثبيت أفئدة الملتقين .

ومن أهم ما يصلح به حال الإنسان ويقوم به دين الله أن يوجد الوراث الكاملون للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الذين اجتمع لهم علم وولاية وإرشاد ، قال الله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ ومن يضل فلن نجد له ولياً مرشداً ﴾ ^(٤) . فهذه الآية تدل على أن الغاية في الهداية هو الولي المرشد ، فإذا ما وجد الوارث الكامل أصبح بالإمكان أن يتخرج على يديه الناذج العاليا من البشر وهم الصديقون والشهداء والصالحون ، وفي هذا الجو توجد الكرامات والمعونات وتوجد الأجواء الإسلامية الصافية ، ومن ههنا كان من أهم ما يحرص عليه المسلم أن يكون وارثاً نبوياً كاملاً ، بأن يكون عالماً ولياً مرشداً ، ومن أهم ما يحرص عليه المسلم أن يتلمذ على أمثال هؤلاء ، وأن يعيش في أجوائهم وأن يحبهم هم وإخوانهم في الله ، وقد حَسُنَ الميثمي الحديث الذي يقول : « كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبباً ولا تكن الخامسة فتهلك : أن تبغض العلم وأهله » ^(٥) .

إن النبوة قد انقطعت وإنما يصلح حال البشر بوجود ورث الأنبياء وكرامات الأولياء ، فبذلك تستمر أحوال الأنبياء ظاهرة في الأمة ، وعن ذلك ينبثق كل خير ، ويقدر ما يتولى ورث الأنبياء قيادة الأمة وريادتها وتلقين الناس آيات الله وتفهمهم إياها ، وتلقينهم

(٢) هود : ١٢٠ .

(٤) الكهف : ١٧ .

(١) الفرقان : ٣٢ .

(٣) آل عمران : ٧٦ .

(٥) مجمع الزوائد (١ / ١٢٢) .

الحكمة ، لأنفس الناس وتعلم الناس الفقهاء الكبير والأكبر فإن الأمر يكون مستقيماً .
أما إذا آل أمر الدعوة والتعليم والإرشاد إلى من ليس له في الوراثة الكاملة قَدَمٌ فإن أمر الإسلام ينقص بقدر نقصان مقام الوراثة ، والوراثة الكاملة كما قلنا علم وولاية وإرشاد .

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أن تجدد أمر الإسلام في حياتها وفي أنفسها وعلى كل مستوى ، ومن تجديد أمر الإسلام أن نجدد حياة وحيوية كثير من المعاني التي ذكرها القرآن ، ومفتاح ذلك كله هو وجود الوارث الكامل . فكما حدثنا القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعن معجزاتهم فقد حدثنا عن الصفوة المختارة من أتباعهم ، فحدثنا عن الرِّبَّانِيِّينَ وعن الرِّبِّيِّينَ وعن الحوارِيِّينَ والسابقين ، وعن أهل اليمين وعن الصديقين والشهداء والصالحين ، وعن الأولياء المرشدين وعن الأولياء عامة ، وعن المؤمنين والمتقين والمحسنين والشاكرين ، كما حدثنا عن كرامات تجري لهؤلاء أو على أيديهم ، وبالكلام عن هؤلاء تستكمل الصورة المضيئة الوضيئة للحياة البشرية ملحياً القدوة والصفوة .

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصبرنا على القوم الكافرين * فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ (١) .

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ (٢) .

﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (٣) .

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ (٤) .

(٢) آل عمران : ٧٦ .

(٤) النساء : ٦٩ .

(١) آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨ .

(٣) المائدة : ٤٤ .

- ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ﴾ (١) .
- ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ (٢) .
- ﴿ ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ (٣) .
- ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (٤) .
- ﴿ إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسعار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (٥) .
- ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم ﴾ (٦) .
- ﴿ فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ (٧) .
- ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (٨) .
- ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ (٩) .
- إن من علامات الإسلام وحيويته أن يوجد أمثال هؤلاء الذين ذكرتهم هذه الآيات ، وكما قلنا من قبل فإن مفتاح وجودهم هو الوارث الكامل الذي اجتمع له علم وولاية وإرشاد ، فعلم بلا ولاية ولا إرشاد لا يفترق فيه صاحبه كثيراً عن علماء القانون وهواة الدارسين إلا إذا صحت نيته فإنه مأجور ، وعلم وإرشاد بلا ولاية مفيد ولكن لا تحيا به القلوب ، وإرشاد بلا علم وولاية ضلال وتضليل ، وولاية وعلم بلا إرشاد ولاية قاصرة إن كان

(٢) المنكيات : ٩ .
 (٤) يونس : ٦٢ ، ٦٣ .
 (٦) الواقعة : ١٠ - ١٢ .
 (٨) المؤمنون : ٥٧ - ٦١ .

(١) الحديد : ١٩ .
 (٣) الكهف : ١٧ .
 (٥) الذاريات : ١٥ - ١٩ .
 (٧) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .
 (٩) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

صاحبها عذر في ترك الإرشاد ، وإلا فلا ولاية في هذه الحالة .

ومقام الولاية مقام ذكره القرآن وذكرته السنة ولعله من المناسب أن تقف وقفة تتحدث فيها عن الأولياء - نفعنا الله بهم - وكراماتهم ، والأولياء هم الذين تحققوا بسلامة اعتقاد وحسن عمل على ضوء علم صحيح واتباع صحيح .

وفي الحديث الذي رواه البخاري (١) : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَاتَ قَرِيبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ » . فالذي يقوم بالفرائض الظاهرة والباطنة ويكثر من النوافل هو مظنة استجابة الدعاء وتلبية الحاجات ومظنة أن يعاقب مؤذيه في الدنيا والآخرة ، وهو مظنة تنزل الرحمات عليه وعلى من يحيط به قال تعالى : ﴿ إِنْ رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴿ (٣) ، وهم مكرمون بالبشارات ومؤيدون بالرؤى المبشرات ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ (٤) .

روى الطبراني ، عن حذيفة بن أسيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ذهب النبوة فلا نبوة بعدي إلا المبشرات : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » (٥) .

وفي رواية لابن ماجه (٦) : « ذهب النبوة وبقيت المبشرات » .

وليس كل من ظهرت على يده خوارق العادة أو استجيب دعائه وليا ، فقد يستجيب

(١) البخاري (١١ / ٢٤٠) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٢٨ - باب التواضع .

(٢) الأعراف : ٥٦ . (٣) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) يونس : ٦٢ - ٦٤ .

(٥) المعجم الكبير (٢ / ١٧٩) . وهو حديث حسن .

مجمع الزوائد (٧ / ١٧٢) . وقال : رواه الطبراني والبخاري ، ورجال الطبراني ثقات .

(٦) ابن ماجه (٢ / ١٢٨٣) - ٣٥ - كتاب تعبیر الرؤيا - ١ - باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

وهو عنده عن أم كرز .

الله لكافر أو فاسق : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ (١) ، ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجسكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ (٢) ، وإنما نصف بالكرامة من اجتمع له صلاح واستقامة ، فمندئذ إذا ظهرت على يده خارقة أو حدث توفيق خاص أو استجيب دعاؤه فذلك في حقه كرامة ، فوصف الكرامة يتحقق إذا اجتمع بصاحبها صفات معينة ولذلك قالوا في تعريفها : (الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح يلتزم بمتابعة النبي ﷺ مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح) .

والمعونة عندهم صفة لتوفيق إلهي أو تفريج كرب أو خرق لعادة إذا ظهرت على يد عبد مستور الحال ، فإذا ما ظهرت الخارقة على يد فاسق أو كافر فهي استدراج ، فالعبرة للموصوف في إعطاء الصفة للخارقة . وقد حدث لبس في موضوع الولاية ، فإذا ظهرت خارقة على يد إنسان فهناك من يعطيه صفة الولاية ، ويرتب عليها عصمة وطاعة ومتابعة بصرف النظر عن الالتزام الشرعي أو العلم بالشريعة ، ولذلك نجد كثيراً من الناس طمحت أبصارهم ليُعترفوا بالولاية فيكون لهم احترام وتصدر جاه واتباع ، فالتبس الأمر على العامة ، مع أنه في الأصل قد يكون الإنسان ولياً وليس كاملاً من كل الجهات ، وقد يكون ولياً ولكن لا يتجاوز به مقامه في العلم والمتابعة ، ألا ترى إلى مالكٍ رحمه الله يقول : « إن من شيوخي من أستسقى الله به ولا أقبل حديثه » .

وقال ابن عطاء : ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه .

فالولاية ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ولكن من هو الولي ؟ .

إنه الذي يتولى الله في العبادة والطاعة من غير تخلل معصية ، مع جوازها عليه ، ويتولاه الله بالرعاية والعناية ، فهو عارف بالله وصفاته ، مواظب على الطاعات مجتنب للمعاصي ، غير منهمك باللذات والشهوات المباحة ، وإذا ارتكب معصية أو حدثت له غفلة أحدث توبة .

والكرامة ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ، فهذا القرآن يذكر لنا عن مريم عليها السلام :

(٢) الإسراء : ٦٧ .

(١) النمل : ٦٢ .

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾ (١) .

ويذكر قصة صاحب سليمان إذ أتى بعرش بلقيسَ قبل أن يرتد طرف سليمانَ إليه ، ويذكر قصة أصحاب الكهف ونومتهم الطويلة وبقاء حياتهم بلا طعام ولا شراب ، وهذه السنة الثابتة تذكر حادثة عمر مع سارية ، وإضاعة العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ، ومارزق الله خبيباً من الرزق وهو أسير بمكة ، ولكن لا نصف أحدًا بالكرامة إلا إذا كان مَظْهَرًا للاستقامة .

ومع وجود الكرامة والولاية فلا يَتَجَاوَزُ بالولي مقامه ومؤهلته ، فإن كان أهلاً للإمامة قَدَّمَ ، وإن كان أهلاً للعلم أَخَذَ منه ، وما يظهر منه أو له يوزن بميزان الشريعة . فالشريعة معصومة ، ومَنْ سِوَى الأنبياءِ فليس بمعصوم : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ (٢) .

لقد كان للخَصْرِ مقامه العظيم في الولاية على رأي من يقول بولايته ، ولكن الإمامة والرسالة كانت لموسى عليه الصلاة والسلام ، فهو الذي طوَلبَ تَوَمُّهَ باتباعه والتلقي عنه والأخذ منه ، وهذا شيء ، وأن تَقَدَّمَ لمن عرفناه بالولاية أو من هو مظنتها الاحترام والأدب والتوقير شيء آخر ، فأدبنا مع أمثال هؤلاء مُؤَكَّدٌ واحترامنا لهم مطلوب ، والمسلم الحكيم يضع كل شيء في محله .

وإذا فما نعرف به الولي : استقامته وظهور الكرامة على يده ، وشيء آخر هو حب أهل الصلاح له وتناوُلهم عليه .

ولنعد إلى ما بدأنا به هذا الوصل : فالمطلوب هو الوارث الكامل ، الذي من صفاته الولاية ، ومن صفاته الأخرى العلم والإرشاد ، والقيام بمهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبذلك تستقيم الحياة البشرية .

النصوص

٨٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : إن أصحاب الصفة كانوا ناسًا فقراء ، وإن النبي ﷺ قال مرة : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة ، فليذهب بخامس ، بسادس » - أو كما قال - وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبي ﷺ بعشرة ، قال : فهو أنا وأبي وأمي - ولا أدري هل قال : وامرأتي - وخادم [بين] بيتنا وبيت أبي بكر ، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ، ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ - وفي رواية - حتى نبس رسول الله ﷺ - فجاء بعد ما مضى من الليل ماشاء الله ، قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك - أو قالت : ضيفك - ؟ فقال أو ما عشييتهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء ، وقد عرضوا عليهم [فقلبوهم] . قال : فذهبت أنا فاخترت ، فقال : يا غنثر . فجذع وسب ، وقال : كلوا ، لا هنيئا . وقال : والله لا أطعمه أبدا . قال : وإيم الله ، ما كنا نأخذ من لقمته إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر ، فإذا هي كما هي ، أو أكثر ، فقال لامرأته : يا أخت بني فراس ، ما هذا ؟ قالت : لا ، وقرة عيني ، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات . فأكل منها أبو بكر وقال : إننا كان ذلك من الشيطان - يعني يمينه - . ثم أكل منها لقمته ، ثم حملها إلى النبي ﷺ ، فأصبحت عنده . قال : وكان بيننا وبين قوم عهد ، فمضى الأجل فتفرقنا اثني عشر رجلا ، مع كل رجل منهم أناس - والله أعلم كم مع كل رجل ؟ - فأكلوا منها أجمعون . أو كما قال .

٨٤٨ - البخاري (٢ / ٧٥) - ٩ - كتاب مواقيت الصلاة - ٤١ - باب السر مع الضيف .

مسلم (٢ / ١٦٢٧ ، ١٦٢٨) - ٢٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إتياره .

(غنثر) : روي بضم النين وفتحها ، وهو من الفثارة ، وهي الجهل .

وقيل : هو من الفثرة ، وهي شرب الماء من غير عطش ، وذلك من الحق ، وقيل : « غنثر » كلمة يقولها الغضب

إذا ضاق صدره من شيء جرى على غير ما أراده ، قال بعض أهل اللغة : أحسبه التثليل الوخم .

وقد ذكر الزمخشري : إنها رويت بالعين المهملة مفتوحة والتاء المعجمة بتقطعين ؛ وهو الذباب الأزرق ، شبهه به

تحقيقاً له ، ويجوز أن يكون شبهه به لكثرة أذه .

(جذع) : المجادعة : المحاصمة .

(ربا) : الشيء يربو : إذا زاد وارتفع .

وفي رواية (١) قال : جاء أبو بكرٍ بصَيْفٍ لَهُ - أو أضيافٍ لَهُ - فأَمَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا جَاءَ ، قَالَتْ لَهُ أُمِّي : احْتَبَسْتُ عَنْ ضَيْفِكَ - أو أضيافِكَ - اللَّيْلَةَ . فَقَالَ : أَمَا عَشِيَّتِيهِمْ ؟ فَقَالَتْ : عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أو عليهم - فَأَبَوْا . (أو أَبِي) . فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَبَّ وَجَدَّعَ ، وَحَلَفَ لَا يَطْعَمُهُ ، فَأَخْتَبَاتُ أَنَا فَقَالَ : يَاغُنْثِرُ ، فَحَلَفْتُ الْمَرْأَةَ لَا تَطْعَمُهُ ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أو الأضيافُ - أَنْ لَا يَطْعَمَهُ - أو لَا يَطْعَمُوهُ - حَتَّى يَطْعَمَهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا ، فَجَعَلُوا لَا يُرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَّتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا ، فَقَالَ : يَاأُخْتِ بَنِي فِرَاسٍ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَتْ : وَفَرَةٌ عَيْنِي إِنَّهَا الْآنَ لِأَكْثَرِ [مِنْهَا] قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ . فَأَكَلُوا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا .

وفي أُخْرَى (٢) : أَنْ أَبَا بَكْرٍ تَضَيَّفَ رَهْطًا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : دُونَكَ أَضيافِكَ ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَفْرَعُ مِنْ قِرَاهِمِ قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ . فَاذْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَأَتَاهُمْ بِمَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : اطْعَمُوا . فَقَالُوا : أَيْنَ رَبُّ مَنْزِلِنَا ؟ قَالَ : اطْعَمُوا . قَالُوا : مَا نَحْنُ بِأَكْلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا . قَالَ : أَقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمُ ، فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لَنَلْقَيْنَ مِنْهُ . فَأَبَوْا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلِيًّا ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ ، قَالَ : مَا صَنَعْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَسَكْتُ ، فَقَالَ : يَاغُنْثِرُ ، أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتُ تَسْمَعُ صَوْتِي لِمَا جِئْتُ . فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ : سَلْ أَضيافَكَ . فَقَالُوا : صَدَقَ ، أَتَانَا بِهِ . فَقَالَ : إِنَّا انْتظَرْتُمُونِي ، وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ . فَقَالَ الآخَرُونَ : وَاللَّهِ لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : لَمْ أَرِ فِي الشَّرِّ كَاللَّيْلَةِ ، وَيَلِكُمْ ، مَا لَكُمْ لَا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمُ ؟ هَاتِ طَعَامَكَ . فَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ ، فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، الْأُولَى لِلشَّيْطَانِ . فَأَكَلَ وَأَكَلُوا .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ (٣) : فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَرُّوا وَخَشَيْتُمْ . قَالَ : وَأَخْبِرُهُ ، فَقَالَ : « بَلْ أَنْتَ أَبْرُهُمْ وَأَخَيْرُهُمْ » قَالَ : وَلَمْ تُبَلِّغْنِي كَفَّارَةً .

(١) البخاري (١٠ / ٥٢٥) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٨٨ - باب قول الضيف لصاحبه : والله لا أكل حتى تأكل .

(٢) البخاري (١٠ / ٥٢٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٨٧ - باب ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف .

ومسلم (٣ / ١٦٢٩) - ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف .

(٣) مسلم : للموضع السابق .

(بَرٌّ) : الرَّجُلُ فَهُوَ بَارٌّ : إِذَا صَدَقَ .

(خَشَيْتُمْ) : فِي الْبَيْنِ : إِذَا تَنَضَّ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ وَخَالَفَهُ .

وفي رواية أبي داود^(١) قَالَ : نَزَلَ بِنَا أُضْيَافَ لَنَا ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَتَحَدَّثُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : لَا أُرْجِعَنَّ إِلَيْكَ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ ضِيَافَةِ هَؤُلَاءِ ، وَمِنْ قِرَاهِمُ . فَأَتَاهُمُ بِقِرَاهِمُ ، فَقَالُوا : لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى يَأْتِيَ أَبُو بَكْرٍ . فَجَاءَ فَقَالَ : مَا فَعَلَ أُضْيَافُكُمْ ؟ أَفَرَعْتُمْ مِنْ قِرَاهِمُ ؟ قَالُوا : لَا . قُلْتُ : قَدْ أَتَيْتُهُمْ بِقِرَاهِمُ ، فَقَالُوا : لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى يَجِيءَ . فَقَالُوا : صَدَقَ ، قَدْ أَتَانَا بِهِ ، فَأَيْنَا حَتَّى تَجِيءَ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكُمْ ؟ قَالُوا : مَكَانَكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ . قَالَ : فَقَالُوا : وَنَحْنُ ، وَاللَّهِ لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : مَا رَأَيْتُ فِي الشَّرِّ كَاللَّيْلَةِ قَطُّ . قَالَ : قَرَّبُوا طَعَامَكُمْ . قَالَ : فَقَرَّبَ طَعَامَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ . فَطَعِمَ وَطَعِمُوا ، فَأَخْبِرْتُ أَنَّهُ أَصْبَحَ ، فَغَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ وَصَنَعُوا ، فَقَالَ : « بَلْ أَنْتَ أَتْرَهُمْ وَأَصْدَقُهُمْ » .

زاد في رواية^(٢) قال : ولم يبلغني كفارة .

* * *

(١) أبو داود (٢ / ٢٢٧) - كتاب الأيمان والندور - باب فيمن حلف على طعام .

(٢) مسلم (٢ / ١٦٣٠) : الموضوع السابق .

الفصل الثامن
في:
الفصل النبوي
وفيه:
مقدمة وفقرتان

المقدمة

مناسبة هذا الفصل للذي قبله واضحة ، وأما مناسبته لباب الإيمان بالغيب فلأن القصص النبوي يشبه القصص القرآني والله عز وجل قال عن قصة نوح في القرآن : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ (١) ، وقال تعالى عن قصة الاقتراع على كفالة مريم : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ (٢) ، فإنا قصه الله عز وجل من أنباء الأولين هو من فصول الإيمان بالغيب ، وكذلك ما قصه علينا رسول الله ﷺ ، وكما أن القصص القرآني تجتمع فيه الحقيقة والتربية والتثبيت والقدوة : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ (٣) ، فإن القصص النبوي تجتمع فيه هذه المعاني كلها .

وسنذكر في هذا الفصل فقرتين :

الفقرة الأولى : في الموقف من القصص بإطلاق وما يراد به .

الفقرة الثانية : في القصص النبوي .

(٢) آل عمران : ٤٤ .

(١) هود : ٤٩ .

(٣) هود : ١٢٠ .

الفقرة الأولى

في :

الموقف من القصص بإطلاق و مايراد به

وفيه :

مقدمة ونصوص

المقدمة

تطلق كلمة القَصص ويراد بها قَصُّ القصة أي التحديث بها ، وهذا لا حرج فيه ، قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (١) وهناك خلاف بين الفقهاء حول جوائز قراءة القصص المخترع ، فقد أجاز فقهاء الحنفية قراءة قصة عنتره وأشباهها ، وتطلق كلمة القصص في الاصطلاح الشرعي ويراد بها الوعظ ، وتطلق ويراد بها التوجيه مطلقاً ، وتطلق ويراد بها خطبة الجمعة ، وتطلق ويراد بها التصدر للفتوى لأنها تستتبع محادثة وقصة .

ولا شك أن ضبط القصص بالمعاني الأربعة الأخيرة مطلوب شرعاً لما يترتب عليه من آثار حسنة أو سيئة ، فقد يعظ الناس من هو مبتدع ، وقد يوجه إنسان الناس إلى ما هو فتنه ، وخطبة الجمعة قد يقوم بها مبتدع أو خطيب فتنه ، وإذا لم يتعين الخطيب ، فقد يؤدي ذلك إلى الفوضى ، والتصدر لإفتاء الناس من غير أهله قد يؤدي إلى إضلالهم ، وكل ذلك يجب أن يحْتَاط له ومن ههنا أوجب الشارع ألا يقص بهذه المعاني الأربعة إلا صاحب الحق في ذلك ، وهو الأمير بحق أو من أمره الأمير بحق .

والأصل في الإمرة في الإسلام أن تكون عن فقه ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا .

فإذا انفصلت الإمرة عن الفقه فَمَنْ الأمير حكماً ؟ هل هو الفقيه ؟ أم ولي الأمر الجاهل ؟

(١) يوسف : ٣ .

مذهب ابن عباس : أن أولي الأمر في الأمة الإسلامية حكمًا هم الفقهاء .

ولذلك تقول بمناسبة موضوعنا : إنه إذا وُلِّيَ الأمرُ العالمَ الفقيه العادل ، فإنه هو الذي يضبط أمر الوعظ والتوجيه وخطب الجمعة ، والتصدر للإفتاء ، يضبط ذلك : بأن يقوم هو بنفسه في هذه الشؤون أو يعيّن لها من يقوم بها ، فإذا لم يوجد مثل هذا الأمير ، فالأصل أن يقوم العلماء المجازون عن أسيّاحهم بهذا الشأن ، ومن ثمّ فقد وجدت الإجازة عند العلماء وهي بمثابة الأمر لمن يأخذها بالقيام بالوعظ والتوجيه ، والخطبة والإفتاء ، ومنذ فقدت الخلافة الراشدة تنازع هذا الحق أولياء الأمور والعلماء ، فولي الأمر يعتبر أن من حقه التدخل في هذه الشؤون بسيف السلطة ، والعلماء يعتبرون أن هذا الحق لهم بسيف الحق .

والذي نراه من وجهة النظر الشرعية أنه حيثما كان تدخل ولي الأمر في هذه الشؤون بالعدل والحق فهو نافذ الأمر ، ولن عيّنهُ أن يقوم بهذه الشؤون مبرورًا مأجورًا .

ولن أجز من أسيّاح الحق والعدل والعلم والعمل أن يقوم بهذه الشؤون إذا فتح لهم طريق بذلك ، وإجازتهم له تكون من باب الأمر له من أهله .

وبذلك يدخل في الحديث : « لا يَقْصُ على الناس إلا أمير أو مأمور » (١) ، فهو بعد الإجازة من شيوخه أمير ومأمور معًا .

وأما فيما سوى هذه الشؤون الأربعة فكل مسلم مجاز من الشارع نفسه ، بل مأمور أن يعلم ما تعلمه من الحق ، وأن يبلغ عن الشارع ولو آية ، وأن يدعو إلى الله على بصيرة ، وأن يأمر بمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الخير ، فهذا كله مطلوب من المسلم لا يحتاج فيه إلى إذن ولا استئذان .

وحصر حق القصص بمعانيه الأربعة بالأمير والمأمور في كل من المعاني التي ذكرناها نوع من التأديب للمجتمع الإسلامي ، فلا يتطاول إنسان لغير مقامه فيسيء الأدب ، ويعرف كل إنسان حدوده ، وتضبط الأنفس فلا تدفعها نوازع الهوى إلى الكلام وما يجره ذلك من رغبة في التصدر والرياء ، ويحال بذلك بين الغلط وتسربه إلى الناس .

(١) أبو داود (٢ / ٢٢٢) - كتاب العلم - باب في القصص .

وابن ماجه (٢ / ١٢٣٥) - ٣٣ - كتاب الأدب - ٤٣ - باب القصص .

النصوص

٨٤٩ - * روى أبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يَقْصُ إِلَّا أَمِيرٌ ، أو مأمور ، أو مختال » .

قال ابن الأثير : (لا يقصُّ إلا أمير أو مأمور . إلخ) أراد بهذا الخطب ، وذلك : أن الأمراء كانوا يتولَّونها بأنفسهم ، فيقصُّون فيها على الناس ويعظونهم ، فأما المأمور : فهو من يقبِه الأمير ويختاره الأئمة ، فينصبونه لذلك ، ولا يكادون يختارون إلا رضىً من الناس ، فاضلاً ، وما سوى ذلك فلا يكاد ينتدب له من الناس إلا مرءٍ مختال ، فإن المختال ينصب نفسه لذلك من غير أن يأمره أحدٌ من أولي الأمر ، طلباً للرياسة ، فهو يرئى بذلك ويختال وقيل : أراد به الفتوى في الأحكام . اهـ .

أقول : لقد قال الله عز وجل : ﴿ فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ ^(١) فهذا يدل على أن من فقهه عليه أن يفقهه ، ولا يحتاج ذلك إلى إذن ، ويدل عليه حديث الأشعريين الذي يأتي في جزء العلم : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ... » ^(٢) كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ ^(٣) . فقد أخذ الله العهد على العالم أن يعلم ، وعلى الجاهل أن يتعلم وهذا لا يحتاج إلى إذن أحد ، وقد يحتاج إلى إجازة من العلماء من أجل أن يعرف أن القائم بذلك ثقة مأمون ، وكما أن العلم والتعليم من أهلها لا يحتاجان إلى إذن فإن الدعوة إلى الله لا تحتاج إلى إذن من أحد ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ^(٤) ، وقال رسول الله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » ^(٥) ، ولذلك فإن الكثير من شراح الحديث خصصوا هذا

٨٤٩ - أبو داود (٣ / ٢٢٣) - كتاب العلم - باب في القصاص .

وهو حديث صحيح .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) مجمع الزوائد (١ / ١٦٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه بكير بن معروف : قال البخاري : ارم به .

وثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى ، وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به .

(٣) آل عمران : ١٨٧ .

(٤) آل عمران : ١٠٤ .

(٥) البخاري (٦ / ٤٩٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

والترمذي (٥ / ٤٠) - ٤٢ - كتاب العلم - ١٣ - باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل .

الحديث بأن المراد به خطبة الجمعة أو التصدر للفتوى . أقول : وهذا التخصيص يحتاج إلى تخصيص ؛ لأن ذلك إنما يكون عندما تكون حكومة إسلامية راشدة وعدلً وقسطً ورغبة في تعميم الإسلام صافيًا تقيًا ، أما إذا اختلط الأمر فحتى هذا التخصيص يجب أن يُنقل إلى ورثة الأنبياء من العلماء فعنهم تؤخذ الإجازة وعنهم يتلقى الأمر ، لكن هذا قد يحدث فوضى ، فما جاء من قبل السلطة الرسمية مما يدخل في باب المعروف الأصل أن تقبله ، وما كان فيه شذوذ أو باطل أو دعوة إلى ضلالة وأمكن لعلماء الإسلام أن يقولوا كلمة الحق فهم أصحاب الأمر والإجازة في كل شيء ، ومع أننا نرى أن العلم والدعوة لا يحتاجان إلى إذن بشر فإننا نفضل إحياء سنة العلماء في الإجازة فلا يتصدر أحد لعلم أو تربية أو دعوة أو إفتاء أو خطبة إلا بإجازة من عالم ثقة ، ولا يدخل في ذلك الحالات العفوية والطارئة واليومية العابرة وحالات الضرورة وحالات وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحالات وجوب التبليغ ، فالواجب لا يحتاج إلى إذن أو إجازة من أحد .

٨٥٠ - * روى الطبراني : عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : « لا يقصُّ إلا أميرًا أو مأمورًا أو متكلفًا » .

٨٥١ - * روى أحمد عن عبد الجبار الخولاني ، قال : دخل رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ المسجد فإذا كعبٌ يقصُّ ، قال : من هذا ؟ قالوا : كعب يقص . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يقص إلا أميرًا أو مأمورًا أو مختالًا » . قال : فبلغ ذلك كعبًا فما رُبِّيَ بعد يقصُّ .

أقول : كعب عالم ومن حقه أن يقصَّ ولكن ترك اجتهاده خوف اللبس .

٨٥٢ - * روى ابن ماجه عن ابن عمر قال : لم يكن القصص في زمن رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكرٍ ولا زمن عمر .

٨٥٠ - مجمع الزوائد (١ / ١٦٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

٨٥١ - أحمد (٤ / ٣٣٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٦٠) . وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

٨٥٢ - ابن ماجه (٢ / ١٢٣٥) - ٣٢ - كتاب الأدب - ٤٠ - باب القصص .

وإسناده حسن .

(القصص) المراد بالقصص هنا : الوعظ ، فكأن مجالس الوعظ لم تكن في تلك العهود إلا ما كان يقوم به رسول الله ﷺ والخليفان من بعده من توجيه .

٨٥٣ - * روى البخاري عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي معتمداً فليتبوا مقعده من النار » .

٨٥٤ - * روى الطبراني عن ابن مسعود قال : لا تملوا الناس فيملوا الذكّر .

٨٥٥ - * روى أحمد ، عن الشعبي قال ؛ قالت عائشة لابن أبي السائب قاصاً أهل المدينة : ثلاثاً لتتابعني عليهن أو لأناجزنك . قال : وما هن ، بل أتايئك أنا يا أم المؤمنين . قالت : اجتنب السجّع في الدعاء ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك . وقص على الناس في كل جمعة مرة ، فإن أبيت فثنتين ، فإن أبيت فثلاث ولا تملن الناس هذا الكتاب ولا ألفيتك تأتي القوم وهم في حديثهم فتمقطع حديثهم ، ولكن اتركهم فإذا حدوك عليه وأمروك به فحدثهم .

٨٥٣ - البخاري (٦ / ٤٩٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

٨٥٤ - للمجم الكبير (١ / ١٣٥) .

مجمع الزوائد (١ / ١١١) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده صحيح .

٨٥٥ - أحمد (٦ / ٢١٧) .

مجمع الزوائد (١ / ١١١) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى بنحوه .

(قاص أهل المدينة) : المراد بقاص المدينة هنا : واعظها .

الفقرة الثانية

في :

القصص النبوي

وفيها :

نصوص

٨٥٦ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : كان نبي الله ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح ، ما يقوم إلا إلى عظم صلاة .

٨٥٧ - * روى أحمد عن عمران بن حصين قال : كان رسول الله ﷺ يحدثنا عامة ليله عن بني إسرائيل لا يقوم إلا إلى عظم صلاة .

ورواه ابن خزيمة وقال : « فالنبي ﷺ قد كان يحدثهم بعد العشاء عن بني إسرائيل ليتعظوا مما قد نالهم من العقوبة في الدنيا مع ما أعد الله لهم من العقاب في الآخرة لما عصوا رسلم ولم يؤمنوا ، فجائز للمرء أن يحدث بكل ما يعلم أن السامع ينتفع به من أمر دينه بعد العشاء ، إذ النبي ﷺ قد كان يسمّر بعد العشاء في الأمر من أمور المسلمين مما يرجع إلى منفعتهم عاجلاً وأجلاً ، ديناً ودنيا ، وكان يحدث أصحابه عن بني إسرائيل لينتفعوا بحديثه ، فدل فعله ﷺ على أن كراهة الحديث بعد العشاء بما لا منفعة فيه ديناً ولا دنياً ، ويخطر ببالي أن كراهته ﷺ الاشتغال بالسر لأن ذلك يثبط عن قيام الليل ، لأنه إذا اشتغل أول الليل بالسر ثقل عليه النوم آخر الليل فلم يستيقظ ، وإن استيقظ لم ينشط للقيام » اهـ .

٨٥٨ - * روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة بمائة امرأة ، تلد كل امرأة غلاماً يقتاتل في سبيل الله . فقال له الملك : قل إن شاء الله . فلم يقل ونسي ، فأطاف بهن ، ولم تلد »

٨٥٦ - أبو داود (٣ / ٢٢٢) - كتاب العلم - باب الحديث عن بني إسرائيل .

٨٥٧ - أحمد (٤ / ٤٣٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٤) . قال : وفي رواية يعني الفريضة المكتوبة . رواه أحمد وإسناده حسن .

٨٥٨ - البخاري (٩ / ٢٢٩) - ٦٧ - كتاب النكاح ١١٩ - باب قول الرجل : لأطوفن .

منهن إلا امرأة نصف إنسان .

قال النبي ﷺ : « لو قال إن شاء الله لم يحنث ، وكان أرجى لحاجته » .

٨٥٩ - * روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك بين كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر . فبعث إليه غلاماً يعلمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهباً ، فقعده إليه وسمع كلامه ، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم : الساحر أفضل ، أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس . فرماها ، فقتلها ، ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، وقد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدلّ علي . وكان الغلام يُبرئ الأكمة والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك - كان قد عمي - فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني . قال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله عز وجل ، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك . فآمن به ، فشفاه الله ، فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من ردّ عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك ربٌ غيري ؟ قال : ربي وربك الله . فأخذه ، فلم يزل يعذّبه ، حتى دلّ على الغلام ، فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي بني ، قد بلغ من سحرِكَ ما تُبرئ الأكمة والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟ قال : فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله . فأخذه ، فلم يزل يعذّبه ، حتى دلّ على الراهب ، فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدعا بالمنشار ، فوضّع المنشار على مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاً ، ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع

٨٥٩ - مسلم (٤ / ٢٢٩٩) - ٥٢ - كتاب الزهد والرقائق - ١٧ - باب قصة أصحاب الأخدود .

(بالمنشار) أشترت الخشب بالمنشار : إذا شققتها ، ووشرتها بالبخار - غير مهموز - لغة فيه - والبخار والمنشار سواء . =

عن دينك . فأبى ، فَوَضَعَ المنشارَ في مَفْرَقِ رأسه ، فشَقَّه به حتى وقع شقاه ثم جِيءَ بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينكَ ، فأبى ، فدفَعه إلى نَفَرٍ من أصحابه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصْعَدُوا به الجبلَ ، فإذا بلغتم ذُرُوتَه ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه . فذهبوا به ، فصَعِدُوا به الجبلَ ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئتَ ، فرجف بهم الجبلُ فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فدفَعه إلى نفرٍ من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قَرْقُورٍ ، وتوسَّطوا به البحرَ ، فإن رَجَعَ عن دينه ، وإلا فاقذفوه . فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئتَ . فانتكفأتُ بهم السفينةُ ، ففرَّقُوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لستَ بقاتلي حتى تفعلَ ما أمرك به . قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ ، وتصلِّبني على جذعٍ ، ثم خذُ سهماً من كِنانتي ، ثم ضع السهمَ في كِبِدِ القوسِ ، ثم قل : بسمِ الله ربِّ الغلامِ ، ثم ارمِ ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى : فجمع الناسَ في صعيدٍ واحدٍ ، وصلبه على جذعٍ ، وأخذ سهماً من كِنانته ، ثم وضع السهمَ في كِبِدِ القوسِ ، ثم قال : بسمِ الله ربِّ الغلامِ . ثم رماه ، فوقع السهمُ في صدغِهِ ، فوضع يده في صدغه ، في موضعِ السهمِ ، فمات فقال الناسُ : آمناً برَبِّ الغلامِ . آمناً برَبِّ الغلامِ ، آمناً برَبِّ الغلامِ ، فأتَيْتِ الملكَ ، فقيل له : رأيتَ ما كنتَ تحذرُ ؟ قد والله نزل بك حَدْرَكَ ، قد آمن الناسُ . فأمر بالأخدودِ بأفواه السككِ ، فخدَّتْ ، وأضرمَ فيها النيرانَ ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها - أو قيل له : ائْتِحِمِ .

(قَرْقُور) القَرْقُورُ : سفينة صغيرة .

(فانكفأت) السفينة ، أي : انقلبت ، ومنه : كفأتُ القدرَ : إذا كَبَيْتُها .

(الصعيد) : وجه الأرض ، وأراد : أنه جمعهم في أرض واحدة منبسطةٍ ليشاهدوه .

(من كِنانتي) الكِنانَةُ : الجملة التي يكون فيها الشاب .

(كَبِدِ القوسِ) : : وسطها ، والمراد به : موضع السهمِ من الوَتَرِ والقوسِ .

(بالأخدودِ) الأخدود : الشق في الأرض ، وجمعه الأخاديد .

(السكك) : جمع سِكَة ، وهي الطريق .

(أضرمْت) : النار : إذا أوقدتها وأثرتها .

(ائْتِحِمِ) : الاتحام : الوقوع في الشيء من غير روية ولا تَنْبَهِتِ .

ففعّلوا ، حتى جاءت امرأة ، ومعها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمّه ، اصبري ، فإنك على الحق .

وفي رواية الترمذي (١) قال : كان رسول الله ﷺ : إذا صلى العصر همّس - والهمس في بعض قولهم : تحرك شفتيه ، كأنه يتكلم - فقيل له : يا رسول الله ، إنك إذا صلّيت العصر همست ؟ قال : « إن نبياً من الأنبياء كان أعجب بأمته ، قال : من يقوم لهؤلاء ؟ فأوحى الله إليه : أن خيرهم بين أن أنتقم منهم ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختروا النعمة ، فسلط الله عليهم الموت ، فمات في يوم سبعون ألفاً . »

وكان إذا حدث هذا الحديث حدث هذا الحديث الآخر ، قال : « كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهنٌ يكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلاماً فهماً - أو قال : فطناً - لقينا فأعلمه علمي هذا ، فإني أخاف أن أموت ، فينقطع منكم هذا العلم ، ولا يكون فيكم من يعلمه . » قال : « فنظروا له على ما وصف ، فأمره أن يخضّر ذلك الكاهن ، وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة » قال معمر [أحد رواة الحديث] : أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين - قال : « فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مرّ به ، فلم يزل حتى أخبره ، فقال : إنما أعبد الله . » قال : « فجعل الغلام يكثر عند الراهب ، ويبطئ عن الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام : أنه لا يكاد يحضرنى . فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن : أين كنت ؟ فقل : عند أهلي . وإذا قال لك أهلك : أين كنت ؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن . » قال : « فبينما الغلام على ذلك ، إذ مرّ بجماعة من الناس كثير ، قد حبستهم دابة - فقال بعضهم : إن تلك الدابة كانت أسداً - فأخذ الغلام حجراً ، فقال : اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً فأسألك أن تقتله . ثم رمى به ، فقتل الدابة ، فقال الناس : من قتلها ؟ فقالوا : الغلام . ففرغ الناس ،

(فتقاعست) التقاعس : التأخر والمشي إلى وراء .

(١) الترمذي (٥ / ٤٣٧) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٧٧ - باب « ومن سورة البروج » .

(الهمس) : الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمع .

(اللّعين) : الرجل الفهم الذي .

وقالوا : قد عَلِمَ هذا الغلامُ علماً لم يعلمه أحدٌ . قال : « فسمع به أعمى ، فقال له : إن أنتَ رددتَ بصري ، فلك كذا وكذا . قال : لا أريد منك هذا ، ولكن رأيتَ إن رجَعَ إليك بصرك أتؤمنُ بالذي ردهَ عليك ؟ قال : نعم . » قال : « فدعا الله ، فردَّ عليه بصره ، فأمنَ الأعمى ، فبلغ الملكَ أمرهم ، فدعاهم ، فأتي ٣٣٣ ، فقال : لأقتلنَّ كلَّ واحدٍ منكم قتيلاً لا أقتلُ بها صاحبه . فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى ، فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ، وقتل الآخر بقتلةٍ أخرى ، ثم أمرَ بالغلام ، فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا ، فألقوه من رأسه . فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه ، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويتردَّونَ ، حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع ، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه ، فانطلقوا به إلى البحر ، فعرقَ الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنك لا تقتلني حتى تصلِّبني وترميَّني ، وتقول إذا رميتني : بسم الله ربَّ هذا الغلام . قال : فأمر به فصلب ، ثم رماه فقال : بسم الله ربَّ هذا الغلام . قال : « فوضع الغلام يده على صدغِه حين رُميَ ، ثم مات ، فقال الناسُ ، لقد عَلِمَ هذا الغلامُ علماً ما علمه أحدٌ ، فإننا نؤمنُ بربِّ هذا الغلام . » قال : « فقبل للملك : أجزعتَ أن خالفك ثلاثة ؟ فهذا العالمُ كلُّهم قد خالفوك . » قال : « فخذُ أخذوداً ثم ألقى فيها الحطبَ والنارَ ، ثم جمع الناسَ ، فقال : مَنْ رجَعَ عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في النار . فجعل يلقِيهم في تلك الأخدودِ » قال : « يقول الله تبارك وتعالى ﴿ قَتِيلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ﴾ النارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ حتى بلغ - ﴿ العزيز الحميد ﴾ (١) . قال « فأما الغلام : فإنه دُفن . » قال : فَيَذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِصْبَعُهُ عَلَى صَدْغِهِ ، كما وضعها حين قَتِلَ .

أقول : قوله : « إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر » ؛ يفيد أنه في حالة قسوة الظروف وفي الأحوال الصعبة

(التهاوت) : الوقوع في الشيء مثل التساقط .

(١) البروج : ٤ - ٨ .

الاستثنائية يَتَوَسَّعُ في الكلام ليحمي الإنسان نفسه . وقوله : « فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب » ، مع أن الراهب أوصاه ألا يدل عليه ، يفيد : أنه تحت العذاب يمكن أن يفشي أصدق الصديقين الأسرار المؤمن عليها بما يؤدي إلى قتل الأولياء ، وهو في ذلك معذور ، بدليل أن الغلام لم ينقص مقامه عند الله فبقية الكرامات تجري على يده بعد ذلك .

وفي الحديث عبر كثيرة مهمة في فقه الدعوة خاصة في مثل الظروف والأوضاع الموجودة في كثير من البلدان . اهـ .

٨٦٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وكان جريج رجلاً عابداً ، فاتخذ صومعةً ، فكان فيها ، فأتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : ياربِّ ، أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فأنصرفتُ ، فلما كان من الغد ، أتته وهو يُصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : ياربِّ ، أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فأنصرفتُ ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : ياربِّ ، أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فأنصرفتُ ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : ياربِّ ، أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظرَ إلى وجوه المومسات . فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغي يمثّل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننّه [لكم] . قال : « فترضتُ له ، فلم يَلْتَمِثْ إليها ، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها ، فحملتُ ، فلما ولدتُ قالت : هُوَ مِنْ جَرِيحٍ . فَأَتَوهُ ، فاستنزلوه ، وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زניתَ بهذه البغي ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ . فقال : أين الصبيُّ ؟ فجاءوا به ، فقال : دعوني أصلي . فصلّى ، فلما انصرف أتى الصبيّ فطعنَ في بطنه ، وقال : يا غلام ، مَنْ أبوك ؟ فقال : فلان الراعي . » قال : « فأقبلوا على جريج يقبلونه ، ويتمسحون به ،

٨٦٠ - مسلم (٤ / ١٩٧٦) - ٤٥ - كتاب البر والصلة - ٢ - باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها .

(المومسات) : الزواني : جمع مومسة ، وهي الفاجرة ، واللياميس كذلك .

(والبغي) : الزانية أيضاً .

(يمثّل بحسنها) : أي يعجب به ، ويقال : لكل من يستحسن : هذا مثل فلانة في الحسن .

وقالوا : نبي صومعتك من ذهب . قال : لا ، أعيدوها من لبن كما كانت . ففعلوا
 وبيننا صبي يرضع من أمه ، فرَّ رجلٌ راكب على دابةٍ فارهةٍ وشارةٍ حسنةٍ ،
 فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا . فترك الثدي وأقبل إليه ، فنظر إليه ،
 فقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثديه ، فجعل يرتضع . - قال : فكأنني
 أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فيه ، فجعل يمصها
 قال : « ومروا بجارية وهم يضربونها ، ويقولون : زنيته ، سرقت . وهي تقول :
 حسبي الله ، ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها . فترك
 الرضاع ونظر إليها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها . فهناك تراجع الحديث ،
 فقالت : حلقى ! مرَّ رجلٌ حسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابني مثله .
 فقلت : اللهم لا تجعلني مثله . ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ، ويقولون :
 زنيته ، سرقت ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها . فقلت : اللهم اجعلني
 مثلها ! فقال : إن ذلك الرجل كان جباراً ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله . وإن
 هذه يقولون لها : زنيته ، ولم تزن . وسرقت ، ولم تسرق . فقلت : اللهم اجعلني
 مثلها . »

٨٦١ - * روى أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان بيني إسرائيل
 تاجر وكان يتقصد مرة ويزيد أخرى ، فقال : ما في هذه التجارة خير ،
 لألتمسن تجارة هي خير من هذه . فبنى صومعة وترهب فيها . »

٨٦٢ - * روى الترمذي عن أبي وائل رحمه الله عن رجل من ربيعة - وهو الحارث بن
 يزيد البكري - قال : قدمت المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ والمسجدُ غاصُّ بأهله ،

(والشارة الحسنة) : جمال الظاهر في الهيئة والملبس والمركب وغو ذلك .

قوله : (فقالت : حلقى) : أي أنها خطبت نفسها داعية أن يصيبها بوجع في حلقها : أي هي حلقى ، وليس
 المراد الدعاء وإنما هو التقدم لمساءلة ابنها .

(الجبار) : العاني المتكبر القاهر للناس .

٨٦١ - أحمد (٢ / ٤٣٤) . مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٦) .

٨٦٢ - الترمذي (٥ / ٣٩١) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٥٢ - باب « ومن سورة الناريات » .

وهو حديث حسن .

وإذا رايات سودة تخفق، وإذا بلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: رسول الله ﷺ يريد أن يبعث عمرو بن العاص نحو ربيعة، فقلت: أعود بالله أن أكون مثل وafd عاد. فقال رسول الله ﷺ: «وما وafd عاد؟» فقلت: على الخبير سقطت، إن عادًا لما أتحطت بعثت قبلاً يستسقي لها، فنزل على بكر ابن معاوية، فسقاه الحمر، وغتته الجرادتان، ثم خرج يريد جبال مهرة، فقال: اللهم إني لم أتك لمرض فأداوية، ولا لأسير فأفادية فاسق عبدك ما كنت مسقية، واسق معه بكر ابن معاوية. يشكر له الحمر الذي سقاه. - فرفع له ثلاث سحائب: حمراء وبيضاء، وسوداء، فقيل له: اختر إحداهن، فاختر السوداء منهن، فقيل له: خذها رمادًا رميدًا لا تذر من عادٍ أحدًا. فقال رسول الله ﷺ: «إنه لم يرسل [من الريح] إلا مقدار هذه الحلقة» يعني حلقة الخاتم. ثم قرأ: ﴿وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ ما تذر من شيء أتت عليه ﴿الآية (١)﴾.

٨٦٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اثنتي بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، ففقد حاجته، ثم التمس مركبًا يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنني تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً. فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي

= (خفقت) الرايات: إذا حركها الهواء وجاء صوتها.

(قحطت) القحط: الغلاء، وأصله من انقطاع المطر، وهو سبب الغلاء.

(رمادًا): الرماد معروف، (والرؤيدة): أدق ما يكون منه، ويقال: رماد رؤيدة، أي: هالك، جملوه صفة له.

(الريح العقيم) هي التي لا تلقح الشجر، ولا تأتي بالمطر.

• (١) الذاريات: ٤١، ٤٢.

٨٦٣ - البخاري (٤ / ٤٦٩) - ٢٩ - كتاب الكفالة - ١ - باب الكفالة في القرض.

(زجج): موضعها: أي، سوى موضع النقر وأصلحه، من تزجج الحواجب، وهو حذف زوائد الشعر، ويحتمل

أن يكون مأخوذًا من الزجاج بأن يكون النقر في طرف الخشبة، فيشد عليه زجاجًا ليمسكه ويحفظ ما في جوفه.

بك ، وسألني شهيدًا . فقلت : كفى بالله شهيدًا ، فرضي بك ، وإني جهدتُ أن أجِدَ مركبًا أبعث إليه الذي له ، فلم أقدرُ ، وإني استودعتكما . فرمى بها في البحر حتى ولّجت فيه ، ثم انصرفت ، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرجُ إلى بلده ، فخرجَ الرجلُ الذي كان أسلفه ينظرُ لعلَّ مركبًا قد جاء بماله ، فإذا بالحشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدمَ الذي كان أسلفه ، وأتى بألفِ دينار ، فقال : واللهِ مازلتُ جاهدًا في طلبِ مركبٍ لآتيك بمالك ، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي جئتُ به . قال : فإن الله قد أدّى عنك الذي بعثتُه في الحشبة ، فانصرفْ بالألفِ دينار راشدًا .

٨٦٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « انطلقَ ثلاثة نفرٍ من كان قبلكم ، حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ ، فدخلوه ، فانحدرتُ صخرةٌ من الجبل ، فسدت عليهم الغارَ ، فقالوا : إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللهَ بصلاح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنتُ لا أُغبِقُ قبلها أهلاً ولا مالاً ، فنسأى بي طلبُ شجرٍ يومًا ، فلم أرُحُ عليها حتى ناما ، فحلبتُ لهما غبوقهما ، فوجدتها نائمين ، فكريهتُ أن أُغبِقُ قبلها أهلاً أو مالاً ، فلبثتُ والقَدَحُ على يدي أنتظرُ استيقاظهما ، حتى برقَ الفجرُ » - زاد بعض الرواة : « والصبيّةُ يتضاغون عند قدومي » - فاستيقظا فشرِبا غبوقهما ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءً وجهك ، ففرّجْ عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجتُ شيئاً لا يستطيعون الخروجَ » . قال النبي ﷺ : « قال الآخر : اللهم كانت لي ابنةٌ عمٌّ ، كانت أحبُّ الناسِ إليّ فأردتها على نفسها ، وامتنعت مني ، حتى أملتُ بنها سنةً من السنين ، فجاءتني فأعطيتهَا عشرين ومائةَ دينار ، على أن تخليَ بيني وبين نفسها ،

٨٦٤ - البخاري (٤ / ٤٤٩) - ٣٧ - كتاب الإجارة ١٢ - باب من استأجر أجيرًا ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٩٩) - ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء - ٢٧ - باب قصة أصحاب الغار الثلاثة .

(القَبُوق) : شراب آخر النهار ، والمراد : إنني ما كنت أقدمُ عليها في شراب حطّهما من اللبن أحنًا .

(يتضاغون) : أي : يضحون ويضحون من الجوع .

(السُنّة) : الجذب والقحطُ .

(الملتها) : أي : إذا قرب منها ودنا الجذب .

(فأردتها) : أي : راودتها وطلبت منها أن تمكثني من نفسها .

فعلت حتى إذا قَدَرْتُ عليها ، قالت : لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَقُضَ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ . فتَحَرَّجْتُ مِنَ الوقوعِ عليها ، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليَّ وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهك فافرِّجْ عني ما نحن فيه . فانفَرَجَتِ الصخرةُ ، غير أنهم لا يستطيعون الخروجَ منها . قال النبي ﷺ : « وقال الثالثُ : اللهم استأجرتُ أجْرَاءَ ، وأعطيتهم أجْرَهُمْ ، غير رجلٍ واحدٍ ، تركَ الذي له وذهب ، فَثَمَرْتُ أَجْرَةَ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأموالُ ، فجاءني بعد حينٍ فقال : يا عبدَ الله ، أدُّ إليَّ أجري . فقلتُ : كلُّ ما ترى من أجْرِكَ ، من الإبلِ ، والبقرِ والغنمِ ، والرقيقِ . فقال : يا عبدَ الله ، لا تستهزئُ بي . فقلتُ : إني لا أستهزئُ بك . فأخذَه كلُّهُ ، فاستأقاه ، فلم يتركْ منه شيئاً ، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهك فافرِّجْ عني ما نحن فيه . فانفَرَجَتِ الصخرةُ ، فخرجوا يمشون . »

وفي رواية (١) : أن رسولَ الله ﷺ قال : « بيننا ثلاثةُ نفرٍ من قبلكم يمشون ، إذ أصابهم مطرٌ ، فأووا إلى غارٍ ، فانطبقَ عليهم ، فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدقُ ، فليَدْعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدقَ فيه . فقال أحدهم : اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي أجيرٌ عمِلَ لي على فرَقٍ من أرزٍ ، فذهب وتركه ، وإني عمَدْتُ إلى ذلكَ الفرَقِ فزرعته ، فصار من أمره إلى أن اشتريتُ منه بقراً ، وإنه أتاني يطلبُ أجره ، فقلتُ له : اعْمُدْ إلى تلكِ البقرِ ، فسَقَهَا . فقال لي : إنما لي عندك فرَقٌ من أرزٍ . فقلتُ له : اعمدْ إلى تلكِ البقرِ ، فإنها من ذلكَ الفرَقِ . فساقها ، فإن كنتَ تعلمُ أنني فعلتُ ذلكَ من خشيتك ففرِّجْ عني . فانساحتَ عنهم الصخرةُ ... » .

وذكر باقي الحديث بقريب من معنى ما سبق .

(تفض الحام) : كناية عن الجاع والوطء . =

(التحرُّج) : الحرب من الحرج ، وهو الإثم والضيق .

(١) البخاري (٥٠٥ / ٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٣ - باب حديث الغار .

(فرَق) : الفرَق : مكيال يسع ستة عشر رطلاً . أي حوالي خمسة كيلو غرامات ونيفاً .

(فانساحت) بالحاء المهملة ، أي : انفسحت وتنتعت .

ولها روايات بنحو ذلك .

ورواه أبو داود^(١) مجملاً ، وهذا لفظه ؛ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ استطاعَ منكم أن يكونَ مثلَ صاحبِ فرَقِ الأرزِّ فليكن مثله » . قالوا : ومَنْ صاحبِ فرَقِ الأرزِّ يا رسولَ الله ؟ ... فذكرَ حديثَ الفارحين سقطَ عليهم الجبل ، « فقال كلُّ واحدٍ منهم : اذكروا أحسنَ عملكم » . قال : « فقال الثالثُ : اللهم إنك تعلم أني استأجرتُ أجيراً بفرَقِ أرزِّ ، فلما أمستُ عرضتُ عليه حقه ، فأبى أن يأخذَه ، وذهبَ فثمرتُه له ، حتى جمعتُ له بقراً ورعاءها ، فلقيني ، فقال : أعطني حقي . فقلتُ : اذهب إلى تلكِ البقرِ ورعاءها ، فخذها . فذهب فاستاقها » .

٨٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لونٌ حسنٌ ، وجلدٌ حسنٌ ، ويذهبُ عني الذي قد قذرتني الناسُ » . قال : « فسحبه فذهب عنه قذره ، وأعطيتُ لونا حسناً ، وجلداً حسناً . قال : فأبى المال أحبُّ إليك ؟ قال : الإبل » . - أو قال : « البقر » شك إسحاق ؛ إلا أن الأبرص والأقرع قال أحدهما : الإبل . وقال الآخر : البقر . قال : « فأعطي ناقةً عشراء ، فقال : بارك الله لك فيها » . قال : « فأتى الأقرع ، فقال : أي شيء أحبُّ إليك ؟ قال : شعرٌ حسنٌ ، ويذهب عني هذا الذي قد قذرتني الناسُ » . قال : « فسحبه فذهب عنه » . قال : « وأعطيتُ شعراً حسناً ، قال : فأبى المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقر . فأعطي بقرةً حاملاً ، قال : بارك الله لك فيها » . قال : « فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحبُّ إليك ؟ قال : أن يرُدَّ الله إليَّ بصري فأبصر » .

(١) أبو داود (٢ / ٢٥٦) - كتاب البيوع - باب في الرجل يتجر في مال الرجل .

والحديث في روايته مختصر .

٨٦٥ - البخاري (٦ / ٥٠٠) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥١ - باب حديث أبرص وأعمى وأقرع .

مسلم (٤ / ٢٢٧٥) - ٥٣ - كتاب الزهد - ١٠ - باب حدثنا شبان بن فروخ ... الخ .

(ناقةٌ عشراء) إذا كانت حاملاً ، وقيل : إذا أتى عليها لملها عشرة أشهر .

به الناس» . قال : « فمسحه فردَّ اللهُ إليه بصره ، قال : فأَيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنم . فأعطيَ شاةً والدًا ، فأنتجَ هذان ، وولَدَ هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم » . قال : « ثم إنه أتى الأبرصَ في صورته وهيئته ، فقال : رجلٌ مسكينٌ ، قد انقطعت بي الحبال ، في سفري ، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بغيرًا أتبلِّغُ به في سفري . فقال : الحقوقُ كثيرةٌ . فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرصَ يَقْدَرُكَ الناس ، فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثتُ هذا المالَ كابرًا عن كابر . فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت » . قال : « وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثلما قال لهذا ، فردَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت » . قال : « وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجلٌ مسكينٌ ، وابن سبيل ، انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلِّغُ بها في سفري . فقال : قد كنت أعمى فردَّ اللهُ إليَّ بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ماشئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمسيك مالك ، فإنما ابتليتُم ، فقد رُضيَ عنك ، وسُخِطَ على صاحبك » .

٨٦٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « اشتري رجلًا من رجلٍ عقارًا له ، فوجدَ الرجلُ الذي اشتري العقارَ في عقاره

(شاةٌ والدا) الشاةُ الولد : هي التي قد عرِفَ منها كثرةُ الولد والنساج .
 (فأنتج) أنتجها ، أي : افتقدها عند الولادة - هكذا جاء لفظ الحديث « أنتج » - وإنما يقال : تنتجُ الناقةُ أنتيجها ، والناتجُ للثوق كالقابلية للنساء وقوله : « وولَدَ هذا » أي فعل في شاته كما فعل ذلك في إبله وبقره .
 (الحبال) : جمع حَبْلٍ ، وهو العهد والنِّمام والأمان والوسيلة ، وكل ما يرجو منه خيرًا أو فرجًا ، أو يستدفع به ضررًا ، والحبل : السبب ، فكأنه قال : انقطعت بي الأسباب .
 (فلا بلاغ) : أي ليس لي ما أبلغ به غرضي .
 (كابرًا عن كابر) : أي : ورثته عن أبائي وأجدادي .
 (لا أجهدك) : أي : لا أشق عليك في الأخذ والامتنان .

٨٦٦ - البخاري (٦ / ٥١٢) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٤ - باب حدثنا أبو الهيثم .

مسلم (٣ / ١٣٤٥) - ٣٠ - كتاب الأفضية - ١١ - باب استحباب إصلاح الحاكم بين الحصين .

وابن ماجه (٢ / ٨٢٩) - ١٨ - كتاب اللقطة ، ٤ - باب من أصاب ركازًا .

جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ؛ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَّارَ : خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أُتَبِعْ مِنْكَ الذَّهَبَ . وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ : إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا . فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا : لِي غُلَامٌ . وَقَالَ الْآخَرُ : لِي جَارِيَةٌ . قَالَ : أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ ، وَتَصَدَّقَا .

٨٦٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قُفِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَا يُدْرِي مَا فَعَلَتْ ؟ وَإِنِّي لَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ ، أَلَا تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ ؟ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَحَدَّثْتُ كَعْبًا بِهَذَا ، فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ لِي مَرَّاتًا ، فَقُلْتُ : أَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ ؟

قال ابن حجر :

« قوله : (وإني لا أراها إلا الفأر) بإسكان الهمزة ، وعند مسلم من طريق أخرى عن ابن سيرين بلفظ « الفأرة مسخ ، وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ، ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تشربه » .

قوله : (فحدثت كعبًا) قائل ذلك هو أبو هريرة ، ووقع في رواية مسلم : فقال له كعب أنت سمعت هذا .

قوله : (أفأقرأ التوراة) هو استفهام إنكار ، وفي رواية مسلم : أفأنزلت عليّ التوراة . وفيه أن أبا هريرة لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب ، وأن الصحابي الذي يكون كذلك إذا أخبر بما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه يكون للحديث حكم الرفع ، وفي سكوت كعب عن الرد على أبي هريرة دلالة على تسورعه ، وكأنها جميعًا لم يبلغها حديث ابن مسعود ، قال : وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال : « إن الله لم يجعل للمسخر نسلًا ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » . وعلى هذا يحمل قوله ﷺ : « لا أراها إلا الفأر » . وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي « اهـ » .

٨٦٧ - البخاري (٦ / ٣٥٠) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ١٥ - باب خير مال المسلم غنم .

مسلم (٤ / ٢٢٩٤) - ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - ١١ - باب في الفأر وأنه مسخر .

أقول : وحديث ابن مسعود صحيح ، فإن الله لم يسخ أمة إلا أمانتها بعد ذلك ، فأنواع الحيوانات كلها أمم بعينها ليس منها شيء ممسوخ ؛ وبعد أن تبين هذا عن رسول الله ﷺ فإنه يدل على أنه جاءه اليقين بأن الفأرة وغيرها ليست ممسوخة ، لأن كلامه في الأصل مبني على قياس واجتهاد منه عليه الصلاة والسلام .

٨٦٨ - * روى أحمد عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال : « انتسب رجلان من بني إسرائيل على عهد موسى ﷺ أحدهما مسلم والآخر مشرك ، فانتسب المشرك فقال : أنا فلان بن فلان . حتى عدت تسعة آباء ، ثم قال لصاحبه : انتسب لا أم لك . فقال : أنا فلان بن فلان وأنا بريء مما وراء ذلك . فنادى موسى في الناس فجمعهم ثم قال : قد قضي بينكما ، أما أنت الذي انتسبت إلى تسعة آباء فإنك توفيهم العاشر في النار ، وأما أنت الذي انتسب إلى أبويه فأنت امرؤ من أهل الإسلام » .

٨٦٩ - * روى عبد الله بن أحمد عن أبي بن كعب قال : انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : انتسب رجلان على عهد موسى ﷺ فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان - حتى عدت تسعة - فمن أنت لا أم لك ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام قال : « فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ : إن هذين المنتسبين أما أنت أيها المنتهي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم ، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة » .

٨٧٠ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان رجلاً في بني إسرائيل متواخيان ، وكان أحدهما مذبذباً ، والآخر مجتهداً في

٨٦٨ - أحمد (٥ / ٢٤١) .

والمعجم الكبير (٢٠ / ١٣٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) . وقال : رواه الطبراني ، وأحمد موقوفاً على معاذ ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وكذلك رجال أحمد .

٨٦٩ - أحمد (٥ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) . وقال : رواه عبد الله بن أحمد . ورجاله الصحيح ، غير يزيد بن زياد بن أبي الجعد وهو ثقة .

٨٧٠ - أحمد (٢ / ٢٢٣) .

العِبَادَةِ ، وكان لا يزالُ المجتهدُ يَرَى الآخَرَ على الذَّنْبِ ، فيقولُ : أَقْصِرْ . فَوَجَدَهُ يوماً على ذَنْبٍ ، فقالَ لَهُ : أَقْصِرْ . فقالَ : خَلَنِي وَرَبِّي ، أُبْعِثَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟! فقالَ : واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ ، أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ . فقبضَ رَوْحَهَا ، فاجتمعَا عندَ ربِّ العالمينَ ، فقالَ لهذا المجتهدِ : أَكُنْتَ بِي عالماً ، أو كُنْتَ على ما في يَدَي قَادِرًا ؟ ! وقالَ للمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، وقالَ لِلآخِرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ .

أقولُ : إنما عَذَّبَ المجتهدَ لأنه تَأَلَّى على الله وليس لأنه أنكر على المذنب ، فالإنكار عليه واجب ، ومن هنا نأخذ أدباً أن ننكر على المذنب ولا نفتات على الله بما سيفعله .

٨٧١ - * روى البخاري عن خباب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان الرَّجُلُ قَبْلَكَم يُؤَخِّدُ قِيْحَفْرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنِ دِينِهِ ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنِ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، وَالذَّنْبَ عَلَى غَنِيهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » .

٨٧٢ - * روى أحمد عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً لم يَعْمَلْ من الخير شيئاً قط إلا التوحيدَ فلما حَضَرَتْهُ الوفاةُ قال لأهله : إذا أنا متُ فخذوني فاحرقوني حتى تدعوني حَمَمَةً ثم اطحنوني ثم ذَرُونِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمِ رَاحٍ . قال : ففعلوا به ذلك ، فإذا هو فِي قَبْضَةِ اللَّهِ عز وجل . فقال اللهُ عز وجل : ما حَمَلَكَ عَلَى ما صَنَعْتَ . قال : مَخَافَتُكَ . قال : فغفر اللهُ عز وجل له .

= وأبو داود (٢٧٥ / ٤) - كتاب الأدب - باب في النهي عن البغي . وهو صحيح .

٨٧١ - البخاري (٦١٩ / ٦) - ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة . وأحمد (١٠٩ / ٥) .

٨٧٢ - أحمد (٢٩٨ / ١) .

مجمع الزوائد (١٩٤ / ١٠) . وقال : رواه أحمد ، وإسناد ابن مسعود حسن . (حَمَمَةٌ) : فحمة .

(يوم راح) : أي ذي ریح .

أقول : وقد روي هذا الحديث روايات متعددة ، وبعض رواياته عند مسلم ، وللعلماء كلام كثير في هذا الحديث ؛ والظاهر أن هذا الرجل لم يبلغه من هدي الأنبياء على الكمال والتام ما تقوم به حجة كاملة عليه ، بل بلغه من بقايا هدي الأنبياء ما جعله يتوهم في حق الله عز وجل ما لا يصح ، مع وجود أصل الإيمان بالله ، فغفر الله عز وجل له توهمه بسبب من حسن نيته في الخوف من الله وبسبب من أنه لم يبلغه شرع الله عز وجل كاملاً عن طريق صحيح ، والله أعلم . وبعض روايات الحديث لا تدل على التوهم ، فليس فيها إشكال .

٨٧٣ - * روى أبو يعلى عن عبد الله قال : كان رجل كثير المال لما حضره الموت قال لأهله : إن فعلتم ما أمرتكم به أورتكم مالا كثيرا . قالوا : نعم . قال : إذا ميت فاحرقوني ثم اطحنوني ، فإذا كان يوم ريح فارتقوا فوق قلعة جبل فاذروني ، فإن الله إن قدر علي لم يغير لي . ففعل ذلك به ، فاجتمع في يدي الله فقال : ما حملك على ما صنعت . قال : يارب مخافتك . قال : فاذهب فقد غفرت لك . وفي رواية : كان الرجل نباشا فغفر له لخوفه .

أقول : إن قول الرجل وفعله يدلان على جهل بالله ، فلعله كان من أهل فترة عنده بقايا من دين صحيح ، فعامله الله عز وجل برحمته على ما عنده من بقايا خير ، وهو خوفه من الله عز وجل .

٨٧٤ - * روى البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ : « إن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى ﷺ فقام يصلي ذات ليلة فوق بيت المقدس في القمر ، فذكر أمورا كان صنعها ، فخرج فتدلى بسبب ، فأصبح السبب معلقا في المسجد وقد ذهب » . قال : « فانطلق حتى أتى قوما على شط البحر ، فوجدهم يضربون لبنا ، فسألهم : كيف تأخذون على هذا اللبن ؟ » قال : « فأخبروه فلبن »

٨٧٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ١١٤) . وقال : رواه أبو يعلى بسنتين ، ورجاله رجال الصحيح .

أحمد (٥ / ٢٨٢) وهو عنده عن معاوية بن خنيفة . ورجاله ثقات .
(قلعة جبل) : أعلاه .

٨٧٤ - كشف الأستار (٤ / ٢٦٧) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٢١٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٨) . وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير ، وإسناده حسن .

(تدلى بسبب) : تدلى بجبل .

معهم ، فكان يأكل من عمل يده ، فإذا كان حين الصلاة قام يصلي ، فرفع ذلك العمال إلى دُهقَانِهِمْ ، أن فينا رجلاً يفعل كذا وكذا ، فأرسل إليه ، فأبى أن يأتيه ثلاث مرات ، ثم إنه جاء » [أي : الدهقان] « يَسِيرُ عَلَى دَابَّتِهِ ، فلما رآه قرَّ » [أي : الملك] « فَاتَّبَعَهُ فَسَبَّحَهُ ، فقال : أَنْظِرْنِي أَكَلْمُكَ » . قال : « فقام حتى كلمته . فأخبره خبره ، فلما أخبره أنه كان ملكاً وأنه فرَّ من رهبة ربه قال : إني لأظنني لاحقاً بك » . قال : « فَاتَّبَعَهُ ، فَعَبَدَ اللَّهَ ، حتى ماتا برُميلةٍ مِصرَ . قال عبد الله : لو أني كنت ثم لاهتديتُ إلى قبريها بصفة رسول الله ﷺ التي وصف لنا .

٨٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ، ثم خرج يسأل ، فأتى راهباً فسأله ، فقال له : ألي توبة ؟ قال : لا . فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا ، فأدركة الموت فنأى بصدرة نحوها ، فاختمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فأوحى الله إلى هذه : أن تقرِّي ، وأوحى الله إلى هذه : أن تباعدِي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجداه إلى هذه أقرب بشبر ، فغفر له » .

٨٧٦ - * روى الطبراني عن أبي عبد رب أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن رجلاً أسرف على نفسه فلقى رجلاً فقال : إن الآخر قتل تسعاً وتسعين نفساً كلهم ظلماً فهل لي من توبة ؟ قال : لا . فقتله وأتى آخر فقال : إن الآخر قتل مائة نفس كلهم ظلماً فهل تجد لي من توبة ؟ فقال : إن حدثتكَ على أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك . ههنا قوم يتعبدون فائتهم تعبُدُ الله معهم . فتوجه إليهم فمات على ذلك . فاجتمعت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فبعث الله إليهم ملكاً فقال : قيسوا ما بين

(دهقانهم) : الدهقان رئيس القرية .

٨٧٥ - البخاري (٥١٢ / ٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٤ - باب حدثنا أبو الهان .

مسلم (٤) ٢١١٩ - ٤٩ - كتاب التوبة - ٨ - باب قبول توبة القاتل .

٨٧٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١١) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير أبي عبد رب

وهو ثقة ، ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك .

المكائين فأئيمهم كان أقرب فهو منهم . فوجدوه أقرب إلى دئير التوابين بأنملة فغفر له .

أقول : ينبغي في كل حال أن يكون للمسلم إخوانه في الله ، وأن يكون له انتساب للعلماء الأولياء الصادقين لتم له فضيلة الأخوة الخالصة في الله والكينونة مع أهل الله ، ويتأكد هذا المعنى حين غلبة الشر ، وكثرة الفتن ، فعلى المسلم في هذه الحالة أن يلجأ إلى البيئات الفاضلة العابدة ، فذلك هو معتصمه بعد الله ، وليحذر أن يختلط عليه الأمر ، فيلجأ إلى بيئة يظنها عابدة سالحة وهي على شذوذ في الاعتقاد أو على بدعة في العمل أو على فتور في العبادة أو على دعوى عريضة في اللسان ويكذب ذلك أفعالها .

* * *

الفصل التاسع
في:
الإيمان باليوم الآخر
وفيه:
مقدمة ووصول

المقدمة

في الإسلام تنبثق الفروع عن أصول ، والأصول نفسها ترجع إلى أصول أجمع وأكثر كلية ، وهكذا فرجع الإسلام كله إلى الشهادتين ، فالشهادتان تنطوي فيهما أركان الإيمان وعنهما ينبثق الإسلام ، ويمكن أن نرجع الإسلام والإيمان إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، فمن عرف الله عرف أنه عادل ، ومن تمام عدله أن يكون هناك يوم آخر ، ومن تمام عدله ألا يجاسب ويعاقب إلا على شيء قد تقدم به إلى الناس ، ومن ههنا يأتي الوحي والرسالة ، والوحي والرسالة تنزل بها الملائكة .

وهكذا نجد أن فروع الإسلام ترجع في النهاية إلى أصول قليلة ، ولكن ينبثق عن هذه الأصول ما لا يعد من فروع وشعب للفروع .

والتركيز على الإيمان بالله واليوم الآخر هو باب الإيمان والتقوى والإحسان والشكر والعمل ، فهذان الركنان هما محل التركيز المستمر في هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك كان الحديث عنهما في الكتاب والسنة كثيرًا ، بينما قل الحديث عنهما في كلام الناس في عصرنا مما ينبغي أن يتلافى .

إنه عن الإيمان بالله واليوم الآخر ينبثق الإخلاص والتوكل والزهد والمحبة والصدق ، كما أن الإيمان باليوم الآخر يستدعي المحاسبة والتأمل والتفكير والاعتبار والخوف والرجاء .

وعن الغفلة عن الله واليوم الآخر يتفرع الحثب كله من كفر ونفاق ومعصية وخيانة وحسد وعجب وكبر ورياء .

إنك إذا تأملت القرآن الحكيم فإنك لا تجد صفحات إلا وفيها حديث عن الله عز وجل أو عن اليوم الآخر أو عن الله واليوم الآخر ، وعندما ندرس نصوص السنة نجد كثرة النصوص المرتبطة بهذا أو بهذا ؛ لأن ذلك هو محور الرسالة ، قال تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يا قوم اعبدوا الله وأرجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض مفسدين ﴾ (١) .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾^(١) . والطريقة الأساسية للرسول في البلاغ هي التبشير والإنذار : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾^(٢) .

والتبشير والإنذار إنما هما تبشير برضوان الله الذي ينال أهله الجنة ، وإنذار بسخط الله الذي يستأهل أهله النار ، ولو أنك تأملت النصوص ثم تأملت الواقع لرأيت أنه لا صلاح للنفس البشرية ولا للحياة البشرية ولا لهذا العالم إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر وأن تظهر ثمرة ذلك على السلوك . وتأمل هذه النصوص :

﴿ رأيت الذي يكذب بالدين * فكذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾^(٣) .

﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾^(٤) .

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾^(٥)

﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾^(٦) .

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾^(٧) .

﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾^(٨) .

وتتوضع حول الإيمان باليوم الآخر موضوعات كثيرة تتصل به بشكل مباشر أو غير مباشر ، منها :

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٤) المجادلة : ٢٢ .

(٦) التوبة : ٤٤ .

(٨) ص : ٤٥ ، ٤٦ .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٣) الماعون : ١ - ٣ .

(٥) التوبة : ١٨ .

(٧) الأنعام : ٩٢ .

الإيمان بالموت وبالحياة البرزخية ، والساعة وأشراتها ، وما يكون بعد الساعة من حشر ونشر وحساب وجنة ونار إلى غير ذلك ، ويرتبط بهذا كله موضوعات متعددة كثيرة وكلها مرتبطة بالإيمان بالغييب .

* * *

وقد تولى القرآن الكريم مناقشة الكافرين باليوم الآخر والشاكين فيه بما لا مزيد عليه ، ولا ينبغي للمؤمن أن يمر عليه يوم دون أن يطالع كتاب الله عز وجل لكي يتركي قلبه فيمتلئ يقيناً ويتأمل ، ويتذكر حين يمر على هذه المعاني وقد كررها القرآن كثيراً لتثبت وتستقر كدأب القرآن في عرضه للقضايا الأكثر أهمية فهو يكرر القضية بحسب احتياج القلب البشري إليها .

وموضوع اليوم الآخر يحتاجه القلب كثيراً ولذلك فإن القرآن يكاد يكون كله وصفاً لليوم الآخر حتى إن بعضهم فسر (الضمير) في قوله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾^(١) بالقرآن ، أي : وإن القرآن علم للساعة .

- إن أدلة وجود الله أكثر من أن تحصى ، ومن عرف الله عز وجل وعرف صفاته العليا وأسماؤه الحسنى آمن باليوم الآخر وعرف حقيقة وجوده واستغرب إنكاره ، فمن عرف قدرة الله عز وجل لم يستغرب أن يقيم الله عز وجل القيامة وأن يعيد خلق الإنسان وغيره مما شاء ، ومن عرف علم الله لا يستغرب الإعادة مع تفرق الأجزاء ، ومن عرف عدل الله آمن بما أخبر عن وجود يوم ودار يكون فيها الحساب والجزاء .

- ومن عرف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعرف صدقهم وكالاتهم ومعجزاتهم ، وعرف أنهم أخبروا وبشروا وأنذروا باليوم الآخر أعطاه ذلك يقيناً .

- ومن عرف ما في القرآن من إعجاز ومعجزات ، وعرف أن هذا القرآن أخبر عن الساعة وما يكون بعدها من حشر ونشر ، أيقن باليوم الآخر .

- ومن عرف أن رسول الله ﷺ أخبر عن مئات الأحداث التي ستقع بعده ، وأن قسمًا كبيرًا مما أخبر عنه قد وقع ، عرف أن ما لم يقع واقع لا محالة ، ومن ذلك ما يكون بين يدي الساعة وما يكون بعدها .

- ومن عرف قصة أهل الكهف وأن الحكمة في فعل الله بأصحابها إثبات البعث زاده ذلك يقينًا .

- ومن تأمل كثرة البشارات والإنذارات في بقايا الوحي الإلهي الذي نقل لنا عن الرسل السابقين - على ما خالطه من تغيير وتبديل - أدرك أن التبشير باليوم الآخر ، والإنذار مما يكون فيه كان قاسمًا مشتركًا في هداية الرسل عليهم الصلاة والسلام .

- ولو أنك تأملت سورة الروم في القرآن لوجدت أن الله عز وجل يدل على صدق موعوده بغلبة الروم على الفرس بصدق موعوده بأن اليوم الآخر كائن ، وهذا يجعلنا نفطن لأهمية ما أخبرنا به رسول الله ﷺ عن واقعات ستقع بعده وقد وقعت لتتحقق بذلك أن ما أخبرنا عنه واقع ، سواء في ذلك ما يكون من أحداث قبل قيام الساعة أو ما يكون بعدها ، ومن ههنا سيكون الوصل الأول في هذا الفصل في الحديث عن بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من أحداث بين يدي الساعة ، قد وقع بعضها ، وبعضها لم يقع وهو واقع لإخبار الله في كتابه أو لإخبار الرسول ﷺ في سنته أو لورود الخبر في الكتاب والسنة معًا ، وسيكون الوصل الثاني في هذا الفصل عن الموت والحياة البرزخية ، وسيكون الوصل الثالث عن الساعة وما سيكون بعدها .

* * *

الوصول

الوصول الأول : بين يدي الساعة

الوصول الثاني : الموت والحياة البرزخية

الوصول الثالث : الساعة وما يأتي بعدها

الوصول الأول
بين يدي الساعة
وفيه:
مقدمة وقرآن

المقدمة

تحدث رسول الله ﷺ عما يكون بين يدي الساعة من أحداث كبرى وأحياناً عن أحداث صغيرة لكنها مهمة ، وذلك من معجزاته المتجددة على مدى القرون ، فما من عصر تقريباً إلا ولسرور الله ﷺ أخبار عن غيب تراه هذه الأمة فيه ، فيكون معجزة له وعاملاً من عوامل تجديد الإيمان وتعميق اليقين وتثبيت الأئدة .

إن بعض الأحداث التي مرت أو ستمر في تاريخ العالم أو على الأمة الإسلامية تزلزل القلوب من هولها وفظاعتها ، فعندما يكون عند المسلم علم عنها فإنه يتلقاها باليقين بدلاً من أن تكون سبباً لزعزعة هذا اليقين .

وفي ذكر بعض الأحداث إيجاد نوع من الجاهزية عند المسلم للتعامل مع هذه الأحداث إذا وقعت ، ثم إن بعض هذه الأحداث لها أحكام شرعية فاقترض ذلك بياناً ، وبعض هذه الأحكام يقاس عليه أشباهه ، وفي ذلك إغناء للشريعة وتنوير للمسلم .

وهناك الدعوات الكافرة أو الضالة التي يدعو إليها مرتدون أو كفرون أو ضالون ، وبعض هذه الدعوات تستند إلى شُبّه في زعمهم ، فأن تجيء في أهلها نصوص فذلك قطع لدابر التردد في شأنها عند أهل الإنصاف والمهدى .

وفي كثير من الأحيان تأتي حوادث ظالمة مظلمة يظن الناس أنها أبدية ، فتأتي النصوص لتوضح جليتها أو توقيتها فيكون ذلك باعثاً على الأمل والعمل .

وهناك حالات ينبغي أن تقطع الدعاوى في شأنها فأن يدعي معمر من المعمرين أنه رأى رسول الله ﷺ ، ذلك يترتب عليه ما يترتب ، فجاءت النصوص لتحدد عمر الجيل الذي عايش رسول الله ﷺ ورآه .

ثم إن قيام القيامة الذي يعني نهاية نظام هذا العالم هو أعظم الأحداث بعد خلق العالم ، فما هي مقدماته الكبرى أو الصغرى ليعرف ذلك المسلمون ويبنوا عليه ما ينبغي البناء .

هذه بعض الحكم في ذكر ما يحدث بين يدي الساعة بواسطة الوحي .

إن النصوص التي تتحدث عما يكون بين يدي الساعة على أنواع : فمنها ما يتحدث عن دعوات الكفر أو الضلال والفرق التي ستنشق عن جسم الأمة الإسلامية بكفر أو ابتداء .

ومنها ما يتحدث عن بشارات وانتصارات لهذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن أحوال ضعف تعترى هذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن حالات مرضية تصيب بعض أجيال هذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن صراعات كبرى تخوضها هذه الأمة تُغلبُ فيها أو تُغلبُ . ومنها نصوص تتحدث عن أشخاص بأعيانهم أو أحداث بأعيانها . ومنها النصوص التي تتحدث عن أشراف الساعة الكبرى التي تكون بين يدي الساعة مباشرة .

* * *

وقسم من هذه الشؤون قد مرَّ معنا من قبل أو سير معنا في سياقات موضوعات هذا الكتاب ، فقد ذكرنا بابا في قسم السيرة عن بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من غيوب وقعت . ومرَّ معنا أثناء الكلام عن الفرق الإسلامية بعض مما له علاقة بهذا الموضوع . ومرَّ معنا أثناء الكلام عن الصحابة كثير مما أخبر به ﷺ ووقع . وستمرَّ معنا بعض النصوص بمناسبة الكلام عن مكة والمدينة ، أو أثناء الكلام عن الخلافة . وقد نظطر في هذه الشؤون لشيءٍ من التكرار ، وفي كتابنا الرسول ﷺ تحدثنا عن عدد من الحوادث المستقبلية التي ستقع بعده وقد وقعت ومنها الذي وقع في عصرنا فليراجع .

* * *

لقد ركز رسول الله ﷺ بوحى من الله على معانٍ كثيرة فيما يأتي بعده ، فتحدث عن الشقاق والخلاف والنزاع والقتال والفتن التي تكون بين أبناء الأمة الإسلامية ، وذلك ليعرفها المسلمون فلا يشاركوا في الخطأ ، وليتوبوا إذا شاركوا وليعتبروا فلا يكرروا .

وبشر رسول الله ﷺ بالفتوحات التي ستكون بعده ليندفع المسلمون في عملية الفتح ، وليعرفوا أن ذلك من الله فيشكروا ، وإذا حدثت انتكاسة فلا ييأسون ولا يستسلمون .

وركز رسول الله ﷺ على الدعوات الباطلة بعده ، سواء جاءت من مدعي نبوة كاذبين أو دعاة ضلالة ليحذر المسلمون وليجتنبوا . وركز على ضعف الالتزام وأنواع من الانحرافات

سيقع فيها بعض المسلمين ؛ ليعرفها الصالحون فيعالجوها ويتجنبوها ، وليتخذوا الموقف الصحيح من أهلها إذا وقعت . وركز على علامات الساعة الصغرى ليستأنس المسلمون بذلك فيعرفوا المرحلة التي هم فيها ، فعلى ضوء الأحداث التي لم تقع بعد مما أخبر عنه رسول الله ﷺ يستطيع المسلمون أن يعملوا ويخططوا ، وفي الأصل فقد ربّانا رسول الله ﷺ على العمل حتى لو علمنا أن الساعة مصبحة أو ممسية .

ورركز على أشراط الساعة الكبرى كأهم شيء يتقدم تغيير نظام هذا العالم .

ورركز على أن الساعة تقوم على شرار الخلق ليُعَرَفَ للمسلم فضله وفضيلة وجوده ، فما دام في الأرض مسلم صالح فلا تقوم الساعة ، فوجود المسلم أمانٌ لأهل الأرض جميعاً .

* * *

الفقرات

- الفقرة الأولى في : أن رسول الله ﷺ أخبر عما سيكون بين يدي الساعة .
- الفقرة الثانية في : قرب الساعة نبيًا .
- الفقرة الثالثة في : مدة قرن النبوة .
- الفقرة الرابعة في : بعض أحداث المرحلتين الراشدة والأموية مما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه كائن بين يدي الساعة .
- الفقرة الخامسة في : حديث جامع .
- الفقرة السادسة في : فتح القسطنطينية الأولى .
- الفقرة السابعة في : قتال التتار والمغول والأتراك قبل إسلامهم .
- الفقرة الثامنة في : تمزقات الأمة الإسلامية وصراعاتها .
- الفقرة التاسعة في : التجديد والمجددين .
- الفقرة العاشرة في : نار الحجاز .
- الفقرة الحادية عشرة في : استقلال أقطار الأمة الإسلامية عن بعضها وانفراط عقد الوحدة الإسلامية .
- الفقرة الثانية عشرة في : غربة الإسلام .
- الفقرة الثالثة عشرة في : مبدعي النبوة والدجالين .
- الفقرة الرابعة عشرة في : أعلام وأشراط متفرقة تكون بين يدي الساعة وقد وقعت .
- الفقرة الخامسة عشرة في : أشراط صغرى لم تقع بعد .
- الفقرة السادسة عشرة في : انحسار الفرات عن جبل من ذهب .
- الفقرة السابعة عشرة في : أشراط الساعة الكبرى .

- . الفقرة الثامنة عشرة في : المهدي عليه السلام .
- . الفقرة التاسعة عشرة في : الدجال .
- . الفقرة العشرون في : صفة المسيح بن مريم عليه السلام ونزوله .
- . الفقرة الحادية والعشرون في : يأجوج ومأجوج .
- . الفقرة الثانية والعشرون في : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق .
- . الفقرة الثالثة والعشرون في : نار عدن .

الفقرة الأولى

في :

أن رسول الله ﷺ أخبر عما سيكون بين يدي الساعة

٨٧٧ - * روى مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه ، قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً الفجر ، وصعد على المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلي ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلي ، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما [كان ، وما] هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : فأعلمنا أحفظنا .

٨٧٨ - * روى أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنها ، قال : والله ما أذري أنسي أصحابي ، أم تناسوا ؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا ، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً ، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

٨٧٩ - * روى مسلم عن أبي إدريس الخولاني قال : قال حذيفة رضي الله عنه : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إلي في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري ، ولكن رسول الله ﷺ قال يوماً - وهو في مجلس يتحدث فيه عن الفتن ويعدهن - : « منها ثلاث لا يكذن يذرن شيئاً ، ومنها فتن كرياح الصيف ، منها صغار ، ومنها كبار » فذهب أولئك الرهط الذين سمعوه معي كلهم غيري .

* * *

٨٧٧ - مسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .
 ٨٧٨ - أبو داود (٤ / ٩٥) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده حسن .
 ٨٧٩ - مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .
 (كرياح الصيف) : يريد أن فيها بعض الشدة ، وإنما خص الصيف لأن رياح الشتاء أقوى .

الفقرة الثانية

في :

قرب الساعة نسبياً

٨٨٠ - * روى الطبراني في الثلاثة عن ابنِ عمرَ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاةِ العصرِ إلى مغربِ الشمسِ » .

٨٨١ - * روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إني لأرجو أن لا يعجزَ اللهُ أُمَّتي عند ربِّها : أن يؤخَّرَهم نصفَ يومٍ » .

قيل لسعدٍ : ومِ نصفِ يومٍ ؟ قال : خمسمائة سنة .

أقول : في الحديث إشارة إلى أن رسول الله ﷺ لم يكن يعلم الزمن المحدد لقيام الساعة ، وكان يعلم قربها لذلك رجا الزمن المذكور وقد بارك الله لهذه الأمة أجلها ليكثر أتباع رسول الله ﷺ ، والمرجو أن يبارك فيما يأتي فلم تنزل كثير من إخبارات رسول الله ﷺ عما هو كائن قبيل الساعة لم تقع .

٨٨٢ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا تَزِدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدًا » .

٨٨٠ - للمعجم الكبير (١٢ / ٣٢٨) .

والروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني (١ / ٥٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الكبير : كنا جلوسا عند النبي ﷺ والشمسُ على قَمَيْقَتَانِ بعدَ العصرِ فقال : « ما أعازكم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فما مضى منه » . ورجال الصغير والأوسط رجال الصحيح ، وفي أحد إسنادي الكبير شريك وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(قَمَيْقَتَانِ) : جبل بكرة ، سُمِّيَ بذلك لأن جُرُقَهَا لما تحاربوا كثرت قمعمة السلاح هناك .

٨٨١ - أبو داود (٤ / ١٢٥) كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة . وإسناده صحيح .

٨٨٢ - للمعجم الكبير (١٠ / ١٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه الطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ الطبراني وهو ثقة ثبت .

أقول :

قوله : (ولا تزداد منهم إلا بعدًا) : إشارة إلى غفلة الناس عن الساعة كلما تقارب وقوعها .

٨٨٣ - * روى أحمد عن بريدة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « بعثت أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقني » .

٨٨٤ - * روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « مثلُ المسلمين واليهود والنصارى ، كمثل رجلٍ استأجرَ قومًا يعملون له عملاً إلى الليلِ على أجرٍ معلومٍ ، فعملوا له إلى نصفِ النهارِ ، فقالوا : لا حاجةَ لنا إلى أجرِكَ الذي شَرَطْتِ لنا ، وما عملنا باطلًا . فقال : لا تفعلوا ، أكملوا بقيةَ عملِكُم ، وخذوا أجرَكُم كاملاً . فَأَبَوْا وتَرَكَوا ، واستأجرَ آخرينَ بعدهم ، فقال : أكملوا بقيةَ يومِكُم ، ولكم الذي شَرَطْتِ لهم من الأجرِ . فعملوا حتى إذا كان حين صلاةِ العصرِ ، قالوا : لك ما عملنا باطلًا ، ولك الأجرُ الذي جعلتَ لنا . فقال : أكملوا بقيةَ عملِكُم ، فإنَّ ما بقيَ من النهارِ شيءٌ يسيرٌ . فَأَبَوْا ، فاستأجرَ قومًا أن يعملوا بقيةَ يومِهِم ، فعملوا بقيةَ يومِهِم ، حتى غابتِ الشمسُ ، فاستكملوا أجرَ الفريقينِ كليهما ، فذلك مثَلُهُم ومثَلُ ما قبلوا من هذا النورِ » .

٨٨٥ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمَرَ رضي الله عنها ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو قائمٌ على المنبرِ يقول : « إنما بقاؤكم فيمن سلفَ قبلكم من الأممِ ، كما بين صلاةِ العصرِ إلى غروبِ الشمسِ ، أوتيَ أهلُ التوراةِ التوراةَ فعملوا بها حتى انتصفَ النهارُ ، ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثم أوتيَ أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ ، فعملوا

٨٨٢ - مسند أحمد (٥ / ٢٤٨) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢١١) . وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وهم أصبغيه

السبابة والوسطى ، ورجال أحمد رجال الصحيح

٨٨٤ - البخاري (٤ / ٤٤٧) ٣٧ - كتاب الإجارة ١١ - باب الإجارة من العصر إلى الليل .

٨٨٥ - البخاري (١٣ / ٤٤٦) ٩٧ - كتاب التوحيد ٣١ - باب في المشيئة والإرادة .

إلى صلاة العصر فَعَجَزُوا ، فَأَعْطُوا قِيْرَاطًا قِيْرَاطًا . ثم أُوتِينَا الْقِرْآنَ ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَأَعْطِينَا قِيْرَاطِينَ قِيْرَاطِينَ . فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ : أَيُّ رَبِّنَا ، أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيْرَاطِينَ قِيْرَاطِينَ ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيْرَاطًا قِيْرَاطًا ، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا ؟ ! قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : هَلْ ظَلَمْتُمْ مَن أَجْرِكُمْ مَن شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَن أَشَاءَ .»

وفي رواية (١) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً ، فَقَالَ : مَن يَعْْمَلُ لِي مِنْ عَدْوَةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيْرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ . ثم قال : مَن يَعْْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيْرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى . ثم قال : مَن يَعْْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيْرَاطِينَ ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، فَقَالُوا : مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا ، وَأَقْلُ عَطَاءً ؟ قَالَ : هَلْ نَقَصْتُمْ مَن حَقَّكُمْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَن أَشَاءَ .»

وفي أخرى (٢) قال : « إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَن خِلا مِنَ الْأُمَّمِ ، كما بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا ، فَقَالَ : مَن يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيْرَاطٍ قِيْرَاطٍ ... » فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَفِي آخِرِهِ : « أَلَا فَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، أَلَا لَكُمْ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى » ... وَذَكَرَ نَحْوَ مَا قَبْلَهُ .

* * *

(١) البخاري (٤ / ٤٤٥) ٣٧ - كتاب الإجارة ٨ - باب الإجارة إلى نصف النهار .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩٥) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

الفقرة الثالثة

في :

مدة قرن النبوة

٨٨٦ - * روى مسلم عن أبي الزبير ، أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول - قبل أن يموتَ بشهرٍ - : « تسألوني عن الساعة ؟ وإنما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على الأرض من نفسٍ منفوسةٍ اليومَ يأتي عليها مائة سنةٍ وهي حيةٌ يومئذٍ » . قال : فسرها عبد الرحمن صاحب السقاية ، قال بعضهم : هو نقص العمر .

وفي رواية للترمذي ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نفسٍ منفوسةٍ تبلغ مائة سنةٍ » - قال سالم بن أبي الجعدٍ وتذاكرنا ذلك عنده - : إنما هي نفسٌ مخلوقةٌ يومئذٍ .

ولها وللبخاري وأبي داود عن ابن عمر بنحوه ^(٢) ، وفيه : يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن .

٨٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان الأعرابُ إذا قَدِموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة ، متى الساعة ؟ فينظرُ إلى أحدِ إنسانٍ مسلم (٤ / ١٩٦٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٥٢ - باب قوله ﷺ « لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم » .

(١) الترمذي (٤ / ٥٢٠) ٣٤ - كتاب الفتن ٦٤ - باب حدثنا هناد . وقال : حسن .

(٢) مسلم (٤ / ١٩٦٥) نفس الكتاب والباب السابقين .

الترمذي : في الموضع السابق

والبخاري (٢ / ٧٤) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ٤٠ - باب السر في الفقه والخير بعد المشاء .

وأبو داود (٤ / ١٢٥) كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة .

(نفس منفوسة) النفس المنفوسة : هي للولودة ، نفست المرأة - بفتح النون وضها - إذا ولدت ، والمغنى في الحديث : أن كل من هو موجود الآن ، يعني ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين : يكونون قد ماتوا ؛ ولا بقي منهم على الأرض أحد ، فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت .
أقول : وعلى هذا الحديث استدلل البخاري وغيره ، أن الحَضَرَ ليس حياً بعد تلك المئة .

٨٨٧ - البخاري (١١ / ٣٦١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٢ - باب سكرات الموت .

مسلم (٤ / ٢٣٦٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

منهم ، فيقول : « إن يَعِشْ هذا : لم يُدْرِكْهُ الهَرَمُ ، حتى قامتْ عليكم الساعةُ » .
قالَ هشامٌ : يعني موتَهُم .

٨٨٨ - * روى مسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ :
متى الساعةُ ؟ فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ هُنَيْهَةً ، ثم نظرَ إلى غَلامٍ بين يديه من أُرْدِ شَنْوَةَ ،
فقال : « إنْ عُمَرَ هذا الغَلامُ : لم يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حتى تقومَ الساعةُ » . قال أنسٌ : وذلك
الغَلامُ من أترابي يومئذ .

وفي رواية^(١) : وعنده غلامٌ من الأنصار ، يقال له : محمد ... وذكر الحديث .

أقول :

قوله : لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة : أي ساعة المخاطبين : أي موتهم . وذلك من
التذكير للمخاطب بالأهم في حقه .

قال ابن كثير في النهاية :

وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة ؛ فعالم البرزخ قريب من عالم يوم
القيامة . وفيه من الدنيا أيضًا ، ولكن هو أشبه بالآخرة ، ثم إذا تناهت المدة المضروبة
للدنيا ، أمر الله بقيام الساعة . فيجتمع الأولون والآخرون لميقات يوم معلوم . ا . هـ .

* * *

٨٨٨ - مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٩) نفس الكتاب والباب السابقين

الفقرة الرابعة

في :

بعض أحداث المرحلتين : الراشدة والأموية

مما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه كائن بين يدي الساعة

٨٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، قال : كنا عند عمر ، فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة ؟ فقلت : أنا أحفظه كما قال . قال : هات ، إنك لَجريءٌ ، وكيف قال ؟ قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فِتْنَةٌ الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فقال عمر : ليس هذا أريد ، إنما أريد التي تموج كوج البحر . قال : قلت : مالك ولها يا أمير المؤمنين ؟ إن بينك وبينها بابا مغلقا . قال : فيكسر الباب أو يفتح ؟ قال : قلت : لا ، بل يكسر ، قال : ذاك أخزى أن لا يغلق أبدا . قال : فقلنا لحذيفة : هل كان عمر يعلم من الباب ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة ، إني حدثته حديثا ليس بالأعاليط . قال : فهبنا أن نسأل حذيفة : من الباب ؟ فقلنا لمسروق : سئله . فسأله ، فقال : عمر .

ورواه الترمذي^(١) إلى قوله : بل يكسر . قال : إذا لا يغلق إلى يوم القيامة . قال أبو وائل : فقلت لمسروق ، سل حذيفة عن الباب . فسأله فقال : عمر .

أقول : هذا الحديث من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، إذ فيه تصريح باستشهاد عمر وما سيحدث بعد ذلك من فتن .

٨٨٩ - البخاري (٢ / ٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٤ - باب الصلاة كفارة .

مسلم (١ / ١٢٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ...

(١) الترمذي (٤ / ٥٢٤) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٧١ - باب حدثنا محمود بن غيلان ...

وقال : هذا حديث صحيح .

(لَجريء) : الجرأة : الإقدام على الأمر العظيم .

(بالأعاليط) : جمع أطلوطة ، وهي المسائل التي يغلط بها ، والأحاديث التي تذكر للتكذيب .

٨٩٠ - * روى الحاكم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فاستَوْصُوا بِالْقِبْطِ » . وفي رواية : « فاستَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ
 لَهُمْ ذِمَّةَ وَرَحِمًا » .

٨٩١ - * روى مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ
 فِيهَا الْقِرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا » .

وقال ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين (١) : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَإِذَا
 هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقَنَّ كَنْوزَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

أقول : استؤصلت دولة الأكرسة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ولم تعد ولن تعود بإذن الله
 تعالى ، واستؤصلت دولة القياصرة بفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح رحمه الله ، فبعد
 أن سقط كسرى لم يظهر كسرى بعده ، وبعد أن سقط قيصر لم يظهر قيصر بعده .

٨٩٢ - * روى مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص : كتبتُ إلى جابر بن سمرّة مع
 غلامي نافع : أن أخبرني بشيءٍ سمعته من رسول الله ﷺ . فكتب إلي : سمعتُ رسولَ الله
 ﷺ يوم الجمعة ، عشية رَجِمَ الأَسْمِيُّ ، قال : « لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ،
 أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً ؛ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ » . وسمعتُه يقول : « عَصَبِيَّةٌ مِنْ
 الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ : بَيْتَ كِسْرَى - أَوْ آلِ كِسْرَى » . وسمعتُه يقول :
 « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَائِبِينَ ، فَاحْذَرُوهُمْ » . وسمعتُه يقول : « إِذَا أُعْطِيَ اللَّهُ

٨٩٠ - المستدرک (٢ / ٥٥٣) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ومجم الزوائد (١٠ / ٦٣) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح .

(ذمة) : الحق والحرمية ، وهي هنا بمعنى الذمام .

(رحيمًا) الرِّحِم : لكون هاجر أم إسماعيل منهم .

وقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

٨٩١ - مسلم (٤ / ١١٧٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٥٦ - باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .

(١) البخاري (٦ / ٦٢٥) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

مسلم (٤ / ٢٢٣٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٧ - باب لا تقوم الساعة ...

٨٩٢ - مسلم (٣ / ١٤٥٢) ٢٢ - كتاب الإمارة ، ١ - باب الناس تبع لعريش ...

أحدكم خيرًا فليبدأ بنفسه وأهل بيته . وسمعت يقول : « أنا الفَرَطُ على الحوض » .
 وفي رواية سماك بن حرب^(١) عن جابر بن سمرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لَتَفْتَحَنَّ
 عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ كَنَزَالِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ » .
 وفي رواية أخرى^(٢) قال : « لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينَ قَائِمًا يَمَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

أقول : قد وجد من خلفاء أمتنا القرهيين الكثير ، فالخلفاء الراشدون والخلفاء
 الأمويون والخلفاء العباسيون كلهم قرشيون ، وتخصيص الاثنى عشر خليفة بالذكر إشارة إلى
 خلفاء يكون لقيام الدين في عصرهم شأن خاص ، فإذا كان المراد بالحديث الاثنى عشر
 خليفة الأول في تاريخ الأمة الإسلامية ، والذين يستكملون بعمر بن عبد العزيز رحمة الله ،
 فالمراد بذلك قيام الدين بسبب من قوة اليقين عند الصحابة وكبار التابعين ، وفي الرواية
 أكثر من مُعْجِزَةٍ وَقَمْتُ كَفْتَحِ الْمَدَائِنِ وَبَعْضُهَا قَائِمٌ ، وهو أن هذا الدين لا تزال طائفة
 تحمله .

٨٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
 « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئْتَانٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ
 دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ » .

أقول : الظاهر أن في الحديث إشارة إلى ما وقع بين علي رضي الله عنه من جهة وبين
 عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى ، فكل من الجهتين كانت دعواه نصرته الحق ، فالجهتان
 مجتهدتان والصواب مع علي رضي الله عنه ، أو ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ؛

= (الفَرَطُ) : الذي يتقدم الورد ، فبهيم لهم الجبال والدلاء والحياض ويستقي لهم ، وهو فَعَلٌ بمعنى فاعل ، يقال :
 رجل فَرَطٌ ، وقوم فرط .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(٢) مسلم (٢ / ١٥٢٤) ٢٣ - كتاب الإمارة ، ٥٢ - باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. » إلخ .

٨٩٣ - البخاري (١٢ / ٨١) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب حدثنا مسدد حدثنا يحيى ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٢١٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٤ - باب إذا تواجه المسلمان بسيوفهما .

فكلاهما كان يدعي نصره الحق ، والصواب كان مع علي ، وما جرى بين علي والآخريين وردت فيه نصوص كثيرة وكلها من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكرناها في القسم الأول من هذا الكتاب .

٨٩٤ - * روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم ، وتجتليدوا بأسيا فكم ، ويرث دنياكم شراركم » .

أقول : في الحديث إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه ، وقد وردت في ذلك نصوص صريحة ذكرناها في القسم الأول ، وكلها من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

٨٩٥ - * روى أبو داود عن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فذكر فتنة عظم أمرها ، فقلنا - أوقالوا :- يا رسول الله ، لئن أدركتنا هذه لنهلكن . فقال رسول الله ﷺ : « كلاً إن بحسبكم القتل » .
قال سعيد : فرأيت إخواني قتلوا .

٨٩٦ - * روى أبو يعلى عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « تزعمون أني من آخركم وفاةً ألا وإني من أولكم وفاةً ولتتبعني أفناداً يضرب بعضهم رقاب بعض » .

وفي لفظ الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان ، قال : كنا جلوساً في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « إنكم تتحدثون أني من آخركم وفاةً ألا وإني من أولكم وفاةً ولتتبعني أفناداً يفني بعضكم بعضاً » . ثم نزع بهذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ

٨٩٤ - الترمذي (٤ / ٤٦٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٩ - باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال : هذا حديث حسن .

وابن ماجه (٢ / ١٢٤٢) ٢٩ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب أشرار الساعة .

٨٩٥ - أبو داود (٤ / ١٠٥) - كتاب الفتن والملاحم ، باب ما يرجى في القتل . - إسناده صحيح . (بحسبكم القتل) أي : إن القتل كافيك ومقنمكم .

٨٩٦ - جمع الزوائد : (٧ / ٢٠٦) . وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والكبير ولفظه فيه عن معاوية ... ورجالها ثقات .

(أفناداً) : جماعات متفرقين قوماً بعد قوم .

يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِّن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقُ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبيٌ مستقرٌ وسوف تعلمون ﴿ ١١ ﴾ . ثم قال : « لا تبرح عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يبالون خذلان من خذلم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله على ذلك » . ثم نزع هذه الآية : ﴿ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِي كِتَابِ الْكَلِمَاتِ الْمُبِينِ وَإِنَّكَ فِي عِندِنَا مُرْسَلٌ وَإِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (١٢) .

٨٩٧ - * روى مسلم عن نافع بن عتبة أن رسول الله ﷺ قال : « تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله » .

أقول : في الحديث أكثر من معجزة ، منها الإشارة إلى فتح قبرص ، وقد كان ذلك ، وافتتحها المسلمون زمن عثمان رضي الله عنه .

٨٩٨ - * روى البخاري عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الْأُولَى - يعني مقتل عثمان - فلم يبقَ من أصحابِ بدرٍ أحدٌ ، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم يبقَ من أصحابِ الحديبية أحدٌ ، ثم وقعت الفتنة الثالثة ، فلم ترتفعْ وبالناسِ طَبَاحٌ .

٨٩٩ - * روى أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ لِحْمَسٍ وَثَلَاثِينَ - أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ - فَإِن يَهْلِكُوا

(٢) آل عمران : ٥٥ .

(١١) الأنعام : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

٨٩٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٢ - باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .
٨٩٨ - البخاري (٧ / ٢٣٣) ٦٤ - كتاب المغازي ، ١٢ - باب حدثي خليفة حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري إلخ .
(طَبَاحٌ) أصل الطَبَاحُ : القُوَّةُ وَالسَّمَنُ ، ثم استعمل في غيره ، فقيل : فلان لا طبَّاحَ له ، أي : لا عقل له ولا خير عنده ، المراد : أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحنًا .

٨٩٩ - أحمد (١ / ٢٩٠) .

وأبو داود (٤ / ٩٨) - أول كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده صحيح .

وابن حبان (٨ / ٢٣١) .

وصححه في المستدرک (٤ / ٥٢١) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

فسبيلَ مَنْ هَلَكَ ، وإنَّ يَقُمُ لَهُمْ دِينُهُمْ : يَقُمُ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا . قال : قلت : أممًا بقي ، أو مما مضى ؟ قال : « مما مضى » .
قال ابن الأثير :

تدور رحى الإسلام ، يقال : دارت رحى الحرب : إذا قامت على ساقها ، والمعنى فيما قيل : إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة ، والبعد من أحداث الظلمة إلى أن تنقضي هذه المدة التي ذكرها وهي خمس وثلاثون سنة ، ووجهه : أن يكون قاله وقد بقي من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين ، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين - وهي ثلاثون سنة - كانت بالغة ذلك المبلغ ، وإن كان أراد : سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان ، وإن كانت سنة ست وثلاثين ، ففيها كانت وقعة الجمل ، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ، ففيها كانت وقعة صفين . ١ . هـ .

أقول :

وأما قوله : (يقم لهم سبعين عامًا) : فقد يكون المراد به قيام الدين على سنن الاستقامة ، وغلبة أهل الحق على أهل الأهواء والبدع ، حتى تقوم الحجة وتوجد الأسس التي يستمر بها الدين الحق على كثرة أهل الضلال والمنحرفين .

٩٠٠ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان » . وقال : « لا تذهب الدنيا حتى تصير للكعب ابن لكع » .
أقول :

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يستعيز من أن تدركه سنة ستين وإمارة الصبيان ، وسنة ستين هي السنة التي تأمر فيها يزيد بن معاوية ، وبعد وفاته أمر ابنه معاوية وكان صغيرًا

٩٠٠ - أحمد (٢ / ٣٢٦) . ورجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة وقال في التقريب : صدوق يخطئ .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٠) . وقال : رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة .

وقال في التقريب : صدوق يخطئ .

(اللكع) : العبد ، واستعمل في الحق والذم .

لكنه استقال واعتزل ، ثم كانت الفتنة والقتال بين ابن الزبير وبني أمية ، فسنة سبعين كانت سنة سبقتها إمرة الصبيان .

٩٠١ - * روى ابن ماجه عن أبي موسى ؛ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرَجًا » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْهَرَجُ ؟ قَالَ : « الْقَتْلُ » . فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ » . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَعْنَا عَقُولُنَا ، ذَلِكَ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا . تُنَزَعُ عَقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ . وَيَخْلَفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عَقُولَ لَهُمْ » .

ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ : وَابْنُ اللَّهِ ، إِنِّي لَأُظَنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ . وَابْنُ اللَّهِ ، مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ ، إِنْ أَدْرَكْتُنَا فِيمَا عَهْدَ إِلَيْنَا نَبِينَنَا ﷺ ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا .

أقول : في الحديث إشارة إلى وقعة الحرة ، وما بعدها من قتال على الملك والعصية دون تعقل . والله أعلم .

٩٠٢ - * روى ابن ماجه عن أبي ذرٍّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْتُ يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يَقُومَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ ؟ » . (يَعْنِي الْقَبْرَ) .

٩٠١ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب الثبوت في الفتنة . والحديث صحيح .
ونحوه أحمد (٢ / ٢٩٤) .

(٧) أي لا عقل معكم ذلك اليوم ، ثم بين ذلك بقوله : تنزع : أي لا يكون ذلك مع عقولكم بل تنزع عقول أكثر ذلك الزمان ، لشدة الحرص والجهل .
(هباء) الهباء الذرات التي تظهر في الكوة بشعاع الشمس . والمراد : الخثالة من الناس .
(إني لأظنها) أي تلك الحالة .

٩٠٢ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٨) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب الثبوت في الفتنة .
وأبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السعي في الفتنة . وهو حسن .
(حق يقوم) : من التقوم ، أي يقوم البيت بالوصيف .
(بالوصيف) : المراد بالبيت القبر ، وبالوصيف الخادم والعبد . أي يكون العبد قبة القبر بسبب كثرة الأموات .
وقيل : المراد بالبيت المتعارف . والمعنى أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها ، فيباع البيت بعبد . =

قُلْتُ : مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ : (أَوْ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) . قَالَ : « تَصَبَّرْ » . قَالَ : « كَيْفَ أَنْتَ وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . (أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ) . قَالَ : « عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ » . ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ أَنْتَ وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُفَرِّقَ حِجَارَةَ الزَّيْتِ بِالدَّمِ ؟ » قُلْتُ : مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ . قَالَ : « الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا أَخَذَ بَسِيْفِي فَأَضْرِبُ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَا . وَلَكِنْ إِذَا دَخَلَ بَيْتَكَ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَإِنْ دَخَلَ بَيْتِي ؟ قَالَ : « إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ ، فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » .

أقول : في الحديث إشارة إلى الطاعون الذي أصاب جيش الصحابة في الشام ، وفيه إشارة إلى المجاعة التي حدثت في زمن عمر وسمي عام الرمادة ، وفيه إشارة إلى وقعة الحرة . وكل ذلك قد وقع ، ففي الحديث معجزات متعددة وفي الحديث التالي ذكر لبعض ما مر في هذا الحديث .

٩٠٣ - * روى أبو داود عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا ذَرٍّ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ ... فذكر الحديث . كذا قال أبو داود ، ولم يذكر لفظه ، وقال فيه : « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتَ فِيهِ بِالْوَصِيفِ ؟ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ قَالَ : مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ : « عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ » - أَوْ قَالَ : « تَصَبَّرْ » - ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا أَبَا ذَرٍّ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ

= (حجارة الزيت) موضع بالمدينة في الحرة سمي بها لسواد الحجارة . أنها طليت بالزيت ، أي الدم يملو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتل وهذا إشارة إلى وقعة الحرة التي كانت زمن يزيد .
(من أنت منه) أي بأهلك وعشيرتك .

(إن خفيت أن يبهرك شعاع السيف) أي إن غلبك ضوء السيف ويريقه ، فغط وجهك حتى يقتلك .

(يبهوء) باه بالإثم يبهوء : إذا رجع به حاملاً له .

٩٠٣ - أبو داود (١٠١ / ٤) كتاب الفتن ، باب في النهي عن السعي في الفتنة . وهو حديث حسن .

وسعديك . قال : « كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم ؟ » قلت : ما خاب الله لي ورسوله . قال : « عليك بمن أنت منه » . قلت : يا رسول الله ، أفلا أخذ سيفي فأضعة على عاتقي ؟ قال : « شاركت القوم إذا » . قلت : فأتأمرني ؟ قال : « تلزم بيتك » . قلت : فإن دخل علي بيتي ؟ قال : « إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف ، فألق ثوبك على وجهك ، يوء بإثمك وإثمه » .

٩٠٤ - * روى البخاري عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال : كنت مع مروان وأبي هريرة في مسجد النبي ﷺ ، فسمعت أبا هريرة يقول : سمعت الصادق المصدوق يقول : « هلاك أمي على يدي أغيلة من قريش » . فقال مروان : غلمة . قال أبو هريرة : إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان .

وفي رواية^(١) : قال عمرو بن يحيى بن سعيد : أخبرني جدي قال : كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ومعنا مروان ، فقال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول : « هلكة أمي على يدي غلمة من قريش » . قال مروان : لعنة الله عليهم غلمة ؟ فقال أبو هريرة : لو شئت أن أقول : بنو فلان لفعلت . قال : فكنت أخرج مع جدي سعيد إلى الشام ، حين ملكة بنو مروان ، فإذا رأهم غلما أحدا ، قال لنا : عسى هؤلاء الذين عني أبو هريرة ، فقلت : أنت أعلم .

٩٠٥ - * روى الطبراني عن عمير بن سعيد ، قال : كنا جلوسا مع ابن مسعود ، وأبو موسى عنده ، وأخذ الوالي رجلا فصرته وحمله على جمل . فجعل الناس يقولون الجمل الجمل . فقال رجل : يا أبا عبد الرحمن هذا الجمل الذي كنا نسمع . قال : فأين البارقة .

٩٠٤ - البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(الصادق المصدوق) : هو النبي ﷺ ، صدق في قوله وما أخبر به ، وصدق فيما جيء به إليه من الوحي .

(أغيلة) : تصغير : أغلة في التقدير .

(١) البخاري (١٣ / ٩) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٣ - باب قول النبي ﷺ : « هلاك أمي على يدي أغيلة سفهاء » .

٩٠٥ - جمع الزوائد (٧ / ٢٣٧) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

أقول :

تشير الرواية إلى أن الصحابة كان عندهم علم عن رسولهم عليه الصلاة والسلام بأن أمراء سيستعملون أنواعاً من العقوبات ؛ منها عقوبة التشهير بإركاب المعاقب على جل والتشهير به . والبارقة : السيوف .

٩٠٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « في تَقْيِيفِ كَذَابٍ وَمُبِيرٍ » .

قال الترمذي : ويقال : الكذاب : المختار بن أبي عبيد ، والبير : الحجاج بن يوسف .

٩٠٧ - * روى البخاري عن الزبير بن عدي ، قال : دَخَلْنَا على أنس بن مالك فَشَكَّوْنَا إليه ما تَلَقَى من الحَجَّاجِ ، فقال : « اصْبُرُوا ، لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبِّكُمْ » . سمعتُ هذا من نبيكم .

أقول :

قوله : « حتى تلقوا ربكم » : هل المراد جيل الصحابة أو المراد الأمة الإسلامية بإطلاق ؟ أرجح الأول للحديث الحسن : « أمّتي كالمطر لا يندري أوله خير أم آخره » .

وقد حمله بعضهم على العموم ، واعتبر ما يحدث من تجديد في القرون ، وما يحدث من انتعاشات وانتصارات للإسلام لا يتنافى مع إطلاق الحديث ، فالحديث لا ينفي أنه لا يوجد خير بعد الزمن الأول ، ولكن الخيرية نسبية فهي تتضاءل بمجموعها في الزمن اللاحق بالنسبة للزمن السابق . وأرجح أن الحديث خاص بجيل الصحابة .

٩٠٦ - الترمذي (٤ / ٤٩٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٤ - باب ما جاء في تقييف كذاب ومبير . وهو حديث صحيح . (المبير) : المهلك ، من البوار : الهلاك .

٩٠٧ - البخاري (١٣ / ١٩) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٦ - باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه . والترمذي (٤ / ٤٩٢) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب « منه » . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٠٨ - * روى أحمد عن الشعبي قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو مستند إلى الكعبة ، وهو يقول : ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله ﷺ فلاناً وما ولد من صلبه .
أقول :

اللعنة تنصب على الكافرين من أبناء الحكم ، وهذا التخصيص لا بد منه ؛ لأن من أسلم من ذرية الحكم لا تنصب عليه اللعنة إلا إذا كان في قلبه نفاق أو عمل أعمالاً يستحق بها اللعنة .

٩٠٩ - * روى البزار عن عبد الله البهي مولى الزبير قال : كنت في المسجد مرواناً يخطب فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : والله ما استخلف [أي رسول الله ﷺ] أحداً من أهله . فقال مروان : أنت الذي نزلت فيك : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما ﴾^(١) . فقال عبد الرحمن : كذبت ولكن رسول الله ﷺ لعن أباك .

٩١٠ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ وقد ذهب عمرو بن العاصي يلبس ثيابه ليلحقي فقال ونحن عنده : « ليدخلن عليكم رجل لعين » . فوالله ما زلت وجلاً أتشوف خارجاً وداخلاً حتى دخل فلان (يعني الحكم) .

وعن أبي هريرة^(٢) أن النبي ﷺ رأى فني منامه كأن بني الحكم يتزورن على منبره

٩٠٨ - أحمد (٥ / ٤) .

وكشف الأستار (٢ / ٩٤٧) .

والمعجم الكبير (٤ / ٤٨١) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه ﷺ ، والطبراني بنحوه وعنده رواية كرواية أحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٩٠٩ - كشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه البزار وإسناده حسن .

(١) الأحقاف : ١٧ .

٩١٠ - أحمد (٢ / ١٦٢) .

وكشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : دخل الحكم بن أبي العاصي ، والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد (٥ / ٢٤٢) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة .

وَيَنْزِلُونَ ، فَاصْبِحَ كَالْتَفَيْظِ ، وقال : « مالي رأيتُ بني الحَكَمِ يَنْزُونَ على منبري نَزْوُ
الْقِرْدَةِ » . فما رأيتُهُ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ :
٩١١ - * روى الترمذي عن هشام بن حسان ، قال : أُخِصِيَ مَا قَتَلَ الْحِجَاجُ صَبْرًا ،
فَوَجِدَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا .

٩١٢ - * روى أحمد عن عمر بن الخطاب قال : وُلِدَ لِأَخِي أُمِ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ
غِلَامٌ فَسَمَّوْهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَمِّئُوهُ بِاسْمِ فَرَاعِنَتِكُمْ لِيَكُونََنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ
رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ لهُوَ أَشْرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ » .

أَقْوَى : لعل المراد بالحديث هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان من شأنه أن
استغرق باللهو وظهرت عليه أمارات الجبروت ، وقد قتله بنو أمية أخيرًا .

وكان الأوزاعي يحمل هذا الحديث على ما ذكرناه كما أورده ابن حجر في الفتح . وذكر
له ابن حجر شاهدًا عن أم سلمة أخرجه إبراهيم الحري في « غريب الحديث » من رواية محمد
ابن إسحق عن محمد بن عمرو عن عطاء عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالت : دخل عليّ
النبي ﷺ وعندي غلام من آل المغيرة اسمه الوليد ، فقال : « من هذا ؟ » قلت : الوليد ،
قال : « قد اتخذتم الوليد حنانا ، غيروا اسمه فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون
يقال له الوليد » (١) .

(يَنْزُونَ) : يُعَالِ تَنْزَوْتُ عَلَى الشَّيْءِ أَنْزَوْا تَنْزَا ، إِذَا وَثَبْتَ عَلَيْهِ .
ويقال : تَنَزَّ يَنْزُو تَنْزَاً وَتَنْزَاً وَتَنْزَاً وَتَنْزَاً .

٦١١ - الترمذي (٤ / ٤٩٩) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٤ - : أب ما جاء في تعريف .. إلخ . وإسناد الترمذي إلى هشام بن حسان صحيح
(صبرًا) قتلته صبرًا : إِذَا حَبَسْتَهُ عَلَى الْقَتْلِ ، فَكُلٌّ مِنْ قَتْلِ فِي غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا اخْتِلَاسٍ - كُنْ يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، أَوْ
يُحْبَسُ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، أَوْ يَصْلُبَ ، أَوْ يَمُوتَ مِنْ هَيْبَاتِ الْقَتْلِ - فَهُوَ مَقْتُولٌ صَبْرًا .
٩١٢ - أحمد (١ / ١٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣١٢) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(١) انظر فتح الباري (١٠ / ٥٨٠ ، ٥٨١) .

٩١٣ - * روى أحمد عن أبي بريدة : قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفِرْقَةٌ وَاجْتِلَافٌ . فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَأَتِ بِسَيْفِكَ أَحَدًا ، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ . ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ » .

فَقَدْ وَقَعَتْ . وَقَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

أقول : ما أخبر عنه رسول الله ﷺ قد وقع وشارك بعض الصحابة في القتال مجتهدين وبعضهم اعتزل ، وكان من اعتزل محمد بن مسلمة ، والسؤال كيف لم يعتزل بقية الصحابة مع وجود مثل هذه الروايات ؟ والجواب أنه بالإمكان حمل مثل هذه الرواية على أنها فتوى خاصة لأناس مخصوصين .

٩١٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا » يَشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ . « مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » وَفِي رِوَايَةٍ قَالِ - وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ - « هَا ، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا » ثَلَاثًا - وَذَكَرَهُ . وَفِي أُخْرَى ^(١) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ - يَقُولُ : « أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » .

وللبخاري ^(٢) قال : قام النبي ﷺ خطيبًا ، فأشار نحو مسكن عائشة ، فقال : « هنا الفتنة - ثلاثًا - من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وللبخاري ^(٣) بزيادة في أوله : أن النبي ﷺ قال . « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » . قالوا : وفي نجدنا ، قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ،

٩١٣ - أحمد (٣ / ٤٩٣) .

وإن ماجه (٢ / ١٣١٠ / ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبيت في النفس . وهو حديث صحيح .
 ٩١٤ - البخاري (١٣ / ٤٥ / ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .
 مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ، ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٦ - باب الفتنة من المشرق ...
 (١) البخاري (١٣ / ٤٥ / ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .
 (٢) البخاري (٦ / ٢١٠ / ٥٧ - كتاب فرض الخمس ، ٤ - باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ...
 (٣) البخاري (١٣ / ٤٥ / ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » . قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثة : « هنالك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرن الشيطان » . وقد اختلف على ابن عوف فيه ، فروي عنه مسنداً ، وروي عنه موقوفاً على ابن عمر من قوله .

وله في أخرى ^(١) قال : رأيت النبي ﷺ يشير إلى المشرق ، ويقول : « ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان » .

ولمسلم ^(٢) قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة ، فقال : « رأس الكفر من هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وفي أخرى له ^(٣) عن سالم : أنه قال : يا أهل العراق ، ما أسألکم عن الصغيرة ، وأرکتکم للكبيرة !! سمعتُ أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الفتنة تجيء من هاهنا » . وأوماً بيده نحو المشرق - « من حيث يطلع قرن الشيطان » . وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ ، فقال الله له : ﴿ وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وقتناك فتونا ﴾ طه : ٤٠ .

وفي أخرى ^(٤) له أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة - وقال بعض الرواة : عند باب عائشة - فقال بيده ، نحو المشرق : « الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » - قالها مرتين أو ثلاثاً .

٩١٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل : الفدادين

(١) البخاري (٦ / ٢٣٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس ، وجنوده .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٦ - باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان .

(٣) مسلم : للموضع السابق .

(٤) مسلم : للموضع السابق .

٩١٥ - البخاري (٦ / ٢٥٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٥ - باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال .

مسلم (١ / ٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٢١ - باب تفاضل أهل الإيمان .

أهل الوبر، والسكينة في أهل الغم» .

ولم (١) أنه قال : « الإيمان يمان ، والكفر قبل المشرق ، والسكينة في أهل الغم ، والفخر والرياء في الفدّادين أهل الخيل والوبر » .

٩١٦ - * روى البخاري عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه ، يبلغ به النبي ﷺ قال : « من هاهنا جاءت الفتن نحو المشرق ، والجفاء والقسوة وغلظت القلوب في الفدّادين ، أهل الوبر عند أصول أذنان الإبل والبقر ، في ربيعة ومصر » .

أقول : في النصوص التي مرت آنفاً ذكر المشرق بإطلاق ، وذكرت نجد والعراق : إن كان المراد بنجد نجدًا المعروفة ففي النص إشارة إلى مسيئة الكذاب وفتنة القرامطة وأمثال ذلك ، وأما العراق فقد ظهرت فيها الخارجية وفتنة الحجاج ، وعلى كل الأحوال ففي النصوص معجزة وقعت .

تعقيب : لقد كثرت الأحاديث التي تتحدث عما سيكون بعده عليه الصلاة والسلام في جيل الصحابة ، وعن مرحلة الخلافة الراشدة والأموية ، فإنك تجد مئات المعجزات أخبر رسول الله ﷺ أنها كائنة ووقعت .

ولقد مرّ معنا في هذا القسم الكثير منها أثناء الكلام عن الفرق والفتن خاصة فتنة الخوارج ، أما القسم الأكبر منها فقد مرّ معنا في قسم السيرة النبوية أثناء الكلام عن النبوءات وعن تراجم الأزواج والآل والخلفاء الراشدين وبعض الصحابة مما يعتبر كله جزءاً من هذه الفقرة ، فليراجع . ولو أن ذلك كله جُمع في رسالة مفردة لكان ما فيها كافياً للتدليل على رسالته عليه الصلاة والسلام ، فكيف وأعلام رسالته أكثر من أن يحاط بها .

* * *

= والوطأ (٢ / ١٧٠) ٥٤ - كتاب الاستئذان ، ٦ - باب ما جاء في أمر الغم .

(١) مسلم (١ / ٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٢١ - باب تفاضل أهل الإيمان .

٩١٦ - البخاري (٦ / ٥٢٦) ٦١ - كتاب المناقب ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ .

(الجفاء) : الغلظة والقسوة والصلابة .

الفقرة الخامسة

حديث جامع

٩١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يَقْتَتِلَ فِئْتَانِ عَظِيمَتَانِ ، يكون بينهما مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَاها واحدة ، وحتى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وحتى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وتكثُرَ الزلازلُ ، ويتقاربَ الزمانُ ، وتظَهَّرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْمَرْجُ » - وهو الْقَتْلُ الْقَتْلُ - « وحتى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حتى يُهِمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وحتى يَعْرِضَهُ ، فيقولَ الذي عَرَضَهُ عليه : لا أَرَبَّ لِي فِيهِ ، وحتى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وحتى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ ، فيقولُ : يا ليتني مَكَانَهُ . وحتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فإذا طَلَعَتْ ورأها النَّاسُ آمِنُوا أَجْمَعُونَ ، فذلك حينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا ، فلا يَتَبَايَعَانِهِ ، ولا يَطُوبِيانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد انصرفتِ الرَّجُلُ بَلْبِنِ لِحْتِهِ ، فلا يَطْعَمُهُ ، ولتقومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيظُ حَوْضَةً فلا يَسْقِي فِيهِ ، ولتقومَنَّ السَّاعَةُ وقد رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ ، فلا يَطْعَمُهَا » .

ومسلم (١) في رواية : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يَخْرُجَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابِينَ دَجَّالِينَ ، كُلُّهُمْ يَقُولُ : إنه نبيٌّ . ولا تقوم الساعة حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، ويؤمن النَّاسُ أَجْمَعُونَ ، فيؤمننَّ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهودَ ، فيفِرُّ اليهوديُّ وراءَ الْحَجَرِ ، فيقولُ : يا عبدَ اللَّهِ ، يا مسلمَ ، هذا يهوديٌّ ورائي .

٩١٧ - البخاري (٦ / ١١٦ / ٦١) - كتاب المناقب . ٢٥ - باب علامات النبوة .

مسلم (٤ / ٢٢١٤ / ٥٢) - كتاب الفتن ، ٤ - باب إذا تواجه المسلمان بسيوفهما .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٠ / ٥٢) - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ...

(يلبطه) : لا ط حوضه يلبطه ويلوطه لئبًا ولوطًا : إذا لطحه بالطين وأصلحه به .

(أكلته) : الأكلة بضم الهمزة : اللقمة .

ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نِعَالِمِ الشَّعْرِ .

وله ^(١) في أخرى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكثُرَ فيكم المالُ وَيَفِيضَ ، وحتى يَخْرُجَ الرجلُ بزكاةٍ ماله ، فلا يجدُ أحدًا يَقْبَلُهَا منه ، وحتى تعودَ أرضُ العربِ مَرَّوجًا وَأَنْهَارًا » .

وفي أخرى ^(٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَكثُرَ فيكم المالُ وَيَفِيضَ ، حتى يُهَمُّ ربُّ المالِ مَنْ يَقْبَلُهُ منه صدقةً ، ويدعو إليه الرجلُ ، فيقول : لا أَرَبَ لي فيه » .

أقول : في الحديث معجزات كثيرة ففيه شيء رأته الأمة وفيه شيء نراه الآن . ومما نرى بداياته الآن : قوله عليه الصلاة والسلام : « وحتى تعود بلاد العرب مروجًا وأنهارًا » .
فنحن الآن نشهد بدايات ذلك .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « حتى تعود » إشارة إلى أنها كانت كذلك ، وهذا الذي تدل عليه الدراسات الحديثة كما يدل عليه وجود البترول . ففي هذه العبارة وحدها معجزتان من معجزاته ، وعصرنا يشهد كثرة الزلازل ، وشهد الحريين العالميتين ، ولا زال يشهد كثرة القتل ، كما يشهد عصرنا تطاول الناس في البنيان بأكثر مما شهده أي عصر سابق .

* * *

(١) مسلم (٢ / ٧٠١) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١٨ - باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها .

(٢) مسلم : للموضع السابق .

الفقرة السادسة

في :

فتح القسطنطينية الأول

٩١٨ - * روى الدارمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : بينا نحن عند النبي ﷺ نكتب ، إذ سئل : أي المدينتين تُفتح أولاً : قسطنطينية أو رومية ؟ فقال : « لا بل مدينة هرقل أولاً » .

أقول : في هذا الحديث بشارتان : بشارة بفتح القسطنطينية وبشارة بفتح روما ، وقد فتحنا القسطنطينية ولم نفتح روما . وفي ذلك ما يعطينا أنه لا زال بيننا وبين الساعة أمدٌ نسبيًا . فهناك أمور أخبرنا رسول الله ﷺ عن حدوثها قبل قيام الساعة لم تقع بعد ، من جللتها : ظهور الإسلام على العالم كله تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث :

٩١٩ - * روى أحمد عن المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام يعزُّ عزيز أو ذلٌّ ذليل إما يعزُّهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلُّهم فيدينون لها » .

وفي رواية لأحد أيضًا ^(١) : عن تميم الداري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعزُّ عزيز أو يذلُّ ذليل عزًّا يعزُّ الله به الإسلام وذلًّا يذلُّ الله به الكفر » . وكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزُّ ، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذلُّ والصغار والجزية .

فهذا الحديث يشير إلى أن هذا الظهور يكون قبل نزول المسيح عليه السلام ؛ لأن

٩١٨ - الدارمي (١٢٦ / ١) المقدمة ، ٤٢ - باب من رخص في كتابة العلم . وهو حديث صحيح .

٩١٩ - أحمد (٤ / ٦) . وهو حديث صحيح .

(١) أحمد (٤ / ١٠٣) .

المسيح لا يقبل الجزية ، وفي الحديث إشارة إلى الجزية ، وسرى أن هناك نصوصًا تتحدث عن فتح آخر للقسطنطينية يكون بين يدي ظهور الدجال مباشرة ، وأن القائمين بذلك من غير العرب ، وسرى نصوصًا تتحدث عن أن العرب يوم ظهور الدجال يكونون قليلين ، وأن الخلافة الإسلامية حين ظهور المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم تكون بالقدس ، والقول المشهور عند العلماء إن المهدي عليه السلام يكون في زمن عيسى عليه السلام ، وكل ذلك يشير إلى أن بيننا وبين علامات الساعة الكبرى أمداً نسبياً . والله أعلم .

كما أن هذه النصوص فيها إشارات ضمنية من جملة إشارات كثيرة نجدها متفرقة في النصوص ، تدل على أن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين وقامت لهم دولة في عصرنا ليسوا هم اليهود الذين يقاتلهم المسلمون عند نزول المسيح عليه السلام ، إنما هم الذين يفدون مع المسيح الدجال . فعاصمة الخلافة وقت ذاك تكون القدس ، وقبل ذلك ستكون دولة إسلامية عالمية ، وكل ذلك يتنافى مع بقاء السلطان الحالي لليهود في فلسطين .

* * *

الفقرة السابعة

في :

قتال التتار والمغول والأتراك قبل إسلامهم

٩٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرُقَةُ » .

قَالَ سَفِيَّانٌ : زَادَ فِيهِ فِي رِوَايَةٍ (١) : « صِغَارَ الْأَعْيُنِ ، ذُلْفَ الْأَنْوْفِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرُقَةُ » .

وفي رواية قال : (٢) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرُقَةُ ، حُمُرُ الْوُجُوهِ ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ » .

وللبخاري (٣) عن قيس بن أبي حازم قال : أتينا أبا هريرة ، فقال : صحبتُ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنينَ ، لم أكنُ في سِنِّي أحْرَصَ على أن أعِيَ الحديثَ مِنِّي فيهنَّ ، سمِعته يقول - وقال هكذا بيده - : « بين يدي الساعةِ تقاتلون قوماً نعالهم الشعر ، وهو هذا البارزُ » . قال سفيانُ مرة : وهم أهلُ البازرِ ، ويعني بأهلِ البازرِ أهلَ فارس ، كذا هو بلغتهم .

وللبخاري أيضاً (٤) : وزاد في آخره « وتجدون خيرَ الناسِ أشدَّهم كراهيةً لهذا الأمرِ ، حتى يقعَ فيه ، والناسُ معادنٌ ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلامِ ،

٩٢٠ - البخاري (١٠٤ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٦ - باب قتال الذين ينتعلون الشعر .

مسلم (٤ / ٢٢٢٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .. إلخ .

(١) البخاري : الموضع السابق .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٤) : الموضع السابق .

(٣) البخاري (٦٠٤ / ٦) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

() والبايزر سوق الفسوق الذي لهم .

(٤) البخاري : الموضع السابق . .

إِذَا فَقَّهُوْا ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ .

وله أيضاً ^(١) : قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرماناً من الأعاجم ، حُمَرَ الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين ، وجوههم المجان المطرقة ، نعالمهم الشعر . »

ولم ^(٢) : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون التُّركَ ، قومًا وجوههم كالمجان المطرقة ، يلبسون الشعر ، ويمشون في الشعر . »

أقول : المراد من الترك هنا : ماهو أعم من الشعب التركي بدليل الأوصاف ، فكأن المراد : الترك ومن وراءهم من المغول والتتار الذين تنطبق عليهم الأوصاف التي وردت في الحديث .

٩٢١ - * روى البخاري عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشرط الساعَةِ : أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ نِعَالَ الشَّعْرِ ، وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عَرَّضَ الْوَجْهَ ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةُ . »

قال في الفتح : قوله (ينتعلون نعال الشعر) ... [الظاهر من الحديث] :

أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك . وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد

(١) البخاري : الموضع السابق .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٣) : الموضع السابق .

(المجان المطرقة) : المجان جمع مجن ، وهو الترس . والمطرقة ، بإسكان الطاء وتخفيف الراء ، من أطرق . هذا هو الفصح المشهور في الرواية وفي كتب اللغة والغريب . وحكي فتح الطاء وتشديد الراء ، من طرَّق ، والمعروف الأول .

قال العلماء : هي التي ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة . قالوا : ومعناه تشبيهه وجوه الترك في عرضها وتلَوْن وجناتها بالترسة المطرقة .

(ذل الأنوف) : جمع أذنف ، كأجر . ومعناه فطس الأنوف ، قصارها مع انبطاح . وقيل : هو غلظ في أرنبة الأنف . وقيل : تطامن فيها . وكله متقارب .

(يلبسون الشعر ويمشون في الشعر) : معناه ينتعلون الشعر . كما صرح به في الرواية الأخرى : نعالمهم الشعر .

٩٢١ - البخاري (٦ / ١٠٣ ، ١٠٤) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٥ - باب قتال الترك .

قال : بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر . قلت [أي ابن حجر] : بابك بموحدتين مفتوحتين وآخره كاف يقال له الحُرْمِي بضم المعجمة وتشديد الراء المفتوحة ، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون ، وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والري ، إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم ، وكان خروجه في سنة إحدى ومائتين أو قبلها ، وقتله في سنة اثنتين وعشرين « ا . ه ابن حجر .

أقول : لقد قاتل المسلمون زنادقة انطلقوا من بلاد فارس ، وقاتلوا قبائل انطلقوا من أرض الترك ، وقاتلوا الأتراك قبل دخولهم في الإسلام ، وقاتلوا قبائل انطلقوا من وراء بلاد الترك كالمغول والتتار ، وفي أحاديث هذه الفقرة ما يشير إلى ذلك كله ، وذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٢ - * روى أحمد عن بريدة قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول : « إن أمي يسوقها قومٌ عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الجحف ثلاث مرات حتى يُلْحِقوكم بجزيرة العرب ؛ أما السائقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما الثانية فينجو بعضٌ ويهلك بعضٌ ، وأما الثالثة فيصطَلِمون من بقي منهم » . قالوا : يارسول الله من هم ؟ قال : « الترك ، أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواربي مساجد المسلمين » . قال : وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية ، يُعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من الترك .

أقول : هذا الحديث أشبه بأن يكون محمولاً على قتال التتار والمغول ، والظاهر أن كلمة الترك تطلق في النصوص بأوسع مما هو متعارف عليه الآن في تعريف الأتراك ، ولذلك حمل

٩٢٢ - أحمد (٥ / ٣٤٨) .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٨) .

جمع الزوائد (٧ / ٣١١) وقال : رواه أحمد والبخاري باختصار ورجاله رجال الصحيح .

(الجحف) : بمعنى الترس .

(يمتطلون) : يتطلمون .

شراح السنّة بعض الروايات المذكورة في هذه الفقرة على المسأسة التي وقعت للمسلمين على يدي المغول والتتار .

قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود (المجلد الرابع) :

قال النووي : معناه ينتعلون الشعر كما صرح به في الرواية الأخرى نعالهم الشعر ، وقد وجدوا في زماننا هكذا - انتهى . قلت : رواية مسلم بلفظ يلبسون الشعر ويمشون في الشعر تدل دلالة واضحة على أنه يكون لباسهم أيضاً من الشعر ، كما أن نعالهم تكون من الشعر ، وهو الظاهر لما في بلادهم من ثلج عظيم لا يكون في غيرها على ما قال ابن دحية وغيره .

فقد قال القرطبي في التذكرة : والحديث الأول ، أي حديث أحمد على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم ، وقد وقع ذلك على نحو ما أخبر ﷺ ، فخرج منهم في هذا الوقت أم لا يحصيهم إلا الله ولا يردم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج ، فخرج منهم في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وست مائة جيش من الترك يقال له الططر [أي التتر] عظم في قتله الخطب والخطر ، وقُضي له في قتل النفوس المؤمنة الوَطْر ، فقتلوا ما وراء النهر وما دونه من جميع بلاد خراسان ومحو رسوم ملك بني ساسان ، وخرّبوا مدينة نساور [أي بشاور] وأطلقوا فيها النيران ، وحاد عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبى في المغارات والكهفان ، حتى وصلوا إليها وقتلوا وسبوا وخرّبوا البنيان وأطلقوا الماء على المدينة من نهر جيحان ، ففرق منها مباني الدار والأركان ثم وصلوا إلى بلاد نهبان ، فخرّبوا مدينة الري وقزوين ومدينة أربيل ومدينة مراغة كرسي بلاد أذربيجان وغير ذلك ، واستأصلوا ساقه من هذه البلاد من العلماء والأعيان واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ، ثم وصلوا إلى العراق الثاني وأعظم مدنه مدينة أصبهان ودور سورها أربعون ألف ذراع في غاية الارتفاع والإتقان ، وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن وأنزل عليهم مواد التأييد والإحسان فتلقوهم بصدور هي في الحقيقة صدور الشجعان ، وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان واجتمع فيها مائة ألف إنسان وأبرز الططر [أي التتار] القتل في مضاجعهم وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم ، فرقوا عن أصبهان مروق السهم من الرمي ففروا منهم فرار الشيطان في يوم بدر وله حصاص ورأوا أنهم إن وقفوا لم يكن لهم

من الهلاك خلاص ، ووصلوا السير بالسير إلى أن صعدا جبل أريد فقتلوا جميع من فيه من صلحاء المسلمين وخرّبوا ما فيه من الجنات والبساتين ، وكانت استطالتهم على ثلثي بلاد المشرق الأعلى وقتلوا من الخلائق ما لا يحصى وقتلوا في العراق الثاني عدّة يبعد أن تحصي ، وربطوا خيولهم إلى سواري المساجد والجوامع كما جاء في الحديث المنذر بخروجهم - إلى أن قال - : وقطعوا السبيل وأخافوها وجاسوا خلال الديار وطافوها ، وملأوا قلوب المسلمين رعبا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبا ، ولا شك أنهم هم المنذر بهم في الحديث وأن لهم ثلاث خراجات يصطلمون في الأخيرة منها . قال القرطبي : فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبق قتلهم وقتالهم فخرجوا عن العراق الثاني والأول كما ذكرنا ، وخرجوا من هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد ، واستباحوا جميع من فيها من المسلمين وعبروا الفلاة إلى حلب وقتلوا جميع من فيها وخرّبوا إلى أن تركوها خالية ، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الأيام وفلقوا بسيفهم الرؤس والمهام ، ودخل رعبهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللهوق بالديار الأخروية فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بظفر رضي الله عنه بجميع من معه من العساكر وقد بلغت القلوب الحناجر ، إلى أن التقى بهم بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت ، فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير وارتحلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جميعه كما كان للإسلام وعدوا الفرات منهزمين ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين ، وراحوا خائبين وخاسئين مدحورين أذلاء صاغرين .. انتهى كلام القرطبي باختصار . وقال الإمام ابن الأثير في الكامل : حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقرت الدهور عن مثلها ، عمّت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : (إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها) لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقارنها .. انتهى . وقال الذهبي : وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها .. انتهى .

قال النووي في شرح مسلم : وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا وقتالهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين انتهى مختصرا . اهـ .

تقلاً عن (عون المعبود) .

فائدة : يلاحظ أن النصوص التي تتحدث عن خوز وكرمان وعن الترك ، تتحدث عن أقوام لهم صفات واحدة وهي الصفات التي تنطبق على المغول والتتار ، وذلك أنه جرت العادة أن يطلق اسم الترك على الشعوب التي تقطن وراء جبال القفقاس ، وقد قاتل المسلمون بعض هذه الشعوب على أرضها ، وأسلمت بعض هذه الشعوب ، وبعض هذه الشعوب هربت أمام موجات التتار والمغول وهي مسلمة ، فجاءت إلى الشرق كبنى عثمان ، والظاهر أن النصوص التي تصف الأقوام الغازية بأنهم من خوز وكرمان وترك إنما تريد التتار والمغول ، بل إن ابن كثير يذهب في كتابه « النهاية » إلى أن ياجوج وماجوج هم من الترك كما سئى ، وذلك كما قلنا أخذنا من الاصطلاح الذي أشرنا إليه ، وينقل ابن كثير في مقطع من كتابه « النهاية » ثلاثة نصوص ، نصاً يتحدث عن قتال الترك ويصفهم ، ونصاً يتحدث عن خوز وكرمان ويصفهم ، ونصاً مطلقاً يذكر بعض الأوصاف ، ثم يعلق على ذلك بما يفيد أن هؤلاء جميعاً هم الترك .

وأقول : إن المراد بالترك هنا عندهم هم أهل منطقة ما وراء جبال القفقاس مع أن وراء هذه المنطقة شعوباً متعددة ، والذين تنطبق عليهم الأوصاف التي وردت في الأحاديث هم المغول والتتار وهم الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل ، بينما نجد شعوباً أخرى ممن يطلق عليهم اسم الترك دخلوا في الإسلام وحملوه . صحيح أن المسلمين قاتلوا ابتداء هذه الشعوب ، لكن لم يدم ذلك طويلاً ، وعلى ضوء ما قلناه ، فلنفهم هذه الصفحة من كلام ابن كثير في « النهاية » ومرادنا من نقلها لنثبت ما ذكرنا آنفاً .

قال ابن كثير في النهاية : عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتاتلوا خوزاً وكرماناً من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم الجمان المطرقة نعالم الشعر » أخرجه الجماعة سوى النسائي .

عن أبي هريرة فذكر نحوه . قال سفيان بن عيينة : وهم أهل البارز - كذا يقول سفيان - ولعل البارز هو سوق الفسوق الذي لهم . وقال أحمد : حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن حدثنا عمرو بن ثعلب سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة » . ورواه البخاري من حديث جرير بن حازم ، والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنوم وسبوا نساءهم وأبناءهم ، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة ، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريبا ، فقد يكون هذا أيضا واقعا مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي ذكر أمرهم ، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريبا منها ، فإنها تكون مما يقع في الجملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي ﷺ ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب (. ١ . هـ) (النهاية في الفتن والملاحم) .

* * *

الفقرة الثامنة

في :

تمزقات الأمة الإسلامية وصراعاتها

٩٢٣ - * روى الترمذي عن خَبَاب بن الأَرْتِ رضي الله عنه قال : صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ فأطالها ، فقالوا : يا رسول الله ، صليتَ صلاةً لم تكن تُصليها ؟ قال : « أجلٌ : إنها صلاةٌ رَغْبِيَّةٌ وَرَهْبِيَّةٌ ، إني سألتُ الله فيها ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدةً ، سألتُهُ أنه لا يَهْلِكُ أمتي بِسَنَةِ ، فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يُسَلِّطَ عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يذيقَ بعضهم بأسَ بعضٍ ، فَمَنَعَنِيهَا » .

وفي رواية النسائي^(١) : أن خباباً رَقِبَ رسول الله ﷺ في ليلةٍ صلاها ، فلما قَرَعَ من صلاته جاءه خبابٌ ، فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، لقد صليتَ الليلةَ صلاةً ما رأيتُكَ صليتَ نحوها ؟ قال رسول الله ﷺ : « أجلٌ ؛ إنها صلاةٌ رَغْبٍ وَرَهْبٍ ، سألتُ ربي عز وجل ثلاثَ خِصَالٍ ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً ، سألتُ ربي : أن لا يَهْلِكَنَا بما أَهْلَكَ به الأُمَمَ ، فأعطانيها ، وسألتُ ربي : أن لا يظهرَ علينا عدوًّا من غيرنا ، فأعطانيها ، وسألتُ ربي أن لا يَلْبَسَنَا شَيْعًا ، فَمَنَعَنِيهَا » .

أقول : لقد بدأ الصراع بين المسلمين منذ الفتنة الكبرى التي وقعت زمن عثمان رضي الله عنه وأدّت إلى قتله ، ومن يومها حتّى يومنا لم تهدأ الصراعات بين المسلمين ، وفي عصرنا نجد

٩٢٣ - الترمذي (٤ / ٤٧١) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ١٤ - باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته .

وقال : حديث حسن صحيح ، قال عمقو الجامع : وهو كما قال .

(١) النسائي (٣ / ٢٦٦) - ٢٠ - كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، ١٦ - باب إحياء الليل .

(رغبة) : الرَغْبُ : الرغبة ، وهو حبُّ الشيء وإيثاره .

(والرهب) : الرهبة ، وهو الخوف .

(يلبسنا) : أي يَختلطُ أمرنا خلطاً اضطراباً واختلافاً أهواً .

(شيعاً) : الشيعة : الفرق جمع شيعة .

ذلك على أشده ، فما ذكرته نصوص هذه الفقرة من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٤ - * روى الطبراني عن نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود ، فجلس يوماً فأطال السجود حتى أوماً بعضنا إلى بعض أن اسكتوا فإن رسول الله ﷺ يوحى إليه . فلما قرع قال بعض القوم : يا رسول الله أطلت الجلوس حتى أوماً بعضنا إلى بعض أنه ينزل عليك . قال : « لا ، ولكنها صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألته أن لا يعذبكم بعذابٍ عذبٍ به من كان قبلكم ، وسألته أن لا يسلط على عامتكم عدواً يستبيحها فأعطانيها ، وسألته أن لا يلبسكم شيئاً ويذيق بعضكم بأس بعضٍ فمنعنيها » . قلت له : أبوك سمعها من رسول الله ﷺ . قال : نعم ، سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعي هذه العشر الأصابع .

٩٢٥ - * روى مسلم عن عامر بن سعد أبي وقاص رحمه الله عن أبيه ، أنه أقبل مع النبي ﷺ ذات يوم من العالية ، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين ، وصلىنا معه ، ودعا ربّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا ، فقال : « سألتُ ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة ، سألتُ ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمَنَعَنِيهَا » .

أقول : الفرق الجزئي لأجزاء في الأرض الإسلامية لا يدخل في الحديث ، وكذلك المجاعة الجزئية فالمنفي هو استئصال الأمة الإسلامية كلها بفرق أو مجاعة أو غير ذلك ، وكذلك التسليط على الأمة الإسلامية من غيرها لا يكون شاملاً ، أمّا التسليط الجزئي فغير منفي في النصوص ، ولو أنك تأملت أشد مراحل الضعف التي مرت بها الأمة الإسلامية

٩٢٤ - للمجم (٤ / ١٩٣) .

وكشف الأستار (٤ / ٩١) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢ ، ٢٢٣) . وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد ورواه البزار .

٩٢٥ - مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيها يكون إلى قيام الساعة .

فإنك لا تجد مرحلة تسلط بها الكافرون على كل شبر من الأرض الإسلامية ، ففي موجة التتار بقيت أقطار إسلامية كصر وماوراءها والجزيرة العربية بعيدة عن سيطرتهم ، وفي الحروب الصليبية لم تستعمر إلا أقطار محدودة ، وفي مرحلة الاستعمار الحديث بقيت أقطار إسلامية لم يستعمرها الكافرون كالين والحجاز ونجد . ففي النصوص بشارة وهي من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٦ - * روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زَوَى لي الأرضَ ، فرأيتُ مشارِقَها ومغارِبَها ، وإن أمتي سيبُلغُ مُلكَها مازويَ لي منها ، وأُعطيَتُ الكنزَينَ الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألتُ ربي لأمتي ؛ أن لا يُهلِكَها بِسَنَةِ عامَّةٍ ، وأن لا يسلُطَ عليهم عدوٌّ من سوى أنفسهم ، فيستبيحَ بيضَتَهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يردُّ ، وإني أعطيتك لأمتك : أن لا أهلِكَهم بِسَنَةِ عامَّةٍ ، ولا أسلُطَ عليهم عدوٌّ [من] سوى أنفسهم يستبيحُ بيضَتَهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها - أو قال : مَنْ بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يَهلكُ بعضًا ، ويسبي بعضهم بعضًا » .

وفي رواية (١) : « أن النبي ﷺ قال : « إن الله زَوَى لي الأرضَ حتى رأيتُ مشارِقَها ومغارِبَها ، وأعطاني الكنزَينَ : الأحمرَ والأبيضَ » ثم ذكر نحوه .

٩٢٦ - مسلم (٤ / ٢٢١٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٥ - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

قال ابن الأثير :

(بِسَنَةِ عامَّةٍ) السَّنَةُ : الجُذْبُ والشَّدَّةُ . والعامَّةُ : التي تَمُمُّ الكُلَّ .

(زَوَى لي) : زَوَيْت الشيءَ لفلانٍ ، أي : جمعت له وضمته إليه ، وقوله : « وإن ملك أمتي سيبُلغُ مازويَ لي منها » من معجزاته ﷺ ، لأن ملك أمته بلغ من المشرق والمغرب كثيرًا واسعًا .

وأما جهة الجنوب ووجه الشمال : فلم يبلغ ملك الأمة الإسلامية فيها كثيرًا مبلِّغَه في جهتي الشرق والغرب ، فكان هذا منه ﷺ إخبارًا عما يقع في المستقبل .

(بَيْضَتُهُ النَّاسِ) : مجتمهم ومعظمهم ، وبيضَةُ البلد ، وسطه ومعظمه ، و« استباحهم » : جعلهم متباحًا ، يأخذهم

أسرًا وقتلاً ، ويتصرف فيهم كيف شاء . اهـ . ابن الأثير (جامع الأصول) :

(١) مسلم : للوضع السابق .

وزاد أبو داود : (١) « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وُضِعَ السيفُ في أمتي لم يُرْفَعُ عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعةُ حتى تَلْتَحِقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين ، وحتى تَعْبُدَ قبائلُ من أمتي الأوثانَ ، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون ، كلُّهم يزعمُ أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يَضُرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله » .

وقد روى مسلم (٢) بعض هذه الزيادة عن ثوبانَ ، وهي قوله : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين .. » إلى آخرها .

وروى الترمذي (٣) الزيادة كلها مفردة .

أقول : إنّ أعظم منابع الثروة في العالم موجود في العالم الإسلامي ، وفي الحديث إشارة إلى ذلك ، وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث بشارة باستمرار وجود من يحمل الإسلام كما وقع وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث بشارة بالتوسع المطرد للإسلام وهو حاصل ، ونحن الآن نشهد بداية مدِّ إسلامي جديد نرجو أن يكون مآله سيطرة الإسلام على العالم تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ ، وتحقيقاً لبشاراته عليه الصلاة والسلام بذلك .

٩٢٧ - * روى أحمد عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإني أعطيت الكنزين : الأبيض والأحمر ،

(١) أبو داود (٩٧ / ٤) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(٢) مسلم (١٥٢٣ / ٣) كتاب الإمامة ، ٥٣ - باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... » .

(٣) الترمذي (٥٠٤ / ٤) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥١ - باب ما جاء في الأئمة المضلين . وقال : حديث صحيح .

٩٢٧ - أحمد (٢٨٤ / ٥) .

وكشف الأستار (١٠٠ / ٤) .

جمع الزوائد (٢٢١ / ٧) . وقال : رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح .

(زوى) : جمع .

وإني سألتُ ربي عز وجل : أن لا يهلكَ أمتي بسنةِ بعامةٍ ، وأن لا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا فيهلكَهم بعامةٍ ، وأن لا يلبسَهم شيئا وأن لا يذيقَ بعضهم بأسَ بعضٍ . فقال : يا محمدُ إني إذا قضيتُ قضاءً لا يردُّ ، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكَهم بسنةٍ بعامةٍ ، وأن لا أسلِّطَ عليهم عدوًّا بعامةٍ فيهلكَهم بعامةٍ ، حتى يكونَ بعضهم يهلكُ بعضًا وبعضُهم يقتلُ بعضًا وبعضُهم يسبي بعضًا . قال : وقال رسولُ الله ﷺ : « إني لا أخافُ على أمتي إلا الأئمةَ المُصلين . وإذا وُضعَ السيفُ في أمتي لا يُرفَعُ عنهم إلى يومِ القيامةِ » .

٩٢٨ - * روى الطبراني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سألتُ ربي لأمتي أربعَ خِلالٍ فنعني واحدةً وأعطاني ثلاثًا : سألتُهُ أن لا تكفُرَ أمتي صفةً واحدةً فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يُعدِّبَ بما عدِّبَ به الأُمَمَ قبلَهم فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يجعلَ بأسَهم بينهم فنعنيها » .

٩٢٩ - * روى الطبراني عن أبي بُرْدة قال : خرجتُ من عند عبْدِ اللهِ بن زياد فرأيتُهُ يعاقِبُ عقوبةً شديدةً ، فجلستُ إلى رجلٍ من أصحابِ النبي ﷺ فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « عقوبةُ هذه الأمةِ بالسيفِ » .

٩٣٠ - * روى أبو داود عن عوفِ بن مالكٍ رضي اللهُ عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لَنْ يَجْمَعَ اللهُ على هذه الأمةِ سيفين : سيفًا منها ، وسيفًا من عدوِّها » .

أقول : في الحديثِ إشارةٌ وبشارةٌ ، فعندما يكونُ المسلمون قائلين بالجهادِ يقاتلون عدوًّا أو يقاتلهم عدوٌّ فيتحدون وتتوجَّه قلوبهم لجهادِ غيرهم ، فإذا ركد سوقُ الجهادِ لأعداءِ الله

= (بسنة) : السنة : التقط والجاعة .

(بعامة) : العامة : التي تم الكُل .

٩٢٨ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . ورواه البزار إلا أنه قال : سألتُ ربي ثلاثًا . وكشف الأستار (٤ / ٩٩) .

٩٢٩ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٥) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٩٣٠ - أبو داود (٤ / ١١٢) كتاب الملاحم ، باب ارتفاع الفتنة في الملاحم . وإسناده حسن .

قاتلوا بعضهم .

ومن فقه أبي بكر رضي الله عنه أنه بعد أن أنهى الردة حرّك المسلمين باتجاه فارس والروم ، وكذلك فعل عمر ، فلما خفّت المشاركة بالجهاد زمن عثمان على كثرة الفتوح وقعت الفتنة .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

التجديد والمجددين

٩٣١ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

قال ابن الأثير : (من يجدد لها دينها) قد تكلم العلماء في تأويل هذا الحديث ، كل واحد في زمانه ، وأشاروا إلى القائم الذي يجدد للناس دينهم على رأس كل مائة سنة ، وكان كل قائل قد مال إلى مذهبه ، وحل تأويل الحديث عليه ، والأولى أن يحمل الحديث على العموم ، فإن قوله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً ، وإنما قد يكون واحداً ، وقد يكون أكثر منه ؛ فإن لفظة « من » تقع على الواحد والجمع ، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث : الفقهاء خاصة ، كما ذهب إليه بعض العلماء ، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء ، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين ، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل أولي الأمر ، وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ ، وأصحاب الطبقات من الزهاد ، فإن كل قوم ينفعون بغير لا ينفع به الآخر ، إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة ، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكن من إقامة قوانين الشرع ، وهذا وظيفة أولي الأمر ، وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع ، والقراء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات ، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا ، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر ، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة : رجلاً مشهوراً معروفاً ، مشاراً إليه في كل فن من هذه الفنون ، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى ، وأبعد من التهمة ، وأشبه بالحكمة ، فإن اختلاف الأئمة رحمة ، وتقرير أقوال المجتهدين متعين ، فإذا ذهبنا إلى تخصيص

٩٣١ - أبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة . وإسناده صحيح .

ولستدرك (٤ / ٥٢٢) . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

القول على أحد المذاهب ، وأولنا الحديث عليه ، بقيت المذاهب الأخرى خارجةً عن احتمال الحديث لها ، وكان ذلك طعنًا فيها .

فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارةً إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنةٍ ، يحدّدون للناس دينهم ، ويحفظون مذاهبهم التي قلّدوا فيها مجتهدهم وأئمتهم . اهـ . (جامع الأصول) .

أقول : رأس القرن أوله ، والظاهر المتبادر من الحديث أن القائم بالتجديد في كل قرن واحد ، وهو الذي يغلب على كلام العلماء ، ولكن كلام ابن الأثير وجيه ، والموضوع يحتاج إلى تحقيق من خلال الواقع ، وهذا بحث يستأهل أن يتفرغ له ، فتحديد الذين أثروا في تاريخ الإسلام مجددين للهدى وعلى الهدى يضع بيد الأمة ثروة هائلة من القدوة والسوابق ، وإذا كان التجديد لا يحتمل المقام هاهنا لكثرة الاختلاف في أهل التجديد ، فإننا نكتفي بالقول : إن تجديد الإسلام قائم وحاصل يدل على ذلك : وصول هذا الدين إلينا تقيًا صافيًا ، وانتشاره في الأرض طولاً وعرضاً على كثرة الكوارث والأعداء ، ونحب أن نلفت نظر الراغبين في التجديد في هذا القرن إلى بعض الملاحظات :

إن على القائمين بالدعوة إلى الله أن يلاحظوا ما يحتاجه كل قرن من تجديد ، فتجديد كل قرن على حسبه ، ولكل قرن جديد الذي يحتاج إلى عمل مكافئ ومناسب ، فهناك تجديد علوم الإسلام وهناك التجديد في أساليب العمل لإحياء أسهم الإسلام ومقاماته ومفاهيمه وقيمه ، وهناك التجديد الذي تحتاجه المستجدات ، فإقامة الجهاد في عصرنا تحتاج من الوسائل والأساليب ما فرضته مستجدات العصر ، وإقامة فروض العين وفروض الكفاية تحتاج من الجهد والأساليب والإحاطة والتعبئة ما تقتضيه مستجدات كل عصر ، وكثيرون من الناس يسيرون على معالم تجديد المجددين في قرون سابقة دون أن يلاحظوا المتغيرات والمستجدات والزمان والمكان والبيئة والمعطيات والمتغيرات ونفسيات الناس .

وبعد هذه الملاحظات لا بد من الإشارة إلى أن في الحديث معجزة ظاهرة ، فلم يزل على رأس كل قرن يظهر من نوابع الإسلام ومن الحركات الإسلامية والتحركات الجادة لنصرة الإسلام بتأييد الحق والرد على أهل الباطل وإضعافهم ما هو ظاهر واضح ، ولكثرة ظهور

هذا الأمر في كثيرين ، تجدد العلماء يختلفون من هو المجدد الأول أو الأقوى أو الأوحى في كل قرن وما كان الاختلاف إلا بسبب الوجود ، ومذهب ابن الأثير يقلل من الخلاف حتى يجعله في حده الأدنى .

* * *

الفقرة العاشرة

في :

نار الحجاز

٩٣٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

قال الحافظ ابن حجر : « قوله (حتى تخرج نار من أرض الحجاز) قال القرطبي في « التذكرة » : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ، وترى رجالاً يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، فانتهدت النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ، وقال لي بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خسة أيام ، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى . وقال النووي : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام . وقال أبو شامة في « ذيل الروضتين » : وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كتبت من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين ، فذكر هذا الحديث ، قال : فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوءها الكتب ، فمن الكتب .. فذكر نحو ماتقدم ، ومن ذلك أن في بعض الكتب : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة في شرقي المدينة نار

٩٣٢ - البخاري (١٣ / ٧٨) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٤ - باب خروج النار .

مسلم (٤ / ٢٢٢٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٤ - باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز .

عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد . وفي كتاب آخر : انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد المدينة وهي برأي العين من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربع أميال يجري على وجه الأرض ويخرج منه مهاد وجبال صفار . وفي كتاب آخر : ظهر ضوؤها إلى أن رأوها من مكة ، قال ولا أقدر أصف عظمها ، ولها دوي . قال أبو شامة : ونظم الناس في هذا أشعاراً ، ودام أمرها أشهراً ، ثم خمدت . والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره ، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى . وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية نحو هذه النار التي ظهرت بنواحي المدينة في زمن خالد بن سنان العبسي ، فقام في أمرها حتى أخذها ومات بعد ذلك في قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى في « كتاب الجماجم » وأوردتها الحاكم في « المستدرک » من طريق يعلى بن مهدي عن أبي عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بني عنس يقال له خالد بن سنان قال لقومه إني أظفي عنكم نار الحدثان فذكر القصة وفيها فانطلق وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فذكر القصة في دخوله الشق والنار كأنها جبل سقر فزيرها بعصاه حتى أدخلها وخرج . وقد أوردت لهذه القصة طرقاً من ترجمته في كتابي في الصحابة . قوله (تضيء أعناق الإبل ببصرى) قال ابن التين : يعني من آخرها يبلغ ضوؤها إلى الإبل التي تكون ببصرى وهي من أرض الشام .

وبصرى بضم الموحدة وسكون المهملة مقصور بلد بالشام وهي حوران . وقال أبو البقاء : أعناق بالنصب على أن تضيء متعد ، والفاعل النار أي تجعل على أعناق الإبل ضوءاً ، قال : ولو روي بالرفع لكان متجهاً أي تضيء أعناق الإبل به كما جاء في حديث آخر « أضاءت له قصور الشام » وقد وردت في هذا الحديث زيادة من وجه آخر أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق عمر بن سعيد التنوخي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب يرفعه : « لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الإبل ببصرى » وعمر ذكره ابن حبان في الثقات وليسه

ابن عدي والدارقطني ، وهذا ينطبق على النار المذكورة التي ظهرت في المائة السابعة . وأخرج أيضاً الطبراني في آخر حديث حذيفة بن أسيد الذي مضى التنبيه عليه : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان أو ركوبة تضيء منها أعناق الإبل ببصرى » قلت : وركوبة ثنية صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام مر بها النبي ﷺ في غزوة تبوك ذكره البكري ، ورومان لم يذكره البكري ولعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة ، فجمع في هذا الحديث بين النارين وأن إحداها تقع قبل قيام الساعة مع جملة الأمور التي أخبر بها الصادق ﷺ ؛ والأخرى هي التي يعقبها قيام الساعة بغير تخلل شيء آخر ، وتقدم الثانية على الأولى في الذكر لا يضر والله أعلم « اهـ . (فتح الباري : ١٣ / ٧٩) .

أقول : المراد بالنار الثانية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ هي النار التي تخرج من حضرموت ، وسيأتي الكلام عنها في فقرة لاحقة .

* * *

الفقرة الحادية عشر

في :

استقلالية أقطار الأمة الإسلامية عن بعضها وانفراط عقد الوحدة الإسلامية

٩٣٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيْزَهَا ، وَمَنْعَتِ الشَّامُ مَدْيَهَا وَدِينَارَهَا ، وَمَنْعَتِ مِصْرُ إِرْدَنْبَهَا وَدِينَارَهَا ، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ . » . شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمَهُ .

وفي رواية أبي داود (١) قال : « مَنْعَتِ الْعِرَاقُ قَفِيْزَهَا وَدِرْهَمَهَا ، وَمَنْعَتِ الشَّامُ مَدْيَهَا وَدِينَارَهَا ، وَمَنْعَتِ مِصْرُ إِرْدَنْبَهَا وَدِينَارَهَا ، ثُمَّ عَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ » ثم قالها زهير ثلاث مرات ، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

قال ابن الأثير : « (منعت) وأما قوله : « مَنْعَتُ » فله معنيان ، أحدهما : أن النبي ﷺ أخبر أنهم سيسلمون وسيستقط ماوظف عليهم بإسلامهم ، فصاروا بإسلامهم مانعين ما كان عليهم من الوظائف ، واستدل على هذا بقوله : « وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ » لأن بدءهم في علم الله وفي قضائه وقدره : أنهم سيسلمون ، فعادوا من حيث بدؤوا ، والوجه الثاني : أنهم يرجعون عن الطاعة ، وبعضه الحديث الذي أورده البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة قال : كيف أتم إذا لم تجبوا ديناراً ولا درهماً ؟ فقيل : كيف ترى ذلك كائناً ؟ قال : إي والذي نفسي بيده عن قول الصادق المصدوق قيل : عمّ ذاك ؟ قال : تهتك حرمة الله ، وذمة رسوله فَيَشُدُّ اللهُ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ » . اهـ

أقول : في الحديث إشارة إلى ماجد في زماننا حيث عادت الدعوة الإسلامية إلى بداياتها بعد الردة الهائلة وبعد أن لم تعد للمسلمين خلافة مركزية يخضعون لها وتقودهم وتسوسهم .

٩٣٣ - مسلم (٤ / ٢٢٢٠) ٥٢ - كتاب الفتن وإشراط الساعة ٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يحسر ... إلخ .

(١) أبو داود (٣ / ١٦٦) كتاب الإمارة ، باب في إيقاف أرض السواد وأرض العنوة .

٩٣٤ - * روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : يُوشِكُ أهلُ العراق أن لا يُجِبِي إليهم قَفِيزٌ ولا دِرْهُمٌ ، قال أبو نُضْرَةَ : قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قِبَلِ العَجَمِ يَمْنَعُونَ ذاك ، ثم قال : يوشِكُ أهلُ الشام أن لا يُجِبِي إليهم دينارٌ ولا مُدْيٌ ، قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قِبَلِ الرُّومِ ، ثم سكت هُنَيْيَةَ ، ثم قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يكون في آخر أمتي خليفة يَحْتِي المالَ حَتِيًّا ، لا يَعدُّهُ عَدًّا » قال : قلت لأبي نُضْرَةَ ، وأبي العلاء : أترَيان أنه عُمَرُ بن عبدِ العزِيزِ ؟ قالَا : لا .

أقول : لقد كان العراق حاضرة الأُمَّة الإسلاميَّة وعاصمتها أكثر من مرة واستعصت عليه جهات كثيرة من العجم ، ولقد كان الشام حاضرة للأُمَّة الإسلاميَّة وعاصمتها واستعصى عليه الروم الجيران الشماليون له وقتذاك أكثر من مرة ومنعوه الجزية ، وفي الحديث إشارة إلى الخلافة الراشدة في آخر الزمان والتي تكون بعد الملُك الجبَري كما نصّت على ذلك نصوص منها :

٩٣٥ - * روى أحد عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تكونُ النُّبوةُ فيكم ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يَرَفَعُها الله إذا شاء أن يَرَفَعُها ، ثم تكونُ خلافةً على منهاجِ النبوةِ ، فتكونُ ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكونُ مُلكاً عَاصِياً فيكون ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يَرَفَعُها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكونُ مُلكاً جَبْرِيًّا فتكونُ ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يرفعها إذا شاء

٩٣٤ - مسلم (٤ / ٢٢٣٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأُشْرَاطُ السَّاعَةِ ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ..

(المُنْفِيُّ) : مكيال لأهل الشام يسع خمسة وأربعين رطلاً ، و « القفيز » لأهل العراق ثمانية مكاكيك ، و « الإردبُ »

لأهل مصر أربعة وستون منًا وأربعة وعشرون صاعًا على أن الصاع خمسة أرتالٍ وثلاث .

(الصاع) = ٢٧٥١ غم على رأي الشافعية .

(ويساوي أيضًا) = ٢٨٠٠ غم على رأي الأحناف .

(القفيز) = ١٢ صاع .

(المُنْفِيُّ) = ٥ ر ٢٢ صاع .

(الإردبُ) = ٢٤ صاع و ٦٤ منًا .

(المن) : = رطلان . والرطل البغدادي ٤٠٨ غم .

٩٣٥ - أحمد (٤ / ٢٧٢) .

وكشف الأستار (٢ / ٢٣١) .

جمع الزوائد (٥ / ١٨٨) وقال : رواه أحمد في ترجمة النعمان والبخاري منه والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات .

أن يرفعها ، ثم تكونُ خِلافةً على مِنْهاجِ النّبوةِ « ثم سَكَتَ .

أقول : إنّ أحاديث هذه الفقرة قد وقعت وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وعصرنا يشهد استقلالية الأقطار الإسلامية عن بعضها وذلك خلاف الأصل ، فلا بد أن تكون للمسلمين وحدتهم وخليفتهم ، وعلى علماء المسلمين أن يعملوا لذلك بالقدر المتاح والممكن ، وأن يقترحوا الصيغ الأكثر تطويراً لتحسين العلاقات وتمتين أواصر الأخوة والوحدة وذلك من واجبات العصر .

* * *

الفقرة الثانية عشرة

في :

غربة الإسلام

٩٣٦ - * روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدِينَ كما تَأْرِزُ الْحَيَةَ فِي جَحْرِهَا » .

٩٣٧ - * روى الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » . قالوا يارسول الله ومن الغرباء ؟ قال : « الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فِسَادِ النَّاسِ » .

٩٣٨ - * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى ليومئذ للغرباء إذ فسدت الناس والذي نفس أبي القاسم بيده ليأْرِزَنَّ الْإِيمَانَ إِلَى بَيْنِ هَذَيْنِ الْمَسْجِدِينَ كما تَأْرِزُ الْحَيَةَ إِلَى جَحْرِهَا » .

٩٣٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (رفعه) : « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » .

٩٣٦ - مسلم (١ / ١٣١) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، وإنه يأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدِينَ .

٩٣٧ - المعجم الكبير (٦ / ١٦٤) .

والروض الداني (١ / ١٨٣) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٨) وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة .

٩٣٨ - أحمد (١ / ١٨٤) .

(ليأْرِزَنَّ) : أي ينضم ويجمع بعضه إلى بعض .

وكشف الأستار (٤ / ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٧) وقال : رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح .

٩٣٩ - مسلم (١ / ١٣١) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، وإنه يأْرِزُ بَيْنَ

للمسجدين .

أقول : هذه الأحاديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، ولقد شهدنا غربة الإسلام في عصرنا وماسبقه ، وكانت مظاهر غربة الإسلام كثيرة ، فقد طغت على أرض الإسلام الأفكار العلمانيّة والإلحاد وكثرت الأحزاب الكافرة والفلسفات والأفكار الفاسدة وظهرت أنواع من المؤسسات تنشر الكفر والتشكيك ، ومرّت فترات كنت لا تجد في الجامعات والمدارس من يصلّي وإذا صلى صلى مستخفياً حتى لا يُهزأ به أو يشكك في عقله ، ونحن نشهد الآن في بداية القرن الخامس عشر الهجري شيئاً من التحسّن في بعض الأقطار واستشراء للرّدة في أقطار أخرى ، والمرجو من فضل الله وكرمه أن تنتهي موجة غربة الإسلام .

* * *

الفقرة الثالثة عشرة

في :

مدّعي النبوة والدجالين

٩٤٠ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تقوم الساعة حتى يُبعثَ كذّابون دجالون ، قريبًا من ثلاثين ، كلُّهم يزعمُ
أنه رسولُ الله » .

وفي رواية أبي داود (١) : « حتى يخرج ثلاثون دجالون كلُّهم يزعمُ أنه رسولُ الله » .
وفي أخرى (٢) « حتى يخرج ثلاثون كذّاباً دجالاً ، كلُّهم يكذبُ على الله وعلى
رسوله » .

وفي رواية عبيدة السلماني بهذا الخبر (٣) .. ، فقلت له : أترى هذا منهم؟ يعني :
الختار - فقال عبيدة : أما إنه من الرؤوس .

قال محقق الجامع : ليس المراد بالبعث الإرسال المقارن للنبوة ، بل هو كقوله تعالى :
﴿ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ (٤) وليس المراد أيضاً من ادعى النبوة مطلقاً ، فإنهم
لا يحصون كثرة ، لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء ، وإنما المراد من قامت
له شوكة وبدت لهم شبهة . اهـ .

٩٤١ - * روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ
يقولُ : « إن بين يدي الساعةِ كذّابين » . وفي رواية : « فاحذروهم » (٥) .

٩٤٠ - الترمذي (٤ / ٤٩٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٣ - باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذّابون .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) أبو داود : (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خير ابن صائد .

(٢) أبو داود : للموضع السابق .

(٣) أبو داود : للموضع السابق .

(٤) مريم : ٨٢ .

٩٤١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشرط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ...

وأحمد (٥ / ٨٦) .

(٥) مسلم : للموضع السابق .

٩٤٢ - * روى أحمد عن حذيفة أن نبي الله ﷺ قال : « في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وإني خاتم النبیین لا نبيّ بعدي » .

٩٤٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ » .
وفي رواية : ^(١) « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » .

٩٤٤ - * روى أحمد عن أبي بكره قال : أكثر الناس في شأن مسيئمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : « أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه وإنه كذاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدي الساعة وإنه ليس من بلد إلا يبئلقها رعب المسيح » .

أقول : إن هذه الأحاديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام فقد ابتدأت سلسلة مدعي النبوة بمسيئمة وسجاح والأسود العنسي وآخر من ظهرت له فتنة منتشرة منهم غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة وأعلن نسخ الشريعة المحمدية .

٩٤٥ - * روى أبو يعلى عن أبي الجلاس قال : سمعت علياً يقول لعبد الله السبئي : ويلك والله ما أفضى إليّ بشيء كتمه أحداً من الناس ولكن سمعته يقول : « إن بين يدي

٩٤٢ - أحمد (٢٩٦ / ٥) .

والمعجم الكبير (١٦٩ / ٣) .

وكشف الأستار (١٣٢ / ٤) .

مجمع الزوائد (٣٣٢ / ٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبخاري . ورجال البزار رجال الصحيح .

٩٤٣ - مسلم (١٢ / ١) المقدمة ، ٤ - باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .

(١) مسلم : للموضع السابق .

٩٤٤ - أحمد (٤١ / ٥) .

مجمع الزوائد (٣٣٢ / ٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح .

(المسيح) : المراد بالمسيح هنا : المسيح الدجال .

٩٤٥ - مجمع الزوائد (٣٣٢ / ٧) . وقال : رواه أبو يعلى ورجالته ثقات .

الساعة ثلاثين كذاباً . وإنك لأحدهم .

أقول : عبد الله السبّعي هو المشهور بابن السوداء ، وهو يهودي أظهر الإسلام وقاد الفتنة الكبرى فكرياً وتخطيطاً ودعويّاً ضدّ عثمان ، ولم يزل يلقي بالأفكار المكفرة تحت شعار محبة علي رضي الله عنه ، وتعتبر أفكار غلاة الشيعة والباطنيين منهم خاصة امتداداً لأفكاره ، والرواية التي مرّت معنا تحدّثنا عن موقف علي رضي الله عنه منه ، وتشير الرواية إلى أنّ فهم علي رضي الله عنه لقضية الكذّابين والدجّالين أنّه لا يشترط حتّى يطلق على واحد منهم هذا اللقب أن يدّعي النبوة ، وما أكثر الدجّالين والكذّابين في عصورنا المتأخرة الذين يدّعون أنّهم مسلمون ويدعون إلى الكفر البواح .

* * *

الفقرة الرابعة عشرة

في :

أعلام وأشراط متفرقة تكون بين يدي الساعة وقد وقعت

٩٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ قال : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتُحَ اليَوْمَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مثلُ هذهِ » وحلّقَ بإصْبَعِهِ الإِبْهَامَ والتي تليها ، فقلتُ : يا رسولَ الله : أتَهْلِكُ وفيْنَا الصّالِحونَ ؟ قال : « نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ » .

أقول : قد وقع هذا بموجي التتار والمغول وما أحدثاه من آثار مدمرة في الأرض الإسلامية عامة والأرض العربية خاصة ، وكارثة بغداد معروفة .

٩٤٧ - * روى الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « في هذه الأمة خَسْفٌ ومَسْحٌ وقَذْفٌ » . فقال له رجلٌ من المسلمين : يا رسولَ الله ، ومتى ذلك ؟ قال : « إذا ظهرتِ القِيَانُ والمَعَارِفُ وشُربِتِ الخُمُورُ » .

٩٤٨ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يكونُ في آخر هذه الأمة خَسْفٌ ومَسْحٌ وقَذْفٌ » قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، أتَهْلِكُ وفيْنَا الصّالِحونَ ؟ قال : « نعم ، إذا ظَهَرَ الخَبَثُ » .

أقول : قد وقع بعض هذا في الأمة ، وأشهر أحداث الخسف في عصرنا خسف أغادير في المغرب إذ خسف بها كاملة خلال أربع ثوان ، وماحدث في منطقة الأصنام في الجزائر وماحدث في منطقة دمار في اليمن وأشهر أحداث القذف في عصرنا ماحدث في بعض القرى

٩٤٦ - البخاري (١٣ / ١١) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٤ - باب قول النبي ﷺ : ويل للعرب من شرّ قد اقترب

مسلم (٤ / ٢٢٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

٩٤٧ - الترمذي (٤ / ٤٩٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢٨ - باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده .

٩٤٨ - الترمذي (٤ / ٤٧٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الخسف .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

التركيبية إذ جاءها عذاب من فوقها ومن تحتها .

أما المسخ الباطني فما أكثره فلقد شهدنا قلوب الشياطين في جثمان إنس ، وقلوب الذئاب في لبوس الضأن ، وكلها معان تحدثت عنها النصوص .

٩٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال - عند قرب وفاته - : ألا أحدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ ، لا يحدثكم به أحدٌ عنه بعدي ؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعةُ » - أو قال : « إن من أشرارِ الساعةِ - : أن يرفعَ العلم ، ويظهرَ الجهلُ ، ويشربَ الخمر ، ويفشو الزنا ، ويذهب الرجالُ ، ويبقى النساءُ حتى يكون لخمسين امرأةً قيمٌ واحدٌ » .

وفي رواية^(١) : « يظهرُ الزنا ، ويقلُّ الرجالُ ، ويكثرُ النساءُ » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام (أن يرفع العلم) : يفسره الحديث الذي يذكر أن رفع العلم يكون بموت العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، وقد ظهر مثل هذا في عصرنا والمراد بالعلم : العلم الشرعي ، ولكن المرجو أن نكون على أبواب نهضة علمية يتلافى فيها مثل هذا ، وقد يتكرر ظهور مثل هذا الشأن .

وقوله عليه الصلاة والسلام (حتى يكون لخمسين امرأةً قيمٌ واحد) : ذكرنا أن مثل هذا وقع في بعض الأقطار أثناء الحرب العالمية الأولى ويحتمل أن ذلك كائن فيما بعد .

وقد قلت بمناسبة هذا الحديث بمناسبة مايلي : لقد أصبح الخمر في أكثر بلدان الإسلام مرخصاً به من أكثر الحكومات وأصبحت قوانين أكثر البلدان الإسلامية تعتبر الزنا جريمة من النوع الثالث أو الرابع ، وأصبح الزنا بالتراضي كثيراً شائعاً ، بل وجد المتخصصون في المتاجرة بالزنا .

٩٤٩ - البخاري (١ / ١٧٨) ٢ - كتاب العلم ، ٢١ - باب رفع العلم وظهور الجهل .

مسلم (٤ / ٢٠٥٦) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

والترمذي : (٤ / ٤٩١) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٣٤ - ما جاء في أشرار الساعة . وقال حديث : حسن صحيح .

(قيمٌ واحد) قيم للمرأة : زوجها ، لأنه يقوم بأمرها ، وبما تحتاج إليه من نفقة وغيرها .

(١) البخاري (١٢ / ١١٣ ، ١١٤) ٨٦ - كتاب الحدود ، ٢٠ - باب إثم الزناة .

وفي الحرب العالمية الأولى لم يبق إلا القليل من الرجال في كثير من بلدان العالم الإسلامي حيث سحب الرجال إلى الحرب وشهدت تلك الفترة نفسها ندره العلم حتى إنك لا تجد في الحي الواحد من يحسن الكتابة ، ولا زالت الأمية بالإسلام وانتشار الزنا وشرب الخمر وفشو الربا مما نعاني منه حتى كتابة هذه السطور .

٩٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنها قالا : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ ، وَيَرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَكْتَثُرُ فِيهَا الْمَرْجُ ، وَالْمَرْجُ : الْقَتْلُ » .

وللبخاري (١) ، أن أبا موسى قال لعبد الله : أتعلّم الأيام التي ذكر فيها النبي ﷺ أيام المَرْجِ ؟ ... فذكر نحوه .

وقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول

ورواه الترمذي (٢) عن أبي موسى وحده قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ ورائِكُمْ أَيَّامًا يَرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَكْتَثُرُ فِيهَا الْمَرْجُ » قالوا : يا رسول الله ، وما المَرْجُ ؟ قال : « الْقَتْلُ » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام (ويكثر فيها المَرْجُ ، والمَرْجُ : القتل) : قد مر منه كثيراً ، وفي كل عام تسبع عن مذابح المسلمين ، لقد ذهب في عصرنا في الجزائر حوالي مليون شهيد ، وفي أفغانستان لا نعرف إلى أي حد سيبلغ عدد القتلى ، ومذبحة حماة وغيرها من المدن السورية ومذابح لبنان عامة وطرابلس خاصة ، ومذابح الصراع في المغرب ، ومن قبل صراعات المسلمين الكثيرة فيما بينهم ، ومذابح التتار والظليبيين والمستعمرين .

٩٥١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

٩٥٠ - البخاري (١٣ / ١٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٥ - باب ظهور الفتن .

مسلم (٤ / ٢٠٥٦) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وقبضته وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

(١) البخاري (١٣ / ١٤) : الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٨٩) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٣١ - باب ما جاء في المَرْجِ والعبادة فيه . وقال : حديث صحيح .

٩٥١ - البخاري (٢ / ٥٢١) - ١٥ - كتاب الاستسقاء ، ٢٧ - باب ما قيل في الزلازل والآيات .

« إن من أشرطِ الساعةِ أن يتقاربَ الزمانُ ، وينقصَ العِلْمُ ، وتظهرَ الفِتْنُ ، ويُلْقَى الشُّحُّ ، ويكثرُ الهرجُ » قالوا : يارسولَ الله ، وما الهرجُ ؟ قال : « القتلُ القتلُ » .

وفي رواية ^(١) « أن يُرفعَ العلمُ ، ويثبتَ الجهلُ » - أو قال : « ويظهرَ الجهلُ » .

وفي رواية أبي داود ^(٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يتقاربُ الزمانُ ، وينقصُ العلمُ ، وتظهرُ الفتنُ ، ويُلْقَى الشُّحُّ ، ويكثرُ الهرجُ » قيل : يارسولَ الله أيُّهم هو ؟ قال : « القتلُ ، القتلُ » .

أقول : قوله عليه السلام (يتقاربُ الزمانُ) : قد يكون فيه إشارة إلى المواصلات الحديثة ووسائل الاتصال حتى ليقضى في الزمن القليل ما كان يحتاج إلى أزمنة متطاولة .

٩٥٢ - * روى الطبراني عن أبي أمية الجُمَحي رفعه : « إن من أشرطِ الساعةِ أن يُلْتَمَسَ العِلْمُ عندَ الأصاغِرِ » .

أقول : إن جيلنا شهد حالة عجيبة وهي أنه قد غلب اليأس على كثير من العلماء فلم يعودوا يتصدرون للدعوة والإرشاد والتعليم ، ونشط للدعوة الشباب فأصبحوا هم الذين يتصدرون لمثل هذه الشؤون ، والتف الكثيرون حولهم حتى إذا ما جلس كبار العلماء لم يجدوا من يسمع منهم ، وللمسألة استثناءاتها .

٩٥٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال له رسولُ الله ﷺ : « يوشِكُ إن طالتُ بك مدةٌ أن ترى قومًا في أيديهم مثلُ أذنانِ البقرِ يَغْدُونَ في غَضَبِ الله ، وَيَرَوِّحُونَ في سَخَطِ الله » .

= مسلم (٤ / ٢٠٥٧) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن ، في آخر الزمان .

(١) مسلم (٤ / ٢٠٥٦) : الموضوع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

٩٥٢ - جمع الزوائد (١ / ١٣٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه ابن لميمة وهو ضعيف .

٩٥٣ - مسلم (٤ / ٢١٩٣) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء .

وفي رواية: (١) « إن طالت بك مدة أو شككت أن ترى قومًا يَفْدُونَ في سخطِ الله ويروحون في لَعْنَتِهِ ، في أيديهم مثل أذنانِ البقرِ » .

أقول : إن من عرف مايجري في دوائر الخابرات في كثير من بلدان العالم الإسلامي عرف مضمون هذا الحديث .

٩٥٤ - * روى أحمد عن طارق بن شهاب قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جُلوسًا فجاء رجلٌ فقال : قد أقيمت الصلاة ، فقام وفنا معه فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعًا في مقدم المسجد فكبر وركع وركعنا ومشينا وصنعنا مثل الذي صنع ، فرجل يسرع فقال : عليك السلام أبا عبد الرحمن فقال : صدق الله ورسوله وبلغت رُسُلُهُ . فلما صلينا ورجعنا ودخل إلى أهله جَلَسْنَا فَبَالَ بعضنا : أما سمعتم رَدَّهُ على الرجل : صدق الله ورسوله وبلغت رسله أيكم يسأل؟ فقال طارق : أنا أسأله فسأله حين خرج ، فذكر عن النبي ﷺ : « إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفُشُو التجارة حين تعين المرأة زوجها وقطع الأرحام وشهادة الزور وكتبان شهادة الحق وظهور العلم » .

وفي رواية (٢) قال رسول الله ﷺ : « إن من أشرط الساعة أن يسلم الرجل لا يسلم إلا للمعرفة » . والبخاري (٣) يبعثه وزاد « وأن يجتاز الرجل بالمسجد فلا يصلي فيه » والطبراني (٤) إلا أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة » وإن هذا عَرَفَنِي من بينكم فسلم علي « وحتى تتخذ المساجد طرقًا فلا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيخ بريدًا بين الأفقين وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد رجلاً » وفي رواية (٥) عنده : « وأن تغلوا النساء والخيل ثم ترخص فلا تغلوا إلى يوم القيامة وأن يتجر الرجل والمرأة جميعًا » .

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٣) : للوضع السابق .

٩٥٤ - أحمد (١ / ٤٠٧) .

(٢) أحمد : للوضع السابق .

(٣) كشف الأستار (٤ / ١٤٧) .

(٤)، (٥) مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٩) . وقال : رواه أحمد ، والبخاري يبعث والطبراني إلا أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

يقول « لا تقوم الساعة ... » وفي رواية عنده « وأن تغلوا النساء ... » . ورجال أحمد والبخاري رجال الصحيح .

أقول : في الحديث معجزات كثيرة منها : (حتى يبعث الغلام الشيخ بريسداً بين الأفقين) وكان في ذلك إشارة إلى الطيران واستخدام الأصفر سناً من هو أكبر منه .

ومنها :

(وفشو التجارة حين تعين المرأة زوجها) .

(وأن يتجر الرجل والمرأة جميعاً) .

ومن رأى في عصرنا كثرة المحلات التي تشارك في أعمالها المرأة رأى مصادق ذلك .

٩٥٥ - * روى أحمد عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » .

أقول : وقد غزا المسلمون الهند وحكوها حوالي ثمانمائة سنة وهاهي دولة باكستان ودولة البنغال قائمتان والمسلمون في الهند كثيرون والحمد لله .

٩٥٦ - * روى البزار عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة سنين خداعة يُصدَّقُ فيها الكاذبُ ويكذَّبُ فيها الصادقُ ويؤتمن فيها الحائِنُ ويُنَجَّبون فيها الأمينُ وينطقُ فيها الرويبضة » قيل : يا رسول الله وما الرويبضة؟ قال : « الامرؤُ التافهةُ يتكلمُ في أمرِ العامة » قال ابنُ إسحاق وحديثي عبدُ الله بنُ دينارٍ عن أنسٍ عن النبي ﷺ قال بنحوه .

أقول : وهذا عصرنا يشهد ما ذكره رسول الله ﷺ تفصيلاً .

٩٥٥ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

والنسائي (٦ / ٤٢) كتاب الجهاد ، ٤١ - باب غزوة الهند .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٨٢) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وسقط تابعيه والظاهر أنه راشد بن سعد ، وبقية رجاله ثقات .

٩٥٦ - كشف الأستار (٤ / ١٣٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٤) . وقال : رواه البزار . وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبد الله بن دينار وبقية رجاله ثقات .

٩٥٧ - * روى الطبراني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا مشت أمتي المَطيَّطَاءَ وَخَدَمَتَهُمْ فَارِسٌ وَالرُّومُ تَسْلُطُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ » .

٩٥٨ - * روى أحمد عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا وَيَمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَائِثِي ، وَالْمَائِثِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسَرُوا قَسِيكُمْ وَقَطَّعُوا أوتَارَكُمْ وَأَضْرَبُوا بِسُيُوفِكُمْ الْحِجَارَةَ فَإِنْ دَخَلَ عَلَى أَحَدِكُمْ فَلْيَنْكُرْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ » .

أقول : إن دقة الوصف في هذا الحديث لمعجزة ، فقد مرّت عصور في الماضي كان الرجل يسي مؤمناً ويصبح كافراً بسبب كثرة دعاة الباطل كالزنادقة والقرامطة والباطنية ، ولقد شهد عصرنا كذلك مثل هذه المرحلة إذ تجدد المسلم يصبح على إسلام ويمسى على مذهب حزب كافر وفكرة كافرة ، وقد مرّ معنا من قبل موقف المسلم من الفتن ، فالأحاديث التي تطالب المسلم بالاستسلام لقاتله أو بالعزلة الكاملة محمولة على أوضاع لها خصوصياتها كأن يكون القاتل مسلماً ، والفتنة تدفعه إلى القتل .

أما إذا غزيت دار الإسلام فقد وجب على المسلم القتال ، وعلى كل الأحوال فالمسلم تحكّم الفتوى البصيرة من أهلها في كل ظروفه وأحواله ، فلا يصح لمسلم أن يعتمد على بعض النصوص العامة ، فيعطل واجباً تفرضه الفتوى من أهلها .

٩٥٩ - * روى الطبراني عن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : قال رسول الله ﷺ : « عذاب أمتي في دنياها » .

٩٥٧ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢٧) - وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(المَطيَّطَاءُ) : هي مشية بتبختر ومد اليدين ، ومططت بمعنى : مددت .

أقول : وقد خدمت هذه الأمة فارسَ والرومَ ، ووقعت الحروب فيما بين هذه الأمة .

٩٥٨ - أحمد (٤ / ٧٧٢) .

وأبو داود (٤ / ١٠٠) كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السمي في الفتنة .

وإبن ماجه (٢ / ١٢١٠) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة .

والمستدرک (٤ / ٤٤٠) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يخرجاه .

٩٥٩ - الروض الداني (٢ / ١٢٣) .

٩٦٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اقترب الساعة أن ترفع الأشرار ويوضع الأخيار ويقبح القول ويخزن العمل وتُتلى في القوم المثناة » . قلت : وما المثناة ؟ قال : « ما كتبت سوى كتاب الله » .

قال ابن الأثير في النهاية :

(المثناة) : قيل : هي أن أحبار بني إسرائيل وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله . ١ . هـ .

أقول : والمعروف أن عند اليهود أكثر من كتاب ضم كلام علمائهم وأشهر هذه الكتب هو التلمود .

وقد ذكر العقاد في كتابه : « إبراهيم عليه السلام » أن أهم المراجع الإسرائيلية بعد التوراة هي كتب المشنا القديمة . ومن المشنا التلمود في نشأته الأولى .

وأصل مادة الكلمة من شنا : أي كَرَّرَ . وهي تقابل في العربية مادة ثني أي : أعاد ثانية (١) .

أقول : وفي الحديث أكثر من معجزة يشهدها عصرنا من علو الأشرار على الأخيار ، ومن عرف ما يدعو إليه التقدميون عرف بعض مضمونات هذه المعجزة ، ومن عرف دساتير الأحزاب الكافرة والمواثيق السياسية المحاربة للإسلام وكثرة الكتب المضللة التي تُنشر في أرض الإسلام رأى مصداق ماورد في الرواية :

وما المثناة ؟ قال : ما كتبت سوى كتاب الله .

وللمستدرك (١٧ / ٥٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٤) . وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات .

٩٦٠ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٦) ولفظه « ... ومحسن العمل وتفري في القوم المساءة » قلت وما المساءة ؟ قال : « ما كتب

سوى كتاب الله » . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) انظر : كتاب (إبراهيم أبو الأنبياء) ص : ٣٦ .

- ٩٦١ - * روى أحمد عن حذيفة قال : ذَكَرَ الدَّجَالَ عند رسول الله ﷺ فقال : « لَأَنَا لِفِتْنَةِ بَعْضِكُمْ أَخَوْفٌ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَلَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا ، وَمَا صَنَعْتُ فِتْنَةً مِنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا لِفِتْنَةِ الدَّجَالِ » .
- ٩٦٢ - * روى البزار عن سَمْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ لَنَا : « إِنَّكُمْ تَوْشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَالْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ وَلَا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِالْمَلْحِ » .
- ٩٦٣ - * روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَقَوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكْعُ بَنِ لُكْعٍ » .
- ٩٦٤ - * روى الطبراني عن معاوية قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ إِلَّا شَجًّا وَلَا تَقَوْمُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ » .
- ٩٦٥ - * روى البخاري عن واقد بن محمد رحمه الله عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَمَرَ - أَوْ ابْنِ عَمْرٍو - قَالَ : شَبَّكَ النَّبِيُّ ﷺ أَصَابِعَهُ ، وَقَالَ : « كَيْفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، إِذَا بَقِيَتْ فِي حُثَالَةٍ قَدْ مَرَجَتْ عُهْوَدُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ ، وَاخْتَلَفُوا فَصَارُوا هَكَذَا » ، قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « تَأْخُذُ مَا تَعْرِفُ ، وَتَدَعُ مَا تُنْكِرُ ، وَتَقْبَلُ عَلَى خَاصَّتِكَ ، وَتَدَعُهُمْ وَعَوَامَّهُمْ » .

٩٦١ - أحمد (٢٨١ / ٥) .

وكشف الأستار (٤ / ١٤٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٥) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٢ - كشف الأستار (٣ / ٢٩١) .

والمعجم الكبير (٧ / ٢٦٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) . وقال : رواه البزار والطبراني وإسناد الطبراني حسن .

٩٦٣ - الترمذي (٤ / ٩٢٣) - ٢٤ كتاب الفتن ، ٢٧ - باب مِئْنة . وقال : حديث حسن غريب .

(لُكْعُ بَنِ لُكْعٍ) : الحقيقير التافه ، وهي في الأصل : القعيد أو اللئيم أو القذير .

٩٦٤ - مجمع الزوائد (٨ / ١٣ ، ١٤) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٥ - البخاري (١ / ٥٦٤) - ٨ - كتاب الصلاة ، ٨٨ - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره .

قال ابن حجر .. « وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين تقيلاً عن أبي مسعود ، وزاد هو « قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا » . وهذه الزيادة ليست في أحاديث الباب .

وفي (١) حديث عاصم بن محمد بن زيد قال : سمعتُ هذا من أبي ، فلم أحفظه ، فقومة لي وأقيد عن أبيه ، قال : سمعتُ أبي وهو يقول : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله بن عمرو ، كيف أنت إذا بقيت » .. وذكر الحديث .

وفي رواية أوردها رزين (٢) ، أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وبزمان تغربل الناس فيه غربة ، ثم تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهدهم وأماناتهم ، واختلفوا هكذا » - وشبك بين أصابعه - قالوا : كيف بنا يا رسول الله ؟ قال : « تأخذون ماتعرفون ، وتذرون ماتنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم » .

وفي أخرى (٣) ، بينما نحن جُلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ ذكر الفتنة ، فقال : « إذا رأيتم الناس مرجت عهدهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا » - وشبك بين أصابعه - قال ابن عمرو : فقمتُ إليه ، فقلتُ : كيف أعملُ عند ذلك ، جعلني الله فداك ؟ قال : « الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ ماتعرف ، ودع ماتنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » .

٩٦٦ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت يا عبد الله بن عمرو وإذا كنت في حثالة من الناس » قال : فذاك ما هو يا رسول الله ؟

(١) البخاري : (١ / ٥٦٤) للوضع السابق .

قال محقق الجامع : قال الحافظ في الفتح : وصلة إبراهيم الحري في غريب الحديث له ، أقول : [أي المحقق] واللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد في السنن وهو حديث صحيح . ا . هـ .

(حثالة) : الحثالة : ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر ، وكل ذي قشر إذا بقي ، وحثالة الدهن ، وكأنه الرديء من كل شيء .

(المرج) : الاختلاط والاختلاف ، مرجت عهدهم : إذا اختلفت .

(غربة) : الناس : إماتة الأخيار ، وبقاء الأشرار ، كما ينقي الفربال من حثالة ما يغربله ورديته .

(٢) قال محقق الجامع : هذه الرواية عند ابن ماجه ورواه أيضاً أحمد في السنن . وهو حديث صحيح . ا . هـ .

(٣) قال محقق الجامع : هذه الرواية رواها أبو داود وأحمد والحاكم وصححها ووافقه الذهبي وهو كما قال . ا . هـ .

٩٦٦ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٢) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط يساندين ، رجال أحدهما رجال الصحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٧) - ٣٦ كتاب الفتن - ١٠ باب التثبت في الفتنة .. وهو عنده بلفظ « كيف بكم وبزمان .. » والباقي نحوه .

قال : « ذاك إذا مَرَّجَتْ أماناتهم وعهودهم فصاروا هكذا » وشبك بين أصابعه ، قال : كيف أصنع يارسولَ الله ؟ قال : « تعمل بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة نفسك وتدع عوام الناس » .

أقول :

في عصرنا كل حزب يأخذ عهداً ومن يتصدر لإمرة الجماعات الإسلامية والشيخة يأخذون عهداً ، وكل حكم جديد يأخذ عهداً وتختلط العهود ويصبح العهد وكأنه لا قيمة له ، ففي الأحاديث معجزة وقعت وتقع ، وفيها تعريف للمسلم كيف يتصرف في مثل هذه الأحوال وعلى علماء المسلمين أن يكثرُوا دائرة الخواص ، وأن يكون فيما بينهم تواصٍ وتواصل وتشاور فيما ينبغي .

٩٦٧ - * روى البزار عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله ، وحتى يَمَطَرَ الناسُ مطراً ولا تُثَبَّتْ الأرض وحتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد وحتى تمر المرأة بالنعل فتقول لقد كان لها مرة رجل » .

أقول :

القسم الأول من الحديث يكون بعد وفاة المسيح عليه الصلاة والسلام ووفاة المؤمنين جميعاً ، ولقد مرت على بعض المسلمين في الحرب العالمية الأولى الصورة التي ذكرتها تمة الحديث إذ حشر الرجال للحرب ولم يبق إلا النساء . وقوله عليه السلام : (وحتى تمر المرأة بالنعل) : معناه أن المرأة ترى نعال الرجال ولا تجد أصحابها فتذكر أن هذه النعال كان يلبسها ناس ذهبوا .

٩٦٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

٩٦٧ - كشف الأستار (٤ / ١٥٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٣١) . وقال : في الصحيح بعضه . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٨ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ١٥ - باب سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة .

« لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا ، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا ، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا » .

أقول : من المظاهر التي شهدناها أن ينزل مطر غزير ثم يكون جفاف كثير ثم ينزل مطر غزير ثم يكون جفاف كثير ، فلا تستفيد الأرضون من هذا المطر .

٩٦٩ - * روى أحمد عن حذيفة قال : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة ، قال : « عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي وَلَا يَجْلِيهَا لَوْقَتُهَا إِلَّا هُوَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكَ بِمَشَارِيطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا إِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةٌ وَهَرَجًا » قالوا يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج ؟ قال : « بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ الْقَتْلُ » قال : « وَيَلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَدًا » .

أقول : من مظاهر التناكر في عصرنا أنك تجد أصحاب البناية الواحدة لا يعرف بعضهم بعضاً ولا يزور بعضهم بعضاً .

٩٧٠ - * روى مسلم عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَالِسًا فِي ظِلِّ الْكِعْبَةِ ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ ، فَأَتَيْتُهُمْ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَزَلْنَا مَزْلَأً ، فَمِنَّا مَنْ يَصْلِحُ خِيَابَهُ ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسْرِهِ ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي ، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَاقِبَتُهَا فِي أَوْلَئِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا ، وَتُجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَزِلُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا ، وَتُجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتُجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحَحَ

= (السَّنة) : الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ .

٩٦٩ - أحمد (٢٨٩ / ٥) .

مجمع الزوائد (٢٠٩ / ٧) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٩٧٠ - مسلم (١٤٧٢ / ٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ١٠ - باب وجوب الوفاء ببينة الخلفاء ، الأول فالأول .

عن النار ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلَئِمَتْ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَغَمْرَةً قَلْبِهِ ، فَلْيَطِئْهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يَسْأَلُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ» قَالَ : قَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : أُنْشِدُكَ اللَّهَ ، أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَأَهْوَى إِلَى أذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ ، وَقَالَ : سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ ، وَوَعَاةَ قَلْبِي ، فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مَعَاوِيَةَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] فَسَكَتَ عَنِّي سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَطِيعَةَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَعَصِيَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

(يَنْتَضِلُ) الانتضال : الرمي بالسهم .

(جَشْرَهُ) الجشور : المال يمن المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار ، وقال : « جَشَّرَ يرعى في مكانه لا يراجع إلى أهله » يقال : جَشَرْنَا ذَوَائِنَا : أخرجناها إلى المرعى نجشرها جشراً ، ولا نروح إلى أهلنا .

(فَيَزِلِقُ) أزلقتُ بعضها بعضاً : دَفَعْتُ بعضها بعضاً ، كَأَنَّ الشَّيْءَ تَزَحَمَ الْأَوَّلَى ، لِسُرْعَةِ وَرُودِهَا عَلَيْهَا ، وَيَزِلِقُ بعضها بعضاً : يَجْعَلُهَا ، وَالْإِزْلَاقُ : الإِجْعَالُ . اهـ .

٩٧١ - * روى أبو داود عن أبي البختري رحمه الله قال : أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - فِي رِوَايَةٍ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ ، أَوْ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » .

٩٧٢ - * روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ . فَقَالَ « الْفَقْرُ تَخَافُونَ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَصْبَنَّ »

٩٧١ - أبو داود (٤ / ١٢٥) - كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي - وإسناده حسن . وفيه : « لن يهلك الناس حتى يعذروا أو يعذروا من أنفسهم » .

٩٧٢ - ابن ماجه (٤ / ١) المقدمة ، ١ - باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

(نتخوفه) : أي نظهر الخوف . (الفقير) بمد الهززة على الاستفهام . وهو مفعول مقدم .

عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا صَبَا حَتَّى لَا يَزِيغَ قَلْبُ أَحَدِكُمْ إِزَاعَةَ إِلَّا هَيْبَةً ، وَإِيْمَ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا سَوَاءً .

قَالَ أَبُو الدُّرْدَاءِ : صَدَقَ ، وَاللَّهِ ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرَكَنَا ، وَاللَّهِ ، عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا سَوَاءً .

٩٧٣ - * روى البزار عن بريدة قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَقَصَّ قَوْمَ الْعَهْدِ إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا ظَهَرَتْ فَاخِشَةٌ فِي قَوْمٍ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ قَطُّ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ » .

٩٧٤ - * روى أحمد عن سَمْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوْشِكُ أَنْ يَمْلَأَ اللَّهُ عِزَّ وَجِلِ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْعَجْمِ ثُمَّ يَكُونُونَ أَسْدًا لَا يَفْرُونَ ، فَيَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَيَأْكُلُونَ فَيْئَتَكُمْ » .

أقول :

لقد حدث هذا بعد موجات كثيرة من الفتح ، يظهر ذلك في مثل معركة بواتيه التي قتل فيها عبد الرحمن الغافقي رحمه الله ، وفي استعصاء أوروبا على الغزو العثماني ، ثم مقاومة هذا الغزو حتى انحسر ، ثم انتقال الكافرين من دور الدفاع إلى الهجوم فأخذوا إسبانيا ، واستولوا على أقسام من الأرض في موجات ، نشهد في هذا العصر منها الكثير .

٩٧٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا ، وَيُؤْمِسِي

(إلا هيبته) : هي ، ضمير الدنيا . والماء في آخره للسكت . أي لا يُعْمِلُ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِلَّا الدُّنْيَا .

(على مثل البيضاء) : اللغوي : على قلوب بيضاء تقيية عن الميل إلى الباطل ، لا يميلها عن الإقبال على الله تعالى السراء والضراء .

٩٧٣ - كشف الأستار (٤ / ١٠٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٩) . وقال : رواه البزار . ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد ، وهو ثقة .

٩٧٤ - أحمد (٥ / ١١) .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣١٠) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني . ورجاله أحمد رجال الصحيح .

٩٧٥ - مسلم (١ / ١١٠) . كتاب الإيمان ، ٥١ - باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن .

مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » .

٩٧٦ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يكون بين يدي الساعة فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيُمِيسِي كَافِرًا ، وَيُمِيسِي مُؤْمِنًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَقْوَامَ دِينِهِمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » .

أقول :

إنَّ ظهور ماورد في هاتين الروايتين في عصرنا بين فإنك تجد الإنسان مؤمنًا في الصباح ويمسي على شيوعية أو وجودية أو قومية جاهلية أو حزبية كافرة أو ولاء كافر أو انتساب لأنواع من الكفر وأهله ، ونجده مؤمنًا في المساء ويصبح على شيء مما ذكرناه في الصباح من أجل مصلحة أو منفعة لا تساويان شيئًا .

٩٧٧ - * روى البزار عن نعيم بن صرثيم السكوني قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَقَاتِلَنَّ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُقَاتِلَ بِقَيْتِكُمُ الدُّجَالُ عَلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ أَنْتُمْ شَرْقِيَّهِ وَهُمْ غَرْبِيَّهِ وَلَا أُدْرِي أَيْنَ الْأُرْدُنُّ يَوْمَئِذٍ » .

أقول : الظاهر أن الدجال الوارد في هذا الحديث ليس هو الدجال الأكبر ، لأنَّ الدُّجَالَ الْأَكْبَرَ يَقْتُلُهُ الْمَسِيحُ فِي بَابٍ لِدَفْلَسْطِينَ نَفْسَهَا وَتَكُونُ الْقُدْسُ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ فَلَا يَتَصَوَّرُ وَقْتِذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ الْمَسْلُومُونَ شَرْقِيَّ النُّهْرِ وَالدُّجَالُ غَرْبِيَّهِ ، فَالْحَدِيثُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْوَضْعِ الْحَالِيِّ لِلْمَسْلُومِينَ حَيْثُ سَيْطَرَ الْيَهُودُ وَهُمْ جُنْدُ الدُّجَالِ عَلَى فِلَسْطِينَ فَأَصْبَحُوا غَرْبَ النُّهْرِ وَالْمَسْلُومُونَ شَرْقِيَّهِ ، وَقَدْ حَدِثَتْ مَعْرَكَةُ الْكِرَامَةِ بَيْنَ الْمَسْلُومِينَ وَالْيَهُودِ عِنْدَمَا تَجَاوَزَ الْيَهُودُ النُّهْرَ وَانْدَحَرُوا .

= والترمذي (٤ / ٤٨٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٧٦ - الترمذي (٤ / ٤٨٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم . وقال : هذا حديث غريب . (كقطع) : قطع الليل : طائفة منه .

٩٧٧ - كشف الأستار (٤ / ١٣٨) .

جمع الزوائد : (٧ / ٢٤٨) . وقال : رواه الطبراني والبزار ورجال البزار ثقات .

٩٧٨ - * روى أحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشِكُ الأُمَّمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا » فقال قائل : ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ ؟ قال : « بل أنتم يومئذٍ كثير ، ولكنكم غثاءً كغثاء السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْهُ صُدُورَ عَدُوِّكُمْ المِهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ » قيل : وما الوهنُ يارسولَ الله ؟ قال : « حُبُّ الدُّنْيَا ، وكرَاهِيَةُ المَوْتِ » .

٩٧٩ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لثوبان : « كيف بك يا ثوبان إذا تَدَاعَتْ عَلَيْكُمْ الأُمَّمُ كَتَدَاعِيكُمْ عَلَى قِصْعَةِ الطَّعَامِ تُصِيبُونَ مِنْهُ » . قال ثوبان : بأبي أنت وأمي يارسولَ الله أَمِنْ قِلَّةٍ بنا ؟ قال : « لا أنتم يومئذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ يَلْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ » قالوا : وما الوهنُ يارسولَ الله ؟ قال : « حُبُّكُمْ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتِكُمُ القِتَالِ » .

أقول : في هذا الحديث معجزة كبرى من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، ومن عرف مرحلة وقوع العالم الإسلامي في برائن الاستعمار حتى أصبحت لكثير من الدول الكافرة مستعمراتها ، ولا زالت بعض البلدان الإسلامية مستعمرة ، ومن عرف موقف الدول الكافرة بما أسمي بمسألة الرجل المريض ويريدون بذلك الدولة العثمانية أدرك مصداق ذلك ، وقد ذكر الحديث العلاج ، فالعلاج للخلاص من الغنائية : العلم والذكر والخصائص والتخصص ، ومن أهم الخصائص الزهد في الدنيا وحب الشهادة في سبيل الله .

٩٨٠ - * روى أحمد عن أبي مَوْهَبَةَ مولى رسولِ الله ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ فقال : « يَا أَبَا مَوْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ البَقِيعِ فَاَنْطَلِقْ مَعِي » ،

٩٧٨ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

وأبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام - وهو حديث صحيح .

(تداعي) : التداعي : التتابع ، أي : يدعو بعضها بعضاً فتجيب .

(الأكلة) : جمع أكل .

(غثاء) : الغثاء : ما يلقيه السيل .

٩٧٩ - أحمد (٢ / ٣٥٩) .

جمع الزوائد (٧ / ٢٨٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه . وإسناده أحمد جيد .

٩٨٠ - أحمد (٣ / ٤٨٩) .

فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال : « السلام عليكم يا أهل المقابر ليئنهكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى » . ثم أقبل علي فقال : « يا أبا مويهبة : إني قد أوتيت خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة » قال : قلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال : « لا والله يا أبا مويهبة : لقد اخترت لقاء ربي ثم الجنة » ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف ، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله عز وجل حين أصبح وفي رواية (١) عنه أيضاً قال : أمر رسول الله ﷺ أن يصلي على أهل البقيع فصلى عليهم رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلما كانت الثالثة قال : « يا أبا مويهبة أخرج لي دابتي » قال فركب ومشيت حتى انتهى إليهم فنزل عن دابته وأمست الدابة .

٩٨١ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنها ، قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا وقد سألته إلا أنني لم أسأله : ما يخرج أهل المدينة من المدينة ؟

أقول : لقد جلا أهل المدينة المنورة عنها في الحرب العالمية الأولى .

٩٨٢ - * روى الطبراني عن ميمونة قالت قال نبي الله ﷺ لنا ذات يوم : « ما أنتم إذا مرج الدين وسفك الدماء وظهرت الزينة وشرف البنيان واختلف الإخوان وحرق البيت العتيق » وفي رواية : « واختلف الأخبار » بدل الإخوان .

(١) أحد الموضع نفسه . =

جمع الزوائد : (٢٤ / ٩) . وقال : رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات إلا أن الإسناد الأول عن

عبيد بن حنين عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة ، والثاني عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة .

٩٨١ - مسلم (٤ / ٢٢١٧ / ٥٢) - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ٦ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

٩٨٢ - المعجم الكبير (١٠ / ٢٤) .

جمع الزوائد (٧ / ٢١٠) . وقال : رواه الطبراني ورجالها ثقات .

أقول :

إن بعضاً مما ورد في الحديث نراه في عصرنا عياناً . وقد رمي البيت العتيق يوم حاصر الحجاج ابن الزبير .

٩٨٣ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال : كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن ، فأكثر في ذكرها ، حتى ذكر فتنة الأحماس ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما فتنة الأحماس ؟ قال : « هي هربٌ وحربٌ ، ثم فتنة السراء ، دخنها من تحت قدمي رجلٍ من أهل بيتي ، يزعم أنه مني ، وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يصطليح الناس على رجل كوركٍ على ضلعٍ ، ثم فتنة الدهيماء ، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمته ، فإذا قيل : انقضت تماذت ، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ومسي كافراً ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لانفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه ، أو من غدِهِ . »

أقول : (الدهيماء) : تصغير الدهماء ، وقد أصبحت تطلق كلمة الدهماء على العامة ، وبين كلمة العامة والدهماء صلة واضحة ، فلم تنزل كلمة سواد الناس تطلق على العامة .

الظاهر أن فتنة الدهماء هو ما نحن فيه ، فإنها هي الفتنة التي لم يسلم أحد من ضربة من

٩٨٣ - أبو داود (٩٤ / ٤) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(الأحماس) : قال ابن الأثير في النهاية : الأحماس : جمع جلس ، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ،

شبهها به للزومها ودوامها . ا . هـ .

(وحرب) : الحزب بفتح الراء : ذهاب المال والأهل ، يقال : حزبت الرجل ، فهو حريب : إذا سلب أهله وماله .

(دخنها) : إثارتها وهيجها ، شبهها بالدخان الذي يرتفع ، أي أن أصل ظهورها من هذا الرجل . وقوله « من

تحت قدمي رجل » يعني : أنه يكون سبب إثارتها .

(كورك على ضلع) : مثل ، أي أنه لا يستقل بالملك ، ولا يلائمه ، كما أن الورك لا تلائم الضلع .

(فتنة الدهيماء) : أراد بالدهيماء : السوداء المظلمة .

(فسطاطين) : الفسطاط : الخيمة الكبيرة ، وتسمى مدينة مصر : الفسطاط ، والمراد به في هذا الحديث : الفرقة

المجتعة للنحازة عن الفرقة الأخرى ، تشبيهاً بانفراد الخيمة عن الأخرى ، أو تشبيهاً بانفراد المدينة عن الأخرى ،

حملاً على تسمية مصر بالفسطاط ، ويروى بضم الفاء وكسرهما .

ضرباتها بشكل من الأشكال ، إما فكريًا وإما روحيًا وإما اقتصاديًا وإما سياسيًا ، وإما أخلاقيًا وإما اضطهادًا إلى آخر ما يحسه كل فرد من أفراد هذه الأمة في هذا العصر أنه قد ضرب ضربة من هذه الفتنة . ولكن بعض الناس تكون ضربتهم مميّنة وبعضهم تكون ضربتهم طويلة ، وبعضهم يصحو بسرعة . وإني لأعرف خيارًا من الناس قد فتنوا بشيء ما ، ثم فاؤوا .

ولم أذكر شيئًا عن فتنة السراء مع غلبة الظن أنها وقعت ، لأن تعيين القائم بها مختلف فيه . فقد كان شيخنا الحامد رحمه الله يعينه ، وكنت أرى رأيًا آخر ، وكلا الرأيين أحفظ به لأسباب شتى .

٩٨٤ - * روى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ماتركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء » .

أقول :

لم تظهر فتنة النساء كما ظهرت في عصرنا ، إذ ظهرت النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات اللواتي ذكرهن الحديث الصحيح الذي هو من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٨٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطِرُ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ ، مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » .

٩٨٤ - البخاري (١٢٧ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح ، ١٧ - باب ما يتقى من شؤون المرأة وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٠٩٧) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٦ - باب بيان أكثر أهل الجنة إلخ .

والترمذي (١٠٢ / ٥) ٤٤ - كتاب الأدب ، ٢٦ - باب ما جاء في تحذير فتنة النساء . وقال : حديث حسن صحيح .

٩٨٥ - مسلم (٣ / ١٦٨٠) ٢٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٤ - باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات .

قال ابن الأثير : (كاسيات عاريات) : المعنى : أنهن يكشفن بعض أجسامهن ، ويسدلن الحُمر من ورائهن ، فيكشفن صدورهن ، فهن كاسيات عاريات ، إذ بعض ذلك منكشف ، وقيل : هو أن يلبسن ثياباً رِقاقاً تصف ماتحتها ، فهن كاسيات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

(مائلات مميلات) : مائلات ، أي : زائغات عن طاعة الله وعبادته يلزمهن من حفظ الفروج ، ومميلات : يعلمن غيرهن : الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات ، أي : متبخرات في مشيهن ، مميلات ، أي : يملن أعطافهن وأكتافهن وقيل : مائلات إلى الشر ، مميلات للرجال إلى الفتنة .

(رؤوسهن كأسنة البُختِ) : أراد تشبيه رؤوسهن بأسنة البُختِ بما يَكَبَّرُن رؤوسهن به من المقانع والحُمر والعمائم ، أو بصلة الشعور . ا . ه .

أقول :

ماذكرناه من شرح للحديث هو بعض ماشرحه به ابن الأثير رحمه الله ، ولكن الشرح الحقيقي للحديث هو ماشرحه في عصرنا هذا ، سواء في ذلك وجود رجال مهمتهم تعذيب خلق الله بالباطل ووجود نساء يتصفن بما ذكره رسول الله ﷺ في الحديث حتى إن دقة الوصف في الحديث لما نشاهده عند كثير من نساء عصرنا هو وحده معجزة من أكبر المعجزات فلقد تفنن كثير من النساء بأنواع من اللباس يظهر معه عري الجميل من الجسد ، كما تفنن في أنواع تسريحات الشعر وتقليعات الرؤوس ، حتى إن بعض التقليعات سميت في عصرنا بتسريحة السد العالي إشارة إلى نوع من تسريحات الشعور يرتفع بها شعر المرأة فوق رأسها كسنام الجمل ، وكل ذلك تفعله الكثيرات وتخرج به أو تظهر به أمام أجهزة الإعلام .

أما المشاهد الأكثر ابتداءً من ظهور المرأة « بالماليه » الذي يكشف ماسوى السواتين في كثير من الأحوال وعرض ذلك في وسائل الإعلام فحدث عنه ولا حرج ، فالواقع : الأمر أكبر من أن يصور بالكلمة .

٩٨٦ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » .

٩٨٧ - * روى أحمد عن عبد الله بن بسر قال : لقد سمعت حديثاً منذ زمان إذا كنت في قومٍ عشرين رجلاً أو أقلّ أو أكثر فتصفت. وجوههم فلم تر فيهم رجلاً يُهابُ في الله عز وجل فاعلم أن الأمر قد رَقَّ .

٩٨٨ - * روى أحمد عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال : « لَتَنْتَقِضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةٌ عُرْوَةٌ فَكُلَّمَا انْتَقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأُولَئِهِنَّ نَقَضْنَا الْحُكْمَ وَأَخْرَجْنَهُنَّ مِنَ الصَّلَاةِ » .

٩٨٩ - * روى أحمد عن سلمة بن نفيل السكوني قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ قال قائلٌ : يا رسول الله هل أُتيتَ بطعامٍ مِنَ السماءِ ؟ قال : « نعم ، أنزلَ عليّ طعامٌ في مِسْخَنَةٍ » . قال : فهل كان فيها فضلٌ عنك ؟ قال : « نعم » . قال : فما فعل به قال : « رُفِعَ وهو يَوحى إليّ أَني مَكْفُوتٌ غَيْرَ لَابِثٍ فِيكُمْ وَلَسْتُ لَابِثِينَ بَعْدِي إِلَّا

٩٨٦ - مسلم (٤ / ٢٠٩٨) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والافتقار - ٢٦ باب أكثر أهل الجنة الفقراء ... إلخ .
وابن ماجه (٢ / ١٣٢٥) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب فتنة النساء .

(مستخلفكم فيها) : أي : جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعلمون بطاعته ، أم بمعصيته وشهواتكم . (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) : أي احذروا الافتتان بها .

٩٨٧ - أحمد (٤ / ١٨٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وإسناد أحمد جيد .

٩٨٨ - أحمد (٥ / ٢٥١) . ورجاله رجال الصحيح .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨١) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح ، إلا أن في الأصل عن حبيب بن سليمان عن أبي أمامة وصوابه سليمان بن حبيب الهاربي فإنه روى عن أبي أمامة وروى عنه عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله .

٩٨٩ - أحمد (٤ / ١٠٤) .

والمستدرک (٤ / ٤٤٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي : لم يخرجوا لأرطأة وهو ثبت والخبر من غرائب الصحاح .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٦) وقال : رواه أحمد والطبراني والبزار وأبو يعلى ورجاله ثقات .

(مِسْخَنَةٌ) : قدر كالنور ، يُسَخَّنُ فيها الطعام - والنور : إناء يشرب فيه .

قليلاً حتى تقولوا متى وستأتوني أفنادًا يفني بعضكم بعضاً وبين يدي الساعة موتانٍ شديداً وبعده سنوات الزلازل .

أقول :

قوله عليه الصلاة والسلام (بين يدي الساعة موتان شديداً وبعده سنوات الزلازل) يحتل أن يكون فيه إشارة إلى الحريين العالميتين الأولى والثانية وما أعقبها من كثرة الزلازل حتى إنك كثيراً ما تسمع عن وقوع زلزلة في مكان ما ، وقد يكون فيه إشارة إلى حرب عالمية أخرى يكثر فيها الفناء والبلاء والاحتال الأكبر إذا وقعت حرب عالمية ثالثة ألا يبقى في الأرض أحد إلا قليلاً .

٩٩٠ - * روى أحمد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » .

٩٩١ - * روى أبو داود عن يزيد بن عميرة ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : كان لا يجلس مجلساً للذكر ، إلا قال حين يجلس : الله حكّم قسطاً ، هلك المرتابون ، فقال معاذ بن جبل يوماً : إن وراءكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذ المؤمن والمنافق ، والرّجل والمرأة ، والعبد والحُر ، والصغير والكبير ، فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ وما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره ، فأياكم وما ابتدع ، فإننا ابتدع ضلالة ، وأحذركم زيفه الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق ، قال : قلت لمعاذ : وما تدري رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق يقول كلمة

= (موتان) : بضم الميم ، موتان على وزن بطلان ، وهو الموت الكثير الوقوع .
٩٩٠ - أحمد (٣ / ١٣٤) .

وإين ماجه (١ / ٢٤٤) ٤ - كتاب المساجد والجماعات ، ٢ - باب تشييد المساجد . والحديث صحيح .
٩٩١ - أبو داود (٤ / ٢٠٢) كتاب السنة ، باب لزوم السنة .
(القسط) : العدل .

(زيفه الحكيم) : الزبغ ، وأراد به : الميل عن الحق ، والحكيم : العالم العارف ، أراد به : الزلل والخطأ الذي يعرض للعالم العارف ، أو يتعمده لثقله دينه .

الْحَقُّ؟ قَالَ: بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمَشْتَهَرَاتِ الَّتِي يُقَالُ: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُشْنِتَنَّكَ ذَلِكَ عَنَّا، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يُرَاجِعُ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا.

وَفِي أُخْرَى قَالَ: بَلَى، مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ، حَتَّى تَقُولَ: مَا أَرَادَ بِهِذِهِ الْكَلِمَةَ؟

٩٩٢ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم، إذ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فضو رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكرة ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: «أين السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: «إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة» قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

٩٩٣ - * روى البخاري عن أبي مالك - أو أبي عامر - الأشعريين رضي الله عنهما قال عبد الرحمن بن غنم الأشعري: حدثني أبو عامر - أو أبو مالك الأشعري - والله ما كذبني، سمع النبي ﷺ يقول: «ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحريمَ والحمرَ والمعازفَ، ولينزِلنَّ أقوامٌ إلى جنبِ علمٍ تروح عليهم سارحةً لهم، فيأتيهم رجلٌ لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيئتهم الله، ويضع العلم، ويمسحُ آخرينَ قردهً وخنزيرَ إلى يوم القيامة».

وفي رواية أبي داود (١): أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحريمَ» .. وذكر كلاماً، قال: «يمسحُ منهم آخرينَ قردهً

٩٩٢ - البخاري (١ / ١٤٢) ٣ - كتاب العلم، ٢ - باب من سئل علماً وهو مشتغل إلخ .

(وسد الأمر إلى غير أهله) : إذا أسند إليه ، هذا كناية عن استقامة الناس واقتيادهم إليه واتصافهم عليه وهو غير أهل لذلك .

٩٩٣ - البخاري (١٠ / ٥١) ٧٤ - كتاب اللباس ، ٦ - باب ماجاء فيمن يستحل الحمر ويسميه بغير اسمه .

(الحرّ) : الفرج .

(العلم) : الجبل وما يهتدى به في البرية ، من بناء أو جدار أو غير ذلك .

(١) أبو داود (٤ / ٤٦) كتاب اللباس ، باب ماجاء في الحز . وهو حديث صحيح ، ومن ضعفه كابن حزم في المحلى وغيره فما أصاب .

وخنازيرَ إلى يوم القيامة» .

أقول :

فقد ظهر استحلال الفروج والحريير والخمر والمعازف في هذه الأمة بأكثر من صورة ،
فالقائلون بسقوط التكليف يستحلون ذلك ، وبعض طوائف الباطنية يستحلون ذلك ،
وكثير من العامة لا يباليون في ارتكاب هذه المحظورات ، وبعضهم يتكلم بكلام المستحل .
أما ماورد من تهديد لأمثال هؤلاء فلا نعرف أنه وقع حتى الآن ، وإن كان المسخ
المعنوي حاصلًا .

٩٩٤ - * روى الطبراني عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس
زمانٌ يَتَمَنُّونَ فيه الدجال . قلت يا رسول الله بأبي وأمي ممّ ذاك قال : « مما يَلْتَمُونَ
من العناء والعناء » !

أقول : لقد مرت على الأمة الإسلامية أحداث ولا زالت تمر تجعل المسلم يتنى قيام
الساعة ، ولا تقوم الساعة قبل أن يظهر الدجال لذلك يتَمَنُّونَ ظهور الدجال وما يكون بين
يديه من ظهور المهدي عليه السلام وما يعقب ظهوره من نزول المسيح عيسى بن مريم عليه
السلام ، وها نحن اليوم نجد كثيراً من المسلمين يتطلعون إلى ظهور المهدي عليه السلام كخروج
للإقناذ ، ولكن الظاهر من النصوص أن بيننا وبين ظهوره أمداً كما سنرى والله أعلم .

٩٩٥ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَأِحِمُّ بَعَثَ اللَّهُ بَعُثًا مِنَ الْمَوَالِي هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا وَأَجُودَةَ سِلَاحًا
يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ » .

٩٩٤ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٤) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، ورواه البزار بنحوه ورجاله ثقات .
وكشف الأستار (٤ / ١٤٠) .

٩٩٥ - ابن ماجه (٢ / ١٣٦٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب الملاحم .

وفي الزوائد : إسناده حسن ، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه .

والمستدرک (٤ / ٥٤٨) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، وقال الذهبي : على شرط مسلم وضعفه

بعضهم وفي رواية الحافظ : « بمثا من الموالي من دمشق » .

أقول :

الظاهر أن المراد بالملاحم هنا ما حدث من غزو الصليبيين والتتار ، فلقد قام أيام هذه الملاحم وبعدها بنصرة الإسلام شعوب غير عربية كالأكراد والأتراك والبربر فيوسف بن تاشفين بربري وصلاح الدين كردي ونور الدين الشهيد تركي ، ثم ظهرت دولة آل عثمان فقامت بدور كبير ، وهؤلاء وأمثالهم قاموا بحق الله عليهم وبعضهم كان مقره دمشق وبعضهم كان مقره في غيرها ، ولا ننسى أن قطزاً صاحب معركة عين جالوت وبيبرس الذي كان له دور كبير في الجهاد من الموالي، ولا ننسى أن دمشق كانت حاضرة لنور الدين وصلاح الدين وبيبرس.

٩٩٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَبْلُغُ الْمَسَاكِينَ إِهَابَ أَوْ يَهَابَ » .

قال زهير : قلت لسهيل وم ذلك من المدينة قال : كذا وكذا مثلاً .

٩٩٧ - * روى مسلم عن موسى بن علي بن أبيه ، قال : قال المُسْتَوْدِ الْقَرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ » فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَبْصُرْ مَا تَقُولُ قَالَ : أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : قَالَ لَئِنْ قُلْتِ ذَلِكَ فَإِنَّ فِيهِمْ لِحَصَالًا أَرْبَعًا : إِنَّهُمْ لِأَحْكَمَ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مَصِيبَةٍ ؛ وَأَوْشَكُهُمْ كَرَةً بَعْدَ فَرَةٍ ، وَخَيْرُهُمْ لِلسُّكِينِ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ ؛ وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظَلَمِ الْمَلُوكِ .

أقول : تطلق كلمة الروم ويراد بها النصارى ، والمعروف أن روسيا القيصرية وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية كلها وأستراليا كلها نصارى ، ولا زالت خريطة العالم فيها أكثرية من الروم إذا اعتبرنا سكان أوروبا والقسم الآسيوي من الاتحاد السوفياتي وأمريكا الشمالية والجنوبية يشكلون بالنسبة للعالم حجماً لا بأس به .

٩٩٦ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٥ - باب في سكنى المدينة وعمارها قبل الساعة .
(إهاب) : اسم مكان قريب من المدينة .

أقول : ومن رأى النهضة العمرانية الموجودة في زمننا في المدينة للنورة ، وامتداد العمران المتصاعد فيها رأى مصداق الحديث .

٩٩٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٢) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٠ - باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس .

الفقرة الخامسة عشرة

في :

أشراط صغرى لم تقع بعد

٩٩٨ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، وتخبرة فخذيه بما أحدث أهله بعده » .

أقول : شهد عصرنا إمكانية تسجيل ما يجري من أحداث بوسائل كهربائية دقيقة قد يبلغ حجمها حجم عذبة السوط أو أقل ، وأصبح بالإمكان التنصت على ما يجري داخل الأبواب وفي الاجتماعات بوسائل دقيقة جداً ومع ذلك لا نستطيع حل هذا الحديث على هذا الذي يجري لأن الظاهر أن ما أخبر عنه الحديث سيكون بشكل خارق للعادة والله أعلم .

٩٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » .

أقول : يجمع النساب العرب على أن الأكراد أصولهن عربية قحطانية ، ومن حكم من الأكراد ودان له الناس السلطان صلاح الدين الأيوبي العالم المجاهد العابد، فهل هو المراد بالحديث أو غيره ؟ الله أعلم .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الحديث لم يقع وإنما وقوعه قبيل قيام الساعة بعد وفاة المسيح عليه السلام .

٩٩٨ - الترمذي (٤ / ٤٧٦) ٢٤ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ما جاء في كلام السباع . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(عذبة سوطه) : السير المعلق في طرفه .

٩٩٩ - البخاري (١٣ / ٧٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان ..

سلم (٤ / ٢٢٣) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... الخ .

(يسوق الناس بعصاه) : لم يرد العصا نفسها ، وإنما ضربها مثلاً لطاعتهم ، واستيلائه عليهم .

١٠٠٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« والذي نفسي بيده ، لا تمر الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيترغ عليه ، ويقول :
يا ليتني مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين ، ما به إلا البلاء » .

وفي رواية^(١) : قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول :
يا ليتني مكانه » .

١٠٠١ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك رجل من الموالي ، يقال له : الجهجاه »
وفي نسخة : الجهجل .

١٠٠٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة ؛ أن النبي ﷺ قال : « سمعتم بمدينة جانب
منها في البر وجانب منها في البحر ؟ » قالوا : نعم . يارسول الله ! قال :
« لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق فإذا جاءوها نزلوا .
فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرؤوا بسهم قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر . فيسقط أحد
جانبيها » .

قال ثور : لا أعلمه إلا قال : « الذي في البحر . ثم يقولوا الثانية : لا إله إلا الله
والله أكبر فيسقط جانبها الآخر . ثم يقولوا الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر .
فيخرج لهم . فيدخلوها فيغنموا . فبينما هم يقتسمون المغنم ، إذ جاءهم الصرخ
فقال : إن الدجال قد خرج . فيتركون كل شيء ، ويرجعون » .

أقول : في هذا الحديث كلام عن الفتح الثاني للقسطنطينية ، وأن هذا الفتح سيكون

١٠٠٠ - مسلم (٤ / ٢٢٢١) : الموضع السابق .

(١) البخاري (١٣ / ٧٤) ١٢ - كتاب الفتن ، ١٢ - باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور .

ومسلم (٤ / ٢٢٢١) : الموضع السابق .

١٠٠١ - مسلم (٤ / ٢٢٢٣) : الموضع السابق .

١٠٠٢ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) : الموضع السابق .

بخارق للعادة ، وأن القائمين ليسوا عرباً في أصولهم بل أصولهم من بني إسحاق ، والمعروف أن إسحاق له أكثر من ولد ، فله غير يعقوب جد بني إسرائيل . وحول قوله من بني إسحاق قال القاضي :

كذا هو في جميع أصول مسلم : « من بني إسحاق » . قال : قال بعضهم : المعروف المحفوظ : « من بني إسماعيل » ، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب ، وهذه المدينة هي القسطنطينية . ١ . ه .

١٠٠٣ - * روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنكم ستفتحون مدينة هرقل أو قيصر وتقتسمون أموالها بالتَّرْسَةِ وَيُسْمِعُهُم الصَّرِيخُ أَنْ الدِّجَالَ قَدْ خَلْفَهُمْ فِي أَهَالِيهِمْ فَيَلْقُونَ مَامِعَهُمْ وَيَخْرُجُونَ فَيَقَاتِلُونَ » .

أقول :

لقد مر معنا إخبار رسول الله ﷺ بفتح القسطنطينية قبل روما ، وقد حدث هذا الفتح ، وههنا تشير النصوص إلى فتح آخر للقسطنطينية يكون قبل الدجال مباشرة ، وهذا يفيد تغير ماسيطراً على الوضع الدولي قبيل ظهور المسيح الدجال ، تكون القسطنطينية فيه دار كفر ، وكون القسطنطينية اليوم لا يحكمها الروم فذلك من جملة العلامات على أن بيننا وبين المهدي زمناً ، لأن المهدي يجتمع والمسيح ابن مريم عليه السلام .

١٠٠٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قَالَ : « لا تقوم الساعة حتى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ - أو بدابق - فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا ، قالت الروم : خلأوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله ، كيف نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ؟ فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم

١٠٠٣ - مجمع الزوائد : (٧ / ٢٤٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .
(التَّرْسَةُ) : جمع تَرَس .

١٠٠٤ - مسلم (٤ / ٢٢٢١) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب .

أفضل الشهداء عند الله ، وَيَفْتَتِحُ الثَّلْثُ ، لا يفتنون أبداً ، فَيَفْتَتِحُونَ قسطنطينية ، فبينما هم يَتَسِيمُونَ الغنائم ، قد عُلِّقُوا سِيوفَهُمْ بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ قد خَلَّفَكُمْ في أهاليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشامَ خرج ، فبينما هم يُعِدُّونَ للقتال ، يُسَوِّونَ صفوفهم ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابنُ مريم ، فأمرهم ، فإذا رآه عدو الله ذابَ كما يذوبُ المُلْحُ في الماء فلو تركه لأنذابَ حتى يَهْلِكَ ، ولكن يَقتله الله بيده - يعني المسيح - فيرهبهم دَمَةً في حربته .

قوله : (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو دابق) قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

(الشك من الراوي . قال العلامة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : « الأعماق جاء بلفظ الجمع ، والمراد به القمق ، وهي كورة - أي ناحية - قُربَ دابق بين حلب وأنطاكية . » ثم قال : « دابق : قرية قُربَ حلب من أعمال عَرَاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ » . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

(خَلَّفَكُمْ) خلفت الرجل في أهله : إذا قت فيهم مقامه ، وخلفهم العدو : إذا طرقتهم وهم غائبون عنهم .

قوله : (فإذا جاءوا الشام خرج) : قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : (أي إذا جاءوا من قسطنطينية إلى بلاد الشام ودخلوا القدس - كما في رواية - خرج حينئذ المسيح الدجال . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

قوله عليه السلام (قد علقوا سيوفهم بالزيتون) : يحتمل أن يكون المراد بالسيوف : الأسلحة ، كما سيذكر نصاً في رواية ستأتي بعد قليل ، ومن المعروف أن البندقية الحالية وهي أداة المقاتل الرئيسية لا تنفك عن الحربة التي هي سيف مصغر ، ويحتمل أن يكون المراد بالسيوف : السيوف المعروفة ، وهذا يقتضي أن طوارئ ستطراً على الأوضاع الحالية

للخضارة يرجع الناس فيها إلى أدوات القتال المعروفة قديماً ، ومن المعلوم أن كثيرين من المسكرين يتوقعون إذا قامت حرب عالمية ثالثة أن تنفي هذه الحضارة وأن توجد معطيات جديدة ، وفي الحديث إجمال ستفصله نصوص أخرى ، فالمسيح عليه السلام ينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق ثم يذهب إلى القدس ، وتكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية وقتذاك ، وعلى أرض فلسطين يقتل المسيح عليه السلام المسيح الدجال ، ويقتل المسلمون اليهود الذين يأتون مع المسيح الدجال ، وعلى هذا يحمل الحديث : « ... إن الحجر والشجر يقولان : يا عبد الله يا عبد الرحمن هذا يهودي فاقتله » . وهذا كله يدل على أن دولة اليهود القائمة الآن وجودها عارض .

١٠٠٥ - * روى مسلم عن يسير بن جابر - أو أسير - رضي الله عنه ، قال : هاجت ریح حمرأ بالكوفة ، ف جاء رجل ليس له هجيري إلا : يا عبد الله بن مسعود ، جاءت الساعة ، قال : فقم - وكان متكئاً - فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميثاق ، ولا يفترج بغنية ، ثم قال بيده هكذا - ونحأها نحو الشام - فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ، ويجمع لهم أهل الإسلام ، قلت : الروم تعني ؟ قال : نعم ، ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة ، فيتشرط المسلمون شرطاً للموت ، لا ترجع إلا غالباً ، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يتشرط المسلمون شرطاً للموت ، لا ترجع إلا غالباً ، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يتشرط المسلمون شرطاً للموت ، لا ترجع إلا غالباً ، فيقتلون حتى يمسوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام ، فيجعل الله الدائرة عليهم ، فيقتلون مقتلة - إما قال : لا يرى مثلها ، وإما قال : لم ير مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم ، فإيخلفهم

١٠٠٥ - مسلم (٤ / ٢٢٢٣) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١١ - باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال .

(هجيري) : هجيره ، أي : عادته ودينه .

(شرطة) : الشرطة : أول طائفة من الجيش يشهد الوقعة ، والتشرط : تقبل منه .

(نهد) : الجيش لقتال العدو : إذا نهضوا إليه .

حتى يَخِرَّ مَيِّتًا ، فيتعاذُ بنو الأم كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنية يُفْرَح ، أو أي ميراث يُقَسِّمُ ؟ فبينما هم كذلك إذ سَمِعُوا ببأسٍ هو أكبر من ذلك ، فجاءهم الصَّريخُ : إنَّ الدجالَ قد خَلَفَهُم في دَرَارِيهِمْ ، فَيَرْفُضُونَ ما بأيديهم ، ويَقْبَلُونَ ، فيبعثون عَشْرَةَ فِوَارِسَ طليعةً ، قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرفُ أسَاءَهُمْ ، وأسَاءَةَ آبَائِهِمْ ، وألوانَ خيولِهِمْ ، هم خير فِوَارِسَ على ظهر الأرض يومئذٍ » أوقال : « من خير فِوَارِسَ » .

أقول :

في هذا الحديث تفصيل للملحمة التي تكون بين يدي الساعة ، وكلمة الروم تطلق على النصارى في عصر النبوة ، فالملحمة الكبرى ستكون بين النصارى والمسلمين ويكون النصر للمسلمين ثم يتابعون النصر فيفتحون القسطنطينية التي تكون وقتذاك بيد النصارى مرة ثانية - والذي يبدو أن ذلك سيكون بعد قيام دولة الإسلام العالمية التي تحدثنا عنها من قبل - ثم يظهر الدجال وينزل عيسى بن مريم فيقتله في فلسطين عند باب لد الشرقي .

١٠٠٦ - * روى البخاري عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ أَدَمَ ، فَقَالَ : « أَعَدُّدُ سَيِّئَاتِي بِيَدِي السَّاعَةِ : مَوْتِي ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ ، كَقَعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظِلُّ سَاخِطًا ، ثُمَّ فَتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلْتَهُ ، ثُمَّ هَدَنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَيَغْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » .

= (هيتعاذُ) : التماذُ : تفاعل من العذ ، أي يعدُّ بعضهم بعضًا .

(البأس) : الخوف والشدة .

١٠٠٦ - البخاري (٦ / ٢٧٧) ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة ، ١٥ - باب ما يجذر من الغدر .

(مَوْتَانِ) : الموتان بضم الميم : وهو الموت الكثير الوقوع .

(الْقَعَاصِ) : دابة يأخذ الغنم ، لا يلبثها أن تموت ، وقد حدث هذا في الطاعون الذي وقع في بلاد الشام زمن عمر

رضي الله عنه .

(غَايَةً) : الغاية : بالغين المعجمة : الراية ، ومنه غاية الحمار ، وهي خرقة يرفعها على بابه ، ومن رواه بالباء : =

أقول :

بعض ماورد في هذا النص وقع ، وبعضه لم يقع ، ومنه الفتنة التي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، والتي سيكون بعدها قيام دار العدل يلجأ إليها المسلمون ، وهذه الدار تكون في هدنة مع النصارى ، ويبدو كما سنرى في نص آخر أنه يعقب ذلك تحالف مع النصارى على قتال عدو ولا يبعد أن تكون هذا العدو هو الشيوعيين ، فينتصر المسلمون والنصارى عليهم ثم يفدر النصارى ويكون النصر للمسلمين في المآل فيتابعون الحرب حتى تفتح لهم القسطنطينية .

١٠٠٧ - * روى مسلم عن جابر بن سمرة . عن نافع بن عتبة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَغزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ . ثُمَّ تَغزُونَ الرُّومَ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ . ثُمَّ تَغزُونَ الدُّجَالَ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ » قَالَ فَقَالَ نَافِعُ : يَا جَابِرُ لَا تَرَى الدُّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تَفْتَحَ الرُّومَ .

أقول :

هذا الحديث يوضح مامرّ معنا من قبل أن ردة ستقوم يقضي عليها أهل الإسلام وعلى رأسهم خليفة المسلمين في بيت المقدس ، والظاهر أنه المهدي عليه السلام فإن مركز الخلافة أيام هذه الأحداث هو القدس كما سيرّ معنا .

١٠٠٨ - * روى أحمد عن ذي مِخْبِرٍ (رفعه) : « ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدواً من وراءهم ، فتسلمون وتغنون ، ثم تنزلون بمرج ذي تلؤل فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ، ويقول : غلب الصليب ! فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله ، فيغدر القوم ، وتكون الملاحم » .

= فإنه أراد الأجمة : شبه كثرة رماح العسكر بها .

١٠٠٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١١ - باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

١٠٠٨ - أحمد (٤ / ٩١) .

وأبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر من ملاحم الروم .

وإبن ماجه (٢ / ١٣٩٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب الملاحم . وهو حديث صحيح .

وفي رواية (١) : « ويشور المسلمون إلى أسلحتهم فَيَقْتَتِلُونَ ، فَيَكْرِهُمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ » .

أقول : هذا النص هو الذي أشرنا إليه من قبل من أن المسلمين يكونون في هدنة مع النصارى ثم في تحالف على قتال عدوهم في صراع مع المسلمين ثم يكون الدجال ، كما أنه هو الحديث الذي يذكر كلمة (الأسلحة) وهو الذي جعلنا نحتل أن كلمة السيوف التي وردت في حديث مسلم يمكن أن يراد بها الأسلحة .

١٠٠٩ - * روى أبو داود عن أبي الدرداء ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن فسْطَاطَ المسلمين يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْعُوْطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دَمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ » .

١٠١٠ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَوْشِكُ الْمَسْلُومُونَ أَنْ يَحَاصِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، حَتَّى يَكُونَ أْبَعْدَ مَسَاحِلِهِمْ : سِلَاحٌ » قال الزهري : سلاح قريب من خيبر .

(مساحلهم) : المسالِح جمع مَسْلُحَة ، وهم قوم ذوو سلاح ، والمسْلُحَة أيضًا كالثغر والمرْقَب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم ، فإذا رأوه : أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له .

١٠١١ - * روى البخاري ومسلم عن أمِّ الْمُؤْمِنِينَ أمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَغْزُو جَيْشُ الْكُفْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِيهِمْ » . قَالَتْ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِيهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ! ؟ قَالَ : « يُخْسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِيهِمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ » .

(١) أبو داود : (٤ / ١١٠) للوضع السابق .

١٠٠٩ - أبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم ، باب في المعقل من الملاحم . وهو صحيح .

١٠١٠ - أبو داود : للوضع السابق . وهو صحيح .

١٠١١ - البخاري (٤ / ٣٣٨) ٣٤ - كتاب البيوع ، ٤٩ - باب ما ذكر في الأسواق . واللفظ له .

مسلم (٤ / ٢٢٠٩) . ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٢ - باب الحسف بالجيش الذي يؤم البيت .

١٠١٢ * - روى أبو داود عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ؛ وفتح القسطنطينية خروج الدجال » قال : ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال : « إن هذا لحق مثل ما إنك هاهنا أو كما أنك قاعد » .

١٠١٣ * - روى ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان ؛ قال : قال رسول الله ﷺ « يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب . حتى لا يدري ماصيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة . وليسرى على كتاب الله ، عز وجل ، في ليلة . فلا يبقى في الأرض منه آية . وتبقى طوائف من الناس ، الشيخ الكبير والعجوز . يقولون ؛ أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله . فنحن نقولها » فقال له صلة : ماتغني عنهم ؛ لا إله إلا الله ، وهم لا يدرون ماصلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة ، ثم ردها عليه ثلاثاً . كل ذلك يعرض عنه حذيفة . ثم أقبل عليه في الثالثة ، فقال : يا صلة ! تنجيهم من النار . ثلاثاً .

أقول :

الظاهر أن هذا سيكون بعد نزول المسيح عليه السلام .

* * *

١٠١٢ - أبو داود (٤ / ١١٠) كتاب الملاحم باب في أسارات الملاحم . والحديث رواه أبو داود عن عباس العنبري عن

أبي النضر هاشم بن القاسم به ، وقال : هذا إسناد جيد وحديث حسن .

١٠١٣ - ابن ماجه (٢ / ١٣٤٤) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٤ - باب ذهاب القرآن والعلم .

وفي الزوائد : إسناده صحيح . ورجاله ثقات .

وللمستدرک (٤ / ٤٧٣) وقال : إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(يدرس الإسلام) : من درس الرسم دروساً ، إذا عفا وهلك . ومن درس الثوب درساً إذا صار عتيقاً .

(وشي الثوب) نقشه .

(وليسرى على كتاب الله) أي يذهب بالليل .

الفقرة السادسة عشرة

في :

انحسار الفرات عن جبل من ذهب

١٠١٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يحسِرَ الفُراتُ عنَ جبلٍ من ذهبٍ يَقْتِيلُ الناسَ عليه فيقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعة وتسعون ، فيقولُ كلُّ رجلٍ منهم : لعلِّي أكون أنا أنجو » .

وفي رواية : ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشِكُ الفُراتُ أن يحسِرَ عن كَنْزٍ من ذهبٍ ، فمن حَصَرَه فلا يأخذُ منه شيئاً » .

وفي رواية لأبي داود ^(٢) مثل الثانية وقال : « عن جبلٍ من ذهب » .

١٠١٥ - * روى مسلم عن عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه ، قال : كنتُ واقفاً مع أبي بن كعبٍ ، فقالَ : لا يزالُ الناسُ مختلفَةً أعناقهم في طلبِ الدنيا ، قلتُ : أجلُ ، قالَ : فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « يوشِكُ الفُراتُ أن يحسِرَ عن جبلٍ من ذهبٍ ، فإذا سمِعَ به الناسُ ساروا إليه ، فيقولُ مَنْ عنده : لئن تَرَكَنا الناسُ يأخذون منه ليذهبنَّ به كُلِّه » قالَ : « فيقتلون عليه ، فيقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعة وتسعون » .

١٠١٤ - البخاري (١٣ / ٧٩) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٤ - باب خروج النار .

١ : مسلم (٤ / ٢٢١٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يحسِرَ الفرات عن جبل من ذهب .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٠) للموضع السابق .

وأبو داود (٤ / ١١٥) كتاب الملاحم ، باب حسر الفرات عن كنز .

والترمذي (٤ / ٦٩٨) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٦ - باب حدثنا أبو سعيد الأشج ..

وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أبو داود : للموضع السابق .

١٠١٥ - مسلم : للموضع السابق .

وفي رواية : وقفت أنا وأبي بن كعب في ظل أطمِ حَسَانٍ .

أقول :

لقد مرَّ معنا أنّ الملحمة الكبرى يقتل فيها من المسلمين من كلّ مائة تسعة وتسعون وههنا ترد النصوص لتذكر أنه بسبب ظهور ذهب الفرات يقتل من كلّ مائة تسعة وتسعون فهل لذهب الفرات علاقة بغدر النصارى وهو عامل في طمعهم وقتالهم أو المسلمين أنفسهم يقتتلون على ذهب الفرات حتى يفني بعضهم بعضاً ويكون ذلك سابقاً على مرحلة الملحمة الكبرى كأنّ تتنازع الدول التي يمرّ فيها الفرات على ما يظهر في مجراه ؟ الأمر محتمل .

* * *

الفقرة السابعة عشرة

في :

أشراط الساعة الكبرى إجمالاً

وفي :

بعض أشراط أخرى تكون بين

يدي الساعة

المقدمة

إنّ تغيّر النظام الكوني ووجود نظام آخر حدثَ يمدلُ حدثَ خلق العالم أول مرة ، ولذلك تسبقه أحداث كبرى خارقة للعادة لتكون كالمقدمة له ، منها : الدخان ، قال تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ ^(١) . ومنها : خروج دابة الأرض ، قال تعالى : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ ^(٢) . ومنها خروج الدجال الذي وردت فيه أحاديث جعلت خروجه من باب المتواتر المعنوي الذي يكفر منكره . ومنها : نزول المسيح عليه السلام الذي أشارت إلى نزوله آيات قرآنية ثلاث : قال تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ ^(٣) ، ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ﴾ ^(٤) ، ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ ^(٥) ، وقد فسرها بعضهم بأن الوفاة تكون بعد الرفع والنزول .

وقد ورد فيه من الأحاديث أكثر من ثمانين حديثاً ومن الآثار عن الصحابة أكثر من أربعين أثراً ومن الكتب التي ألفت فيه (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) فنكر نزوله كافر .

(٢) النمل : ٨٢ .

(٤) النساء : ١٥٩ .

(١) الدخان : ١٠ .

(٣) الزخرف : ٦١ .

(٥) آل عمران : ٥٥ .

ومن علامات الساعة الكبرى : ظهور يأجوج ومأجوج ، ومنها خروج الشمس من مغربها ، وقد أشارت إلى ذلك الآية : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾^(١) .

وما يحدث بين يدي الساعة : هدم الكعبة وإلقاء أحجارها في البحر ، ومنها : هبوب ريح تقبض روح كل مؤمن ، فلا تقوم الساعة إلا على كافر .

ومن أشراف الساعة الكبرى : خروج نار من عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر بشكل خارق ، وقبل ذلك كله تنزل الخلافة الأرض المقدسة فتكون عاصمة المسلمين القدس ويظهر المهدي عليه السلام وكل ذلك يكون بين يدي الحدث الأكبر وهو قيام الساعة وما يكون فيه ويكون بعده .

النصوص

١٠١٦ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « الآيات كخَرَزَاتٍ مَنْظُومَاتٍ فِي سِلْكِ فَانْقَطَعَ السُّلْكُ فَتَبِعَ بَعْضُهَا بَعْضًا » . وقد ضَعَّفَ عامَّةُ المُحدِّثينَ عليَّ بنَ زيدٍ إلا أن معنَى الحديثِ يشهدُ له الحديثُ الذي بعده ، فالمعنى صحيحٌ . والحديثُ إن لم يكن حسنًا بذاته فهو حسنٌ بشواهدِهِ .

١٠١٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خَرُوجُ الآيَاتِ بَعْضُهَا عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ تَتَابَعْنَ كَمَا تَتَابَعُ الْخَرَزَاتُ فِي النِّظَامِ » .

١٠١٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن حذيفة بن أسيد (أراه رفعه) : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ رَنَّتِ الْأَرْضُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتْ » . قال ابن عيينة : تخرج حين يسير الإمام من جمع ، وإنما جعل سابقًا ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج .

١٠١٩ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أُنْسَهُ بَعْدُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى ، وَأَيُّهَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا ، فَالْآخَرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا » .

وفي رواية ^(١) جَلَسَ إِبْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يَحَدِّثُ عَنِ الآيَاتِ : أَنَّ أَوَّلَهَا خُرُوجًا : الدَّجَالُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : لَمْ يَقُلْ مَرْوَانٌ

١٠١٦ - أحمد (٢ / ٢١٩) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٢٢١) . وقال : رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث .

١٠١٧ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢١) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط . ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني ، وكلاهما ثقة .

١٠١٨ - مجمع الزوائد (٨ / ٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٠١٩ - مسلم (٤ / ٢٢٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٢٣ - باب في خروج الدجال ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦) . للوضع السابق .

شيئا ، قد حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حديثا لم أنسه بعد ، سمعته يقول : « أولُ الآيات خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج الدابةِ على الناس ضُحى ، وأُتَتْها كانت قبل صاحبتهَا فالأخرى على إثرها قريبًا » .

وروى أبو داود نحو الثانية (١) ، وقال في آخرها : قال عبد الله : وكان يقرأ الكتب ، وأظنُّ أولها خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها .

١٠٢٠ - * روى الترمذي عن أبي ذرِّ الغفاري رضي الله عنه ، قال : دخلتُ المسجدَ حين غابت الشمس والنبي ﷺ جالسٌ ، فقال : « يَا أَبَا ذرٍّ ، أين تذهب هذه ؟ » قال : قلتُ : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنها تذهبُ تستأذِنُ في السجودِ ، فيؤذَنُ لها ، وكأنها قد قيل لها : اطلعي من حيثُ جئتِ ، فتطلعُ من مغربها » قال : ثم قرأ (وذلك مستقرُّها) يس : ٢٨ . وقال : وذلك في قراءة عبد الله بن مسعود .

أقول :

قوله عليه الصلاة والسلام (أين تذهب هذه ؟) : فيه من الحكمة النبوية ما لا يحاط به فالشمس كما هو مقرر الآن تدور حول نفسها ، وهي جزء من مجرتها تدور بدورتها ، ودورة المجرة تستغرق ملايين السنين ، والشمس مع مجموعتها من الكواكب تسير نحو كوكبة الجاثي بسرعة هائلة ، فإذا تأملنا هذا وتأملنا قراءة ابن مسعود التي تعتبر تفسيرًا للحالة التي تسبق خروج الشمس من مغربها : « وذلك مستقرُّها » ، فبالإمكان أن نحتمل أن نقطة ما في الفضاء لن تتجاوزها الشمس في سيرها ثم تؤمر بالرجوع فيحدث نتيجة لذلك هذا الحدث الضخم الذي من آثاره أن تظهر الشمس من مغربها ثم يعود الأمر إلى ما كان ، وعلى مقتضى ما نعرفه الآن من دوران الأرض ، فالظاهر أن الأرض نفسها سيحدث لها شيء ما لفترة محدودة بأن ترجع إلى الوراء فتظهر الشمس وكأنها تشرق من المغرب ثم يعود الأمر إلى ما كان . وذلك تقوله بناءً على معطيات عصرنا في أن الأرض تدور حول نفسها وأنها تدور

(١) أبو داود (١١٤ / ٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

١٠٢٠ - الترمذي (٣٦٤ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٣٧ - باب ومن سورة يس . وقال : حديث حسن صحيح .

قال ابن الأثير : وقد أخرج البخاري ومسلم هذا المعنى بأطول منه .

حول الشمس ، إلا أننا لا نجزم بشيء في هذا الموضوع إلا ما ذكره النص ، وكيفية ذلك عند الله علمها ، وإنما نضطر أحياناً لذكر بعض المعاني من باب تقريب الأمور لأنواع من الدارسين ، وفي مسألتنا هذه ما أسهل على الله عز وجل أن يرجع الله دورة الكرة الأرضية إلى الوراء فتظهر الشمس من مغربها ، إلا أننا ذكرنا الاحتمال الآخر ، لأنه يجري على مقتضى عالم الأسباب ، فبعض علماء الكون يذكرون احتمالاً أن تصل الشمس إلى نقطة ما في سيرها نحو كوكبة الجاثي ثم لا تتجاوزها .

وإنما شجعنا على أن نحاول هذه المحاولة في فهم النص أن للعلماء أكثر من اتجاه في فهمه . وكنودج على تعدد الآراء فيه نذكر ما قاله النووي رحمه الله في شرح مسلم .

قال النووي :

هذا مما اختلف المفسرون فيه . قال جماعة بظواهر الحديث ، قال الواحدي وعلى هذا القول إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها . وقال قتادة ومقاتل : معناه تجري إلى وقت لها وأجل لا تتعداه قال الواحدي : وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا . وهذا اختيار الزجاج وقال الكلبي تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها واختار ابن قتيبة هذا القول والله أعلم . وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك بخلق الله تعالى فيها . ا . هـ

١٠٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها » .

وفي رواية (١) : « فإذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعون ، فذلك حين

١٠٢١ - البخاري (٨ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٦ - سورة الأنعام ، ٩ - باب ﴿ قل لهم شهداءكم ﴾ .

مسلم (١ / ١٣٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٢ - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان .

وأبو داود (٤ / ١١٥) كتاب اللامح ، باب أمارات الساعة .

(١) البخاري (١١ / ٣٥٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٠ - باب حدثنا أبو الهيثم .

ومسلم : الموضع السابق .

لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

١٠٢٢ - * روى ابن ماجه عن صفوان بن عسال قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ قَبْلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرُضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نُحُوهِ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نُحُوهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تُكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا » .

١٠٢٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بادِروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الندابة ، أو خاصّة أحدكم ، أو أمر العامة » .

وفي رواية مثله ^(١) ، والجميع بواو العطف ، وفي آخره : « وَخَوِيصَّةَ أَحَدِكُمْ » .

(خَوِيصَّة) : خَوِيصَّة تصغير خاصة الإنسان ، وهي ما يخصه دون غيره .

أقول :

لاحظ قوله عليه السلام : (وأمر العامة) وتأمل ما يجري في عصرنا حيث يراد ألا يكون للعلماء أي دور في توجيه أمور العامة ، والأمر خطط له أو يخطط بحيث يكون الأمر بيد العامة .

١٠٢٤ - * روى مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذاكرون ؟ » قلنا : نذكر الساعة . قال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » فذكر الدخان ، والدجال ، والذابّة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف

١٠٢٢ - ابن ماجه (٢ / ١٢٥٣) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٢٢ - باب طلوع الشمس من مغربها .

١٠٢٣ - مسلم (٢ / ٢٣٦٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٣٦٧) للموضع نفسه .

(خَوِيصَّة) : خويصة تصغير خاصة الإنسان ، وهي ما يخصه دون غيره .

١٠٢٤ - مسلم (٤ / ٢٣٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٢ - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

١٠٠٩

بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك : نارٌ تطرد الناس إلى مَحْشَرِهِمْ .

وفي رواية (١) قال : كان النبي ﷺ في غُرْفَةٍ ونحن أسفل منه ، فاطلع إلينا .. وذكر نحوه .

وفي أخرى (٢) نحوه وقال أحدهما في العاشرة : نزول عيسى ابن مريم ، وقال الآخر : وريح تُلقِي الناسَ في البحر .

وفي رواية أبي داود (٣) ، قال : كُنَّا قَعوداً في ظِلِّ غُرْفَةٍ لرسول الله ﷺ ، فذكرنا الساعة ، فارتفعت أصواتنا ، فقال رسول الله ﷺ : « لن تكون - أو لن تقوم - حتى يكونَ قبلَهَا عَشْرُ آياتٍ : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابة ، وخروجُ يأجوج ومأجوج ، والدُّجَال ، وعيسى ابنُ مريم ، والدُّخَانُ ، وثلاثُ خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخرُ ذلك : تَخْرُجُ نارٌ من اليمن ، من قَعْرِ عَدَن ، تسوق الناسَ إلى المَحْشَرِ » .

وفي رواية الترمذي (٤) نحو الأولى ، وزاد في ذكر النار قال : « ونارٌ تخرج من قعر عَدَن ، تسوق الناس - أو تحشر الناس - فتبييتُ معهم حيثُ باتوا ، وتَقِيلُ معهم حيثُ قالوا » .

أقول :

قوله عليه السلام في هذا الحديث (والدخان) وقول الراوي (فذكر الدخان) وقوله في الحديث السابق الذي رواه مسلم (أو الدخان) حمله بعض العلماء على دخان يكون بين يدي الساعة ويعتبر من أشراتها الكبرى . وعلى ذلك فسروا قوله تعالى ﴿ فارتقب يوم ﴾

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : للموضع نفسه .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : للموضع نفسه .

(٣) أبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(٤) الترمذي (٤ / ٤٧٧) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الحسف . وقال : حديث حسن صحيح .

تأتي السماء بدخانٍ مبينٍ . وقد ذكر بعضهم أنه أول أشرطة الساعة الكبرى ظهوراً ، وهناك اتجاهات أخرى في تفسير الدخان في الآية منها ما ذكره البخاري عن ابن مسعود أنه : ما أصاب قريشاً من قحطٍ جاعوا معه فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، والقول الراجح عند العلماء أن الدخان من أشرطة الساعة الكبرى وأنه لم ييئ بعد ، والظاهر أنه يعم العالم ، ومن عرف الأسلحة الذرية اليوم واحتمالات تفجيرها وأنّ سحابها يمكن أن يغطي العالم احتل أن تكون النصوص تشير إلى مثل ذلك ، لكن ظاهر النصوص يشير إلى أنه عقوبة ربانية مباشرة ، وقد ذكر الألويسي رواية تنص على أنه يبقى أربعين يوماً أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنه ودبره ، ومع أن القول الراجح عند العلماء التوقف والتفويض في تسلسل وقوع بعض أشرطة الساعة الكبرى ، إلا أنّ تسلسل بعضها يقيني ، لكنّ بعضهم رجّح من خلال الاستقراء أن التسلسل يكون على الشكل التالي : الدخان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم خروج الهدابة ثم طلوع الشمس من مغربها ثم ريح تقبض روح كل مؤمن فلا يبقى إلا كافر ، ثم نار تخرج من عدن تسوق الناس جميعاً إلى أرض الحشر أي أرض الشام ثم تكون القيامة .

أما الخسوف فلا يشترط أن يكون بعد ذلك لأن حرف العطف (الواو) يقتضي مطلق الجمع ، وقد شهدنا في عصرنا خسف مدينة أغادير في المغرب حيث إن أحد فنادقها الذي يبلغ أكثر من عشرين طابقاً لم يبق منه على وجه الأرض إلا لافتنة التي كانت منصوبة على الطابق الأخير ، وقد عرفنا خسفاً وقع في عصرنا في إيران ، ولكن هل المراد بأمثال هذه الخسوف هو ما ذكرته النصوص أو المراد خسوف أخرى . وعلى كل فتسلسل علامات الساعة التي وردت في الحديث لا يؤخذ من نص الحديث لأن الواو في العربية لمطلق الجمع لا للترتيب ، والذين تكلفوا ذكر التسلسل أخذوه من استقراءات شاملة للنصوص لا من لفظ الحديث نفسه .

١٠٢٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثٌ

إذا خَرَجْنَا لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ : طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ .

أقول :

هذا محمول على من بلغته الدعوة وكان عاقلاً بالفاً واختار الكفر وظهرت له واحدة من هذه الأشرطة الثلاثة لأنه في حكم من انكشف له الغيب ، فالمعروف أن المحتضر متى انكشف له شيء من أمر الغيب عند خروج روحه لم تعد تنفعه توبة ولا يقبل منه إيمان ، وكذلك من رأى شرطه من هذه الأشرطة الثلاثة .

ويمكن أن يحمل الحديث على أن المراد بذلك الإخبار بالنسبة للدابة والدجال بمعنى أنه متى ظهر الدجال أو الدابة فالكافر مستر على كفره لا بمعنى أنه لا يقبل إسلام من أسلم ، قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ^(١) . فأما بالنسبة للشمس فلا شك أنه بعد ظهورها من المغرب ﴿ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ ﴾ ، أما بالنسبة للدجال والدابة فظاهر النص الذي بين أيدينا أن الأمر كذلك ولكن الاحتمال الثاني يبقى قائماً لكثرة النصوص في موضوع الشمس وقتها بالنسبة للدجال والدابة في موضوع عدم قبول الإيمان .

قال الألبوسي رحمه الله بعد أن ذكر أن من علامات الساعة الكبرى : خروج الدابة وظهور الدجال وطلوع الشمس من مغربها أن بعض المفسرين فسروا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ ^(١) . بهذه الآيات الثلاث ، وعلى هذا القول فإن أياً من هذه الآيات الثلاث إذا خرجت لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ . لكنه ذكر أن هذا القول قد استشكل ولذلك فنحن في تعليقتنا راعينا هذا الإشكال فذكرنا احتمالين للنص الذي رواه الإمام مسلم .

= والترمذي : (٥ / ٢٦٤) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٧ - باب ومن سورة الأنعام .

وقال : حديث حسن صحيح .

(١) الأنعام : ١٥٨ .

وفيما يلي كلام الألويسي رحمه الله :

وبعضها على ما قيل : الدجال . والدابة . وطلوع الشمس من مغربها وهو المراد بالبعض أيضاً في قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ (١) وروى مسلم . وأحمد . والترمذي . وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً ما هو صريح في ذلك : واستشكل ذلك بأن خروج عيسى عليه السلام بعد الدجال عليه اللعنة وهو عليه السلام يدعو الناس إلى الإيمان ويقبله منهم وفي زمنه خير كثير دنيوي وأخروي ، وأجيب عنه بما لا يخلو عن نظر . والحق أن المراد بهذا البعض الذي لا ينفع الإيمان عنده طلوع الشمس من مغربها « ا . هـ (روح المعاني) .

١٠٢٦ - * روى أحمد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « تخرج الدابة ، فتسبم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرون فيكم ، حتى يشتري الرجل الدابة ، فيقال : من اشتريت ؟ فيقول : من الرجل الخطم » .

فائدة :

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن الدابة :

هي المغيبة بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٣ : ٣٧٤ : « هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس ، وتزكهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق ! يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك » . قال الألويسي في « روح المعاني » ٦ : ٣١٤ : « أي تكلمهم بأنهم لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها ، أو بجميع آياته التي من جللتها تلك الآيات . وقصارى - أي غاية - ما أقول في هذه الدابة أنها دابة عظيمة ذات قوائم ،

(١) الأتعام : ١٥٨ .

١٠٢٦ - أحمد (٥ / ٢٦٨) .

مجم الزوائد (٨ / ٦) . وقال : رواء أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة .

١٠١٣

ليست من نوع الإنسان أصلاً ، يُخرجها الله تعالى آخِرَ الزمان من الأرض ، وتَخْرُجُ في الناس مؤمن وكافر .

ويدلُّ على ذلك ما أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ص ٣٣٤ ، وأحمد في « مسنده » ٢ : ٢٩٥ و ٤٩١ ، والترمذي في « سننه » ١٢ : ٦٣ وحسَّنة ، وابن ماجه في « سننه » ٢ : ١٣٥١ واللفظُ له ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ومِيعَهَا خَاتَمٌ سَلِيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، وَعَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَتَجَلُّو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ - أَي تَنْوِّرُهُ وَتَبَيِّضُهُ - بِالْعَصَا ، وَتَخَطِّمُ أَنْفَ الْكَافِرِ - أَي تَسِمُهُ وَتَجْعَلُ عَلَيْهِ عَلَامَةً - بِالخَاتَمِ ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْحِوَاءِ - أَي أَهْلَ الْحَيِّ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ مَاءٌ يَسْتَقُونَ مِنْهُ - لَيَجْتَمِعُونَ ، فَيَقُولُ هَذَا : يَامُؤْمِنُ ، وَيَقُولُ هَذَا : يَا كَافِرٌ . » ثم قال الألبوسي : وهذا الخبرُ أقربُ الأخبارِ المذكورة في الدَّابَّةِ لِلْقَبُولِ . انتهى .

واستظهر الحاكم أبو عبد الله النيسابوري أن طلوع الشمس من مغربها يسبقُ خروجَ الدَّابَّةِ ، ثم تَخْرُجُ الدَّابَّةُ في ذلك اليوم أو الذي يَقْرَبُ مِنْهُ . قال الحافظ ابن حجر بعد نقله قولَ الحاكم في « فتح الباري » ١١ : ٣٠٤ : « والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يُغْلَقُ بابُ التوبة فتَخْرُجُ الدَّابَّةُ تَمَيِّزُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ تَكْيِلاً لِلْمَقْصُودِ مِنْ إِغْلَاقِ بَابِ التَّوْبَةِ » . انتهى . ففي المسألة قولان ، رجَّح الحافظُ ابن حجر منها أسبقية طلوع الشمس من مغربها . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

مرَّ معنا حديث مسلم الذي يذكر أن الدابة والدجال والشمس إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها فإذا كانت الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها فلا إشكال أما إذا كانت قبل ذلك فعندئذ يكون لحديث مسلم الاحتمالان اللذان ذكرناهما هناك ، وأما الحديث الذي أورده الشيخ عبد الفتاح في فائدته فبعض فقراته لها شواهد وبعض فقراته ضعفها بعضهم ، والحديث وَجِدَ مِنْ حَسَنَةٍ وَوَجِدَ مِنْ ضَعْفِهِ .

الفقرة الثامنة عشرة

في :

المهدي عليه السلام

مقدمة

- تزيد الروايات الواردة بالتبشير بخليفة راشد يكون من بيت النبوة على العشرين ، وهذا يجعلنا تقطع بورود هذا المعنى عن رسولنا عليه الصلاة والسلام .
- وهناك نصّ صحيح يذكر عودة الخلافة الراشدة بعد الملك الجبري .
- وهناك نصّ عند مسلم يتحدث عن خليفة في آخر الزمان يحيي المال حثيًا ولا يعدّه عدًا ، وهناك روايات متعددة تذكر خليفة من آل بيت النبوة .
- وهناك روايات تذكر أن الخلافة إذا نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والفتن .
- وهناك روايات تذكر أنّ المسيح ينزل للمسلمين إمام في القدس ، فهل هذا الإمام هو المهدي ؟ يرى بعضهم ذلك والأمر محتمل .
- ولكن إذا كان المهدي هو الخليفة الذي يكون في زمن المسيح عليه السلام ، فهل الخلافة الإسلامية لا توجد إلا به ؟ الظاهر من النصوص أنه إذا كان المهدي سيكون في زمن المسيح عليه السلام فهناك خلافة تسبق ذلك بدليل النصوص التي تذكر فتح رُوما وتشير إلى قيام دولة عالمية للإسلام ، بينما الخلافة التي تسبق نزول عيسى بن مريم تفتح القسطنطينية الفتح الثاني وتدخل في معركة لاهبة مع النصارى على الأرض الإسلامية نفسها ويكون فسطاط المسلمين يوم الملحمة في الغوطة قرب دمشق كما ورد في بعض الروايات ، أما إذا كان المهدي ليس هو الخليفة الذي يكون في زمن عيسى عليه السلام فالأمر عندئذ محتمل أن يكون أول الخلفاء أو أحد الخلفاء الذين يقودون الأمة الإسلامية في طريق الظفر والنصر للسيطرة على العالم .
- وقد وقع كثير من المسلمين في أغلاط بسبب قضية المهدي :

- فالشيعة الإمامية استقر الأمر عندهم على أن عمدا الحجة الذي اختفى بزعمهم في سرداب في سامراء هو المهدي وهم ينتظرون خروجه .

- وبعض المسلمين علّقوا فكرة العمل للخلافة على ظهور المهدي مع أنّ العمل لإيجاد خليفة للمسلمين فريضة شرعية ، فلا يصح أن يعلق العمل لها حتّى يظهر شخص ما .

- وبعض المسلمين ادّعى المهديوية وتابعه ناس ، ولا زلنا نسمع بين الفينة والفينة من يدّعي المهديّة .

- وأغلب الذين ينتظرون خروج المهدي يعتبرونه كائنًا بين يدي نزول المسيح عليه السلام ويتوقعون مع هذا أن ظهوره أصبح قريبًا مع أن ظواهر النصوص تشير إلى أنّ بيننا وبين نزول المسيح عليه السلام أمداً ، ففلسطين لا تكون وقتذاك مقرًا لليهود بل اليهود الذين يأتون إليها وقتذاك يأتون مع المسيح الدجال كما رأينا وتكون فلسطين وقتذاك مقرًا للخلافة الراشدة ، وهذا يدل على أنّ دولة اليهود الحالية ستنتهي .

وإذن فع إيماننا بظهور المهدي بالصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ فلا يصح لنا أن نعلق إقامة الفرائض المطلوبة منا شرعًا سواء كانت فروضًا عينية أو كفائية على ظهوره ، لكننا ننوي أنّه إذا ظهر وعرفناه بصفاته أن نكون من جنده وأنصاره بإذن الله .

وهذه بعض النصوص والتعليقات والمسائل والفوائد التي لها علاقة بهذا الشأن :

النصوص

١٠٢٧ - * روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المهديُّ مني ، أَجْلَى الجِبْهَةِ ، أَقْنَى الأنْفِ ، يَمَلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ، كَمَا مَلَأْتُ حَوْرًا وَظُلْمًا ، وَيَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ » .

وفي رواية الترمذي ^(١) قال : خشينا أن يكونَ بعدَ نبينا حَدَثٌ ، فسألنا نبيَّ الله ﷺ ، فقال : « إِنَّ فِي أُمَّتِي المَهْدِيَّ يَخْرُجُ ، يَعِيشُ خَمْسًا ، أَوْ سَبْعًا ، أَوْ تِسْعًا » - زيدَ البَعْمِيُّ الشَّاكُّ - قال : قلنا : وماذاكَ ؟ قال : « سِنِينَ » قال : « فيجيءُ إليه الرجلُ فيقول : يا مهدي ، أعطني ، أعطني » . قال : « فيخُثِي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » .

١٠٢٨ - * روى أبو داود ، عن عبد الله بن زُعبِ الإياديِّ قالَ : نزلَ عَلَيَّ عبدُ الله بنُ حوالة الأزدِي ، فقال لي : بَعَثْنَا رسولَ الله ﷺ لِنَنْفَعَنَ على أقدامنا ، فَرَجَعْنَا لم نَنْفَعْنَا شَيْئًا ، وَعَرَفَ الجَهُدَ في وجوهنا ، فقامَ فينا ، فقال : « اللهم لا تَكِلْهُمُ إلَيَّ فأسُوءُ عنهم ، ولا تَكِلْهُمُ إلى أنفُسِهِم فيعجزوا عنها ، ولا تَكِلْهُمُ إلى الناسِ فيستأثروا عليهم » . ثم وضعَ يَدَهُ على رأسي - أو قال : على هامتي - ثم قال : « يا ابنَ حوالة ، إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نزلتِ الأرضَ المقدسةَ ، فقد دنتِ الزلازلُ ، والبلابلُ ، والأمورُ العظامُ ، والساعةُ يومئذٍ أقربُ من الناسِ من يَدِي هذه من رأسِكَ » .

١٠٢٧ - أبو داود (١٠٧ / ٤) كتاب المهدي ، باب حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ . وإسناده حسن .

(١) الترمذي (٥٠٦ / ٤) - كتاب الفتن ، باب ٥٢ - حدثنا محمد بن بشار ... إلخ .

وهو في مسند أحمد (٢١ / ٣) .

وإبن ماجه (١٣٦٦ ، ١٣٦٦ / ٢) - كتاب الفتن ، ٣٤ - باب خروج المهدي .

وفي سننه زيد بن الحوارى العمي ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ .

(أَجْلَى الجِبْهَةِ) : يقال : رجل أَجْلَى : إذا ذهب شعر رأسه إلى نصفه .

(أَقْنَى الأنْفِ) : القنا : الخديتَابُ في الأنف .

١٠٢٨ - أبو داود (١٩ / ٣) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يغزو يلتبس الأجر والغنبة .

قال محقق الجامع : غيب الله بن زعب الإيادي مختلف في صحبته ، وساق له أبو نعيم عن الطبراني حديث من كذب علي متعمداً ، صرح فيه بسامعه من النبي ﷺ . قال الحافظ ابن حجر في « التهذيب » : والإسناد لا بأس به . اهـ .

أقول : قوله عليه السلام : « إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك » : الظاهر أن الحديث في خلافة تكون عاصمتها القدس ، وإلى القدس يذهب المسيح عليه السلام بعد نزوله في دمشق ، وهذا يشير إلى أن فلسطين وقتذاك بيد المسلمين ، وأن دولة اليهود الحالية ذاهبة منتهية فإذا كان المراد في الحديث خلافة المهدي وهو الاتجاه الأقوى عند العلماء فهذا يدل على أن بيننا وبين المهدي عليه السلام أمداً . والدليل على أن المراد بالحديث خلافة مقرها فلسطين وعاصمتها القدس أن القرآن الكريم وصف فلسطين بالأرض المقدسة ، فقال على لسان موسى عليه السلام : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ (١) . والمعروف أن الأرض التي رفضوا دخولها هي فلسطين ، وأن يوشع بن نون عليه السلام خليفة موسى عندما بدأ تنفيذ أمر موسى كان ذلك بدخوله أرض فلسطين . وبلاد الشام إنما تأخذ قدسيته من كونها محيطة بالمسجد الأقصى ، قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ (٢) . فالبركة مقرها المسجد الأقصى وكل ما قرب منه فهو أكثر قدسية ، ولذلك حملنا الحديث على أن المراد به خلافة تكون عاصمتها القدس وقاعدتها أرض فلسطين ، ومثل هذا لم يحدث من قبل ، والظاهر أن ذلك سابق على نزول المسيح عليه السلام ، لأن المسيح يأتي إلى القدس وهي بيد المسلمين ويخرج منها إلى الدجال فيقتله بباب لد ، وأكثر جند الدجال من اليهود القادسين معه من الخارج بدليل الحديث الصحيح : « يخرج مع الدجال سبعون ألفاً من يهود أصفهان عليهم الطيالة » . فهؤلاء اليهود الآتون من الخارج هم الذين يقتلهم المسلمون ويدلُّ الحجر والشجر عليهم لأن الوقت وقت خوارق تكون بين يدي الساعة ، فهذا كله وغيره كثير يدلنا على أن دولة اليهود الحالية غير مستمرة إلى وقت نزول المسيح ، لا كما يظنّ كثيرون وبما يدلّ على ذلك أن الحديث الصحيح يبشّر بفتح روما ولم تفتح روما حتى الآن مما يدلّ على أن دولة عالميّة للإسلام ستقوم وهذا لم يحدث ووجودها يتنافى مع بقاء دولة اليهود الحالية في قلب أقطار الأمة الإسلاميّة والأمر

كله بيد الله ، وإذا أراد الله شيئاً هيباً أسبابه . أما متى تكون هذه الأمور فغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل .

أقول : وإنما ذكرنا هذا الحديث هنا لأن الاتجاه الأقوى عند العلماء أن المهدي عاصمته القدس ، وعندما ينزل عيسى عليه السلام يكون هو خليفة المسلمين ، فرأينا أن نذكر هذا الحديث في هذه الفقرة لهذا السبب .

١٠٢٩ - * روى أبو داود ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المهديُّ من عترتي من ولدِ فاطمة » .

١٠٣٠ - * روى مسلم ، عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان ، يحشو المال ولا يعدُّه » .
وفي رواية (١) : « يُعطي الناسَ بغيرِ عددٍ » .

١٠٣١ - * روى أبو داود عن ابن مسعود ، يرفعه : « لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ ، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً » .

١٠٣٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يكون في أمتي المهديُّ إن قصرَ فسيعَ وإلا فثمان وإلا فتسعُ تنعمُ أمتي فيها نعمةً لم ينعموا مثلها ، يرسلُ السماء عليهم مدراراً ولا تدخِرُ الأرضُ شيئاً من النباتِ والمالِ كُدوسٍ يقومُ الرجلُ يقولُ : يا مهديُّ أعطني فيقولُ خذُ » .

١٠٢٩ - أبو داود (١٠٧/٤) كتاب المهدي ، باب حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ . وإسناده حسن .

١٠٣٠ - مسلم (٢٢٣٥/٤) - ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٠٣١ - أبو داود (١٠٦/٤) كتاب المهدي ، باب من حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ .

والترمذي (٥٠٥/٤) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٢ - باب ما جاء في المهدي . وقال الترمذي : حسن صحيح .

١٠٣٢ - مجمع الزوائد (٣١٧/٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط رجاله ثقات .

١٠٣٣ - * روى مسلم عن أبي نضرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم ، يمنعون ذلك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مئدي قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل الروم . ثم سكت هنيئة ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيثا ، ولا يعده عددا » . قال : قلت لأبي نضرة وأبي العلاء : أتريان أنه عمّر بن عبد العزيز ؟ فقالا : لا .

قال النووي : والحشو هو الحفن باليدين وهذا الحشو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه .

١٠٣٤ - * روى الحاكم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله العيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعتظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا » يعني حججا .

وفي رواية (١) أحمد عن أبي سعيد : قال له رجل : ما صحاحا ؟ قال : « بالسوية بين الناس » .

١٠٣٥ - * روى الترمذي ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » . قال عاصم : أخبرنا أبو صالح عن أبي هريرة ، قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي .

١٠٣٣ - مسلم (٤ / ٢٢٢٤) ٥٢ - كتاب الفتن ١٨ - باب لا تقوم الساعة ... إلخ .

ومسند أحمد (٢ / ٢١٧) .

(مئدي) : مكيال للشام ، بمصر = ٢٢,٥ صاعا ، و الصاع = ٢٧٥٦ غم عند الشافعي وعند أبي حنيفة الصاع = ٢٨٠٠

غم .

(القفيز) : مكيال = ١٢ صاعا .

١٠٣٤ - المستدرک (٤ / ٥٥٨) .

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح .

(١) مسند أحمد (٢ / ٢٧) .

(حججا) : المخرج كذا بالنسبة للسنة ، والمفرد منها حجة .

١٠٣٥ - الترمذي (٤ / ٥٠٥) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٥٢ - باب ما جاء في المهدي . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٣٦ - * روى الترمذي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » .

قوله : (حتى يملك العرب) :

« قال الطيبي : لم يذكر العجم وهم مرادون أيضاً ، لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم
وكانوا يدياً واحدة قهروا سائر الأمم ، ويؤيده حديث أم سلمة يعني المذكور في المشكاة في
الفصل الثاني من باب أشراط الساعة وفيه : ويعمل في الناس بسنة نبهم ويلقي الإسلام
بجرائه في الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » ا . هـ .

١٠٣٧ - * روى الحاكم ، عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : ستكون فتنة يحصل
الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم ، فإن فيهم
الأبدال سيرسل الله إليهم سييئاً من السماء فيغرقهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم ، ثم
يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول ﷺ في اثني عشر ألفاً إن قتلوا أو خمسة عشر
ألفاً إن كثروا ، أمارتهم أو علامتهم أمت أمت على ثلاث رايات يقاتلهم أهل سبع رايات ،
ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك فيقتتلون ويهزمون ثم يظهر الهاشمي فيرد الله
إلى الناس ألفتهم ونعمتهم فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال .

١٠٣٦ - الترمذي : في الموضوع السابق .

وقال الترمذي : وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة وهذا حسن صحيح . ا . هـ .

(بجرائه) : ضرب الحق بجرائه : أي قرّ قراره واستقام وأصل الجزان باطن العنق .

١٠٣٧ - المستدرک (٤ / ٥٥٢) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . وقال الذهبي : صحيح .

(سيئاً) : يقال ساب الماء فهو سائب إذا سال .

المسائل والفوائد

- الأحاديث التي وردت في المهدي كثيرة ولذلك فقد صرح كثير من العلماء بتواترها .
وهذه تقول عن أهل العلم في ذلك :

ذكر العلامة الشوكاني في كتابه « التوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر ،
والدجال ، والمسيح » :

« والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها
الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف
التواتر على مادونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول . وأما الآثار عن الصحابة
المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لما حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك » اهـ .

وقال العلامة الشوكاني أيضاً بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك :

(فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في
الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة) . اهـ .

وقال المحدث أبو الطيب صديق بن حسن الحسيني البخاري القنوجي في كتاب « الإذاعة
لما كان وما يكون بين يدي الساعة » :

« والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر وهي
في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد » اهـ .

وقال أيضاً بعد كلام له :

« وأحاديث المهدي بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور
بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار » . هـ .

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه : « نظم المتناثر من الحديث
المتواتر » :

(وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . ثم قال : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام) ا . ه .

- هناك أكثر من اتجاه في المرحلة التي يوجد فيها المهدي ، فهناك من ذهب إلى أنه يكون بين يدي المسيح عليه السلام فينزل عيسى وهو خليفة المسلمين . وهناك اتجاه إلى أنه يكون قبل ذلك ، وإمام المسلمين الذي ينزل في عهده عيسى عليه السلام رجل صالح ، فهو أحد المهديين وليس هو بالمهدي الذي تحدثت عنه النصوص . وعلى كل من هذين الاتجاهين فإن عاصمة الخلافة زمن نزول عيسى عليه السلام تكون في القدس .

وقد تقل كثير من العلماء نصوصاً وسكتوا عنها تقييد أن نزول المسيح في زمن المهدي ، وهذا الذي جعل هذا الأمر ينطبع في أذهان كثير من العلماء : أن المهدي مرتبط زمانه بزمان المسيح عليه السلام ، فإن صح هذا الاتجاه فهذا يفيد أنه سيكون قبل ذلك خلافة على منهاج النبوة ، تكتسح الأرض كلها . وستفتح الأمة الإسلامية العالم ، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز وذو ذليل ، ومظهر الذلة دفع الجزية ، بينما المسيح عليه السلام لا يقبلها .

وسرى أثناء كلامنا عن عيسى عليه السلام أن الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، مؤلف كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) - الذي علق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - يرى أن المسيح عليه السلام لا تكون له سيطرة على العالم كله ، لأنه لم يؤثر في النصوص أن له مثل هذا التحرك . ومن ذهب إلى أن المهدي يكون بين يدي نزول المسيح عليه السلام مباشرة عدد من العلماء وهذه تقول في هذا الشأن :

قال المباركفوري في شرح تحفة الأحوذى لصحيح جامع الترمذي :

« اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لا يبد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط

١٠٢٣

الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال وينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته « ا . ه .

وقال ابن حجر في شرح الحديث الذي أورده البخاري في باب نزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام - والذي يقول فيه ﷺ : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » الفتح ج ٦ ص ٤٩١ .

قال : « وعند أحد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى » وإذا هم بعيسى فيقال تقدم ياروح الله ، فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم . ولابن ماجه في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال قال : « وكلهم - أي المسلمون - بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم ، إذا نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أقيمت » وقال أبو الحسن الخسعي الأدي في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه ، ذكر ذلك ردا للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه « ولا مهدي إلا عيسى » اهـ . (الفتح ج ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤) .

بل إن ابن ماجه قد أورد عددا من الأحاديث الصحيحة التي تبشر بالمهدي .

أقول : هذا تتمه الكلام في الرد على رواية لابن ماجه : « ولا مهدي إلا عيسى » وذلك أنه هو يروي روايات تذكر أن المهدي غير عيسى ابن مريم .

١٠٢٨ - * روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تهلك أمة أنا في أولها ، وعيسى ابن مريم في آخرها ، والمهدي في وسطها » .

قال الشيخ عبد الفتاح : « المراد بالوسط ما قبل الآخر لأن نزول عيسى عليه السلام لقتل الدجال يكون في زمن المهدي ، ويصلي سيدنا عيسى خلفه كما جاءت به الأخبار » .

وإليك بعض النصوص والآثار التي سكت عنها المحدثون نقلها الشيخ عبد الفتاح في

١٠٢٨ - رواه النسائي ، وأبو نعيم في « أخبار المهدي » والحاكم وابن عساكر في « تاريخها » ، وهو حديث حسن كما في « السراج المنير بشرح الجامع الصغير » للمزي .

كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » وتفيد أن في عهد المهدي ينزل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

١٠٣٩ - * روى أبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فيقول أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ : تعالَ صَلِّ بنا ، فيقول : لا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرَمَةَ اللَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ » .

١٠٤٠ - * روى أبو عمرو الداني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي تَقَاتِلُ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَنْزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، يَنْزِلُ عَلَى الْمَهْدِيِّ فيقال : تقدّمْ يا نبي الله فصلِّ بنا ، فيقول : هذه الأمةُ أمراءُ بعضهم على بعض » .

١٠٤١ - * روى أبو عمرو الداني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يلتفت المهديُّ وقد نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، كأنما يَقَطُرُ مِنْ شَعْرِهِ الْمَاءُ ، فيقول المهديُّ : تقدّمْ صَلِّ بالناس ، فيقول عيسى : إنما أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ لَكَ فيصلي خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ وَآلِدِي » الحديث .

١٠٤٢ - * روى نعيم بن حماد عن عبد الله بن عمرو أيضاً قال : المهديُّ ينزل عليه عيسى ابن مريم ، ويصلي خلفه عيسى .

١٠٤٣ - * روى ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال : المهديُّ من هذه الأمة وهو الذي يؤمُّ عيسى ابن مريم عليهما السلام .

أقول : من خلال ما مرّ نرى أن أهل التحقيق لا يختلفون في أن خليفة من آل بيت

١٠٣٩ - أخرجه أبو نعيم في « أخبار المهدي » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العرف الزوذي في أخبار المهدي » ٢ : ٦٤ .

١٠٤٠ - أخرجه أبو عمرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العرف الزوذي » ٢ : ٨٢ .

١٠٤١ - أخرجه أبو عمرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العرف الزوذي » ٢ : ٨١ .

١٠٤٢ - أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي كما في « رسالة العرف الزوذي في أخبار المهدي » ٢ : ٧٨ .

١٠٤٣ - أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنّف » . كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العرف الزوذي » ٢ : ٦٥ .

النبوة يكون في آخر الزمان ، وهذا الذي اتفقوا عليه هو الذي درج التعبير عنه على لسان العامة والخاصة بأنه المهدي ، وقد انطبع في أذهان الكثير من العلماء بسبب نصوص تحتاج إلى تحقيق في أساسها ولكنها كثيرة أن المهدي ينزل في عهده عيسى عليه الصلاة والسلام فإذا كان الأمر كذلك ، فالأمد بيننا وبين المهدي بحسب الظاهر من نصوص أخرى لا زال فسيحاً ، لأن هناك بعض ما أخبر عنه رسول الله ﷺ لم يقع ، فثلا بين يدي نزول المسيح عليه السلام يفتح المسلمون القسطنطينية فتحاً ثانياً ، وتكون القسطنطينية وقت ذاك بيد النصارى ، وهي الآن مسلمة ويبد المسلمون ، والبشارة بفتح روما مرتبطة في الظاهر بفتوحات عالمية وانتصار عالمي للإسلام ، والنصوص الواردة في المهدي وعيسى عليها السلام لا تدل على مثل هذا كما سنرى من تحقیقات الشيخ أنور الكشميري نفسه .

هذا الكلام كله مبني على أن المهدي يعاصر نزول المسيح ابن مريم عليهم السلام ، إلا أن النصوص الواردة في معاصرة المهدي للمسيح تحتاج إلى تحقيق وهناك نصوص في المهدي تحتاج إلى تحقيق كذلك ، وبعضها من باب الضعيف ، يفهم منها أنه لا ارتباط بين نزول المسيح عليه السلام والمهدي ، فعلى هذا الاتجاه يمكن أن تتصور أن الخلافة التي تكون على منهاج النبوة والتي تأتي بعد الملك الجبري كما ورد في بعض النصوص الصحيحة يمكن أن تبدأ بالمهدي أو يكون المهدي واحداً من سلسلة خلفائها ، وقد تكون هذه الخلافة التي تأتي بعد الملك الجبري هي التي يحصل بها انتصار عالمي للإسلام كما ورد في أكثر من حديث كما مر معنا .

وفي كل الأحوال لا بد أن ننبه على قضايا :

أولاً : أن دولة اليهود الحالية على كل الاتجاهات في الفهم للنصوص سنتتهي ، وليست نهايتها معلقة بنزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأن النصوص الواردة في أن الحجر والشجر يدلان المسلم على اليهودي ليقنتله ليست واردة في هؤلاء اليهود بل في يهود يقدمون مع الدجال .

ثانياً : أن العمل من أجل استئناف وجود الخلافة الراشدة فريضة إسلامية شرعية يجب على كل مسلم أن يعمل لها ، وتتأكد الفرضية في حق القادرين على ذلك من حكام وعلماء ودعاة ، ولا يعجز المسلمون إذا صدق حكامهم وعلماءهم ودعاتهم أن يوجدوا الصيغ التي

تناسب واقع المسلمين وأحوال العصر بحيث تقام الخلافة فتكون بركة على الجميع ، ولا تسبب ضرراً لأحد ولا ينتقض بوجودها سلطان أحد ممن بيده السلطان إذا كانوا مسلمين حقاً .

فنحن إذن نؤمن بخليفة سيظهر له مواصفات معينة وتنوي - ونسأل الله أن يعيننا على تحقيق النية - أن نكون من جنده إذا ظهر ، ولكننا لا نعلق العمل لنصرة الإسلام وإقامة الخلافة على ظهوره ، لأنه إن كان من خلافة كان أحد الخلفاء الذين يسبق وجودهم نزول عيسى ابن مريم بزمن ، فلا يشترط أن يكون أول الخلفاء ، وإن كان هو الذي ينزل في عهده عيسى عليه السلام فلا يجوز أن نعطل العمل لإقامة فريضة شرعية انتظاراً لشيء أخبرنا الله عز وجل عنه ، فكما أن الصلاة لا تؤخرها عن وقتها فكذلك فرائض العصر لا تؤخر العمل لها تعليقاً على شيء لم يكلفنا الله عز وجل أن نعلق عملاً مفروضاً حتى ظهوره .

* * *

الفقرة التاسعة عشرة

في :

الدجال

مقدمة

هناك دجالون كثيرون يظهرون في تاريخ البشرية عامّة وفي تاريخ الأمة الإسلاميّة خاصة، ولكن الدجال الأكبر الذي يعتبر ظهوره من علامات الساعة الكبرى هو أعظم فتنة تحدث على وجه الأرض وذلك أنّ هذا الخبيث يدعى الأوهية وتظهر على يده من الخوارق ما يفتن أكثر الخلق ، ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون هذا الخبيث ظاهر النقص بأنّه أعور لتقوم الحجة على العامّة والخاصّة أنّه كذاب في دعواه ، والخاصّة يعرفون كذب دعواه بما عندهم من العلم بالله وصفاته وأنّه منزّه عن صفات الخلقين وبما عندهم من العلم عن رسول الله ﷺ في شأنه ، والظاهر من بعض الروايات أنه يخرج من منطقة إيران الحالية والنصوص تذكر أنه يتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفاً ، والظاهر أنّ ظهوره يكون في زمن خلافة المهدي عليه السلام ، وأنّ عاصمة الخلافة وقتذاك هي القدس ، والنصوص تذكر أن خروجه يكون بعد الفتح الثاني للقسطنطينيّة وبعد قتال مرير مع النصارى وأنّ العرب حين ظهوره يكونون قليلين وهذا كلّه يجعلنا نستأنس أنّ بيننا وبينه أمداً ، فالأوضاع الحالية لعصرنا وما فيه لا تشير إلى قرب ظهوره ، فاليهود الآن يتجمعون في فلسطين ولهم فيها دولة ويصرون على أن تكون عاصمتهم القدس بينما النصوص تذكر أنّ عاصمة الخلافة حين ظهوره تكون في القدس ، ومع أنّنا لم نستقص كل ما ورد في المسيح الدجال فإنّ الروايات التي سنذكرها من الكثرة بمكان ما يدلّ على أهمية هذا الحدث وعلى كثرة ما ركّز عليه رسول الله ﷺ في شأنه وهذا يلقي مسؤولية كبيرة على العلماء والوعاظ والدعاة أن يعطوا إظهار هذا الأمر ما يقتضيه من الأهميّة .

نصوص

١٠٤٤ - * روى مسلم ، عن النّوّاسِ بنِ سَمعانَ رضي الله عنه ، قال : ذَكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدّجالَ ذاتَ عَداءٍ ، ففخّضَ فيه ورَفَعَ ، حتّى ظنّناه في طائفةِ النّخلِ ، فلما رَحُنّا إليه عَرَفَ ذلكَ فينا ، فقال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يا رسولَ اللهِ ، ذَكَرْتَ الدّجالَ الغدّاءَ ، ففخّضْتَ فيه ، ورَفَعْتَ ، حتّى ظنّناه في طائفةِ النّخلِ ، فقال : « غيرَ الدّجالِ أخوفني عليكم ، إن يخرجُ وأنا فيكم فأنا حجيجهُ دونكم ، وإن يخرجُ ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه ، واللهُ خليفتي على كلِّ مسلمٍ ، إنه شابٌ قَطَطٌ ، عينُه طائفةٌ ، كأني أشبّهه بـ « عبد العزّى بن قطن » ، فن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف) ، إنه جارحٌ خلّةٌ بين الشام والعراق ، فعاثَ يمينًا ، وعاثَ شمالًا ، يا عبادَ اللهِ ، فاثبّتوا . قلنا : يا رسولَ اللهِ ، وما لبّثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا : يومٌ كسنةٌ ، ويومٌ كشهرٍ ، ويومٌ كجمعةٍ ، وسائرُ أيامه كأيامكم » . قلنا : يا رسولَ اللهِ ، فذاك اليومُ الذي كسنةٌ : أتكفينا فيه صلاةَ يومٍ ؟ قال : « لا ، اقدروا له قدره » . قلنا : يا رسولَ اللهِ ، وما إسرَاعُهُ في الأرض ؟ قال : « كالغيثِ استدبرته الرّيحُ ، فيأتي على القومِ ، فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبيون له ، فيأمرُ السماءَ فتُمْطِرُ ، والأرضُ فتَنْبِتُ ، فتروحُ عليهم سارحتهم أطولَ ما كانت دَرًا ، وأسبغهُ صُروعًا ، وأمدّه خواصِرَ ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم ، فيردُّون عليه قوله ، فينصِرِفُ

١٠٤٤ - مسلم (٤ / ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥) ٥٧ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته ومأمعه .

(طائفة النخل) ناحيته وجانبه ، والطائفة : القطعة من الشيء .

(الحجيج) : الحاجج ، وهو المجادل والمخاصم الذي يطلب الحجّة ، وهي الدليل .

(القطط) : الشعر الجمّد .

(طائفة) : الحبة الطائفة من العنب هي التي قد خرجت عن حدّ نبات أخواتها في العنقود وتنتأت ، قال الخطابي : مرّ عليّ زمان وأنا أعتقد أن معنى قوله : « كأنها عنبية طائفة » أنه الحبة من العنب التي تسقط في الماء فيدخلها الماء ، فتنتفخ فتطفو على الماء ، إلى أن وقفت عليه في موضع أنه الحبة التي تخرج عن حدّ أخواتها .

قوله : « إنه خارج خلّة » أي : أنه يخرج قصدًا وطريقًا بين الجهتين والتخلّل : الدخول في الشيء .

(فعاث) العيث : أشد الفساد .

(سارحتهم) السارحة : الماشية ، لأنها تسرح إلى المرعى .

(دَرًا) الدّر : اللبن ، وإنما يكثر بالحصب وكثرة المرعى .

عنهم ، فيصبحون مَمْحِلِينَ ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، وَيَمْرُ بِالْحَرْبَةِ ، فيقول لها : أَخْرِجِي كَنُوزَكَ فَتَتَبَعَهُ كَنُوزُهَا كِيَعَاسِيْبِ النَحْلِ ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ ، رَمِيَّةَ الْغَرَضِ ، ثم يدعوهُ فَيَقْبَلُ ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضْعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرٌ ، وَإِذَا زَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَبَانٌ كَاللُّوْلُؤِ ، فَلَا يَجِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بِيَابَ لُدٍّ ، فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَسْحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ ، وَيَحْدِثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عَبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتْلِهِمْ ، فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمْرُ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمْرُ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ هَذِهِ مَرَّةً مَاءً ، وَيُحْضِرُ نَبِيَّ اللَّهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ ، فَيَرْغَبُ

(الممحل) : الذي قد أجدبت أرضه وقحطت وغلت أسماؤه .

(يعاسيب) : جمع يمسوب ، وهو فحل النحل ورئيسها .

(جزلتين) : الجزلة بالكسر : القطعة .

(الغرض) : الهدف الذي يُرمى بالنشاب .

(مهرودتين) رويت هذه اللفظة بالدال والذال ، يقال : إن الثوب إذا صبغ بالورس ثم بالزعفران ، جاء لونه

مثل زهرة الخوذانة ، فذلك الثوب مهروود ، وقيل : أراد بالمهروود : الثوب المصبوغ بالهرد ، وهو صبغ أصفر ،

قيل : إنه الكركم ، وقيل أراد في شققتين من الهرد ، وهو القطع .

(جبان) جمع جمانة ، وهي حبة تؤخذ من النقرة ، كاللؤلؤة ، وقد يُطلق على اللؤلؤ مجازاً . وشبه في الحديث

عرقه بالجبان .

(لايتان لأحد بقتلهم) : يقال : مالي بهذا الأمر يدان ، أي : لا أقدر عليه وأنا عاجز عنه ، كما يقال : لا طاقة

لي به ، لأن المباشرة والدفاع إنما يكون باليد ، فكان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه .

(فحرز) : أي : احرز واحفظ واجعلهم في الحرز .

(الحدب) : الأكمة والمرتفع من الأرض . وينسلون أي يسرعون .

نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه ، فَيُرْسَلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ ،
فَيُضْبِحُونَ قُرْسَى ، كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنُّهُمْ ،
فِيرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبَخْتِ ،
فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثَمَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يَرْسَلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ يَبُتٌ مَدِيرٌ
وَلَا وَبَرٌ ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِئِي
ثَمَرَتِكَ ، وَرُدِّي بَرَكَتِكَ ، فَيَوْمئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ
بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ ، حَتَّى إِنْ اللَّقْحَةُ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ
النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةُ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةُ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي
الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ
أَبْطَاهِمَ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ
فِيهَا تَهَارَجَ الْحَمْرُ ، فَعَلَيْهِمْ تَقْوَمُ السَّاعَةُ .»

وفي رواية (١) نحوه ، وزاد بعد قوله : « لقد كان بهذه مرة ماءً » : « ثم يسرون حتى

(النعف) : دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدها : نَفَقَةٌ .

(قُرْسَى) : جمع فريس ، وهو القاتل .

(الزهم) : الريح المنتنة ، والزهم : مصدر زهمتُ يده من ريح اللحم .

(المدر) : طين قد استحجر ، والمراد به : البيوت المبنية دون الخيام .

(الزلفة) : المرأة ، وجمعها زلف ، وقيل : هي المصنعة من الماء ، فمن شبهها بالمرأة : أراد لاستوائها ونظافتها ،
ومن شبهها بالمضغة : أراد امتلاءها من الماء ، والأول أشبه لسياق الحديث .

(العصابة) : الجماعة من الناس قبل أن يبلغوا أربعين .

(القحف) : للرأس معروف . والمراد به في الحديث : قشر الرمان .

(يرسل) : الرسل بكسر الراء : اللَّيِّنُ .

(لقحة) : اللقحة الناقة التي يكون لها لبن .

(الفئام) : الجماعة من الناس .

(الفخذ) : من الناس دون القبيلة .

(التهارج) : الاختلاف والاختلاط ، وأصله ، القتل .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٥) ، في الموضع السابق .

ينتهوا إلى جبل الخَمَر - وهو جبل بيت المقدس - فيقولون : لقد قَتَلْنَا من في الأرض ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، فيرمون بِنُشَائِهِمْ إلى السَّمَاءِ ، فيردُّ اللهُ عليهم نُشَائِهِمْ مَخْضُوبَةً دَمًا .

ورواه الترمذي ^(١) ، وزاد في أوله بعد قوله : « في طائفةِ النخلِ » قال : « فأنصرفنا من عندِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ثم رَحْنَا إليه » وقال فيه « عينه قائمة » بدل « طائفة » ولم يقل : « خَلَّةٌ » وقال : « فيأتي القومَ فيدعَوهم ، فيكذبونه ويردُّون عليه قوله ، فينصرفَ عنهم فتتبعه أموالهم ، ويصبحون ليس بأيديهم شيءٌ ، ثم يأتي القومَ فيدعوم فيستجيبون له ويصدقونه ، فيأمرُ السماءَ أن تمطرَ فتُمطرَ ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنبِتَ فتنبِتَ ، فتروحُ عليهم سارحتهم كأطول ما كانت دَرًا ، وأمدّه خَوَاصِرَ ، وأدَرَه ضُرُوعًا ، ثم يأتي الحربة ، فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فينصرفَ عنها ، فتتبعه كيعاسيب النحل .. » وذكر الحديث بنحو ما سبق إلى قوله : « لقد كان بهذه مرة ماءً » . وقال : « ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قَتَلْنَا من في الأرض ، فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ من في السماء ، فيرمون بِنُشَائِهِمْ إلى السماء ، فيردُّ اللهُ عليهم نُشَائِهِمْ مُحَمَّرًا دَمًا ، ويحاصر عيسى ابنُ مريمَ وأصحابه حتى يكونَ رأسُ الثورِ يومئذ خيرًا لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم ... » . وذكر الحديث ، وقال : « قد ملأته زهتهم وتنتهم ودمائهم » قال : « فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه فيُرْسِلُ اللهُ عليهم طيرًا كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرَحهم بالمُهْبَلِ ، ويستوقدُ المسلمون من قسيهم ونُشَائِهِمْ وجعابهم سبع سنين ، ويرسلُ اللهُ عليهم مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت وبر ولا مدر ، فيغسلُ الأرضَ فيتركها كالزَّلْفَةِ » قال : « ثم يُقالُ للأرض : أخرجي ثمرتك ، وردِّي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة الرُّمَانَةَ ، ويستظلُّون بِحِجْفِهَا ، ويُبارِكُ في الرُّسْلِ حتى إنَّ الفئام من الناس ليكتفون باللُّقْحَةِ من الإبل ، وإن القبيلة ليكتفون باللُّقْحَةِ من

= (إلى جبلِ الخَمَرِ) : الخَمَرُ هو الشجر الملتف الذي يستمر فيه وفسر في الحديث أنه جبل بيت المقدس لكثرة شجره .

(١) الترمذي (٤ / ٥١٠ - ٥١٣) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٩ - باب ماجاء في فتنة الدجال .

البقر ، وإن الفخذ ليكتفون باللحفة من الغنم ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم ريحاً ، فقبضت روح كل مؤمن ، ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة .

« فحَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ » : قال الشيخ عبد الفتاح : (قال النووي في « شرح صحيح

مسلم » ١٨ : ٦٣ في معناه قولان :

الأول : أن معنى « حَفَّضَ فِيهِ » : حَقَّرَهُ ، ومعنى « رَفَعَ » فيه : عَظَّمَهُ وَفَخَّمَهُ ، فإِنْ تَحَقَّرَهُ ، قَوْلُهُ ﷺ : إِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ ، وَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ لَا يَقْدَرُ عَلَى قَتْلِ أَحَدٍ إِلَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ ثُمَّ يَعْجِزُ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ يَضْحِكُ أَمْرَهُ وَيَقْتُلُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَمِنْ تَفْخِيمِهِ وَتَعْظِيمِ فِتْنَتِهِ قَوْلُهُ ﷺ : « لَيْسَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَعْظَمُ مِنَ الدَّجَالِ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ » . وَتِلْكَ الْأُمُورُ الْحَارِقَةُ لِلْعَادَةِ الَّتِي تَقَعُ لَهُ .

القول الثاني : في معنى « حَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ » : أَنَّهُ حَفَّضَ مِنْ صَوْتِهِ لِكثْرَةِ مَا تَكَلَّمَ فِي شَأْنِ الدَّجَالِ ، فَحَفَّضَ بَعْدَ طَوْلِ الْكَلَامِ وَالتَّعَبِ لِيَسْتَرِيحَ ، ثُمَّ رَفَعَ لِيَبْلُغَ صَوْتَهُ كُلَّ أَحَدٍ . انتهى . اهـ . من (التصريح)

أقول : إن أشراف الساعة وما يكون بعدها تفسيرها وقوعها : قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ قَدِّ جَاءَتْ رِسَالُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (١) ومع ذلك فقد تشبهه على بعض الناس بعض النصوص فاقترض ذلك كلاماً ، وما قد يشتهبه على بعض الناس هذا الجزء من الحديث السابق :

(قلنا يا رسول الله ومالبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهركم ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيننا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا أقدرؤا له قدره ») .

وسبب الإشكال أنه إذا كان يوم كسنة فهذا يقتضي - إلا إذا كان الحديث له تفسير غير المتبادر إلى الأذهان - أن يكون هناك ليل طويل يقابل هذه السنة في مكان آخر من

١٠٣٣

الأرض ، والمعروف أنّ هذه الحالة لا تكون إلا عند طلوع الشمس من مغربها ، ولذلك فإننا نحمل هذا الحديث على أنّ المراد باليوم الذي كسنة واليوم الذي كشهـر واليوم الذي كجمعة بأنّها كذلك في الشدة والبلاء بدليل أنّ هناك روايات تذكر أنّ مكثه في الأرض أربعون سنة وإنّما هي أربعون سنة في الشدة والبلاء وإلا فكثه أربعون يوماً .

قال ابن حجر في الفتح

« وقع في حديث جابر : « يسبح في الأرض أربعين يوماً يرد كل بلدة غير هاتين البلدتين مكة والمدينة حرمها الله تعالى عليه ، يوم من أيامه كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه » . أخرجه الطبراني وهو عند أحمد بنحوه بسند جيد ولفظه « تطوى له الأرض في أربعين يوماً إلا ما كان من طيبة » ... الحديث وأصله عند مسلم من حديث النّوّاس بن سمان بلفظ : قلنا يارسول الله فما لبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يوماً » . فذكره وزاد : قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كالسنة يكفيننا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا اقدروا له قدره » . قلنا : يارسول الله وما إسرعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استدبرته الريح » . وله عن عبد الله بن عمرو : « يخرج الدجال في أمّتي فيمكث أربعين ، لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً » . الحديث ، والجزم بأنّها أربعون يوماً مقدم على هذا التردد ، فقد أخرجه الطبراني من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو بلفظ : « يخرج - يعني الدجال - فيمكث في الأرض أربعين صباحاً يرد فيها كل منهل إلا الكعبة والمدينة وبيت المقدس » . الحديث ووقع في حديث سمرة .. « يظهر على الأرض كلها إلا الحرمين وبيت المقدس فيحصّر المؤمنون فيه ثم يهلكه الله » [قوله عليه السلام : « فيحصّر المؤمنون في بيت المقدس » علق عليه الشيخ عبد الفتاح : « كذا في رواية الإمام أحمد في المسند » ٥ : ١٦ . وجاء في « مجمع الزوائد » للهيثمى ٧ : ٣٤١ هكذا : (وإنه يحصّر المؤمنون) . أي بالبناء للمجهول للفعل ويرفع ما بعده ١٠ هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح)] .

وفي حديث جنادة بن أبي أمية : أتينا رجلاً من الأنصار من الصحابة قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « أنذركم المسيح » الحديث وفيه « يمكث في الأرض أربعين

صباحًا ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبة ومسجد الرسول ومسجد الأقصى والطور» أخرجه أحمد ورجاله ثقات . ١ . هـ (فتح الباري) .

فهذا الذي حملنا على أن نفسر اليوم كسنة بآنه سنة في الشدة ، ولما فهم الصحابة الحديث على ظاهره أعطاهم الرسول ﷺ حكمًا فقهيًا للحالات التي يكون فيها اليوم طويلًا كأيام القطب الشمالي والجنوبي حيث يكون النهار ستة أشهر والليل ستة أشهر .

وأما قوله عليه السلام : « ثم يقال للأرض أخرجني ثمرتك وردني بركتك فيومئذ تأكل العصاة الرمانة ويستظلون بحفها ويبارك في الرسل حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل » .

فيه إشارة إلى ما طرأ على الأرض وعلى البركة بسبب الفساد في الأرض : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ (١) . وقد ذكر كتاب ظهر عن « القطب » حيث المعاصي معدومة أن بعض المزروعات تنمو أضعافًا مضاعفة عنها في العالم المعروف فذلك نموذج على بركة الأرض حيث لم تتلوث بمعاصي بني آدم .

وقد علق الشيخ عبد الفتاح على هذا القسم من الحديث بما يلي :

« وقال الحافظ ابن القيم في كتابه « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » ص ٨٣ - ٨٦ ، في الفصل - ٢٦ - من فصول الكتاب :

« فصل : ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثار والمساكن ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسادُ فِي البرِّ والبحْرِ بما كَسَبَتْ أَيْدِي الناسِ لِيُنذِرَ قَوْمًا مِمَّنْ هُمْ أَقْرَبُ . ﴾ لِيُنذِرَ قَوْمًا مِمَّنْ هُمْ أَقْرَبُ . »

قال بعض السلف : كلما أحدثتم ذنبًا ، أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة . والظاهر - والله أعلم - أن الفساد - المشار إليه في الآية - المراد به الذنوب وموجباتها ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ قَوْمًا مِمَّنْ هُمْ أَقْرَبُ . ﴾ فهذا حالنا ، وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا ، فلو أذاقنا كل أعمالنا ، لما ترك على ظهرها من دابة !

ومن تأثير معاصي الله تعالى في الأرض ، ما يَحُلُّ بها من الحَسَفِ والزلازل ، وَيَمَحَقُ بركتها ، وقد مرَّ رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فنعمهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شُرْبِ مياههم ، ومن الاستسقاء من آبارهم ، حتى أمر أن لا يعلف العجین الذي عَجِنَ بمياههم لنواضح الإبل ، لتأثير شؤم المعصية في الماء .

وكذلك شؤم تأثير الذنوب في تقص الثمار وما يَرَى بها من الآفات ، وقد ذكر الإمام أحمد في « مسنده » ٢ : ٢٩٦ ، في ضمن حديث قال : وَجِدْتُ في خزائن بعض بني أمية حِنْطَةً ، الحَبَّةُ بِقَدْرِ نَوَاحِ الثَّمَرَةِ ، وهي في صُرَّةٍ مكتوب عليها : كان هذا يَنْبُتُ في زَمَنِ العَدْلِ .

وكثير من هذه الآفات أحدثها الله سبحانه وتعالى ، بما أحدث العباد من الذنوب . وأخبرني جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يَمُهدون الثَّارَ أَكْبَرَ مما هي الآن ، وكثير من هذه الآفات التي تُصيبها ، لم يكونوا يعرفونها ، وإنما حَدَّثَتْ مِنْ قَرَبِ .

وأما تأثير الذنوب في الصُّورِ والخلق ، فقد رَوَى الترمذي في « جامعته » عن النبي ﷺ أنه قال : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ وطولُه في السماء ستون ذراعاً ، ولم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتى الآن » .

فإذا أراد الله أن يُطَهِّرَ الأرضَ من الظلمةِ والحَوْنَةِ والفَجْرَةِ ، يُخْرِجُ عبدا من عباده ، من أهل بيت نبيِّه ﷺ ، فيلأ الأرضَ قِسْطاً كما مَلِئَتْ جُوراً ، وَيَقْتُلُ المَسيحَ : اليهودَ والنصارى ، وَيَقِيمُ الدينَ الذي بعثَ اللهُ به رسوله ، وتُخْرِجُ الأرضَ بركاتها ، وتَعُودُ كما كانت ، حتى إن العصابة من الناس ، لياكلون الرُّمَانَةَ ويستظلون بِقِحفِها ، ويكون العنقودُ من العنبِ وَقَرَّ بعير ، وَلَبِنُ اللَّقْحَةِ الواحدةِ - أي الناقَةِ ذاتِ اللَّبَنِ - يكفي الفِئَامَ من الناس - أي الجماعة من الناس - .

وهذا لأن الأرض لما طَهَّرَتْ من المعاصي ، ظَهَرَتْ فيها آثارُ البركة من الله تعالى ، التي مَحَقَّتْها الذنوبُ والكفر . ولا ريب أن العقوبات التي أنزلها الله في الأرض ، بقية آثارها سارية في الأرض ، تطلَّبُ ما يَشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عَذَّبَتْ بها الأمم ، فهذه الآثار في الأرض ، من آثار العقوبات ، كما أن هذه المعاصي من آثار الجرائم . انتهى كلام الحافظ ابن القيم .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٥ : ٣٦٤ ، عند قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ :

« المراد بالبرّ هنا : القِيافي ، وبالبحر : الأمصار والقَرى . ومعنى قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ أي إنَّ النَّقْصَ في الزروع والثمار بسبب المعاصي .

وقال أبو العالية : من عَصَى الله في الأرض ، فقد أَفْسَدَ في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « لَحْدًا يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » .

والسبب في هذا أن الحدود إذا أُقيمت ، انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات ، وإذا تُركت المعاصي ، كان ذلك سببًا في حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا إذا نَزَلَ عيسى ابنُ مريم عليه السلام في آخر الزمان ، يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت ، من قَتْلِ الخنزير ، وكسر الصليب ، ووضع الجزية وهو تركها ، فلا يَقْبَلُ إلا الإسلام أو السيف ، فإذا أَهْلَكَ اللهُ في زمانه الدجال وأتباعه ، ويأجوجَ ومأجوجَ ، قيل للأرض : أخرجي بركتك ، فيأكلُ من الرُّمَانَةِ الفِئَامُ من الناس ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِخْفِهَا ، ويكفي لَبَنُ اللَّقْحَةِ الجماعة من الناس .

وماذاك إلا بركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ ، فكما أُقيم العدل كَثُرَت البركات والخير ، ولهذا ثَبَتَ في « الصحيحين » : « أن الفاجر إذا مات يَسْتَرِيحُ منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد والحسين . قالوا : حدثنا عوف ، عن أبي قحذم ، قال : وجَدَ رجلٌ في زمانِ زياد - بن أبيه المتوفى سنة ٥٣ - ، أو ابن زياد - عبيد الله بن زياد بن أبيه المتوفى سنة ٦٧ - : صرة فيها حَبٌّ ، يعني من بُرِّ أمثال النَّوى ،

مكتوبٌ فيها - أي في الصُّرة - : هذا نَبَتَ في زمانٍ كان يُعمَلُ فيه بالعَدْل . انتهى .
اهـ (التصريح) .

أقول : وفي الحديث الذي مرَّ معنا إشارة إلى الريح التي تقبض نفس كل مؤمن ، وقد يظن قارئ الحديث أن ذلك كائن زمن المسيح عليه الصلاة والسلام ، والأمر ليس كذلك ، فهي تأتي بعد نزول المسيح عليه الصلاة والسلام ، والناس لا زالوا يعيشون في آثار من بركة وجوده عليه الصلاة والسلام .

١٠٤٥ - * روى أبو داود ، عن عبادة بن الصَّامِتِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إني حدُّثُكُمْ عن الدجالِ ، حتى خَشِيتُ أن لا تعقلُوا ، إنَّ المسيحَ الدجالَ قصيرٌ أفحجٌ ، جَعْدٌ أعورٌ ، مطموسُ العينِ ، ليست نباتٌ ولا جحرَاءُ ، فإن التيسَ عليكم ، فاعلموا أن ربكم ليس بأعورٍ » .

٢٠٤٦ - * روى مسلم ، عن عبدة الله بن عمر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ذكرَ الدجالَ بين ظَهْرَانِي الناسِ ، فقال : « إن الله ليس بأعورَ ، ألا إنَّ المسيحَ الدجالَ أعورُ العينِ اليمَنِ ، كأنَّ عينه عنبَةٌ طافيةٌ » .

وفي رواية الترمذي ^(١) : أن النبي ﷺ سئل عن الدجال ؟ فقال : « ألا إنَّ ربكم ليس بأعورَ ، ألا وإنه أعورٌ ، عَيْنُهُ اليمَنِ كأنها عنبَةٌ طافيةٌ » .

وفي رواية البخاري ^(٢) : أن المسيحَ ذَكَرَ بين ظَهْرَانِي الناسِ ، فقال النبي ﷺ : « إنَّ الله ليس بأعورَ ، ألا إنَّ المسيحَ الدجالَ أعورٌ عينِ اليمَنِ ، كأنها عنبَةٌ طافيةٌ » .

١٠٤٥ - أبو داود (٤ / ١١٦ ، ١١٧) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وإسناده حسن .

(الفحج) : تباعد ما بين الفخذين ، والرجل أفحج .

(عين جحرَاء) : أي غائرةٌ مختلفةٌ ، كأنها قد انجحرت ، أي : دخلت في جحر ، وهو الثقب ، قال المروزي وأقرأني الأزهرِي جَحْرَاءَ - بالجيم والحاء المعجمة - وأنكره بالحاء المهملة ، قال : معناه : الضيقة فيها زَمْصٌ وَغَمْصٌ .

١٠٤٦ - مسلم (٤ / ٢٢٤٧) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(١) الترمذي (٤ / ٥١٤) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٠ - باب ما جاء في صفة الدجال .

(٢) البخاري (١٣ / ٣٨٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ .

وفي أخرى له ولمسلم^(١) : أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال : « إنه أعور عين اليمنى ، كأنها عنبة طافئة » .

وفي رواية أبي داود^(٢) قال : قام رسول الله ﷺ في الناس ، فأتى على الله بما هو أهله ... فذكر الدجال ، فقال : « إني لأنذركموه ، ومامن نبي إلا وقد أنذره قومه ، ولقد أنذره نوح قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه ، تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور » .

وفي أخرى للترمذي^(٣) : قال : قام رسول الله ﷺ في الناس ، فأتى على الله بما هو أهله ... ثم ذكر الدجال ، فقال : « إني لأنذركموه ، ومامن نبي إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكني سأقول فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : تعلمون أنه أعور ، وإن الله ليس بأعور » .

قال الزهري : فأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري : أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال يومئذ للناس وهو يحذرهم فتنته : « تعلمون أنه ليس يرى أحد منكم ربّه حتى يموت ، وأنه مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كل من كره عمّله » .

قوله عليه السلام : « إنه أعور العين اليمنى » : قال النووي : « وأما قوله ﷺ : « أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية » فروي بالهمز وبغير همز فمن همز معناه ذهب ضوؤها ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة ثم إنه جاء هنا أعور العين اليمنى وجاء في رواية أخرى أعور العين اليسرى وقد ذكرها جميعاً مسلم في آخر الكتاب ، وكلاهما صحيح قال القاضي عياض رحمه الله : روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز وهو الذي صححه أكثرهم قال : وهو الذي ذهب إليه الأخفش ومعناه ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها قال :

(١) البخاري (١٠٦ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي ، ٧٧ - باب حجة الوداع .

مسلم (١ / ١٥٥) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٥ - باب ذكر المسيح بن مريم وللمسيح الدجال .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٤١) كتاب السنة ، باب في الدجال .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٠٨) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ما جاء في علامة الدجال .

وضبطه بعض شيوخنا بالهمز وأنكره بعضهم ولا وجه لإنكاره ، وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست جحراء ولا ناتئة بل مطموسة وهذه صفة حبة العنب إذا سال مائها وهذا يصح رواية الهمز . وأما ماجاء في الأحاديث الأخر جاحظ العين وكأنها كوكب وفي رواية لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط فتصح رواية ترك الهمزة ولكن يجمع بين الأحاديث وتصح الروايات جميعاً بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافية بالهمز وهي العين البني كما جاء هنا وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركة . وأور العين البني واليسرى لأن كل واحدة منها عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب لا سيما ما يختص بالعين وكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهاها والأخرى بعيها . هذا آخر كلام القاضي وهو في نهاية من الحسن والله أعلم . ١ . هـ (شرح النووي على مسلم) .

١٠٤٧ - * روى البخاري ومسلم ، عن ربيعة بن حراش : انطلقت أنا وعقبة ابن عمرو إلى حذيفة ، فقال عقبة : حدثني بما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال ، فقال : سمعته يقول : « إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا ، فأما الذي يرى الناس أنه نار : فماء بارد ، وأما الذي يرى الناس أنه ماء : فنار تحرق ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار ، فإنه ماء عذب بارد » . قال حذيفة : وسمعت يقول : « إن رجلاً ممن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه ، فقال : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم ، قيل له : انظر ، قال : ما أعلم شيئاً ، غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا ، فأنظر الموت ، وأتجاوز عن المعير ، فأدخله الله الجنة » . وسمعت يقول : « إن رجلاً حضر الموت ، فلما يئس من الحياة ، أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً ، جزلاً ، ثم أوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي ،

١٠٤٧ - البخاري (٦ / ٤٩٤) - كتاب الأنبياء ، ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

مسلم (٤ / ٢٧٥٠) - ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(إنظار المعسر) : تأخير ما عليه من الدين إلى حال يساره .

(جزلاً) : الحطب الجزل : القوي الغليظ .

وخلصتُ إلى عظمي ، وامتَحِشْتُ ، فخذوها فَاطْحَنُوهَا ، ثم انظروا يوماً راحا فاذرُوه في اليمِّ ، ففعلوا ، فجمعه الله عز وجل إليه ، فقال ؛ لم فعلتَ ذلك ؟ قال : من خَشَيْتِكَ . قال : « فغفر الله له » . فقال عقبه : وأنا سمعته يقول ذلك ، وكان نَبَاشًا .

وفي رواية (١) عن حذيفة مختصراً : أنه عليه السلام قال في الدجال : « إنَّ معه ماءً وناراً ، فناره ماءً بارد ، وماءه نار ، فلا تَهْلِكُوا » .

قال أبو مسعود : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ .

ولمسلم (٢) : أن رسول الله ﷺ قال : « لأننا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما : رأي العين ماءً أبيض ، والآخر : رأي العين نارٌ تأججٌ ، فيما أدركنَّ أحدَ فليأت النهر الذي يراه ناراً ، وليغمضْ ، ثم ليطأطأ رأسة فليشربْ منه ، فإنه ماءً باردٌ ، وإن الدجالَ مسحَ العين ، عليها ظفرةٌ غليظةٌ ، مكتوبٌ بين عينيه كافر ، يقرؤه كلُّ مؤمن ، كاتبٌ وغير كاتبٍ » .

وفي رواية لمسلم (٣) قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجالُ أعورُ العين اليسرى ، جفَّالُ الشعر ، معه جنةٌ ونارٌ ، فناره جنةٌ ، وجنته نارٌ » .

وفي رواية أبي داود (٤) قال : اجتمع حذيفةٌ ، وأبو مسعود ، فقال حذيفة : لأننا بما مع

(١) الامتِحا ش : الاحتراق ، امتحشت النار العظم : إذا أحرقتة .

(راحا) : يوم راح : كثير الريح شديده .

(فاذرُوه في اليم) : أي : فرَّقه في البحر وألقوه فيه ، كما يذرى الطعام ، واليمُّ : البحر .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٩) ، في الموضع السابق .

(٢) المصدر السابق .

(تأجج) (النار : اتَّقادها .

(ظفرة) : (الظفرة - بالتحريك - جليدة تغشى العين ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها .

(٣) المصدر السابق .

(شعر جفَّال) : كثير ملتفت .

(٤) أبو داود (٤ / ١١٥ ، ١١٦) ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

١٠٤١

الدجال أعلم منه ، إنَّ معه بحراً من ماء ، ونهراً من نار ، فالذي ترون أنه نار ماء ، والذي ترون أنه ماء نار ، فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماء فليشرب من الذي يرى أنه نار ، فإنه سيجده ماء قال أبو مسعود : هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول .

١٠٤٨ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يَتَّبِعُ الدَّجَالَ من يهودِ أَصْفَهَانَ سبعون ألفاً عليهم الطَّيَالِسَةُ » . قال النووي في شرح مسلم : وأصهبان بفتح الهمزة وكسرهما وبالباء وبالفاء . ا . ه .

أقول : في الحديث إشعار لأهل عصرنا بأكثر من معنى ، فهؤلاء اليهود الذين يتابعون الدجال ويأتون معه يوم ظهوره إلى القدس حيث تكون عاصمة الخلافة الإسلاميّة هم الذين تتحدّث عنهم النصوص أنّ الحجر والشجر يدلّان المسلم على مكان الواحد منهم ليقتله ماعدا شجر الغرقد .

وكون الخلافة الإسلاميّة عاصمتها القدس وقتذاك فذلك يشير إلى أنّ دولة اليهود الحاليّة لن تستمرّ في فلسطين ، وكون هذا العدد الكبير من اليهود سيخرج من أصهبان فذلك يشير إلى هجرة لليهود لبلاد إيران من جديد ، وفي ذلك كلّ إشارة إلى أنّ هناك بعداً نسبياً بيننا وبين ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم وظهور المهدي إذا كان المهدي سيظهر بين يدي نزول المسيح عيسى ابن مريم .

١٠٤٩ - * روى مسلم عن أبي الزبير رحمه الله سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : أَخْبَرْتَنِي أم شريك : أنها سَمِعَتْ رسول الله ﷺ يقول : « لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ من الدَّجَالِ في الجبال » .

قالت أم شريك : قلتُ : يا رسولَ الله ، فأينَ العربُ يومئذٍ ؟ قال : « هم قليلٌ » .

أقول : في هذا الحديث إشارة أخرى إلى أنّ بيننا وبين ظهور الدجال بعداً نسبياً فالعرب

١٠٤٨ - مسلم (٤ / ٢٢٦٦) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

١٠٤٩ - مسلم ، في الموضع السابق .

والترمذي (٥ / ٧٢٣) ٥٠ - كتاب المناقب ، ٧٠ - باب مناقب في فضل العرب .

اليوم كثير وهذا يجعلنا نستشعر خطورة الأحداث العالمية والمحلية على العرب بين يدي الساعة .

١٠٥٠ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدثت به نبيّ قومه ؟ إنه أعور ، وإنه يجيء بمثال الجنة والنار ، فبالتي يقول : إنها الجنة : هني النار ، وإني أنذركم به ، كما أنذر به نوح قومه » .

١٠٥١ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا به أن قال : « يأتي الدجال وهو محرّم عليه أن يدخل تقاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه . فيقول الدجال : أرايتم إن قتلت هذا ، ثم أحييته ، هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا . فيقتله ، ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم . فيقول الدجال : اقتله . ولا يسقط عليه » .

ولمسلم^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال ، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ، فتلقاه المسالِح - مسالِح الدجال - فيقولون له : أين تعمّد ؟ فقال :

١٠٥٠ - البخاري (٦ / ٢٧٠ ، ٢٧١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٢ - باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته ومآله .

١٠٥١ - البخاري (٤ / ٩٥ ، ٩٦) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، ٩ - باب لا يدخل الدجال المدينة .

مسلم (٤ / ٢٢٥٦) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٧) ، في الموضع السابق .

(السباخ) : الأراضي التي لا تثبت المرعى .

(بصيرة) المعرفة واليقين .

(المسالِح) : جمع مسلحة ، وهم قوم معهم سلاح ، والمسلحة : كالثغر والمرقب وهو الذي يكون فيه قوم يُرْتَبُونَ

المدو ، لثلا يهجم عليهم ، ويسمى بالأعجمية : التيزك .

أَعِدُّ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ . قَالَ : « فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوْ مَا تَوَئَمَّنْ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بَرَّبْنَا خِفَاءً . فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ . فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ » قَالَ : « فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدِّجَالِ ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنَ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَذَا الدِّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . » قَالَ : « فَيَأْمُرُ الدِّجَالُ بِهِ فَيُشَجُّ ، فَيَقُولُ : خَذُوهُ وَشَجُّوهُ . فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ضَرْبًا . » قَالَ : « فَيَقُولُ : أَمَا تَوَئَمَّنْ بِي ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ ؟ » قَالَ : « فَيُؤَمِّرُ بِهِ ، فَيُؤَشِّرُ بِالْمُشَارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رَجْلَيْهِ . » قَالَ : « ثُمَّ يَمِشِي الدِّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ . » قَالَ : « ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا . » قَالَ : « ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتَوَئَمَّنْ بِي ؟ فَيَقُولُ : مَا زِدَدتْ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً ؟ » قَالَ : « ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَا يُفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . » قَالَ : « فَيَأْخُذُهُ الدِّجَالُ لِيَذْبَحَهُ ، فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتَيْهِ إِلَى تَرْقُوتَيْهِ نُخَاسًا ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا . » قَالَ : « فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ . » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا أَكْبَرُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . »

١٠٥٢ - * روى البخاري ومسلم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا وقد أنذرت أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرٌ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ (ك ف ر) . »

وفي رواية لمسلم ^(١) : « أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الدِّجَالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ (ك ف ر) أَي كَافِرٌ . »

وفي أخرى ^(٢) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الدِّجَالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

(فَيُؤَشِّرُ) : أشرته بالمشار ، وشرته : إذا شققت به .

١٠٥٢ - البخاري (١٢ / ٢٨٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٧ - باب قول الله تعالى ﴿ وَلَتَصْنَعُ عَلَى عَيْنِي ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٢٤٨) ٥٢ - كتاب الفتن ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

والترمذي (٤ / ٥١٦) ٢٤ - كتاب الفتن ٦٢ - باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وأبو داود (٤ / ١١٦) ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال إلخ .

(٢) المرجع السابق .

(كافر) . ثم تهجأها « (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم » .

وفي رواية لأبي داود (١) « بين عينيه كافر » .

وفي أخرى (٢) « يقرؤه كل مسلم » .

١٠٥٣ - * روى البخاري ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : كُنَّا تَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَلَا نَذِيرِي مَا حَجَّجَةُ الْوَدَاعِ ، حَتَّى حَمِدَ اللَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ ، فَأُتِنَبَ فِي ذِكْرِهِ ، وَقَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ أُمَّتُهُ : أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ ، إِنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، إِنَّهُ أَعْوَرَ عَيْنِ الْيَمْنَى ، كَانَ عَيْنُهُ عَيْنَةَ طَافِيَّةٍ ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بُلْدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ثَلَاثًا - « وَيَلِكُمْ » - أَوْ « وَيُحَكِّمُ » - انظُرُوا ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ .

وروى مسلم طرفًا منه (٣) ، وهو قوله : « وَيُحَكِّمُ » أَوْ قَالَ : « وَيَلِكُمْ » - لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ .

قال البخاري (٤) : وقال هشام بن الغاز : عن نافع عن ابن عمر : وَقَفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّخْرِ بَيْنَ الْجَمْرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا ، وَقَالَ : « أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ » - وذكر نحو ما سبق أولاً - وقال : « هذا يوم الحج الأكبر » . فطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . ثُمَّ وَدَعَ النَّاسَ ، فَقَالُوا : هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ .

أقول : (ويحكم - أَوْ قَالَ : ويلكم -) : قال القاضي : هما كلمتان استعملتهما العرب بمعنى

(١) أبو داود (٤ / ١١٦) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

(٢) المرجع السابق .

١٠٥٣ - البخاري (٨ / ١٠٦) ٦٤ - كتاب المغازي ، ٧٧ - باب حجة الوداع .

(٣) مسلم (١ / ٨٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٢٩ - باب بيان معنى قول النبي ﷺ ، إلخ .

(٤) البخاري (٢ / ٥٧٤) ٢٥ - كتاب الحج ، ١٢٢ - باب الخطبة أيام منى .

التمعجب والتوجع . قال سيبويه : ويل : كلمة لمن وقع في هلكة . وويح : ترحم . وحكي عنه : ويح : زجر لمن أشرف على الهلكة .

١٠٥٤ - * روى أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ جَهَنَّمَ إِذْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ الدِّجَالِ فَقَالُوا : أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ يَوْمئِذٍ ؟ قَالَ : « غَلَامٌ شَدِيدٌ يَسْقِي أَهْلَهُ الْمَاءَ وَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَيْسَ » . قَالُوا : فَمَا طَعَامُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمئِذٍ ؟ قَالَ : « التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ » . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمئِذٍ ؟ قَالَ : « الْعَرَبُ يَوْمئِذٍ قَلِيلٌ » .

١٠٥٥ - * روى أحمد ، عن أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ « الدجال أعور عين الشمال بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه الأمي والكاتب » .

١٠٥٦ - * روى أبو داود ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَمِعَ بِالْذِّجَالِ ، فَلْيُنْأَمِنْهُ ، فَوَاللَّهِ : إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، فَيَتَّبِعُهُ ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشَّبَهَاتِ ، أَوْ لَمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشَّبَهَاتِ » .

١٠٥٧ - * روى البخاري ومسلم ، عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه ، قال : ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، وإنه قال لي : « مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ ؟ » قلت : إنهم يقولون : إن معه جبل خبز ، ونهر ماء . قال : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » .

وفي رواية (١) : قال لي : « يَا بَنِيَّ ، وَمَا يَنْصِبُكَ مِنْهُ ؟ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ » . قال :

١٠٥٤ - مسند أحمد (٦ / ٧٥ ، ٧٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

١٠٥٥ - مسند أحمد (٥ / ٢٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٥٦ - أبو داود (٤ / ١١٦) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وإسناده صحيح .

١٠٥٧ - البخاري (١٢ / ٨٩) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٦ - باب ذكر الدجال .

مسلم (٤ / ٢٢٥٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٢ - باب في الدجال ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨) ، في الموضوع السابق .

(ما ينصبك) : النَّصْبُ : التعجب ، أي ما يتعجبك منه .

قلتُ : إنهم يَزْعَمُونَ أنْ معه أنهارُ الماءِ ، وجبالَ الخبزِ . قال : « هو أهونُ على الله من ذلك » .

وفي أخرى ^(١) : إنهم يقولون : إنَّ معه جبالَ خبزٍ ولحمٍ ، ونهرَ ماءٍ قال : « هو أهونُ على الله من ذلك » .

علق ابن حجر على قوله عليه الصلاة والسلام: « هو أهون على الله من ذلك » :

« قال عياض : معناه هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوب الموقنين ، بل ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويرتاب الذين في قلوبهم مرض فهو مثل قول الذي يقتله ما كنت أشد بصيرة مني فيك ، لا أن قوله « هو أهون على الله من ذلك » أنه ليس شيء من ذلك معه ، بل المراد أهون من أن يجعل شيئاً من ذلك آية على صدقه ، ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرؤها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه من حديثه ونقصه . قلت : الحامل على هذا التأويل أنه ورد في حديث آخر مرفوع « ومعه جبل من خبز ونهر من ماء » أخرجه أحمد والبيهقي في البعث من طريق جنادة بن أبي أمية عن مجاهد قال : انطلقنا إلى رجل من الأنصار فقلنا حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثنا عن غيره . فذكر حديثاً فيه « تمطر الأرض ولا ينبت الشجر ، ومعه جنة ونار فناره جنة وجنته نار ومعه جبل خبز ... » الحديث بطوله ورجاله ثقات ، ولأحمد من وجه آخر عن جنادة عن رجل من الأنصار : « معه جبال الخبز وأنهار الماء » ولأحمد من حديث جابر : « معه جبال من خبز والناس في جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران » الحديث ، فدل ما ثبت من ذلك على أن قوله : « هو أهون على الله من ذلك » ليس المراد به ظاهره وأنه لا يجعل على يديه شيئاً من ذلك ، بل هو على التأويل المذكور « اهـ (فتح الباري) .

١٠٥٨ - * روى الترمذي ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ قال : « الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها : خراسان يتبعه أقوامٌ كأن

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٨) ، في الموضع السابق .

١٠٥٨ - الترمذي (٤ / ٥٠٩) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٧ - باب ماجاء من أين يخرج الدجال .

وجوههم المجان المطرقة» .

١٠٥٩ - * روى مسلم ، عن عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله ، أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس - وكانت من المهاجرات الأول - فقال : حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ . فقالت : لئن شئت لأفعلن . فقال : أجل حَدَّثَنِي . فقالت : نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب محمد ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد ، وكنت قد حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مِنْ أَحَبِّنِي فَلْيُحِبِّ أَسَامَةَ » . فلما كلّفني رسول الله ﷺ قلتُ أمزي بيدك فأنكحني من شئت . فقال : « انتقلي إلى أم شريك » . وأم شريك امرأة غنيّة من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان ، فقلت : سأفعل . قال : « لا تفعلي ، إن أم شريك كثيرة الضيفان ، فإني أكره أن يسقط عنك خيارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم » . وهو رجل من بني فهر - فهر قريش - وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلت إليه ، فلما اتقضت عدتي سمعتُ نداء المنادي - منادي رسول الله ﷺ - ينادي : الصلاة جامعة . فخرجتُ إلى المسجد ، فصليتُ مع رسول الله ﷺ ، فكنتُ في النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : « لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَصْلَاهُ » . ثم قال : « أتدرون لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « إني والله ما جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ ، وَلَا لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الداريَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْمَسِيحِ

= وهو حديث حسن . وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

(المجان المطرقة) : المجان جمع مجنة - وهو الترس ، والمطرقة - التي ضوفا عليها القتب وألبسته شيخنا فوق شيء ،

يقال : أطرقتُ الترس : إذا فعلت به ذلك ، وطارقت النمل : إذا جعلتها طبقاً فوق طبق وخصفتها .

١٠٥٩ - مسلم (٤ / ٢٢٦١ - ٢٢٦٤) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٤ - باب قصة الجساسة .

(تأيت) : المرأة : مات زوجها ، أو فارقتها .

(المسيح الدجال) : الدجال : الكذاب ، وهو اسم لهذا الرجل المشار إليه في الشرائع ، وقيل سمي به لتوحيه على

الدجال ، حدثني أنه ركبَ في سفينة بحريّة مع ثلاثين رجلاً من لُحْمٍ وجُدَامٍ ، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر ، ثم أُرْفَسُوا إلى جزيرة في البحر حتى مَغْرِبِ الشمس ، فجلسوا في أَقْرَبِ السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فَلَقِيَتْهُمُ دَابَّةٌ أَهْلَبٌ ، كثيرُ الشَّعْرِ ، لا يدرون ما قَبْلَهُ من دَبْرِهِ ، فقالوا : ويلك ، ما أنتِ ؟ قالت : أنا الجَسَّاسَةُ . قالوا : وما الجَسَّاسَةُ ؟ قالت : أيُّها القوم : انطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدَّيْرِ ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمّت لنا رجلاً ، فَرِقْنَا منها أن تكون شيطانةً . قال : فانطلقنا سِراعاً حتى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قَطُّ خَلْقًا ، وأشدُّه وثاقًا ، مجموعةٌ يدها إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني : ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناسٌ من العرب ، رَكِبْنَا في سفينةٍ بحرية ، فصَادَفْنَا البحرَ حين اغْتَلَمَ ، فلعب بنا الموجُ شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أَقْرَبِها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابةً أَهْلَبٌ ، كثيرُ الشَّعْرِ ، لا ندرى ما قَبْلَهُ من دبره من كثرة الشَّعْرِ ، فقلنا : ويلك ما أنتِ ؟ فقالت : أنا الجَسَّاسَةُ قلنا : وما الجَسَّاسَةُ ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في الدَّيْرِ ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . فأقبلنا إليك سِراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نَأْمَنُ أن تكون شيطانة .

الناس وتليبيه ، يقال : دَجَلٌ : إذا لبس ومثوه ، وإنما سُمِّيَ مَسِيحًا ، لأن إحدى عينيه مسوحة لا يُبْصِرُ بها ، والأعور يسمى مسيحًا ، وأما تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح ، فقيل : لمسح زكريا عليه السلام إياه ، وقيل : لأنه يمسخ الأرض ، أي يقطعها ، وقيل : لأنه كان يمسخ ذا العاهة فيبرأ ، وقيل : للمسيح الصِّدِّيق .

(أرفأت) : السفينة : قُرْبَتِها إلى الشط وأدنيتهما من البر ، وذلك للموضع مرفأ .

(أَقْرَبِ) : الغارِبُ : سفينة صغيرة تكون إلى جانب السفن البحرية يستعملون بها حوائجهم من البُرِّ ، وتكون معهم خوفًا من غرق المركب فيلجؤون إليها ، فأما « أقرب » فلعله جمع قارب . قال الخطابي : إنَّه جمع على غير قياس .

(أَهْلَبِ) : الأَهْلَبُ : ما غلظ من الشَّعْرِ ، والأَهْلَبُ : الغليظ الشَّعْرِ الحثين .

(الجَسَّاسَةُ) : فعالة من التجسس ، وهو الفحص عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال ذلك في الشر .

قال النووي : « سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال ، وجاء عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن » اهـ .

(فرلقنا) : خفنا .

(الغتلام) : البحر : اضطراب أمواجه واحتياجه .

فقال : أخبروني عن نخل بيسان . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يُثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر ، قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب ، قال : أخبروني عن عين زغر . قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبروني عن نبي الأميين ، ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه ، وإني مخبركم عني ، أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليّ كلاتهما ، كما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منها ، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها ، وإن على كل ثقب منها ملائكة يحرسونها . قالت : قال رسول الله ﷺ - وطعن بمخبرته في المنبر - : « هذه طيبة ، هذه طيبة » - يعني المدينة - « ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك ؟ » فقال الناس : نعم . قال : « فإنه أعجبني حديث تميم : أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ، ماهو من قبل المشرق ، ماهو . وأوما بيده إلى المشرق . قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ .

(عين زغر) : بلدة في الجانب القبلي من الشام .

(الأمي) : الذي لا يعرف الكتابة ، وكذلك كانت العرب ، وسُمي رسول الله ﷺ أمياً لذلك ، وكأنه في الأصل منسوب إلى أمه ، أي على حالته التي ولدته أمه عليها .

(مثلثاً) : الصلت : السلول من غمده ، المهياً للضرب به .

(أنقابها) : النقب : الطريق في الجبل ، وجمعه : أنقاب ونقاب .

(المغمرة) : غصا ، أو قضيب ، أو سوط ، كانت تكون بيد الخطيب أو الملك إذا تكلم .

(لا ، بل من قبل المشرق ماهو) : « ما » زائدة ، لا نافية ، والمراد : إثبات أنه في جهة المشرق .

وفي رواية (١) : ثم قالت : فنودي في الناس : إن الصلاة جامعة . قالت : فانطلقت فيمن انطلق من الناس . قالت : فكنت في الصف المقدم من النساء ، وهو يلي المؤخر من الرجال . قالت : فسمعت النبي ﷺ وهو على المنبر يخطب ، فقال : « إن بني عمّ لتيمة الداريّ ركبوا في البحر .. » وساق الحديث ، وفيه : قالت : فكأنما أنظر إلى النبي ﷺ وأهوي بمخصرته إلى الأرض ، وقال : « هذه طيبة » يعني المدينة .

وفي رواية (٢) قالت : قدّم على رسول الله ﷺ تميم الداريّ ، فأخبر رسول الله ﷺ : أنه ركب البحر ، فتاهت به سفينته ، فسقط إلى جزيرة ، فخرج إليها يلتمس الماء ، فلقي إنساناً يجزّ شعره ... واقتص الحديث ، وفيه : ثم قال : أما إنه لو قد أذن لي في الخروج قد وطئت البلاد كلها غير طيبة . فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الناس فحدثهم ، وقال : « هذه طيبة ، وذلك الدجال » .

وفي أخرى (٣) : أن رسول الله ﷺ قعد على المنبر ، فقال : « أيها الناس ، حدثني تميم الداريّ : أن أناساً من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم فانكسرت بهم ، فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة ، فخرجوا إلى جزيرة في البحر ... » وساق الحديث .

وفي رواية أبي داود (٤) : قالت : سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي : إن الصلاة جامعة ... وساق الحديث ، نحو مسلم إلى قوله : « مجموعة يدها إلى عنقه » . ثم قال ... فذكر الحديث ، وسألهم عن نخل تيسان ، وعن عيون زغرّ ، وعن النبي الأمي ، قال : إني أنا المسيح ، وأنه يوشك أن يؤذن لي في الخروج ، قال النبي ﷺ : « وإنه في بحر الشام ، أو بحر اليمن ، لا ، بل من قبل المشرق ، ما هو » - مرتين - وقالت : حفظت هذا من رسول الله ﷺ ... وساق الحديث .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥) ، ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٤ - باب قصة الجساسة .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٦٥) ، في الموضوع السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أبو داود (٤ / ١١٨ ، ١١٩) كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة .

وله في أخرى ^(١) قال الشعبي: أخبرتني فاطمة بنت قيس: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر، ثم صعد المنبر، وكان لا يصعد عليه إلا يوم الجمعة قبل يومئذ... ثم ذكر هذه القصة.

وله في أخرى ^(٢): أن رسول الله ﷺ أخرج العشاء الآخرة ذات ليلة، ثم خرج، فقال: «إنه حبسني حديثاً كان يحدثنه تميم الداري عن رجل كان في جزيرة من جزائر البحر، فإذا بامرأة تجر شعرها، فقال: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، اذهب إلى هذا القصر. فأتيته، فإذا رجل يجر شعره، مسلسل في الأغلال، ينزو فيما بين السماء والأرض، فقلت: من أنت؟ قال: أنا البدجال، خرج نبي الأميين بعد؟ قلت: نعم. قال: أطاعوه، أم عصوه؟ قلت: بل أطاعوه. قال: ذلك خير لهم.»

ورواه الترمذي ^(٣)، وهذا لفظه: قالت: إن نبي الله ﷺ صعد المنبر، فضحك، فقال: «إن تميماً الداري حدثني بحديث، ففرحت، فأجبت أن أحدثكم. إن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر، فجالت بهم حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر، فإذا هم بدابة لباسة ناشرة شعرها، فقالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قالوا: فأخبرينا. قالت: لا أخبركم ولا أستخبركم، ولكن ائتوا أقصى القرية، فإن ثم من يخبركم ويستخبركم. فأتينا أقصى القرية، فإذا رجل موثق بسلسلة، فقال: أخبروني عن عين زغر. قلنا: ملأى تدفق. قال: أخبروني عن نخل بيسان الذي بين الأردن وفلسطين، هل أطعم؟ قلنا: نعم. قال: أخبروني عن النبي ﷺ، هل بعث؟ قلنا: نعم. قال: أخبروني، كيف الناس إليه؟ قلنا: سراع. فزا نزوة، حتى كاد، قلنا. فما أنت؟ قال: أنا الدجال. وإنه يدخل الأمصار كلها، إلا طيبة. وطيبة: المدينة.

(١) أبو داود (٤ / ١١٩) . في الموضوع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ١١٨) . في الموضوع السابق .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٢١ ، ٥٢٢) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٦ - باب حدثنا محمد بن بشار... إلخ .

أقول : ورد في الحديث قول الدجال : (وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة) يؤيد ما ذكرناه أن مكثه في الأرض أربعون يوماً عادية ، لكن لشدة الهول والبلاء والفتنة بخروجه يكون اليوم الأول على الناس كسنة واليوم الثاني كشهرا واليوم الثالث كجمعة في الشدة ثم بعد ذلك يألف الناس الحدث وتذهب عنهم شدة الصدمة ، ومما يستأنس به لما ذهبنا إليه حديث لابن ماجه ، يذكر أن مكثه في الأرض أربعون سنة فهذه الرواية يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة - التي تذكر أن مكثه أربعون يوماً - بأن المراد أربعون سنة في الشدة وهي أربعون يوماً في المدة

١٠٦٠ - * روى مسلم ، عن حميد بن هلال ، رضي الله عنه ، عن زهط - منهم أبو الدهاء وأبو قتادة - قالوا : كنا نمر على هشام بن عامر ، نأتي عمران بن حصين ، فقال ذات يوم : إنكم لتجاوزوني إلى رجال ما كانوا بأخضر لرسول الله ﷺ مني ، ولا أعلم بحديثه مني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » .

وفي رواية (١) : « أمر أكبر من الدجال » .

١٠٦١ - * روى الترمذي ، عن مجتمّع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لُد » .

١٠٦٢ - * روى أحمد ، عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال : « من نجا من

= (التزو) : الوثوب : نزا ينزو نزواً ، والتزو : المرة الواحدة .

(حتى كاد) : أي : أن يتخلص من الوثاق .

١٠٦٠ - مسلم (٤ / ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

(١) مسلم : (٤ / ٢٢٦٧) ، في الموضوع السابق .

١٠٦١ - الترمذي (٤ / ٥١٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٢ - باب ماجاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٦٢ - مسند أحمد (٤ / ١١٠) .

جمع الزوائد (٧ / ٣٣٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة .

ثلاثٍ فقد نجاً « ثلاث مراتٍ » موتي والدجالُ وقتلُ خليفةٍ مُصطَبِرٍ بالحقِّ يُعْطيه » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام : « وقتل خليفةٍ مُصطَبِرٍ بالحق يعطيه » . إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه فمن نجاً من المشاركة في قتله أو الرضا في قتله فإنه يكون قد نجاً من مهلكة من المهلكات ، اللهم أنا نبرأ إليك من قتله ومن قتلته ، وفي النص معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

١٠٦٣ - * روى أحمد ، عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال : « ما يبكيك ؟ » قلت : يارسولَ الله ، ذكرتُ الدجالَ فبكيتُ . فقال رسول الله ﷺ : « إن يخرج وأنا فيكم كفيتُموه وإن يخرجُ بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعورٍ إنه يخرج من يهوديةٍ أصبهان حتى يأتي المدينة فيزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل ثقبٍ منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام مدينة فلسطين بباب لد فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً » .

١٠٦٤ - * روى أحمد ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال : « أعورٌ هيجانٌ أزهرٌ كأن رأسه أصلَةٌ أشبه الناسِ بعبدِ العزى بن قطنٍ فيما هلك الهلكُ فإن ربكم تبارك وتعالى ليس بأعورٍ » .

١٠٦٣ - مسند أحمد (٦ / ٧٥) .

جمع الزوائد (٧ / ٢٢٨) . وقال : رواه أحمد ورجال رجاله الصحيح غير الحضرمي بن لاحق ، وهو ثقة .

١٠٦٤ - مسند أحمد (١ / ٢٤٠) .

والمعجم الكبير (١١ / ٢٢٧) .

جمع الزوائد (٧ / ٢٢٧) . وقال : رواه : أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

(هيجان) : الهجان : الأبيض .

(أزهر) : أي أبيض .

(الأصلة) : الحية العظيمة ، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية .

(هلك) : بالضم والتشديد جمع هالك ، أي فإن هلك به ناس جاهلون وضلوا فاعلموا أن الله ليس بأعور فكانه قال

فكيفما كان الأمر فإن ربكم ليس بأعور ، أي منزه عن النقائص والعيوب .

وفي رواية (١) عند الطبراني عن النبي ﷺ قال : « رأيت الدجال هجأنًا ضخمًا قيلمانيًا كان شعره أغصانَ شجرةِ أعورٍ كأنَّ إحدى عينيه كوكب الصُّبحِ أشبهُ بعبدِ العزري بنِ قطنِ رجلٍ من خُزاعةٍ » .

١٠٦٥ - * روى أحمد ، عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال : « إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعودوا بالله من عذاب القبر » .

١٠٦٦ - * روى أحمد ، عن جنادة بن أبي أمية قال : أتينا رجلاً من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ فدخلنا عليه فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا ما سمعت من الناس فشددنا عليه ، فقال : قام رسول الله ﷺ فينا فقال « أنذركم المسيح وهو ممسوخ العين » أحسبه قال العين اليسرى - « تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء علامته يمكث في الأرض أربعين صباحًا ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد الكعبة ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى والطور ، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور » قال ابن عيون أحسبه قال : « يسلم على رجل فيقتله ثم يحييه ولا يسلم على غيره » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام : « يمكث في الأرض أربعين صباحًا : يؤيد ما ذكرناه عن أن أيامه أيام عادية ، لكن بعضها يشعر بطوله لشدة البلاء وقوة الصدمة .
وأما قوله : « ولا يسلم على غيره » أي : ثم لا يسلم على غيره .

(١) المعجم الكبير (١١ / ٢١٢) .

مجم الزوائد (٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(فيلمانيا) : القيلم من الرجال العظيم ، وقيل : عظيم الحجة .

١٠٦٥ - مسند أحمد (٥ / ١٢٣ ، ١٢٤) .

مجم الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٦٦ - مسند أحمد (٥ / ٤٢٤) .

مجم الزوائد (٧ / ٢٤٢) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٦٧ - * روى أحمد ، عن أبي قلابة قال : رأيت رجلاً بالمدينة قد أطاف الناس به وهو يقول : قال رسول الله ﷺ - فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال : فسمعتُه وهو يقول : « إن بعدكم الكذاب المضلّ وإنّ رأسه من ورائه حُبك حُبك وإنه سيقول : أنا ربكم . فمَنْ قال : لست برينا ولكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك ، لم يكن له عليه سلطان » .

١٠٦٨ - * روى أحمد ، عن مِخْجَن بن الأُدْرَع أن رسول الله ﷺ قال : « يومَ الخِلاصِ وما يومُ الخِلاصِ ، يومُ الخِلاصِ وما يومُ الخِلاصِ » . ثلاثاً ، فقيل له : وما يومُ الخِلاصِ ؟ قال : « يجيء الدجالُ فيصعدُ أحدًا فيقول لأصحابه : أترون هذا القصرَ الأبيض ، هذا مسجدُ أحمدَ ثم يأتي المدينة فيجد بكل ثقبٍ منها ملكاً مصلتاً فيأتي سبخةَ الجرف فيضربُ رواقه ثم تزحفُ المدينة ثلاثَ رجفاتٍ فلا يبقى منافقٌ ولا منافقةٌ ولا فاسقٌ ولا فاسقةٌ إلا خرجَ إليه فذلك يومُ الخِلاصِ » .

١٠٦٩ - * روى البزار ، عن الفلتان بن عاصم قال قال رسول الله ﷺ : « أريت ليلة القدرِ ثم أنسيتهَا ورأيتُ مسيحَ الضلالةِ فإذا رجلان في أندَرِ فلانٍ يتلاحيان فحجزتُ بينهما ، فأنسيتهَا ، فاطلبوها في العشرِ الأخيرِ ، وأما مسيحُ الضلالةِ فرجلٌ أجلى الجبهةِ ممسوحُ العينِ اليسرى عريضُ النحرِ كأنه عبدُ العزى بن قطنٍ » .

١٠٧٠ - * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم ، حتى يقول الحجرُ : يامسلم ، هذا يهوديٌّ » .

١٠٦٧ - مسند أحمد (٥ / ٣٧٢) .

مجم الزوائد (٧ / ٢٤٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . (حُبك) : أي شعر رأسه منكسر من الجمود .

١٠٦٨ - مسند أحمد (٤ / ٣٣٨) .

مجم الزوائد (٣ / ٣٠٨) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٦٩ - كشف الأستار (٤ / ١٣٦ ، ١٣٧) .

مجم الزوائد : (٧ / ٢٤٨) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

١٠٧٠ - البخاري (٦ / ١٠٢) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٤ - باب قتال اليهود .

فتعالَ فاقْتَلَهُ» .

وفي أخرى ^(١) قال : « تَقْتَلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجْرُ : يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي ، تعالَ فاقْتله » .

وفي أخرى ^(٢) : « تَقَاتَلَكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ ... » الحديث .

١٠٧١ - * روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجْرُ أَوْ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي ، تعالَ فاقْتله . إِلَّا الْغَرْقَدَ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ » .

^١ وفي رواية ^(٣) أن رسولَ الله ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا الْيَهُودَ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجْرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ : يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي ، فاقْتله » .

أقول : الظاهر أن هذين الحديثين ينطبقان على اليهود الذين يأتون مع الدجال كما ورد في روايات أخرى ، قد مرّت معنا ، وليس في اليهود الذين يحتلون فلسطين الآن ، فهؤلاء سينتهون ويخرجون . والله أعلم .

١٠٧٢ - * روى أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَالُ بِحُورَانَ وَكِرْمَانَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَجُوهَهُمْ كَالْجَبَانِ الْمَطْرُوقَةِ » .

= مسلم (٤ / ٢٢٣٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى ير الرجل ... إلخ .
والترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ما جاء في علامة الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى ير الرجل ... إلخ .

(٢) البخاري (٦ / ٦٠٤ ، ٦٠٥) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة ... إلخ .

ومسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ما جاء في علامة الدجال .

١٠٧١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة ... إلخ .

(٣) البخاري (٦ / ١٠٣) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٤ - باب قتال اليهود .

= ١٠٧٢ - مسند أحمد (٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) . قال ابن كثير : إسناده جيد قوي حسن .

١٠٧٣ - * روى أحمد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي خِيفَةٍ مِنَ الدِّينِ ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَلَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَسِيحُهَا فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ مِنْهَا كَالسَّنَةِ ، وَالْيَوْمَ مِنْهَا كَالشَّهْرِ ، وَالْيَوْمَ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ وَلَهُ حِجَارٌ يَرْكَبُهَا ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا فَيَقُولُ لِلنَّاسِ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَهُوَ أَعْوَرٌ . وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ . مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : (كَافِرٌ) ، ك ف ر ، مَهْجَأَةٌ ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ يَرِدُ كُلُّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ إِلَّا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَبْوَابِهَا . وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْرٍ ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ . وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ . نَهْرٌ يَقُولُ : الْجَنَّةُ . وَنَهْرٌ يَقُولُ : النَّارُ . فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ : يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يَحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، لَا يُسَلِّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ . وَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ ، فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ ، وَيَجْهَدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا .

ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكُذَّابِ الْحَبِيثِ ؟ فَيَقُولُونَ : هَذَا رَجُلٌ جَنِّيٌّ . فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَتَقَامُ الصَّلَاةُ ، فَيَقَالُ لَهُ : تَقَدَّمَ يَا رُوحَ اللَّهِ .

= جمع الزوائد (٧ / ٢٤٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالها ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس . ورواه البزار أم .

١٠٧٣ - مسند أحمد (٣ / ٣٦٧ ، ٣٦٨) .

والمستدرک (٤ / ٥٢٠) . وصححه ورجاله ثقات .

قال الشيخ عبد الفتاح : (وقال الذهبي في تلخيص المستدرک « ٤ : ٥٢٠ » هو على شرط مسلم ، وأورده الهيثمي في « جمع الزوائد » ٧ : ٢٤٤ وقال : « رواه أحمد بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح ») انتهى . (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

قال الشيخ عبد الفتاح : قوله (في خفة من الدين) : أي في حال ضعف من الدين وقلة أهله .

(اليوم منها كالسنة) : هذا كناية عن شدة أذاه .

فيقول: لِيَتَقَدَّمَ إِمَامَكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ . فإذا صَلَّى صلاة الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ . فحين يَرَاهُ الكَذَّابُ يَنُاثُ كَمَا يَنُاثُ المِلْحُ فِي المَاءِ فِيمَشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ ، حتى إن الشَّجَرَ والحَجَرَ يُنَادِي يَارَوْحَ اللهُ هَذَا اليَهُودِيّ ، فلا يَتْرُكُ مَنْ كان يَتَّبِعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ .

١٠٧٤ - * روى الحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران أحدهما : نارٌ تأججٌ في عين من رآه ، والآخر ماء أبيض ، فإن أدركه أحدٌ منكم فليغمض . وليشرب من الذي يراه نارًا فإنه ماء بارد ، وإياكم والآخر فإنه الفتنة واعلموا أنه مكتوب بين عينيه (كافر) ، يقرأه من يكتب ومن لا يكتب ، وإن إحدى عينيه ممسوحة ، عليها ظفرة ، إنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن على ثنية أفيق ، وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر بطن الأردن ، وإنه يقتل من المسلمين ثلثًا ، ويهزم ثلثًا ، ويبقي ثلثًا . ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض : ماتنظيرون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربكم ؟ من كان عنده فضل طعام

= (يَنُاثُ) : أي يختفي ويتوارى كما يذوب الملح في الماء . اهـ (التصريح) .

١٠٧٤ - المستدرک (٤ / ٤٩٠ - ٤٩٢) . وقال : صحيح على شرط مسلم .

ورواه ابن عساکر كما في « كنز العمال » .

ورواه مسلم مختصراً (٤ / ٢٢٤٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته ومآله .

وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري .

شرح الشيخ عبد الفتاح وتعليقاته :

(نار تأجج) : أي تتوقد .

(ظفرة) : الظفرة : لحمه تنبت عند موق العين وقد تمتد إلى سواد العين فتغشيه .

قوله : (إنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن) : هو بمعنى قوله في الحديث السابق (ثم يسير حتى يأتي

الشام) : إذ الأردن من الشام .

(ثنية أفيق) : الثنية هنا معناها : العقبة ، وهي المرتفع العالمي من الأرض . فيكون (ثنية أفيق) بمعنى (عقبة

أفيق) . قال العلامة ياقوت في « معجم البلدان » عند ذكر (أفيق) :

« هي قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق تنزل في هذه العقبة إلى الغور وهو

الأردن وهي عقبة طويلة نحو ميلين » .

قوله : (وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر بطن الأردن) : : يعني : تجتمع المسلمين في أرض الشام يؤمنون .

(ويجن عليهم الليل) : أي : يستمر الليل بسواده .

فَلْيَعُدُّ بِهِ عَلَى أَخِيهِ ، صَلُّوا حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ ، وَعَجَّلُوا الصَّلَاةَ ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ فَلَمَّا قَامُوا يُصَلُّونَ نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَامَهُمْ فَصَلَّى بِهِمْ ، فَلَمَّا انصرفت قال : هكذا أفرجوا بيني وبين عدو الله . قال أبو حازم : قال أبو هريرة رضي الله عنه : فَيَذُوبُ كَمَا تَذُوبُ الْإِهَالَةَ فِي الشَّمْسِ . وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : كما يذوب الملح في الماء . « وَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُونَهُمْ ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ لَيُنَادِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ يَا مُسْلِمًا هَذَا يَهُودِي فَأَقْتُلْهُ . فَيَفْنِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُظَهِّرُ الْمُسْلِمُونَ ، فَيَكْسِرُونَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُونَ الْخَنزِيرَ ، وَيَضَعُونَ الْحِزْيَةَ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَخْرَجَ اللَّهُ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فَيَشْرَبُ أَوْلَهُمُ الْبُحَيْرَةَ ، وَيَجِيءُ آخِرُهُمْ وَقَدْ انْتَشَفَوْهُ فَمَا يَدْعُونَ فِيهِ قَطْرَةً ، فيقولون : قد كان هاهنا أثر ماء .

فَيَجِيءُ نَبِيُّ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ وَرَاءَهُ حَتَّى يَدْخُلُوا مَدِينَةَ مِنْ مَدَائِنِ فِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهَا : لُدَّ . فيقولون : ظَهَرْنَا عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ فَتَعَالَوْا نَقَاتِلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ! فَيَدْعُو اللَّهُ نَبِيَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيُنْعَثُ اللَّهُ قَرْحَةً فِي حُلُوقِهِمْ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ بَشَرٌ ، فَتُؤَذَى رِيحُهُمُ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَدْعُو عِيسَى - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - عَلَيْهِمْ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا فَتَقْتُلُهُمْ فِي الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ .

١٠٧٥ - * روى ابن ماجه عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ : قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ أَكْثَرَ خُطْبَتَيْهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ الدَّجَالِ . وَحَدَّثَنَا . فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ : « إِنَّهُ لَمْ

(فليعد به على أخيه) : أي : فليقدمه إلى أخيه . =

قوله : (فصل بهم) : أي صلى معهم مقتديًا بإمامهم . وجميء الباء بمعنى (مع) شائع في لغة العرب ، قال تعالى : « يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا » أي : مع سلام منا .

وهذا التأويل موافق للحديث : « وإمامكم منكم » . وموافق للأحاديث التي أفادت أن سيدنا عيسى يقتدي بإمام تلك الصلاة التي أقيمت . وهي صلاة الفجر .

قوله (قال : هكذا أفرجوا بيني وبين عدو الله) أي أشار بيده قائلاً : أخلوا بيني وبينه .

(الإهالة) : كلُّ ذَهْنٍ يُوتَدَمُ بِهِ .

(فيشرب أولهم البحيرة) : أي بُحَيْرَةَ طَبْرِيَّةَ .

(انتشفوه) : أي شربوا الماء كُلَّهُ . ١ . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

١٠٧٥ - ابن ماجه (٢ / ١١٥٩ - ١١٦٢) ، ٢٦٠ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم . =

تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ ، مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ . وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالَ . وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ . وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ . وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ . وَإِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَاتِكُمْ ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنْ يَخْرُجُ مِنْ بَعْدِي ، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجٌ نَفْسِهِ . وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالًا . يَاعْبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا . فَإِنِّي سَأَصِفُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي . إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ : أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيٌّ بَعْدِي . ثُمَّ يَنْتَبِي فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَلَا تَرَوْنَ رَبُّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا . وَإِنَّهُ أَعْوَرَ . وَإِنْ رَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ . وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ . وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارًا فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ . فَمَنْ ابْتَلِيَ بِنَارِهِ ، فَلَيْسَتْغِثُ بِاللَّهِ وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ . فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا . كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ ، لِأَعْرَابِيٍّ : أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ . فَيَقُولَانِ : يَا بَنِيَّ اتَّبِعْهُ ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ . وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ،

= وإسناده قوي .

وساق أبو داود سنده - وهو سند صحيح - إلى أبي أمامة عن النبي ﷺ ثم قال : « نحوه ، وذكر الصلوات مثل معناه » يعني نحو حديث النُّوَّاسِ بْنِ سَعْمَانَ .

وحديث النُّوَّاسِ بْنِ سَعْمَانَ رواه أبو داود (٤ / ١١٧) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وصحَّحه ابن خزيمة .

ورواه الحاكم : المستدرک (٤ / ٣٥٦ ، ٥٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم . وأقره الذهبي .

وأورد الحافظ ابن حجر جُمْلًا منه في « فتح الباري » مستشهدًا بها ، فهو عنده حديث صحيح أو حسن .

قال الشيخ عبد الفتاح (قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨١ بعد أن ساق الحديث من رواية ابن ماجه بكامله : « هذا حديث غريبٌ جدًا من هذا الوجه ، ولبعظه شواهدٌ من أحاديث أخر ، ثم ساق رحمه الله تعالى شواهد لبعظه من « صحيح مسلم » اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

قوله : (وإن من فتنته أن معه جنة ونارا ، فناره جنة وجنته نار) :

قال الشيخ عبد الفتاح : (قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٨٨ : وهذا يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ، فإما أن يكون الدجال ساحرًا فيخيل الشيء بصورة عكسه ، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يُسخرها الدجال نارا ، وباطن النار جنة ، وهذا الراجح) اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

فَيَقْتُلُهَا ، وَيُنَبِّئُهَا بِالْمُنْشَارِ ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ . ثُمَّ يَقُولُ : انظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا . فَإِنِّي أُبْعَثُهُ الْآنَ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي . فَيُبْعَثُهُ اللَّهُ . وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ . أَنْتَ الدَّجَالُ . وَاللَّهُ مَا كُنْتُ ، بَعْدُ ، أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ .»

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِيسِيُّ : فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ . ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَافِيُّ عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَلِكِ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ » .

قَالَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَاللَّهِ ! مَا كُنَّا نَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عَمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ . حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ .

قال المُحَارِبِيُّ : ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي زَافِعٍ . قَالَ : « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فَتُمَطِّرَ ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَكْذِبُونَهُ ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَصُدَّقُونَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فَتُمَطِّرَ ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ، حَتَّى تَرَوْحَ مَوَاشِيَهُمْ ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ ، أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، وَأَذْرَهُ ضُرُوعًا . وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، لَا يَأْتِيهَا مِنْ تَقَبٍ مِنْ تَقَابِهِمَا إِلَّا لَقَيْتَهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الطَّرِيبِ الْأَحْمَرِ ، عِنْدَ مُنْقَطِعِ السَّبْحَةِ ، فَتَرْجِفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ . فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ . فَتَنْفِي الْخَبِيثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرَ خَبِيثَ الْحَدِيدِ . وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْخُلَاصِ » .

(نقب) : هو طريق بين جبلين .

(سلطنة) : أي مجرمة . يقال : أصلت السيف ، إذا جرّده من غده . وضربه بالسيف صلّنا وصلّنا .

(الظريب) : تصغير ظرب ، بوزن كنف . والظراب الجبال الصغار .

(السبخة) : هي الأرض التي تملؤها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

(ترجف) : أصل الرجف الحركة والاضطراب . أي تتزلزل وتضطرب .

(الخبث) : هو ما تلقى النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرها إذا أديبا .

فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكَ بِنْتُ أَبِي الْعَكْرِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ . وَجَلَّهُمْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَإِمَامَهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ ، فَزَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامَ يَنْكُصُ ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى ، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : تَقَدَّمَ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أَقِيمَتْ . فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامَهُمْ ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : افْتَحُوا الْبَابَ . فَيُفْتَحُ ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَالُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مَحْلَى وَسَاجٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا . وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةٌ لَنْ تُسَبِّقَنِي بِهَا . فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ ، فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ ، لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةَ (إِلَّا الْغُرْقَدَةَ ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ ، لَا تَنْطِقُ) إِلَّا قَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمِ ! هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً . السَّنَةُ كَنْصِفِ السَّنَةِ . وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ . وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَةِ . يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا إِلَّا حَتَّى يُعْصِي » . فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ نَصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْفِصَارِ ؟ قَالَ : « تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الطُّوَالِ ، ثُمَّ صَلُّوا » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(ينكص) : النكوص الرجوع إلى الوراء . وهو القهقري .

(وساج) : الساج هو الطليسان الأخضر . وقيل : الطليسان المقور ، ينسج كذلك .

(لن تسبقني بها) : أي لن تقوتها علي .

(باب اللد) : في النهاية : لدم موضع بالشام ، وقيل بفلسطين .

(الغرقدة) : هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك .

(كالشررة) : واحدة الشرر . وهو ما يتطاير من النار .

فِي أُمِّي حَكْمًا عَدْلًا ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا . يَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَذْبَحُ الْخَزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَتْرِكُ الصَّدَقَةَ ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ . وَتَرْفَعُ الشَّحْنَاءَ وَالتَّبَاعُضَ ، وَتَنْزِعُ حُمَةَ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ ، حَتَّى يَدْخُلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ ، فَلَا تَضُرُّهُ . وَتَفِرُّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ ، فَلَا يَضُرُّهَا . وَيَكُونُ الذُّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا . وَتَمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السَّلْمِ كَمَا يَمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ . وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَتَضَعُ الْحَرْبَ أُوزَارَهَا . وَتَسْلُبُ قُرَيْشَ مُلْكَهَا . وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاتُورِ الْفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ . حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقَطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ . وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَانَةِ فَتَشْبِعُهُمْ . وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا ، مِنَ الْمَالِ . وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالْدُرِّيَّاتِ « قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسُ ؟ قَالَ : « لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا » قِيلَ لَهُ : فَمَا يُغْلِي الثَّوْرُ ؟ قَالَ : « تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا . وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ . يَاْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تُحْبَسَ ثَلَاثَ مَطَرِهَا ، وَيَاْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبَسَ ثَلَاثَ نَبَاتِهَا . ثُمَّ يَاْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ ، فَتَحْبَسُ ثَلَاثِي مَطَرِهَا ، وَيَاْمُرُ الْأَرْضَ ، فَتَحْبَسُ ثَلَاثِي نَبَاتِهَا . ثُمَّ يَاْمُرُ اللَّهُ

(حَكْمًا) : أَي حَاكِمًا بَيْنَ النَّاسِ .

(مُقْسِطًا) : أَي عَادِلًا فِي الْحُكْمِ .

(يَدُقُّ الصَّلِيبَ) : أَي يَكْسِرُهُ بِمِجْثَ لَا يَبْقَى مِنْ جَنْسِ الصَّلِيبِ شَيْءٌ .

(وَيَذْبَحُ الْخَزِيرَ) : أَي يَحْرِمُ أَكْلَهُ ، أَوْ يَقْتُلُهُ بِمِجْثَ لَا يَوْجَدُ فِي الْأَرْضِ لِأَيْكَلَهُ أَحَدٌ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يَبْطُلُ دِينُ النَّصَارَى .

(وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ) : أَي لَا يَقْبَلُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْكُفْرَةِ ، بَلْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

(وَيَتْرِكُ الصَّدَقَةَ) : أَي الزَّكَاةَ ، لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ .

(فَلَا يَضُرُّهَا) : قَالَ فِي النِّهَايَةِ : أَنَّ يَتْرِكُ زَكَاتَهَا فَلَا يَكُونُ لَهَا سَاعٌ .

(حُمَةٍ) : بِالْتَّخْفِيفِ السَّمِّ . وَيَطْلُقُ عَلَى إِبْرَةِ الْعَقْرِبِ لِلْجَاوِرَةِ ، لِأَنَّ السَّمَّ مِنْهَا يَخْرُجُ .

(قُرَيْشٌ) : أَي تَحْمِلُهُ عَلَى الْفِرَارِ .

(وَتَسْلُبُ قُرَيْشَ مُلْكَهَا) : أَي : تَسْتَرِدُّهُ مِنْ أَيْدِي الْكُفْرَةِ وَالظُّلْمَةِ ، لِأَنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ قُرَيْشٍ .

(كَفَاتُورِ الْفِضَّةِ) : الْفَاتُورُ : الْحِوَانُ . وَقِيلَ : هُوَ طَسَّتْ أَوْجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ .

(الْقَطْفُ) : الْمَنْعُودُ . وَهُوَ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَقْتَطِفُ كَالذَّبْحِ وَالطَّنْحَنِ .

=

السَّيِّئِ ، فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهَا ، فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً ، وَيَأْمُرُ
الْأَرْضَ ، فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهَا ، فَلَا تُنْبِتُ خَضِرًا . فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا
هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ » . قِيلَ : فَمَا يَعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟ قَالَ : « التَّهْلِيلُ
وَالْتَكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ ، وَيَجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ » .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيَّ
يَقُولُ : يَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى الْمُؤَدَّبِ ، حَتَّى يُعَلِّمَهُ الصَّبِيَّانِ فِي الْكِتَابِ .

١٠٧٦ - * روى الحاكم عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه ، قال أبو الطُّفَيْلِ اللَّيْثِيُّ :
كُنْتُ بِالْكُوفَةِ ، فَقِيلَ : قَدْ خَرَجَ الدَّجَالُ ! فَاتَيْنَا حَذِيفَةَ بْنَ أَسِيدٍ ، فَقُلْتُ : هَذَا الدَّجَالُ
قَدْ خَرَجَ ! فَقَالَ : اجْلِسْ فَجَلَسْتُ ، فَنُودِيَ إِنَّهُ كَذِبَةٌ صَبَاغٌ .

فَقَالَ حَذِيفَةُ : إِنَّ الدَّجَالَ لَوْ خَرَجَ فِي زَمَانِكُمْ لَرَمْتُهُ الصَّبِيَّانَ بِالْحَذَفِ ، وَلَكِنَّهُ يَخْرُجُ فِي
تَقْصٍ مِنَ النَّاسِ ، وَخِيفَةٍ مِنَ الدِّينِ ، وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ ، وَتَطْوِي لَهُ الْأَرْضُ
طِيًّا فَرَوْةَ الْكَبْشِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَيَغْلِبَ عَلَى خَارِجِهَا ، وَيَمْنَعُ دَاخِلَهَا ، ثُمَّ جَبَلَ إِبِلِيَاءَ
فِيْحَاصِرٍ عَصَابَةٍ مِنَ الْمَسَالِينِ .

فيقول لهم الذي عليهم : ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقتاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح

= (فلا تقطر قطرة) : في المصباح : يتمدى ولا يتعدى . هذا قول الأصمعي . وقال أبو زيد : لا يتعدى بنفسه .
بل بالألف .

(الظلف) : في المنجد : هو لما اجتر من الحيوانات كالبقرة والظبي ، بمنزلة الحافر للفرس .

١٠٧٦ - المستدرک (٤ / ٥٢٩ ، ٥٣٠) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي . والحديث موقوف لفظاً ،
مرفوع حكماً .

قال الشيخ عبد الفتاح .

(كذبة صباغ) أي كذبة كذاب . وأطلقوا لفظ الصباغ على الكذاب لأنه يصنع الحديث ، أي يلوّنه ويغيره كما
يفعل الصباغ بالثياب .

(الحذف) : صغار الحصى .

(وسوء ذات بين) : أي يخرج والعداوات متأججة بين الناس : الأقارب والأبعد .

(منهل) : المنهل : مؤرد الماء الذي يشرب منه .

(فروة الكبش) : أي جلبد الكبش من الغنم . وهذا كناية عن سرعة سيره في قطع المسافات .

(إبلية) : مدينة بيت المقدس . ويعني بجبلها : جبل الطور .

لكم ؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم ، فيقتل الدجال ، ويهزم أصحابه . حتى إن الشجر والحجر والمدن يقول : يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله .

قال : وفيه ثلاث علامات ، هو أعور . ورؤك ليس بأعور . ومكتوب بين عينيه : (كافر) ، يقرأه كل مؤمن أمي وكاتب ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار ، فهو رجس على رجس .

ثم قال : أنا لغير الدجال أخوف عليّ وعليكم ! فقلنا : ماهو ؟ قال : فتن كأنها قطع الليل المظلم . قال : فقلنا : أي الناس فيها شر ؟ قال : كل خطيب مضغ ، وكل راكب مؤضع . قال : فقلنا : أي الناس فيها خير ؟ قال : كل غني خفي . قال : فقلت ما أنا بالغني ولا بالخفي ، قال : فكأن كاهن اللبون : لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب .

١٠٧٧ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ذكر عنه الدجال فقال : يفترق الناس عند خروجه ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض أبيائها بنابت الشيع ، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقايلونه حتى يجتمع المؤمنون بقري الشام ، فيبعثون إليه طليعة فيهم فارس على فرس أشقر أو أبلق ، فيقتلون لا يرجع منهم أحد . ثم إن المسيح عليه السلام ينزل فيقتله .

(فهو رجس على رجس) : أي فهو قدر على قدر .

(خطيب مضغ) : أي كل خطيب بليغ اللسان . ويريد به الخطيب البليغ الذي يخدع ببلاغته وفصاحته المقول والألباب ، فيريها الباطل حقاً والحق باطلاً .

(راكب مؤضع) : أي مشرع . ويريد به من يخف ويسرع في الفتنة ونصرة الباطل وتأييد دعائه .

(كل غني خفي) : أي كل غني النفس معتزل عن الناس ، مختب عليهم مكانه منقطع إلى العبادة والشغل بأمر نفسه أيام الفتن والأهواء .

(اللبون) : الناقة ذات اللبن ترضعه ولذا . وابن اللبون هو ولدها الصغير الذي ما يزال يرضع لبن أمه . فهو لصغر لا يمكن أن يركب عليه لقتال ونحوه ، ولا أن يكون فيه لبن ليحلب فيغذى بلبنه . فيبقى بعيداً عن أن يستعان به في أمر من أمور الفتنة . اهـ . من التصريح بما تواتر في نزول المسيح .

١٠٧٧ - المستدرک (٤ / ٤٩٦ - ٤٩٨) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ولم يتكلم عليه الذهبي بشيء سوى أنه من رواية أبي الزعراء عبد الله بن هانئ . انتهى . ولا شك أن أبا الزعراء ثقة ، كما صرح به في « التهذيب » وغيره ، فقدم تخريجها عنه لا يضرب بصحة الحديث .

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

ثم يَخْرُجُ يَأْجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ فَيَمُوجُونَ فِي الْأَرْضِ فَيُفْسِدُونَ فِيهَا ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (١) . ثم يَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً مِثْلَ النَّمْلِ ، فَتَدْخُلُ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَمَتَاخِرِهِمْ فَيُوتُونَ مِنْهَا ، فَتَنْتَنُ الْأَرْضُ مِنْهَا ، فَيَجَارُ أَيْلُ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ مَاءً فَيَطْهَرُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا فِيهَا زَمْهَرِيرًا بَارِدَةً ، فَلَا تَدْعُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَوْمِنًا إِلَّا كَفَأَتْهُ تِلْكَ الرِّيحُ . ثُمَّ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ .

ثم يَقُومُ مَلَكُ الصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَلَا يَبْقَى خَلْقٌ لِلَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَاتَ إِلَّا مِنْ شَاءِ رَبِّكَ . ثم يَكُونُ بَيْنَ النَّفُثَتَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، فَلَيْسَ مِنْ بَنِي آدَمَ خَلِقَ إِلَّا وَفِي الْأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ . ثم يُرْسِلُ اللَّهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمِيَّةٍ الرِّجَالِ ، فَتَنْبُتُ جُسَمَانُهُمْ وَلُحْمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، كَمَا تَنْبُتُ الْأَرْضُ مِنَ الرَّيِّ ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٢) .

ثم يَقُومُ مَلَكُ الصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَتَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جَسَدِهَا حَتَّى تَدْخُلَ فِيهِ ، فَيَقُومُونَ فَيُجَبُّونَ تَجْبِيَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . ثم يَمْتَلُ اللَّهُ تَعَالَى لِلخَلْقِ فَيُلْقَاهُمْ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ يَعْجَبُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ مَرْفُوعٌ لَهُ يَتَّبَعُهُ .

= تعليق الذهبي هذا على كلام الحاكم إذا علقه على سياقة الحاكم هذه في كتاب الأوهال من « المستدرک » ٤ : ٥٩٨ - ٦٠٠ ، ولكن الحاكم ساقه قبل ذلك في موضعين من كتاب الفتن ، ومن طريق أبي الزُّعْرَاءِ أَيْضًا ، مطوَّلًا كسياقة كتاب الأوهال في ٤ : ٤٩٦ - ٤٩٨ ، ومختصرًا في ٤ : ٥٥٦ ، وقال في كلا الموضعين : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وأقره الذهبي فرمز إلى أنه على شرطها ، فكان الذهبي جنح في هذين الموطنين إلى إقرار الحاكم ذهابًا منه إلى أن أبا الزُّعْرَاءِ ثقة فهو على شرطها من حيث كونه ثقة وإن لم يُخرجا له . وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٢٠ بعد ذكره طرفًا من الحديث من رواية البيهقي من طريق أبي الزُّعْرَاءِ : « ورواؤه ثقات إلا أنه موقوف » . اهـ (التصريح) .
والمعجم الكبير (٩ / ٤١٣ - ٤١٦) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣٢٨ - ٣٣٠) . وقال : رواه الطبراني وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح وقول النبي ﷺ : « أنا أول شافع » .

ورواه ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في « البعث والنشور » : الدر المنثور - تفسير سورة القلم (٦ / ٢٥٧ - ٢٥٨) .

فَيَلْقَى الْيَهُودَ فَيَقُولُ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْبُدُ عَزْرِيَا ، فَيَقُولُ : هَلْ يَسْرُكُ الْمَاءُ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُرِيهِمْ كَهَيْئَةِ الشَّرَابِ ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ (١) .

ثُمَّ يَلْقَى النَّصَارَى فَيَقُولُ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : الْمَسِيحَ ، فَيَقُولُ : هَلْ يَسْرُكُ الْمَاءُ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُرِيهِمْ جَهَنَّمَ كَهَيْئَةِ الشَّرَابِ .

ثُمَّ كَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ وَفَقَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٢) .

ثُمَّ يَتِمُّثَلُّ اللَّهُ تَعَالَى لِلخَلْقِ حَتَّى يَبْقَى الْمَسْلُومُونَ فَيَلْقَاهُمْ ، فَيَقُولُ : مَنْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فَيَنْتَهَرُهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَيَقُولُ : مَنْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : سُبْحَانَهُ إِذْ تَعَرَّفَ لَنَا عَرَفَانَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِ ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ ظُهُورَهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا ، كَأَنَّهُمْ فِيهَا السُّفَافِيدُ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! فَيَقُولُ : قَدْ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ .

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالصَّرَاطِ ، فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ ، فَيَمُرُّ النَّاسُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زَمْرًا ، أَوْ أَلْهَمَ كَلْمَحَ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرَ الرِّيْحِ ، ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَأَسْرَعَ الْبِهَائِمِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشْيًا ، حَتَّى يَجِيءَ آخِرُهُمْ رَجُلٌ يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ أَبْطَأْتَ بِي ؟ فَيَقُولُ : لَمْ أَبْطِئْ بِكَ ، إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ !

ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّفَاعَةِ ، فَيَكُونُ أَوَّلُ شَافِعِ رُوحِ الْقُدْسِ جَبْرِيْلَ ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلَ اللَّهِ ، ثُمَّ مُوسَى ، أَوْ قَالَ : عِيسَى ، ثُمَّ يَقُومُ نَبِيُّكُمْ رَابِعًا ، لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ بَعْدَهُ فَمَا يَشْفَعُ فِيهِ وَهُوَ الْمَقَامُ الْحَمُودِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ (٣) .

فَلَيْسَ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى ثِيْتٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَثِيْتٍ فِي النَّارِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ !

(٢) الصافات : ٢٤ .

(١) الكهف : ١٠٠ .

(٣) الإسراء : ٧١ .

فَيَرَى أَهْلَ النَّارِ الْبَيْتَ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَيَقَالُ : لَوْ عَلِمْتُمْ ؟ ! فَنَأْخُذْهُمْ الْحَسْرَةَ ! وَيَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ الْبَيْتَ الَّذِي فِي النَّارِ فَيَقَالُ : لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ يَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيُشَفِّعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم يقول الله : أنا أرحم الراحمين . فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته ، حتى لا يترك فيها أحداً فيه خير . ثم قرأ عبد الله : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُلْعِمِ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا تَخَوِّضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١) . فَعَمَدَ عَبْدُ اللَّهِ بِيَدِهِ أَرْبَعًا ثُمَّ قَالَ : هل تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ ؟ لا ، وما يترك فيها أحداً فيه خير !

فإذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غيرَ وجوههم وألوانهم ، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع ، فيقال له : من عرف أحداً فليخرجه . فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً ، فيناديه الرجل فيقول : يا فلان أنا فلان . فيقول : ما أعرفك . فعند ذلك يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (٢) . فيقول عند ذلك : ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ (٣) . فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم أحداً !

شرح الشيخ عبد الفتاح وتعليقاته :

(الشَّيْخُ) : يعني : البادية ، إذ الشَّيْخُ : نُبْتُ يَخْرُجُ فِي الْبَادِيَةِ .

(الطَّلِيْعَةُ) : جماعة يتقدمون الجيش ليكشفوا أحوال العدو .

(أَبْلَقُ) : أي فيه سواد وبياض .

(النِّغْفُ) : هو دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم .

(يَجَارُونَ) : أي يتضرعون إلى الله بالدعاء .

(الزمهرير) : شدة البرد ، ووصفة بالباردة نظراً لمعناه وإشارة إلى بالغ برودته . وفي

(٢) للمؤمنون : ١٠٧ .

(١) المدثر : ٤٢ - ٤٦ .

(٣) للمؤمنون : ١٠٨ .

رواية للحاكم : ٤ : ٥٥٦ ، « زمهرير بارد » .

(كفاة) : أي أمالته ميتاً بلطفٍ وراحة .

(الصُّور) : هو القرْنُ الذي ينفخ فيه إسرَافيلُ عليه السلام .

قوله : ﴿ فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض منه شيء ﴾ :

« أي ليس من بني آدم مخلوقٌ إلا وفي الأرض جزءٌ منه . وهذا الجزء كما قال سفيان الثوري : « عَجَبُ الذَّنْبِ » كما في « تذكرة القرطبي » و « مختصرها » للشعراني ص ٤٠ . وعَجَبُ الذَّنْبِ - ويقال : عَجَمُ الذَّنْبِ بالميم - : هو عَظْمٌ لطيف كحَبَّةِ الخردل في أصل الصُّلْبِ ، وهو رأسُ العَصَصِ بين الأليتين ، وهو مكانُ الذَّنْبِ من الحيوانات ذوات الأربع ، كما قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٨ : ٤٢٤ .

وقد روى البخاري ٨ : ٤٢٤ ، ومسلم ١٨ : ٩٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كلُّ ابنِ آدمٍ يأكله التُّرابُ إلا عَجَبَ الذَّنْبِ ، ومنه خَلِقَ ، ومنه يَرْكَبُ الخَلْقَ يومَ القيامةِ » .

قال الحافظ ابن حجر : « قال الشيخ ابن عَقِيلِ الحنبلي : لله عزَّ وجلَّ في هذا سِرٌّ لا نعلمه ، لأنَّ من يَظْهَرُ الوجودَ من العَدَمِ لا يَحْتَاجُ إلى شيءٍ يَبْنِي عليه » . انتهى .
(كمني الرجال) : أي من خَيْثُ شكَّله وصورته ، لا من حيث الحقيقة . ويقالُ لذلك الماء : ماءُ الحياة ، ومَطَرُ الحياة .

(جسمانهم ولحمانهم) : أي أجسادهم ولحومهم .

(من الرِّيّ) : أي من ارتوائها بالماء . وفي رواية « من الثُّرى » أي التُّرابُ النَّديّ .

(فيجبتون) : أي يضعون أيديهم على رُكَبِهِم وهم قائمون . كما في « النهاية » .

(يتمثل الله تعالى للخلق) : أي يتجَلَّى لهم سبحانه .

(السُّرابُ) : ما تراه في شِدَّةِ الحرِّ على وجه الأرض كالماء .

تعليقًا على قوله : (من كان يعبد من دون الله شيئًا) :

« وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ١٣ : ٢٥٧ ومسلم ٣ : ١٨ قوله ﷺ : « يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ، وَيَتَّبِعُ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِيهَا شَافِعُوهَا » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري ١٣ : ٣٥٨ ، ومسلم ٣ : ٢٦ قوله ﷺ : « ثم ينادي منادٍ : لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصُّلْبِ مَعَ صُلْبِهِمْ ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ » .

(إذا تعرّف لنا عرفناه) :

« أي إذا ظهر لنا على وجه لا يشبه المخلوقين ، في مُلْكٍ لا ينبغي لغيره ، وعظمة لا تشبه شيئًا من مخلوقاته : عرفناه أنه رَبُّنَا سبحانه فيتجلّى لهم سبحانه ، فإذا تجلّى فلا يَبْقَى مؤمنٌ إلا خرَّ لله ساجدًا » .

تعليقًا على قوله : (فيكشف عن ساق) :

« وفي « صحيح مسلم » ٣ : ٢٧ - ٢٨ من حديث أبي سعيد الخدري قوله ﷺ : « فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ - أَي سَهَّلَ لَهُ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ - وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ وَرِيَاءَ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ » .

(الطَّبَقُ) : جَمْعُ طَبَقَةٍ فَقَارِ الظَّهْرِ أَي تَسْتَوِي فَقَارَ ظَهْرِهِمْ فَتَصِيرُ كَالْفَقَارَةِ الْوَاحِدَةِ فَلَا تَتَّشِبُ ظُهُورَهُمْ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى السُّجُودِ .

(السفايف) : هي جمع سَفُودٍ ، وهو الحديدية التي يُشَوَى فيها اللحم .

(يأمر الله سبحانه بالصراف) : أي يأمر الله سبحانه أن يُضْرَبَ الجِشْرُ عَلَى جَهَنَّمَ لِيُغْبِرَ

المؤمنون عليه إلى الجنة . وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ١٣ : ٣٥٩ ومسلم ٣ : ٢٩ قلنا : يا رسول الله وكما الجسر ! قال : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَةٌ - أي تَزَلُّقٌ عليه الأقدام وتَزَلُّ - عليه خَطَاطِيفٌ وكلايبٌ وحَسَكٌ - شَوْكٌ صَلَبٌ من حديد - لها شوكة عَقِيفَةٌ - ملتوية - فَيَمُرُّ المؤمنون عليه كَطَرَفِ العَيْنِ ، وكالْبَرْقِ ؛ وكالرَّيحِ ، ومالطِيرِ ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ - أي مُطَّلَأٌ في من العذاب بعد أن أصابه - ومكدوسٌ - مدفوع مصروع - في نار جهنم » .

(زمراً) : أي جماعات .

(سعيًا) : أي ركضًا .

(يتلنبط) : أي يتقلب على بطنه .

تعليقًا على قوله : (ثم يقوم نبيكم رابعًا) :

قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ : ٣٣٠ هذا مخالف للحديث الصحيح وقول النبي ﷺ : « أنا أول شافع » .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٦٩ عقب حديث ابن مسعود : وهذا الحديث لم يُصْرَحْ برفعه ، وقد ضَعَفَه البخاري وقال : المشهورُ قوله ﷺ : « أنا أول شافع » . ثم قال الحافظ ابن حجر : وعلى تقدير ثبوته فليس في طَرَفِهِ التصريحُ بأنه المقامُ الحمود . انتهى .

قلت : في السياقة المذكورة التصريحُ بذكر المقام الحمود ، فالحقُّ مقاله الإمام البخاري والحافظ الهيثمي .

تعليقًا على قوله : (فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة ... ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا أَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ - لو أساء - ليزداد شكرًا . ولا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ -

لو أحسن - ليكون عليه حسرة « رواه البخاري ١١ : ٣٨٤ .

(فيه خير) : أي إيمان ولو كحبة خردل . يعني : يُخرج الله من النار - بعد خروج الذين عذبوا فيها من المؤمنين بشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين ... - كل من كان في قلبه إيمان بالله ولو كحبة خردل ، ولكن بعد أن يُصيّبه من عذاب جهنم ما يُصيّبه ! اهـ .
(التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

رأينا ملاحظة ابن حجر على بعض ماورد في حديث ابن مسعود الأخير وموافقة الشيخ عبد الفتاح له ، والحديث بشكل عام يعرض علينا مشاهد مما يكون قبل القيامة ومما يكون بعدها ، وكثير من مشاهدته تحتاج إلى وضعها في الإطار الكلي لما يكون بين يدي الساعة وما بعدها ، وقد مر معنا وسير معنا ما يوضح هذا الإطار الكلي ، ونعرف محل كل جزء من الحديث بالنسبة للإطار الكلي .

والمشهور عند العلماء أن المقام المحمود هو الشفاعة لفصل الخطاب ثم الشفاعة لعبور الصراط ، ثم الشفاعة لدخول الجنة ، والحديث وصف المقام المحمود بغير ذلك ، وهو محمول على مقام محمود لرسول الله ﷺ عامة وليس المراد به المقام المحمود الخصوص بالذكر في النصوص ، ولا مانع أن تكون هناك شفاعة من الشفاعات يكون البادئ فيها جبريل عليه السلام ويكون رسولنا عليه الصلاة والسلام هو الرابع ، وهذه غير الشفاعة التي يكون فيها رسولنا عليه الصلاة والسلام هو أول الشافعين .

فوائد ومسائل

(١)

قال ابن كثير في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم) :

وقد سألت سائل سؤالاً فقال :

ما الحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره وانتشار أمره ودعواه الربوبية وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء وقد حذر منه جميع الأنبياء لم يذكر في القرآن ويحذر منه ويصرح باسمه وينوه بكذبه وعناده ؟

والجواب : من وجوه ، أحدها : أنه قد أشير إلى ذكره في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ ﴾ (١) الآية .

قال أبو عيسى الترمذي (١) عند تفسيرها حدثنا عبد بن حميد حدثنا يعلى بن عبيد عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنتم من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها » .
ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

الثاني : أن عيسى ابن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال كما تقدم وكما سيأتي وقد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۗ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۗ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا

(١) الأنعام : ١٥٨ .

(١) الترمذي (٥ / ٢٦٤) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٧ - باب « ومن سورة الأنعام » .

لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١﴾ .

وقد قررنا في التفسير أن الضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى أي سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً ؛ فن مدعي الإلهية كالنصارى ، ومن قائل فيه قولاً عظيماً وهو أنه ولد ربيّة وهم اليهود ، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء ...

وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال شيخ الضلال وهو ضد مسيح الهدى ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر كما هو مقرر في موضعه .

الثالث : أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقاراً له حيث يدعي الإلهية وهو ليس ينافي حالة جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص فكان أمره عند الرب أحقر من أن يذكر وأصغر وأدخر من أن يحكى عن أمر دعواه ويجذر ؛ ولكن انتصر الرسل بجانب الرب عز وجل فكشفوا لأهمهم عن أمره وحذروهم مامعه من الفتن المضلة والخوارق المضحلة فاكْتَفِيَ بِإِخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ ، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم ؛ ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم . ١ . هـ (النهاية) .

(٢)

مرّ معنا حديث المغيرة بن شعبة والذي فيه عن الدجال : « وهو أهون على الله من ذلك » . وقد علق ابن كثير في النهاية على هذا الحديث فذكر رواية مسلم ، وذكر أن البخاري رواه أيضاً ، ومن كلامه :

عن المغيرة بن شعبة قال ما سألت أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، قال وما سؤالك ؟ قال : إنهم يقولون : إن معه جبلاً من خبز ولحم ونهراً من ماء ؟ قال :

« هو أهون على الله من ذلك » .

١٠٧٥

وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماء نار وناره ماء بارد وإنما ذلك في رأي العين ، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم والطحاوي وغيرها في أن الدجال مخرق مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء .

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء لتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سمناً ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجذب والقحط والعلّة وموت الأنعام وتقص الأموال والأنفس والثمرات . وأنه تتبعه كنوز الأرض كيما سيب النحل . ويقتل ذلك الشاب ثم يبييه . وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان فيفضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ، يكفر المرتابون ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً . وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث :

« هو أهون على الله من ذلك » .

أي هو أقل من أن يكون معه ما يضل به عباده المؤمنين . وما ذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم ، وإن كان معه مامعه من الخوارق . اهـ (النهاية) .

(٣)

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

وقد بين سيدنا رسول الله ﷺ أوصاف هذا الدجال وأحواله وأفعاله ونهايته أوفى بيان ، ...

وإليك بعض أحواله كما ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٦ و ٨٩ - ٩٠ بما رواه - خاصة - الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : إن النبي ﷺ قال : « إنه يهودي ، وإنه لا يؤلد له ولد ، وإنه لا يدخل المدينة ولا مكة » . رواه

مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٥٠ ، « وَإِنَّ عَيْنَهُ الْيَمْنَى عوراء ، جاحظة ، لا تخفى ، كأنها نخاعة - أي نخامة - في حائطٍ مُجَصَّص ، وعينه اليسرى كأنها كوكبٌ ذريّ - يعني شدة اتقادها - معه من كلِّ لسان ، ومعه صورة الجنة خضراء تجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء » . رواه أحمد في « مسنده » ٣ : ٧٩ ، « وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلَانِ يُنْذِرَانِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، كلما خَرَجَا من قرية دخلَ أوائله » . رواه أبو يعلى والبزار .

وذكر الحافظ ابن حجر موطنَ خروجه فقال في « فتح الباري » أيضًا ١٣ : ٧٩ : وسيكون خروجه من قبل المشرق جزمًا ، ثم جاء في رواية أنه يخرج من خراسان ، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر ، وفي رواية أخرى : أنه يخرج من أصبهان ، أخرجها مسلم . ويخرج أولًا فيدعي الإيمان والصلاح ، ثم يدعي النبوة ، ثم يدعي الإلهية !

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى في « فتح الباري » ١٣ : ٩١ - ٩٣ « قال الخطابي : فإن قيل : كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد الكافر ؟ فإن إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء ، فكيف ينالها الدجل وهو كذابٌ مُفْتَرٍ يدعي الربوبية ؟

فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعباد ، إذ كان عندهم ما يدلُّ على أنه مبطلٌ غيرٌ مُحَقِّقٌ في دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوبٌ على جبهته : كافر ، يقرأه كلُّ مسلم . فدعواه داحضة مع وشم الكفر ، وتقص الذات والقدر ، إذ لو كان إلها لأزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة ، فلا يشتبهان » .

ثم قال الحافظ ابن حجر بعد كلام الخطابي هذا : وفي الدجال دلالة بينة - لمن عقل - على كذبه ، لأنه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الآفة به من عور عينيه ، - أي عيبها - فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم ، فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن لیسوي خلق غيره ويمدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه . فأقل ما يجب أن يقول : يامن يزعم أنه خالق السماء والأرض ، صور نفسك وعدلها ، وأزل عنها العاهة ! فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئًا فأزل ما هو مكتوب بين عينيك ! ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى : وقال القاضي عياض : في هذه الأحاديث حجة لأهل

السُّنَّةِ فِي صِحَّةِ وجودِ الدُّجَالِ ، وأنه شخصٌ معيَّن ، يَبْتَلِي اللهُ بِهِ العباد ، وَيَقْدِرُهُ على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله ، وظهورِ الخِصْبِ ، والأنهارِ ، والجنة والنار ، وأتباعِ كنوز الأرض له فتنيت ، وكلُّ ذلك بمشيئة الله تعالى ، ثم يُعجزُهُ اللهُ فلا يَقْدِرُ على قتل ذلك الرجلِ ولا غيره ، ثم يُبطلُ أمره ، ويقتله عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام .

وقال الشيخ أبو بكر بن العربي : الذي يَظْهَرُ على يَدِ الدُّجَالِ من الآيات : من إنزالِ المطرِ والخِصْبِ على من يُصَدِّقُهُ ، والجذبِ على من يُكذِّبُهُ ، وأتباعِ كنوز الأرض له ، ومامعه من جنة ونار ، ومياهٍ تجري ، كلُّ ذلك مِحنةٌ من الله واختبار ، ليهلك المرتاب ، وينجو المتيقن ، وذلك كُلُّهُ أمرٌ مَخُوفٌ ، ولهذا قال ﷺ : لا فِتْنَةَ أعظمَ من فِتْنَةِ الدُّجَالِ . وكان ﷺ يَسْتَعِينُ منها في صلواته تشريعاً لأُمَّتِهِ ﷺ .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٥٨ - ٥٩ ، بعد ذكر أحاديثِ الدُّجَالِ ... [وبعد ذكر كلام القاضي عياض السابق ذكره] :

هذا مذهبُ أهل السنة والجماعة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكروه وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ... اهـ (التصريح)

أقول :

وقد ذهب بعض أهل العصر إلى مقولة لم يقلها أحد من قبل ، فأوَّلَ أحاديثِ الدُّجَالِ بأن المراد بها الحضارة الغربية لأنها حضارة عوراء وهو تأويل يكفر به من يعتقد أن النصوص لا تحتل ذلك مجال من الأحوال ، وهي نصوص متواترة والإجماع منعقد على أنها تصف شخصاً بعينه ، وهناك فارق بين ما يحتل التأويل وبين ما لا يحتل ، وهذا الفارق لا يعرفه إلا الراسخون في العلم ، فإذا تنطع له من ليس مظنة العلم والاستقامة ضلُّ وأصل .

وهل الفرق الباطنية المجمع على كفرها إلا أصحاب التأويل الفاسد الذي يخرج قطعيات الشريعة إلى معانٍ أخرى !؟

(٤)

قال الشيخ عبد الفتاح تعليقا على قوله عليه الصلاة والسلام : « يوم كسنة ويوم كشهرا ويوم كجمعة ... » :

(وقال العلامة ابن ملك : « وهذا القول في تفسير امتداد الأيام الثلاثة جار على حقيقته ، ولا امتناع فيه ، لأن الله قادر على أن يزيد كل جزء من أجزاء اليوم الأول حتى يصير مقدار سنة ، خارقا للمعادة ، كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم » .

قال العلامة على القاري في المرقاة شرح المشكاة « ٥ : ١٩٥ بعد نقله كلام ابن ملك المذكور : وهذا القول الذي قرره لا يفيد إلا بسط الزمان كما وقع له عليه السلام في قصة الإسراء مع زيادة على المكان .

لكن لا يخفى أن سبب وجوب كل صلاة إنما هو وقتها المقدر من طلوع صبح ، وزوال شمس ، وغروبها ، وغيبوبة شفقها ، وهذا لا يتصور إلا بتحقيق تعدد الأيام والليالي على وجه الحقيقة ، وهو مفقود .

فنقول - وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق - قد تبين لنا بإخبار الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه أن الدجال يبعث معه من المشبهات ويفيض على يديه من التوهمات . ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم ، ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم ، فمن ذلك تسخير الشياطين له ، ومجيئه بجنّة و نار ، وإحياء الميت على ما يدعيه ، وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب ، وتارة بالأزمة والجذب .

ثم لا خفاء أنه أسخر الناس ، فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا أن نقول : إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم ، حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة : إسفار بلا ظلام ، وصباح بلا مساء ، يحسبون أن الليل لا يمدّ عليهم رواقه ، وأن الشمس لا تطوي عنهم ضياءها ، فيبتقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ، ويدخل عليهم دواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار ، فأمرهم عليه السلام أن يجتهدوا عند مصادمة تلك الأحوال ، ويقدرّوا لكل صلاة قدرها ، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة . هذا الذي اهتمدنا إليه من

التأويل ، والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل . انتهى) اهـ (التصريح) .

أقول :

الذي ذهبت إليه أثناء العرض للنصوص أن اليوم الأول كسنة في الشدة واليوم الثاني كشهر في الشدة واليوم الثالث كأسبوع في الشدة . وبكلام فضيلة الشيخ عبد الفتاح أصبح أمامك اتجاهان يمكن أن يحمل عليهما النص ، ولا يبعد أن يكون هناك سبب وراء ذلك الطول في تلك الأيام ، فالذي دعانا إلى حمل هذه النصوص على غير ظاهرها نصوص أخرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن بقاء يوم مستمر سنة كاملة قبل طلوع الشمس من مغربها لا يستغرب معه أن تطلع الشمس من مغربها بعد ذلك ، مع أن الشارع رتب على هذه القضية مارتب ، ثم إذا لم تكن المسألة محمولة على شيء مالا نستطيع تصوره فإن اليوم الذي كسنة في حق بعض الناس سيكون منيراً في حقهم مظلماً بحق ناس آخرين بسبب كروية الأرض ، فهذه الأشياء وأمثالها دعت إلى التأويل أو إلى التفسير مع احتمال أن يكون للمسألة سرها الذي يُعرف في إبانه ، ولذلك فع أننا ذهبنا إلى ما ذهبنا إليه وتقلنا ما نقلناه فإننا نرجح التسليم خاصة وسياق النصوص ليس لصالح التأويل .

(٥)

تعليقاً على قوله عليه الصلاة والسلام : « وآخر أيامه كالشررة » . الوارد في حديث ابن ماجه عن أبي أمامة قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

هذا يخالف ماتقدم في حديث النّوأس بن سمان ، فقد جاء فيه أن إقامة الدجال في الأرض : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد كما تقدم . وحديث أبي أمامة هذا - على صحته - في سنّده مقال فيقدم عليه الحديث الصحيح الذي لا كلام في سنّده .

والظاهر أن ما وقع في هذا الحديث من مغايرة للحديث الصحيح في مدّة مكث الدجال في الأرض : إنما هو من اشتباه بعض الرواة وتصرفاتهم ، كما قرّره المؤلف الإمام الكشميري

رحمه الله تعالى في قاعدة له تراها في كتابه « فيض الباري على صحيح البخاري »
(٤ : ٤٤-٤٧) .

وبعد ما استظهرتُ هذا الاظهار رأيتُ حديثَ أبي أمامة في « مستدرک الحاکم » ٤ :
٥٣٦ - ٥٣٧ ، وقد جاء فيه تحديدهُ مُكثِّ الدجَالِ موافقًا لما جاء في « صحيح مسلم » ،
ولفظه : « وإنَّ أيامه أربعون ، فيومٌ كسنة ، ويومٌ كشهر ، ويومٌ كجمعة ، ويومٌ كالأيام ،
وآخرُ أيامه كالشرب ، يُصبحُ الرجلُ عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغَ بابها الآخر » .
فجَزَمْتُ بأن الرواية الواقعة في « سنن ابن ماجه » وقع فيها اشتباهٌ وتصرفٌ من بعضِ
الرواة ، كما قرَّره شيخُنا المولَّفُ إمام العصر الكشميري في قاعدته المشار إليها ، فرحمةُ
الله عليه ورضوانه العظيم ، وجَزَى اللهُ خيرَ الجزاء أستاذنا العلامة المفيد الشيخ محمد بَدْرَ عالمٍ
على تبسيطه قاعدة شيخه المولَّفِ الإمام الكشميري فيما علَّقه عليها .

وعلى قَرَضِ قبولِ هذه الرواية في التحديد لإقامة الدجَالِ قال العلامة على القاري في
« المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ٢١١ « ولعلَّ وجه الجمع بين الروایتين اختلافُ الكميَّة والكيفيَّة ،
كما يشيرُ إليه قولُه : السنَّةُ كسهر . فإنه محمولٌ على سرعة الاتقضاء ، كما أن ما سبق من
قوله : يومٌ كسنة . محمولٌ على أنَّ الشدة في غاية الاستقصاء ، على أنه يمكن اختلافه
باختلاف الأحوال والرجال . انتهى . اهـ (التصريح) .

أقول :

ماذكره الشيخ ملا علي القاري يمكن أن نستأنس به لما ذهبنا إليه أن اليوم الأول كسنة
في الشدة ، وهكذا ، ومن المعروف أن استغراق الإنسان في أمر ما ينسيه الوقت فلا يحس
به ، ولذلك كان الشعور بالوقت نسبيًا ، فمن كان في شدة أحس بطول الوقت ومن كان في
لذة لم يشعر بالوقت ، ومن كان مستغرقًا في أمر لم يحس بمرور الزمن ، فلعل المراد هو ذلك .

(٦)

قال الشيخ عبد الفتاح في السؤال والجواب الواردين : « ما إسرعه في الأرض ؟ قال :
كالغيث استدبرته الريح ... » :

(وفي رواية « الدر المنثور » للسيوطي ٤ : ٣٣٧ « كالغيث يشتد به الريح » . والمراد بالغيث هنا : الغيم ، إطلاقاً للسبب على السبب ، أي يسرع في الأرض إسراع الغيم تسوقه الريح بقوة وعنف . وإنما يسرع هذا الإسراع كي لا يتأمل الرعاع المغتربون به حاله ودلائل نقصه وعيوبه ، فينكشف لهم دجله ، ويتضح لهم كذبه ، وتبطل عندهم دعاويه الباطلة المزورة .) . اهـ (التصريح) .

(٧)

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

وقد عقد العلامة السُّفاريُّ المتوفى سنة ١١٨٨ رحمه الله تعالى في شرح منظومته في العقيدة المسمى « لواع الأسرار البهية » ٢ : ١٠٦ تنبيهاتٍ ، وقال : التنبيه الثالث : مما ينبغي لكلِّ عالمٍ : أن يثبت أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ، وقد قال الإمام ابن ماجه : سمعت الطنّافسي يقول : سمعت المحاربي يقول : ينبغي أن يدفع هذا الحديث يعني حديث الدجال إلى المؤدّب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب . وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر . وقد أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر بن عبد الله مرفوعاً : « يخرج الدجال في خيفة من الدين ، وإدبار من العلم » . فينبغي لكلِّ عالم التذكير به ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن ، وكثرت فيه المحن ، واندرست فيه معالم السنن ، وصارت السنة فيه كالبدع ، والبدعة شرع يتبع !) . اهـ (التصريح) .

(٨)

الدجال في سطور

تأليف العلامة الشيخ محمد شفيع ، وننقله هنا من التصريح مع شيء من الحذف :

* خروج الدجال قبل نزول عيسى عليه السلام :

- يخرج الدجال من بين الشام والعراق .

* أمارات الدجال وأوصافه :

- مكتوب بين عينيه كافر بشكل ك ف ر .
- يكون أعور العين اليسرى .
- بعينه اليمنى ظفرة غليظة .
- يدور في جميع أنحاء العالم .
- ولا يبقى على وجه الأرض موضع محفوظ من شره إلا مكة والمدينة .
- يحرس الملائكة أبوابها ولا يستطيع الدجال أن يدخلها .
- ويقم حيث تنتهي السبخة من الظريب الأحمر بعدما يدفعه الملائكة من الحرمين .
- ويأخذ أرض المدينة زلازل تخرج المنافقين من المدينة ، ويلتحق المنافقون رجالهم ونساءهم بالدجال .

- يكون معه نهران يقول لأحدهما : إنه جنة . ولثانيهما : إنه نار . فن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة .

- يركب حماراً عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً .

- يكون معه شياطين تكلم الناس .

* أحوال الدجال الأكبر :

- يأمر السحاب فيمطر .

- وتجذب الأرض متى شاء .

- يبرئ الأكمة والأبرص .

- يأمر كنوز الأرض فتخرج وتتبعه .

- يقتل شاباً ويقطعه بالسيف نصفين ثم يدعو فيأتي حياً ضاحكاً .

١٠٨٣

- يكون معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف محلى وساج .
- يفترق الناس ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها ، وفرقة تقاتله على شاطئ الفرات .
- يجتمع المسلمون بقرى الشام فيبعثون إليه طليعة .
- يكون في هذه الطليعة فارس على فرس أشقر أو أبلق فيقتلون ولا يرجع منهم أحد .
- حينما ينظر الدجال إلى المسيح عليه السلام يذوب كما يذوب الملح في الماء .
- وحينئذ ينهزم جميع اليهود .
- اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥٥٩	الباب الثاني : في الإيمان بالغيب
٥٦١	المقدمة :
٥٦٣	فصول الباب الثاني
٥٦٥	الفصل الأول : في بدء الخلق
٥٦٧	المقدمة
٥٧١	النصوص
٥٨٣	التلخيص
٥٨٥	الفصل الثاني : في معرفة الله والإيمان به
٥٨٧	المقدمة
٥٩٣	النصوص
٦١٤	التلخيص
٦١٧	الوصل الأول : في الوثنية في التاريخ
٦١٩	المقدمة
٦٢١	تعريف عن الوثنية في بعض الأديان
٦٢٧	الوصل الثاني : في التثليث ونسبة الولد إلى الله
٦٣٣	الوصل الثالث : في ﴿ وإن الدين عند الله الإسلام ﴾
٦٣٩	الوصل الرابع : في ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾
٦٤١	المقدمة
٦٤٤	النقول
٦٥٣	الفصل الثالث : في الإيمان بالقدر
٦٥٥	المقدمة
٦٥٨	المسائل

٦٦٢	النصوص
٦٨٢	التلخيص
٦٨٣	الفصل الرابع : في الإيمان بالملائكة
٦٨٥	المقدمة
٦٨٧	بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة
٦٩٥	بعض النصوص النبوية
٧١٩	الفصل الخامس : في الجن والشياطين
٧٢١	المقدمة
٧٢٤	بعض نصوص القرآن في الجن والشياطين
٧٢٩	النصوص النبوية
٧٥٢	التلخيص
٧٥٥	تقول في ما قاله بعض العلماء في الجن
٧٦٢	الوصل الأول : في ظاهرة ابن صياد
٧٦٥	المقدمة
٧٦٦	النقول
٧٦٨	النصوص النبوية في ابن صياد
٧٧٥	الوصل الثاني : في تحضير الأرواح
٧٧٩	الفصل السادس : في الإيمان بالكتب
٧٨١	المقدمة
٧٩١	الوصل : في التعريف على كتب بعض أهل الأديان
٧٩٣	المقدمة
٧٩٤	تعريفات عن الكتب الدينية القديمة
٨٠٢	النصوص
٨٠٥	الفصل السابع : في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
٨٠٧	المقدمة

١٠٨٧

٨١٧	النصوص النبوية في ذكر الأنبياء
٨٢٢	المسائل والفوائد
	الوصل الأول : في رفع خطأ التوهم بأن الرسل لم يبعثوا إلا في بقعة من
٨٢٥	الأرض وإلى بعض الأمم
٨٢٧	المقدمة
٨٢٩	النقول
٨٦١	الوصل الثاني : في وراثة الأنبياء وكرامات الأولياء
٨٦٣	المقدمة
٨٦٩	النصوص
٨٧٣	الفصل الثامن : في القصص النبوي
٨٧٥	المقدمة
٨٧٦	الفقرة الأولى : في الموقف من القصص بإطلاق وما يراد به
٨٧٦	المقدمة
٨٧٨	النصوص
٨٨١	الفقرة الثانية : في القصص النبوي
٨٨١	النصوص
٨٩٩	الفصل التاسع : في الإيمان باليوم الآخر
٩٠١	المقدمة
٩٠٥	الوصول
٩٠٧	الوصل الأول : بين يدي الساعة
٩٠٩	المقدمة
٩١٣	الفقرات
٩١٥	الفقرة الأولى : في أن رسول الله ﷺ أخبر عما سيكون بين يدي الساعة ..
٩١٦	الفقرة الثانية : في قرب الساعة نسيئاً
٩١٩	الفقرة الثالثة : في مدة قرن النبوة

٩٢١	الفقرة الرابعة : في بعض أحداث المرحلتين : الراشدة والأموية
٩٣٦	الفقرة الخامسة : حديث جامع
٩٣٨	الفقرة السادسة : في فتح القسطنطينية الأول
٩٤٠	الفقرة السابعة : في قتال التتار والمغول والأتراك قبل إسلامهم
٩٤٧	الفقرة الثامنة : في تمزق الأمة الإسلامية وصراعاتها
٩٥٣	الفقرة التاسعة : في التجديد والمجددين
٩٥٦	الفقرة العاشرة : في نار الحجاز
	الفقرة الحادية عشرة : في استقلالية أقطار الأمة الإسلامية عن بعضها
٩٥٩	وانفراط عقد الوحدة الإسلامية
٩٦٢	الفقرة الثانية عشرة : في غربة الإسلام
٩٦٤	الفقرة الثالثة عشرة : في مدّعي النبوة والدجالين
	الفقرة الرابعة عشرة : في أعلام وأشراط متفرقة تكون بين يدي الساعة
٩٦٧	وقد وقعت
٩٩٢	الفقرة الخامسة عشرة : في أشراط صغرى لم تقع بعد
١٠٠١	الفقرة السادسة عشرة : في انخسار الفرات عن جبل من ذهب
١٠٠٣	الفقرة السابعة عشرة : في أشراط الساعة الكبرى إجمالاً
١٠٠٣	المقدمة
١٠٠٥	النصوص
١٠١٤	الفقرة الثامنة عشرة : في المهدي عليه السلام
١٠١٤	المقدمة
١٠١٦	النصوص
١٠٢١	المسائل والفوائد
١٠٢٧	الفقرة التاسعة عشرة : في الدجال
١٠٢٧	مقدمة
١٠٢٨	نصوص
١٠٨٥	الفهرس

